
اقتباسات
كتاب الأناجيل من التوراة
بيان ونقد
الإنجيل
منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
https://twitter.com/SourAlAzbakya
التوراة
تأليف
الدكتور أحمد حجازى السقا
مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر



اقتباسات

كُتّاب الأناجيل من التوراة

تأليف الدكتور الشيخ

أحمد حجازى السقا

مكتبة الإيمان بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

[الشورى]

ملاحظـــــة :

اشترِ نسختين من الكتاب المقدس من أى كنيسة ، وضعهما أمامك ، وأنت تقرأ هذا الكتاب . وافتح نسخة على التوراة . وهى العهد القديم ، وافتح نسخة على الإنجيل ، وهو العهد الجديد ؛ تحس بلذة عقلية عظيمة ، وأنت تدرك الحق واضحا، و جليا .

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

اختصار أسماء أسفار التوراة والأناجيل

أولا : توراة موسى عليه السلام

١ ـ تك — التكوين

٢ ـ خر — الخروج

٣ ـ لا = أح — اللاويين = الأحبار

٤ ـ عد — العَدَد

٥ ـ تث — التثنية

ثانيا : أسفار الأنبياء

٦ ـ يش — يشوع

٧ ـ قض — القضاة

٨ ـ را — راعوث

٩ ـ ١ صم — صموئيل الأول ـ وهو الملوك الأول

١٠ ـ ٢ صم — صموئيل الثانى ـ وهو الملوك الثانى

١١ ـ ١ مل — الملوك الأول ـ وهو الملوك الثالث

١٢ ـ ٢ مل — الملوك الثانى ـ وهو الملوك الرابع

١٣ ـ ١ أى — أخبار الأيام الأول

١٤ ـ ٢ أى — أخبار الأيام الثانى

١٥ ـ عز — عَزرا

١٦ ـ نح — نَحَمْيا

١٧ ـ أس — استير

١٨ ـ أى — أيوب ـ عليه السلام ـ

١٩ ـ مز — المزامير = الزبور لداود عليه السلام

٢٠ ـ أم — الأمثال

٢١ ـ جا — الجامعة

٢٢ ـ نش — نشيد الإنشاد

٢٣ ـ إش — إشَعياء

٢٤ ـ إر — إرمياء

٢٥ ـ مرا — مراثى إرمياء

٢٦ ـ حز　　　حِزقيال

٢٧ ـ دا　　　دانيئال

٢٨ ـ هو　　　هوشع

٢٩ ـ يوء　　　يوئيل

٣٠ ـ عا　　　عاموس

٣١ ـ عو　　　عوبيديا

٣٢ ـ يون　　　يونان = يونس ـ عليه السلام ـ

٣٣ ـ مى　　　ميخا

٣٤ ـ نا　　　ناحوم

٣٥ ـ حب　　　حَبَقُّوق

٣٦ ـ صف　　　صَفَنْيا

٣٧ ـ حج　　　حَجَّاى

٣٨ ـ زك　　　زكريا

٣٩ ـ مل　　　ملاخِى

ثالثاً : أسفار الأنبياء المحذوفة من طبعة البروتستانت :

٤٠ ـ ١ مك　　　المكَّابيين الأول .

٤١ ـ ٢ مك　　　المكابيين الثانى .

٤٢ ـ حك　　　الحكمة

٤٣ ـ سى　　　يشوع بن سيراخ

٤٤ ـ طو　　　طوبيا

٤٥ ـ يهو　　　يهوديت

٤٦ ـ با　　　باروخ

رابعا : الأناجيل

٤٧ ـ مت　　　إنجيل متّى

٤٨ ـ مر　　　مَرقس

٤٩ ـ لو　　　لوقا

٥٠ ـ يو　　　يوحنا

٥١ ـ بر　　　بَرنابا

٥٢ ـ أع　　　أعمال الرسل = الأفركسيس

٥٣ ـ رو　　　رسالة بولس إلى أهل روما

٥٦ ـ ١ كو   رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس
٥٧ ـ ٢ كو   رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس
٥٨ ـ غل   رسالة بولس إلى أهل غلاطية
٥٩ ـ أف   رسالة بولس إلى أهل أفسوس
٦٠ ـ فى   رسالة بولس إلى أهل فِيلبِّى
٦١ ـ كو   رسالة بولس إلى أهل كولوسى
٦٢ ـ ١ تس   رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى
٦٣ ـ ٢ تس   رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى
٦٤ ـ ١ تى   رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس
٦٥ ـ ٢ تى   رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس
٦٦ ـ تى   رسالة بولس إلى تِيطوس
٦٧ ـ فل   رسالة بولس إلى فليمون
٦٨ ـ عب   رسالة بولس إلى العبرانيين
٦٩ ـ يع   رسالة يعقوب
٧٠ ـ ١ بط   رسالة بطرس الأولى
٧١ ـ ٢ بط   رسالة بطرس الثانية
٧٢ ـ ١ يو   رسالة يوحنا الأولى
٧٣ ـ ٢ يو   رسالة يوحنا الثانية
٧٤ ـ ٣ يو   رسالة يوحنا الثالثة
٧٥ ـ يه   رسالة يهوذا
٧٦ ـ رؤ   سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى = المشاهدات

تمهيـــدات

أولا : النبى الأمِّى فى التوراة :

١ـ أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأن يخرج من أرض آبائه ، مهاجرا إلى الله، وداعيا إليه . ووعده بأن سيجعله أمَّة عظيمة ويباركه ويعظم اسمه «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»

٢ـ وقال الله لإبراهيم : سِر أمامى فى جميع البلاد، لدعوة الناس إلى عبادتى، وامح عبادة الأصنام بالكلام الحسن وبالسيوف. وإذا سرت أمامى؛ فإنى أجعل عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك ـ نسل إسماعيل ونسل إسحق ـ عليهما السلام ـ

٣ـ وتبدأ بركة نسلك من بعدك فى الأمم من نسل إسحق . ومن بعده تظهر بركة إسماعيل . وفسّر البركة بكثرة النسل ، وبملك النسل على الأمم والشعوب ؛ ليحكموهم بشريعة من الله . أى أن البركة أ ـ ملك ب ـ ونبوة .

٤ـ وكيفية ظهور البركة فى النسل هى: أن يظهر منه نبى، ويعطيه الله شريعة، ويجعله ملكا على النسل . فيخرج بهم إلى الأمم ؛ ليبلغهم الشريعة ، ويقاتل مع قومه كل من يصد الناس عنها . ومن بعد موته ، ينوب نسله عنه فى تبليغها .

٥ ـ وقد بدأت البركة فى نسل إسحق بظهور نبى الله موسى منه. ذلك قوله تعالى : **﴿ أن بُورك مَن فى النار ، ومَن حولها ﴾** وأعطاه الله ؛ التوراة ، وجعله ملكا . وخرج ببنى إسرائيل إلى الأمم ؛ فبلغ الشريعة ، وجاهد فى سبيلها. وظل بنو إسرائيل على سنته وطريقته إلى زمان سبى«بابل» سنة٥٨٦ ق.م. ومن بعد السبى. قصروا الشريعة عليهم، واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم . وكان كل نبى يظهر من بنى إسرائيل كان يدعو إلى العمل بشريعة موسى . ومنهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فإنه قال : «ما جئت لأنقض الناموس »

٦ ـ ونبه موسى عليه السلام على نبى سيأتى مثله ؛ لتبدأ منه بركة إسماعيل فى الأمم. ووضَّح أوصافه، وذكر اسمه. وأكد على ظهور بركة إسماعيل به. ولم يحذف علماء بنى إسرائيل من التوراة كل النصوص التى ذكرها موسى عنه. وإنما فرقوها على الأسفار. لئلا تدل عليه بوضوح تام. فى نظر الأُمّيين. ووضعوا عبارات للبس الحق بالباطل. وغيروا كلمات. هى نص فيه. إلى كلمات. تحتمل: أنها نص فيه، أو نص فى غيره .

٧ ـ ثم قال علماء بنى إسرائيل: إن النبى الذى نبه موسى عليه؛ سيأتى من بنى إسرائيل . واختلفوا . فقال العبرانيون : إنه سيأتى من نسل داود ، من سِبط يهوذا ، وقال السامريون : إنه سيأتى من نسل أفرايم، من سبط يوسف الصدِّيق . وكان من العبرانيين من يدعى: إن الله سيرسل اثنين: واحدا من سبط يهوذا ـ سبط الملك ـ وواحدا من سبط لاوِى ـ سبط العلماء ـ ففى سفر عهود الآباء الاثنى عشر: يذكر أن خلاص بنى إسرائيل من الكفار ؛ سيأتى من لاوى ويهوذا . لا من يهوذا وحده . فهو يجعل يهوذا يقول : «الرب أعطانى الملك، وأعطى لاوى الكهنوت. وقد جعل الملك تحت الكهنوت. وكما علت السموات عن الأرض، علا كهنوت الله على السلطان الأرضى» [عهد يهوذا ٢١ : ١ وما بعده]

٨ ـ وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أ ـ مصدقا للتوراة التى كانت فى زمانه ب ـ ومبشرا بمجىء محمد ﷺ وكان يذكر نبوءات التوراة عن النبى الآتى ويطبقها على محمد ﷺ

٩ ـ ومن بعد رفعه إلى السماء زعم «بُولوس» أن النبى الذى نبه على مجيئه موسى عليه السلام ليس هو محمدا ﷺ وإنما هو المسيح عيسى عليه السلام فى مجيئه الثانى. وتكونت النصرانية الحالية على هذا الزعم .

١٠ـ ويقول اليهود كلهم: إن النبى الآتى؛لم يأت إلى اليوم،ويلقبونه بعدّة ألقاب. منها: النبى ـ المسيح ـ المَسِيّا ـ ابن الله ـ ابن داود ـ رئيس الحياة ـ نبى البر . . الخ.

ويقول النصارى : إنه أتى. وهو المسيح عيسى بن مريم. فإنه هو النبى ـ والمسيح ـ والمسيا ـ وابن الله ـ وابن داود . . . الخ . وسيأتى مرة أخرى .

ويقول المسلمون: إنه هو محمد ﷺ لثبوت بركة فى نسل إسماعيل عليه السلام. وقد ذكرنا من نصوص نبوءات التوراة عن محمد ﷺ فى كتاب «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل » المجلد الأول. نصوصا كثيرة، ولم نشرح بركة إسماعيل شرحا وافيا، ولم نشرح العهد الخاص بإسماعيل شرحا وافيا. وفى المجلد الثانى سنظهر مايريد الله إظهاره. وفى هذا الكتاب سنظهر محاولات النصارى تطبيق النبوءات على عيسى عليه السلام.

وهذه نصوص نذكرها لتساعد على فهم الاقتباسات :

١ ـ النص على النبى الأمى :

تذكر التوراة : أن الله تعالى طلب من موسى عليه السلام أن يجمع له بنو إسرائيل نحو جبل طور سيناء. فجمعهم نحو الجبل. واضطرم الجبل بالنار والدخان، فخاف بنو

إسرائيل وارتعبوا ، وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا ، فليكلمنا عن طريقك، ونحن نسمع لك، ونطيع. فرد الله على موسى بقوله:أحسنوا فى ما قالوا. وسوف أقيم لهم نبيا من بعدك .

النص :

« يُقيم لك الرب إلهك نبيا ، من وسطك، من إخوتك. مثلى. له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا :لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت . قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا .

أقيم لهم: نبيا، من وسط إخوتهم. مثلك،وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى؛ فيتكلم باسمى كلاما، لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ؛ فيموت ذلك النبى .

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر ؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ؛ فلا تخف منه » [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

الأوصاف :

١ـ نبى « يقيم لك الرب إلهك : نبيا »

٢ـ من بنى إسماعيل « من إخوتك » وهو يقصد بنى إسماعيل ؛ لأن الله قال لإبراهيم عليه السلام : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه »

٣ـ مثل موسى «مثلى» وفى التوراة أنه لن يقوم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى؛ فى الحروب والانتصار على الأعداء والملك على الأمم والشعوب، والمعجزات [تث٣٤: ١٠ ـ١٢]

٤ ـ ينسخ شريعة موسى « له تسمعون »

٥ ـ يكون ملكا [١] « له تسمعون »

---

(١) فى كلامنا عن هذه النبوءة كنا أدمجنا صفة الملك فى صفة النسخ ؛ لاعتقاد العوام . أن محمدا ﷺ لم يكن ملكا . مع أن فى القرآن الكريم عن نسل إبراهيم ـ وهو وقومه منهم ـ : ﴿ **فقد آتينا آل إبراهيم : الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما** ﴾ وقال : ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر : أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ وهم أتباع محمد ﷺ كما فى المزمور السابع والثلاثين . والإرث هو ملك على أراضى الأمم والشعوب ؛ للتمكين للشريعة .

٦ ـ أمى . لا يقرأ ولا يكتب « وأجعل كلامى فى فمه »

٧ ـ أمين على الوحى الإلهى « فيكلمهم بكل ما أوصيه به »

٨ ـ يقضى على ملك بنى إسرائيل فى الأرض «ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى ، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه » أى أنتقم منه، وأبيده من الشعب [أعمال ٣: ٢٢-٢٣]

٩ ـ لا يقتل بيد أعدائه « وأما النبى الذى يطغى ؛ فيتكلم باسمى كلاما. . .» وفى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق والسامريين : « فليقتل »

١٠ ـ يتحدث عن غيب ، يقع فى مستقبل الأيام ، ويحدث الغيب ، كما قال « وإن قلت فى قلبك . . . »

٢ ـ النص على بركة إسماعيل :

أ ـ قال الله لإبراهيم : «سر أمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا . . . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم،وأثمرك كثيرا جدا،وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا »

ب ـ وقسم الله البركة بين إسحق وإسماعيل،فقال عن سارة أم إسحق: «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها . فتكون أمما ، وملوك شعوب منها يكونون » ـ « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك » أى يسير أمام وجهك فى البلاد لدعوة الناس إلى دينك « فقال الله : وأما إسماعيل . فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه . وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة»

ولكن السير يبدأ من بعد موتك فى نسل إسحق،وبعد مدة من الزمان يقوم نسل إسماعيل بالسير أمامى. وقد خصص الله بركة إسحق فى بنى إسرائيل [تك ٢٧: ٢٦ ـ ٢٩]

وقال لإبراهيم : « بإسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ؛ لأنه نسلك » وأسكن الله إسماعيل فى برية فاران [تك ٢١ : ٢١]

وقسم موسى صاحب التوراة البركة بينه وبين النبى الآتى . فقال :

«وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قِدِّيسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك » [تث ٣٣ : ١ ـ ٣]

يعنى بمجيء الله من سيناء: نزول شريعة موسى فيها . ويعنى بساعير: علماء بنى إسرائيل المفسرون للتوراة. وكان مركز تجمعهم حول هذا الجبل الذى هو قرب «أورشليم» ويعنى بفاران: نزول شريعة على رجل من نسل إسماعيل عليه السلام . ثم قال: إن النبى الآتى من فاران سيأتى إلى فلسطين ومعه ربوات عظيمة من أصحابه الأطهار المقدسين . ومعه شريعة إلهية، سيمكن لها بالحرب. ورمز إلى الحرب بالنار. وقال: إن هذا النبى محب للشعوب. وجميع أصحابه وأتباعه لا يخرجون من يده، وهم ملازمون لشريعته، ويتقبلون أحكامها.

٣ ـ النص على انتهاء بركة إسحق :

قال يعقوب عليه السلام لبنيه حين حضره الموت : « اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام » والمراد بآخر الأيام : آخر أيام بركة إسحق فى الأمم . ثم قال لبنيه فى شخص يهوذا ابنه الرابع : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » والمعنى : أن أ ـ الملك سيظل فى بنى إسرائيل ب ـ وستظل الشريعة فيهم . إلى أن يأتى « شيلون » نبى السلام . ويملك على أراضى الأمم والشعوب ؛ ليحكمهم بشريعة جديدة .

ويقول النصارى : إن « شيلون » هو يسوع المسيح . كيف . وهو من بنى إسرائيل ؟ وإنه هو محمد ﷺ لثبوت بركة فى نسل إسماعيل عليه السلام .

❊ ❊ ❊

ثانيا : تقسيم الأرض على الأسباط :

والأسباط: هم نسل أبناء يعقوب ـ المسمى أيضا بإسرائيل ـ وهم على الترتيب: ١ ـ رأوبين ٢ ـ شِمعون ٣ ـ لاوِى ٤ ـ يهوذا ٥ ـ زبولون ٦ـ يسَّاكر ٧ ـ جاد ٨ ـ دان ٩ ـ أشير ١٠ ـ نفتالى ١١ ـ يوسف ـ ١٢ بنيامين .

وحسب يعقوب عليه السلام ١ ـ منسَّى ٢ ـ وأفرايم ، ابنا يوسف عليه السلام بسبطين ، نظير فضل يوسف على إخوته . وأمر موسى بأن لايكون لسبط لاوى نصيب فى أرض محددة ، ووصى بأن يعيش أبناؤه بين الأسباط فى ديارهم ؛ ويجوبوا البلاد لتعليم الشريعة . وقسم يشوع بن نون أرض فلسطين على الأسباط . وخصص لأبناء هرون عليه السلام وهو من سبط لاوى ؛ مدنا للسكن .

ومن بعد عصر داود عليه السلام كان سبطى يهوذا وبنيامين ، يكونون مملكة فى أرض

فلسطين. حدها الأعلى من «يافا» على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى «غزة» ومن نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط. وعاصمتها « أورشليم » ـ التى هى مدينة « القدس » ـ وعظموا هيكل سليمان ، وجعلوه قبلتهم فى الصلاة والحج .

وكان الأسباط الباقين ـ وهم عشرة ـ يكونون مملكة فى أرض فلسطين. حدُّها الأسفل من « يافا » إلى « صور » فى لبنان. وعاصمتها « نابلس » ـ المسماة قديما «شِكيم» ـ وبنوا هيكلا عظيما ، على جبل « جرزِّيم » وجعلوه قبلة .

وأثناء وجود الأسباط الاثنى عشر فى «بابل» سنة ٥٨٦ ق. م اتفقوا على إعادة كتابة توراة موسى عليه السلام وكتبوها. وجعلوها خمسة أسفار، ورجعوا بها من«بابل»إلى «فلسطين»ثم اختلفوا فى عاصمة الدولة، وفى الهيكل المقدس. ولم يتفقوا. واتهم كل فريق الفريق الآخر بتحريف فى التوراة. وعرفت توراة السبطين فى العالم بالتوراة العبرانية. وعرفت توراة الأسباط العشرة بالتوراة السامرية. وهى غير مقدسة عند النصارى، وعند العبرانيين .

ثم ادعى العبرانيون: أن النبى الآتى على مثال موسى، سيكون من نسل داود عليه السلام ؛ لأنه هو المؤسس لمملكتهم فى البدء ـ وداود من سبط يهوذا ـ وادعى السامريون : أنه سيكون من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام .

ثم قدس العبرانيون أسفارا لأنبياء أتوا من بعد موسى . منها: سفر الزبور وسفر إشعياء وإرمياء ودانيال . . الخ . ولم يقدس السامريون هذه الأسفار ، ولم يعترفوا بنبوة كاتبيها . ثم إن التوراة العبرانية ترجمت إلى اللغة اليونانية . وعرفت فى العالم بالتوراة اليونانية ـ وهى التوراة التى يقدسها النصارى ـ

والمؤرخون مختلفون فى بيان : أزمان الأمم القديمة . والنصارى مختلفون أيضا . والمرجح عندهم تقريبا هو :

١ ـ موسى عليه السلام كان سنة ١٥٧١ ق.م

٢ ـ داود عليه السلام ١٠١٠ ـ ٩٧٠ ق.م

٣ ـ سبى بابل ٥٨٦ ق.م

٤ ـ العصر الفارسى . قوروش ملك فارس (٥٥١ ـ ٥٢٩) واستولى على بابل فى سنة ٥٣٩ ق.م

٥ ـ العصر اليونانى . جيوش الإسكندر الأكبر فتحت فلسطين سنة ٣٣٣ ق.م

٦ ـ العصر الرومانى. هيرودس. استولى على «أورشليم» وملك حتى السنة ٤ ق.م.

٧ ـ فى حوالى ٧ ـ ٦ ب. م (؟) ميلاد عيسى عليه السلام

٨ ـ فى حوالى ٥٧١ م ميلاد محمد ﷺ

* * *

ثالثا : إسماعيل عليه السلام هو ابن سارة ، وهاجر :

كان فى عُرف[1] الناس فى زمان إبراهيم عليه السلام: أن الرجل إذا تزوج امرأة، ولم تنجب له أولادا؛ لأنها عاقر، أو لأى سبب آخر،أو لأنها لا تُريد الإنجاب. بدون سبب. كانت المرأة تعطى جاريتها لرجلها ، وتقول له: ادخل عليها ؛ لعلِّى أُرزق منها بنين. فإذا دخل عليها ، وأنجبت منه ولدا. فإن الولد يكون منتسبا للمرأة الحُرَّة، ووارثا لها. ويكون منتسبا لأبيه ووارثا له. مثل ولد المرأة الحرة، سواء بسواء.

وقد حصل هذا الأمر فى أسباط بنى إسرائيل. فإن منهم من كان ولد جارية ومنهم من كان ولد امرأة حُرة. والكل كانوا ورثة فى إسرائيل أبيهم . وحصل هذا الأمر فى ابنى إبراهيم عليه السلام. إسماعيل، وإسحق . وصار به إسماعيل ابنا بكرا لسارة ولهاجر ، على حد سواء .

وبيان ذلك :

أ ـ بالنسبة لإسماعيل عليه السلام: فى الأَصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وأما ساراى امرأة أبرام ؛ فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية ، اسمها: هاجر. فقالت ساراى لأبرام: هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. ادخل على جاريتى. لعلِّى أُرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراى. فأخذت ساراى ـ امرأة أبرام ـ هاجر المصرية ، جاريتها. من بعد عشر سنين؛ لإقامة أبرام فى أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر ؛ فحبلت » [تك ١٦ : ١]

لاحظ : قولها : « لعلى أُرزق منها بنين »

وقد رزقها الله تعالى بابن منها . هو إسماعيل . فيكون إسماعيل بكرها ، وبكر هاجر أيضا . ولما أنجبت سارة إسحق ؛ طلبت من إبراهيم : أن يحرم إسماعيل من الميراث فيها وفيه ـ تريد مخالفة العرف والتقاليد ـ ولم يستجب الله لطلبها ، وبين أنه وارث ؛ لأنه من نسله . ففى الأَصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين :

---

(١) راجع شريعة حمورابى .

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية، الذى ولدته لإبراهيم، يمزح. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها ؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق . فقبح الكلام جدا فى عينى إبراهيم ، لسبب ابنه . فقال الله لإبراهيم : لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك . فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمَّة ؛ لأنه نسلك »

يعنى : اسمع لقولها فى إبعاد الجارية وابنها . ولذلك « بكر إبراهيم صباحا ، وأخذ خبزا وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر ، واضعا إياهما على كتفها ، والولد . وصرفها » ولما سمع بموت أبيه إبراهيم حضر دفنه « ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه » وارثا بركته . فى أرض الفلسطينيين . وحضوره دفنه ؛ يدل على أن الصلة لم تنقطع بينه وبين أبيه وأخيه .

ب ـ وبالنسبة للأسباط : ففى الأصحاح الثلاثون من سفر التكوين : « فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب ؛ غارت راحيل من أختها ، وقالت ليعقوب : هب لى بنين ، وإلا فأنا أموت . فحمى غضب يعقوب على راحيل، وقال : ألعلى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن؟ فقالت : هو ذا جاريتى بلهة . ادخل عليها ؛ فتلد على ركبتى ، وأرزق أنا أيضا منها بنين. فأعطته بلهة جاريتها زوجة. فدخل عليها يعقوب. فحبلت بلهة وولدت ليعقوب ابنا . فقالت راحيل : قد قضى لى الله ، وسمع أيضا لصوتى ، وأعطانى ابنا. لذلك دعت اسمه؛ دانا. وحبلت أيضا بلهة جارية راحيل، وولدت ابنا ثانيا ليعقوب. فقالت راحيل : مصارعات الله قد صارعت أختى وغلبت ، فدعت اسمه نفتالى .

ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة ، أخذت زلفة جاريتها ، وأعطتها ليعقوب زوجة ، فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابنا . فقالت ليئة : بسعد . فدعت اسمه جادا. وولدت زلفة جارية ليئة ابنا ثانيا ليعقوب. فقالت ليئة: بغبطتى؛ لأنه تغبطنى بنات. فدعت اسمه أشير » [تك ٣٠ : ١ ـ ١٣]

ومن ذلك يعلم :

١ ـ أن « بلهة » الجارية، أنجبت: « دان » و «نفتالى» ونسبا إلى « راحيل » المرأة الحرة.

٢ ـ وأن « زلفة » الجارية ، أنجبت: « جاد » و«أشير » ونسبا إلى « ليئة» الحرة. والأربعة ورثوا فى أبيهم يعقوب. وأما الثمانية: فإن ليئة الحرة ـ وكانت مكروهة من يعقوب ـ أنجبت ستة. وهم : «رأوبين » و «شمعون » و «لاوى » و «يهوذا » و « يساكر» و«زبولون» وأنجبت أنثى. هى «دينة »

وراحيل ـ وكانت محبوبة من يعقوب ـ أنجبت اثنان. وهما «يوسف» و «بنيامين»

وعلى ما تقدم . فإنه إذا قال كاتب التوراة : « إن الله امتحن إبراهيم . فقال له: يا إبراهيم. فقال: ها أنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق ، واذهب إلى أرض المريّا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال ، الذى أقول لك. . » [تك ٢٢ : ١ ـ] يكون قوله هذا ، فيه لبس للحق بالباطل . وذلك لأن إسماعيل وحيد أبيه ، ووحيد سارة، ووحيد هاجر . فلماذا وضع « إسحق » بعد الابن الوحيد؟ هذا تناقض

وقد لحظ ذلك المسيح عيسى عليه السلام فقال ـ طبقا لرواية بَرنابا ـ: إن الذبيح إسماعيل؛ لأنه البكر الوحيد . وكيف يكون إسحق البكر ، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين [١] .

* * *

رابعا : آخر الأيـام :

يختلف معنى « آخر الأيام » عند بنى إسرائيل والنصارى والمسلمين . فالمسلمون يعنون به : آخر أيام بركة إسحق على الأرض ، وظهور النبى الآتى على مثال موسى من نسل إسماعيل . والنصارى يعنون به : اليوم الأول لظهور المسيح، ويوم القيامة من القبور . الذى فيه أيضا : يكون المجىء الثانى ليسوع المسيح . وبنو إسرائيل يعنون به : ظهور النبى المماثل لموسى ؛ ليحارب أمم الكفر ، ويطردهم من فلسطين ، ويقيم مملكة لا تنقرض أبدا . ويزعمون أنه سيكون من جنسهم .

ويقول بنو إسرائيل : إنه فى آخر الأيام سيظهرهذا النبى المماثل لموسى ، وسيحارب أعداءه بقوة عظيمة . ويعبرون عن أهوال المعارك بتعبيرات مجازية ، مبالغ فيها . وقد وافقهم يحيى وعيسى عليهما السلام فى قولهم هذا ، وعبرا عن الأهوال العظيمة ، بنفس أساليبهم فى التعبير . وقال عيسى فى بيانه : إنَّ الآتى هو النبى محمد ﷺ وهم يزعمون: أنه سيكون من بنى إسرائيل

انظر إلى قول يعقوب لبنيه : « **اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام** » يعنى به: آخر أيام بركة إسحق فى الأمم ـ التى يحملها بنوه نيابة عن كل نسله ـ

وانظر إلى قول إشَعياء[٢] عن مجىء النبى الأمى الآتى فى آخر أيام بركة إسحق:

« ويكون فى آخر الأيام : أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال ، وتجرى إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: هلم نصعد إلى جبل

---

(١) فى التوراة ١٤ سنة

(٢) الأصحاح الثانى من إشعياء .

الرب . إلى بيت إله يعقوب ؛ فيعلمنا من طرقه ، ونسلك فى سبله. . . فيقضى بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين ؛ فيطبعون سيوفهم سككا ، ورماحهم مناجل ،لا ترفع أمة على أمة سيفا ، ولا يتعلمون الحرب فى ما بعد . يا بيت يعقوب . هلم فنسلك فى نور الرب »

نصيحة:

يقول إشعياء : إن جبل بيت الرب .. وهو جبل عرفات فى « مكة المكرمة » ستجرى إليه كل الأمم ؛ لتتعلم شريعة من الله . وينصح إشعياء بنى إسرائيل بالدخول فى دين النبى الآتى إذا جاء بقوله : « يا بيت يعقوب. هلم فنسلك فى نور الرب » ويعلل إشعياء عدم ظهور النبى الآتى من بنى إسرائيل بقوله: إن الله أعطاهم النبوة على يد عبده موسى ، ومع ذلك عبدوا الأصنام من دون الله . فأى فائدة تكون منهم . إذا أظهر النبى الآتى منهم؟ «فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم امتلأوا من المشرق . وهم عائفون كالفلسطينيين ، ويصافحون أولاد الأجانب، وامتلأت أرضهم فضة وذهبا، ولا نهاية لكنوزهم ، وامتلأت أرضهم خيلا، ولا نهاية لمركباتهم . وامتلأت أرضهم أوثانا . يسجدون لعمل أيديهم ، لما صنعته أصابعهم »

ثم ينصح بنى إسرائيل بأن يهربوا فى الجبال ، إذا رأوا جيوش النبى الآتى متجهة نحو فلسطين « ادخل إلى الصخرة . واختبىء فى التراب . من أمام هيبة الرب ، ومن بهاء عظمته . . ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم »

فكيف يقول المحرفون : من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب ؟

وكل هذا قاله عيسى عليه السلام وهو يذكر علامات تحدث فى العالم من قبل ظهور النبى الأمى الآتى إلى العالم. [متى ٢٤ و ٢٥]

والسبب فى أن النصارى قالوا : إن يوم الرب هو يوم المجىء الثانى للمسيح : هو أنهم لم يروه ملكا ولا محاربا . وعلى ذلك فإن النبوءات عن النبى الآتى لا تنطبق عليه . وهم يريدونها له . فلذلك قالوا : إن له مجيئا ثانيا سيملك فيه على العالم . ووقت مجيئه هو وقت القيامة العامة من القبور . فما فائدة الملك إذاً ؟

وقد وصف أنبياء بنى إسرائيل يوم الرب ـ وهو اليوم الذى يظهر فيه النبى المماثل لموسى ـ بأنه قريب [حز ٣٠ : ٣ إش ١٣ : ٦ يوء ١ : ١٥] وفيه حرب شديدة [صف ١ :١٤ وإش١٣ :٢] وتجتمع الجيوش من أجل المعركة [إش١٣ :٣ ـ ٥] وهو يوم غمام [حز ٣٠ : ٣] وثأر [صف ١ : ١٨ وملا ٣ : ١٩] والأرض ترتعد [يوء٢ :١و ١٠ ـ ١١] والسماء تطوى [إش ٣٤ :٤] والعالم يخرب [إش ٧ :٢٣] ويستولى الذعر على البشر [إش ٢ : ١٠ و ١٩] فيختبئون

[إش ٢ : ٢١] وقد سادهم الاضطراب [حز ٧ : ٧] وأذرعهم تتهاوى [حز ٧ : ١٧] وقلوبهم ترتجف [إش ١٣ : ٧] فلم يعودوا يستطيعون الوقوف على أرجلهم [ملا ٣ : ٢٠] إنه الفناء العام لملك بنى إسرائيل [صف ١ : ١٨] والدينونة والفَرز [ملا ٣ : ٢٠] والتنقية [ملا ٣ : ٣] إنها النهاية [حز ٧ : ٦ ـ ٧] وهى تعبيرات مجازية عن هول المعارك .

وجاء عن يوم الرب. وهو يوم ظهور محمد ﷺ وفتحه للأرض المقدسة: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم. فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم. أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا. لكن الظالمون اليومَ فى ضلال مبين. وأنذرهم يوم الحسرة. إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون. إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ يشير بالحسرة إلى تحسرهم على ضياع ملكهم ونبوتهم. ومعنى قضى الأمر: أن النبى سيظهر فى حينه. وهم فى غفلة عن أن سيتم وعده. وهم لا يؤمنون بإتمام الوعد وأشار بإرث الأرض إلى انتقال الملك والنبوة إلى بنى إسماعيل. وفى يوم القيامة يرجعون للجزاء وقد وصفهم بالكفر والظلم وهددهم بالأذى فى يوم عظيم.

المختـــارون

ويقول أنبياء بنى إسرائيل : إن الهلاك لن يكون لجميع بنى إسرائيل من النبى الآتى .فإن المختارين سينجون من المعارك . وسيكونون معه [عا ٥ : ١٨ ـ ٢٠] وإش ٢٨ : ١٤ ـ ١٦ مى ١ : ٢ ـ ٣ إر ٤]

الأمم الوثنية

ويقول أنبياء بنى إسرائيل : إن النبى الآتى سيحارب الأمم الوثنية وينتصر عليهم أيضـا [صف ٢ : ٤ ـ ١٥] وسيعدّ لهدايتهم ، وتجديد إسرائيل [صف ٣ : ٩ ـ ١٨]

هذا ما قاله أنبياء بنى إسرائيل عن « يوم الرب » وفى معناه يقول الله فى القرآن الكريم : **﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾**

وأما ما قاله عيسى عليه السلام عن « يوم الرب » فهو مذكور فى الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى وما بعده. وهو أيضاً مذكور فى مَرْقس ، ولُوقا . وقد وصفه بمثل ما وصفه به أنبياء بنى إسرائيل . وقد شرحنا النص فى كتاب « البشارة »

يأجوج ومأجوج

وكان علماء بنى إسرائيل يخاطبون الأمم بواسطة أسفار الأنبياء .أنهم سيفتحون بلادهم لنشر الإسلام فيها . إذا ظهر النبى الأمى المماثل لموسى. وإذا فتحوها ، سيكونون ملوكا على أهلها للتمكين للدين، وذكروا أسماء بلاد منها : مصر ـ بابل ـ أدوم ـ يأجوج

---

(١) أصل الروس من إيران.

ومأجوج ـ صيدون ـ سعير ـ مؤاب ـ بنى عمون. وقد بين الله فى القرآن : أن المسلمين سيفتحون بلاد يأجوج ومأجوج ـ التى هى الآن بلاد روسيا ـ وسينشرون فيها الإسلام. وقد تم الفتح فى بدء ظهور الإسلام ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج . وهم من كل حدب ينسلون﴾ وفى التوراة عن فتح بلاد يأجوج ومأجوج: «يا ابن آدم. اجعل وجهك على جوج . أرض ماجوج . رئيس روشٍ. ماشكَ وتوبال. وتنبأ عليه. وقل: هكذا قال السيد الرب : ها أنذا عليك ياجوج . رئيس روش ماشِك وتوُبال . . . »

وفيها : أن هذا الفتح سيكون فى آخر أيام بركة بنى إسرائيل ، وبدء بركة بنى إسماعيل . ذلك قوله : « فى الأيام الأخيرة يكون . وآتى بك على أرضى ؛ لكى تعرفنى الأمم ، حين أتقدس فيك أمام أعينهم ياجوج . . . » [حزقيال ٣٨ ـ]

* * *

خامساً :

﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾

أولا: عهد القرآن:

فى التوراة :

أ ـ « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة امرأتُك، تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه إسحق . وأُقيم عهدى معه عهدا أبديا ؛ لنسله من بعده. وأما إسماعيلُ. فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أُباركه وأُثمره ، وأكثِّره. كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أُمَّة كبيرة . ولكن عهدى أُقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة ، فى هذا الوقت ، فى السنة الآتية » [تك ١٧ : ١٨ ـ ٢١]

ب ـ « وحدث بعد هذه الأمور: أن الله امتحن إبراهيم. فقال له: يا إبراهيم. فقال: هأنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه ، إسحق » [تك ٢٢ : ١ ـ ٢]

البيـــــان :

فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين:

أن الله تعالى عقد عهدا بينه وبين إبراهيم عليه السلام مضمونه: أن يسير إبراهيم هو ونسله أمام الله فى جميع أمم الأرض لتعريف الناس به، ولمحو عبادة الأوثان بالقوة. وذلك قوله: «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير؛ سر أمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا. . »

وكان هذا العهد فى حياة إسماعيل، لا فى حياة إسحق. لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد. لقوله: «وكان إبراهيم ابن مئة سنة، حين ولد له إسحق ابنه» [تك ٢١: ٥] وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة، لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام» [تك ١٦: ١٦]

وقد أمر الله إبراهيم بذبح ابنه البكر إسماعيل؛ ليرى العالم مقدار محبته لله. ولما هم بذبحه، واستسلم هو والابن لإرادة الله؛ فداه الله بذبح عظيم وأعطاه عهدا للسير أمامه؛ ليسرّ به إبراهيم.

وكاتب التوراة. نسب عهد إسماعيل إلى إسحق؛ ظلما وزورا من قبل ولادته وقال: إنه هو الذبيح. وقد وبخه عيسى عليه السلام بقوله: لو أن هذا العهد كان لإسحق. ثم ولد وذبح لما كان للعهد فائدة.

ثانيا: عهد التوراة، وفيه الإيمان بمحمد إذا ما ظهر:

وبعدما تم العهد بين الله وبين إسماعيل من قبل ولادة إسحق. أراد الله تعالى أن يكون من سارة ابن لإبراهيم. وأن يكون منه نبى مماثل للنبى الذى سيظهر فى إسماعيل. فيكون لإبراهيم ولدان مباركان. ولكل منهما مدة من الزمان. ذلك قوله: «ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها؛ فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون» [تك ١٧: ١٥ ـ ١٦]

وقد اصطفى الله تعالى من إسحق عبده ونبيه ورسوله موسى؛ لتبدأ به بركة إسحق فى الأمم. وهى ملك قومه على الأمم والشعوب؛ ليحكموهم بشريعة التوراة.

وفى ذلك الوقت أخذ عهدا على بنى إسرائيل حاملى بركة إسحق على أن يسيروا بها أمام الله سيرا حسنا. ونص العهد: «فالآن إن سمعتم لصوتى، وحفظتم عهدى؛ تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب؛ فإن لى كل الأرض وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة» [خر ١٩: ٥ ـ ٦] «وقالوا: كل ما تكلم به الرب؛ نفعل»

وعلى إثر ذلك نزلت التوراة. ونزل فيها: نص صريح على الإيمان بالنبى الآتى من إسماعيل؛ لتتحقق من وجوده بركة إسماعيل، كما تحققت بركة إسحق بموسى.

ذلك قوله: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون. . .» [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢]

وقد جاء عن عهد السير بالتوراة. فى القرآن: ﴿وأوفوا بعهدى؛ أوف بعهدكم﴾ وجاء عن عهد إسماعيل، الذى وضعه الكاتب على إسحق: ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾

وخلاصة ما فى التوراة عن العهدين:

١ ـ إبراهيم ونسله يسيرون أمام الله لمحاربة عباد الأوثان. وعلامة أنهم مجاهدون فى سبيل الله هى «الختان» ليتميز فى ساحة المعركة المؤمن من الكافر.

٢ ـ أعطى الله بركة لإسماعيل وإسحق.

٣ ـ والبركة هى ملك على الأمم والشعوب للتمكين لشريعة من الله. والشريعة لابد لها من عهد بين الله وبين النسل من قبل نزولها؛ ليقوم بها النسل خير قيام. وقد أعطى الله العهد لآل إسماعيل للقيام بالشريعة فى حياة إبراهيم وإسماعيل.

٤ ـ ولم يعط الله العهد لإسحق فى حياة إسحق. بل أعطى بركة فقط. والسبب فى ذلك: ما سبق فى علمه عز وجل من أنه سيعطى العهد للذين سيقومون بالشريعة من نسل إسحق فى وجود النبى الذى سيظهر منهم: وهو موسى.

فلننظر بعد ذلك فى الشريعة. لنرى فيها ذكرا لمحمد ﷺ أم لا؟ وهل هى تلزم جميع الأمم بالدخول فى دينه أم لا؟ وإذ فيها ذكره، وإلزام الأمم بالدخول فى دينه. فما هى الفائدة من عهد يتم بين الله وبين نسل محمد للقيام بالشريعة حال نزول القرآن والعهد قد أخذ على موسى عليه السلام وعلى قومه من قبل أن تنزل التوراة؟

٥ ـ ولم يعط الله العهد الصريح لآل إسحق فى حياة إبراهيم للقيام بالشريعة، وإنما أعطاه صراحة لآل إسماعيل فى حياة إسماعيل وإبراهيم. وذلك لأن الله تعالى أراد أن يرى العالم مقدار محبة إبراهيم له. فأمره بذبح ابنه البكر. ولماهم بذبحه، افتداه بذبح عظيم. وعلى إثر ذلك عقد العهد بينه وبين إسماعيل فى القيام بالشريعة. ولم يعقد العهد الصريح مع إسحق؛ لأنه لم يكن قد ولد بعد، ـ والبركة تدل على عهد ضمنى ـ ولأنه لم يظهر منه ما يدل على قوة إيمانه. ولأنه سبق فى علمه أن يعقد العهد الصريح مع نسل إسحق فى وجود النبى الذى سيظهر منهم للبركة. وهو موسى عليه السلام. ويدل على ذلك من التوراة: «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. وقال: بذاتى أقسمت يقول الرب: إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطىء البحر. ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولى» [تك ٢٢: ١٥ ـ ١٨]

تمت التمهيدات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

فقد كان العالِم من علماء بنى إسرائيل. يستدل بـ أ ـ التوراة ب ـ وأسفار الأنبياء على ما يقوله للناس فى أ ـ العقائد ب ـ وفى الشرائع. على حد سواء. وما كان واحد منهم يقدر على أن يقول شيئا فى الدين بغير دليل من التوراة . التى هى أسفار موسى الخمسة ، أو من أسفار الأنبياء . الذين أتوا من بعد موسى عليه السلام .

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام كان مثلهم فى الاستدلال بالتوراة، وأسفار الأنبياء ، على ما يقول . ويشهد على ذلك : كتاب الأناجيل؛ فإنهم قد نقلوا عنه فى أناجيلهم كثيرا من ذلك .

ومما يحكى فى هذا الشأن :

أ ـ أن الله تعالى يقول لبنى إسرائيل على لسان النبى هوشَع: «إنى أريد رحمة، لا ذبيحة» [هو ٦ : ٦] يعنى: أنه لا يريد ذبائح وقرابين، والقلوب قاسية على خلق الله.

ب ـ وبينما كان عيسى عليه السلام فى بيت متّى ـ وهو واحد من الحواريين ـ جلس معه على المائدة كثيرون من الخطاة والمذنبين . فلما رأى ذلك علماء من بنى إسرائيل ـ من طائفة الفَرِّيسيّين الغيورين على الشريعة ـ استنكروا ؛ لأنهم كانوا يترفّعون عن مخالطة هؤلاء ، وقالوا للحواريين : لماذا يأكل مُعلمكم مع الخطاة والمذنبين ؟ لماذا لا يترفع عن مخالطتهم ؟فسمع[1] يسوع كلامهم. وقال: ليس الأصحّاء بمحتاجين إلى طبيب. بل المرضى. فهلا تتعلمون معنى هذه الآية: « إنما أريد الرحمة لا الذبيحة؟ » فإنى ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخاطئين » [متى ٩ :٩-١٣]

انظر إلى الآية: « إنما أريد الرحمة لا الذبيحة » وهى من الأصحاح السادس من سفر هُوشع. وهو سفر من أسفار الأنبياء. تجد أن عيسى عليه السلام قد نطقها ، كما هى فى

(١) ننقل نصوص الأناجيل غالبا من طبعة دار المشرق بلبنان وننقل نصوص التوراة غالبا من طبعة البروتستانت بمصر .

موضعها من السِّفر، واستدل بها على المعنى الخُلقى، الذى يريد تقريره، وإذاعته فى الناس .

وههنا نصان لهذه الآية . النص الأول : « إنى أريد رحمة لا ذبيحة » وهو النطق المنقول عن هوشع نفسه . والنص الثانى : « إنما أريد الرحمة لا الذبيحة » وهو نطق المسيح عيسى عليه السلام المنقول عنه فى الإنجيل .

والنص الثانى يقال عنه : إنه مقتبس من التوراة ، أى منقول منها ؛ للاستشهاد به فى الإنجيل على كذا وكذا .

وقد يكون النص مقتبسا فى الإنجيل بمعناه ، لا بحروفه . وقد يكون مقتبسا بحروفه ومعناه . وعلى ذلك أمثلة كثيرة . منها هذا المثل :

أ ـ نص التوراة : « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك » [تث ٦ : ٤ ـ ٥]

ب ـ لقى واحد من علماء بنى إسرائيل عيسى عليه السلام وسأله عن أول وصية فى التوراة « فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى » [مرقس ١٢: ٢٩ ـ ٣٠] ترجمة البروتستانت سنة ١٩٨٢م فى مصر .

فالنص المقتبس من التوراة؛ متفق مع نظيره فى الإنجيل ، فى المعنى ، ومختلف عنه فى اللفظ. وجملة :«ومن كل فكرك » هى فى الإنجيل ، وليست فى التوراة.

وقد تختلف التراجم فى الألفاظ . ومثاله : أن ترجمة دار المشرق فى بيروت سنة ١٩٨٩م تترجم نص مَرقس هكذا : « فأجاب يسوع : الوصية الأولى هى : اسمع يا إسرائيل ، إن الرب إلهنا. هو الرب الأحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك ، وكل ذهنك ، وكل قوتك » وليس فيها: «هذه هى الوصية الأولى »

وروى بَرنابا[1] وغيره: أن المعجزات الخارقة للعادة، التى صنعها عيسى عليه السلام فى مدن بنى إسرائيل، جعلت الناس يختلفون فى أمره. وفى يوم من الأيام: هرع إليه الكاهن الأعظم، والملك هيرودوس، والوالى الرومانى؛ ليسألوه عن أمره. ولما سألوه. كلمهم. واستدل على كل ما قال. بأدلة من التوراة وأسفار الأنبياء. أى أنه اقتبس نصوصا، ووضعها كُتّاب الأناجيل فى ثنايا الكلام الذى نقلوه عنه فى الأناجيل . وههنا سؤال. وهو هل النص الذى

(١) إنجيل برنابا ـ مطبعة صبيح بالقاهرة ـ ميدان الأزهر / وفى دار البشير بالقاهرة .

نقله الكاتب، نقله من فم عيسى عليه السلام، أم من موضعه الأصلى فى السفر ، أو هو يعرفه باعتباره دارس للأسفار ، وكتبه بحسب معرفته ؟ وسؤال آخر . وهو هل النص الذى نقله الكاتب ، نقله من التوراة العبرانية ، أم من التوراة اليونانية ؟ فإن العبرانيين ـ ومنهم تلاميذ عيسى عليه السلام ـ لا يقدسون التوراة السامرية .

وسأنقل نصا، وأبين فى التعليقات موضع الاقتباسات فيه. من التوراة. وأسفار الأنبياء.

النـص :

«ففى[1] هذا الزمن ذهبنا ويسوع إلى جبل سيناء، عملابكلمة الملاك الطاهر. وحفظ هناك يسوع الأربعين يوما. مع تلاميذه. فلما انقضت؛ اقترب يسوع من نهر الأردن؛ ليذهب إلى أورشليم. فرآه أحد الذين يؤمنون بأن يسوع هو الله. فصرخ من ثَمَّ بأعظم سرور: إن إلهنا آت . ولما بلغ المدينة أثارها كلها قائلا: إن إلهنا آت ياأورشليم تهيأى لقبوله . وشهد أنه رأى يسوع على مقربة من الأردن. فخرج من المدينة كل أحد، الصغير والكبير؛ ليروا يسوع. حتى أصبحت المدينة خالية؛ لأن النساء حملن أطفالهن على أذرعهن ونسين أن يأخذن معهن زاداً للأكل. فلما علم بهذا الحاكم ورئيس الكهنة؛ خرجا راكبين، وأرسلا رسولا إلى هيرودس. فخرج هو أيضاً راكباً، ليرى يسوع. تسكيناً لفتنة الشعب . فنشدوه يومين فى البرية على مقربة من الأردن. وفى اليوم الثالث وجدوه وقت الظهيرة إذ كان يتطهر هو وتلاميذه للصلاة حسب كتاب موسى.

فانذهل يسوع لما رأى الجم الغفير الذى غطى الأرض بالقوم. وقال لتلاميذه لعل الشيطان أحدث فتنة فى اليهودية. لينزع الله من الشيطان السيطرة التى له على الخطاة. ولما قال هذا، اقترب الجمهور. فلما عرفوه أخذوا يصرخون: مرحباً بك يا إلهنا. وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله. فتنفس يسوع الصعداء وقال: انصرفوا عنى أيها المجانين لأنى أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعنى وإياكم لكلامكم الممقوت. لذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون . حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت. وقال: إنكم لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتمونى إلهكم وأنا إنسان. وإنى أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً . مسلماً إياها لاستعباد الغرباء. لُعن الشيطان الذى أغراكم بهذا ألف لعنة.

ولما قال يسوع هذا. صفع وجهه بكلتا كفيه. فحدث على إثر ذلك نحيب شديد حتى أنه لم يسمع أحد ما قال يسوع. فرفع من ثَمَّ يده مرة أخرى إيماء للصمت. ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى: أشهد أمام السماء وأُشهد كل شيء على الأرض؛ أنى برىء من كل

(١) النص فى برنابا ٩٢ .

ما قد قلتم. لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل، والمنام. وشقاء البرد والحر، كسائر البشر. لذلك متى جاء الله ليدين، يكون كلامي كحسام يخترق كل من يؤمن بأني أعظم من إنسان.

ولما قال يسوع هذا، رأى كوكبة من الفرسان. فعلم من ثم: أن الوالي مع هيرودس ورئيس الكهنة كانوا قادمين. فقال يسوع: لعلهم قد صاروا مجانين أيضاً. فلما وصل الوالي مع هيرودس ورئيس الكهنة إلى هناك ترجلوا جميعاً. وأحاطوا بيسوع حتى أن الجنود لم يتمكنوا من دفع الجمهور الذين كانوا يودون أن يسمعوا يسوع يكلم الكاهن. فاقترب يسوع من الكاهن باحترام، ولكن هذا كان يريد أن يسجد ليسوع. فصرخ يسوع: حذار ما أنت فاعل يا كاهن الله الحي. لا تخطىء إلى الله. أجاب الكاهن: إن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله. فاضطررت بسبب الشغب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس. فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك. لأن فريقاً يقول: إنك الله، وآخر: إنك ابن الله، ويقول فريق: إنك نبي.

أجاب يسوع: وأنت يارئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة؟هل جننت أنت أيضاً؟ هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان؟ ولما قال يسوع هذا. عاد فقال: إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض: أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر ؛ لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله. أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام. لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته: إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته. ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لاتحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة.

فقال حينئذ الكاهن: ليغفر لنا الله. أماأنت فصلِّ لأجلنا. ثم قال الوالي وهيرودس: يا سيد إنه لمن المحال أن يفعل بشر ما أنت تفعله. فلذلك لا نفقه ما تقول. أجاب يسوع: إن ما تقوله لصدق. إن الله يفعل صلاحاً بالإنسان كما أن الشيطان يفعل شراً؛لأن الإنسان بمثابة حانوت. مَنْ يدخله برضاه؛ يشتغل ويبيع فيه. ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملك: أنتما تقولان هذا لأنكما أجنبيان عن شريعتنا؛ لأنكما لو قرأتما العهد، وميثاق[1] إلهنا. لرأيتما أن موسى حول بعصاه البحر دما والغبار براغيث والندى زوبعة والنور ظلاماً. أرسل الضفادع والجرذان على مصر، فغطت الأرض وقتل الأبكار وشق البحر وأغرق

(١) خروج ٧

فيه فرعون. ولم أفعل شيئاً من هذه. وكل يعترف بأن موسى إنما هو الآن رجل ميت. أوقف يشوع [1] الشمس وشق الأردن. وهما مما لم أفعله حتى الآن. وكل يعترف بأن يشوع إنما هو الآن رجل ميت.

وأنزل إيليا النار من السماء[2]. عيانا. وأنزل المطر[3]. وهما مما لم أفعله. وكل يعترف بأن إيليا إنما هو بشر. كثيرون آخرون من الأنبياء والأطهار وأخلاء اللهفعلوا بقوة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد.

وعليه. فإن الوالى والكاهن والملك توسلوا إلى يسوع أن يرتقى مكاناً مرتفعاً ويكلم الشعب تسكيناً لهم. حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الاثنى عشر التى أمر يشوع الاثنى عشر سبطا أن يأخذوها من وسط الأردن عندما عبر إسرائيل من هناك دون أن تبتل أحذيتهم [4]. وقال بصوت عال: ليصعد كاهننا إلى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى. فصعد من ثم الكاهن إلى هناك. فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه: قد كتب فى عهد الله الحى وميثاقه[5]: أن ليس لإلهنا بداية. ولا يكون له نهاية.

أجاب الكاهن: لقد كتب هكذا هناك. فقال يسوع: إنه كتب هناك: أن إلهنا قد برأ كل شىء بكلمته[6] فقط. فأجاب الكاهن: إنه لكذلك. فقال يسوع: إنه مكتوب هناك: أن الله لا يُرى وأنه محجوب عن عقل الإنسان لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير. فقال الكاهن: إنه لكذلك. فقال يسوع: إنه مكتوب هناك: كيف أن سماء السموات لا تسعه؟[7]؛ لأن إلهنا غير محدود. فقال الكاهن: هكذا قال سليمان النبى يا يسوع. قال يسوع: إنه مكتوب هناك: أن ليس لله حاجة؛ لأنه لايأكل ولاينام ولايعتريه نقص. قال الكاهن: إنه لكذلك. قال يسوع: إنه مكتوب هناك: أن إلهنا فى كل مكان وأن لا إله سواه الذى يضرب ويشفى ويفعل كل ما يريد[8]. قال الكاهن: هكذا كتب.

حينئذ رفع يسوع يديه وقال: أيها الرب إلهنا. هذا هو إيمانى الذى آتى به إلى دينونتك. شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك. ثم التفت إلى الشعب وقال: توبوا لأنكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن: أنه مكتوب فى سفر موسى عهد الله إلى الأبد. فإنى بشر منظور وكتلة من طين تمشى على الأرض، وفان كسائر البشر. وأنه كان لى بداية وسيكون لى نهاية، وإنى لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة.

---

(١) يشوع ١٠ : ١٢ ـ ١٤
(٢) ١ مل ١٨ : ٣٨ ـ ٣٩
(٣) ١ مل ١٨ : ٤١
(٤) يشوع ٤ : ٨
(٥) مزمور ٩٠ : ٢
(٦) مزمور ٣٣ : ٦
(٧) ١ مل ٨ : ٢٧
(٨) تثنية ٣٢ : ٣٩

حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: لقد أخطأنا إليك أيها الرب إلهنا فارحمنا. وتضرع كل منهم إلى يسوع ليصلى لأجل أمن المدينة المقدسة ؛ لكيلا يدفعها الله فى غضبه لتدوسها الأمم. فرفع يسوع يديه وصلى لأجل المدينة المقدسة ولأجل شعب الله. وكل يصرخ: ليكن كذلك آمين.

ولما انتهت الصلاة. قال الكاهن بصوت عال: قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت؟ تسكينا لأمتنا. أجاب يسوع: أنا يسوع بن مريم من نسل داود[1]، بشر مائت، ويخاف الله. وأطلب أن لا يعطى الإكرام والمجد إلا لله. أجاب الكاهن: إنه مكتوب فى كتاب موسى: أن إلهنا سيرسل لنا مَسِيًّا. الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله وسيأتى للعالم برحمة من الله. لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق: هل أنت مسيًّا الله الذى ننتظره؟ أجاب يسوع: حقا إن الله وعد هكذا. ولكنى لست هو، لأنه خُلق قبلى وسيأتى بعدى[2]. أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال: أنك نبى وقدوس الله، **لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً فى الله بأية كيفية سيأتى مسيًّا؟** أجاب يسوع: لعمر الله الذى تقف بحضرته نفسى. أنى لست مسيًّا الذى تنتظره كل قبائل الأرض، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً: «بنسلك أبارك كل قبائل الأرض»[3] ولكن عندما يأخذنى الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادمى التقوى على الاعتقاد بأنى الله وابن الله. فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى، حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً. حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق كل الأشياء لأجله. الذى سيأتى من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر. وسيأتى برحمة من الله لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا. ومع أنى لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه[4]، قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه.

فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالى والملك قائلين: لاتزعج نفسك يا يسوع قدوس الله؛ لأن هذه الفتنة لا تحدث فى زمننا مرة أخرى؛ لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الرومانى المقدس بإصدار أمر ملكى: أن لا أحد يدعوك فيما بعد: الله أو ابن الله. فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لا يعزينى؛ لأنه يأتى ظلام حيث ترجون النور ولكن تعزيتى هى فى مجىء

---

(١) يقصد أنه من مملكة داود. أى من اليهود العبرانيين، وذلك لأنه ليس له أب، وأمه من هرون عليه السلام.

(٢) يوحنا ١ : ١٥

(٣) تكوين ٢٢ : ١٨

(٤) مرقس ١ : ٧.

الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب فيَّ. وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره؛ لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم. وأن ما يعزيني هو: أن لا نهاية لدينه؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً . أجاب الكاهن: أيأتى رسل آخرون بعد مجيء رسول الله؟ فأجاب يسوع: لا يأتى بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله. ولكن يأتى عدد غفير من الأنبياء الكذبة. وهو ما يحزننى. لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلى. أجاب هيرودس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين، يكون بحكم الله العادل؟ أجاب يسوع: من العدل: أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه؛ يؤمن بالكذب للعنته. لذلك أقول لكم: إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً وأحب الكاذبين. كما يشاهد فى أيام ميشع وإرميا [1] لأن الشبيه يحب شبيهه.

فقال حينئذ الكاهن: ماذا يسمى مسيًّا؟ وما هى العلامة التى تعلن عن مجيئه؟

أجاب يسوع: ان اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء سماوى. قال الله: اصبر يا محمد لأنى لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيراً من الخلائق التى أهبها لك، حتى أن من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً. ومتى أرسلتك إلى العالم؛ أجعلك رسولى للخلاص وتكون كلمتك صادقة؛ حتى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً. **إن اسمه المبارك: محمد.**

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا ألله أرسل لنا رسولك. يا محمد تعالى سريعاً لخلاص العالم.

ولما قال هذا، انصرف الجمهور مع الكاهن والوالى مع هيرودس وهم يتحاجّون فى يسوع وتعليمه. لذلك رغب الكاهن إلى الوالى أن يكتب بالأمر كله إلى رومية إلى مجلس الشيوخ. ففعل الوالى كذلك. لذلك تحنن مجلس الشيوخ على إسرائيل وأصدر أمراً أنه ينهى ويتوعد بالموت كل أحد يدعو يسوع الناصرى نبى اليهود؛ إلهاً أو ابن الله. وعلّق هذا الأمر فى الهيكل، منقوشا على النحاس» [بَر ٩٢ ـ]

الاقتباس الجزئى

ومن عادة علماء بنى إسرائيل: أنه إذا كان نص التوراة ـ المراد الاستشهاد به ـ طويلا؛ فإنهم يذكرون منه جملة واحدة. تؤدى الغرض. ومن ذكرهم لها، يعلم الناس أنهم يحيلون إلى النص كله بهذه الجملة. ومثال ذلك: أن المسيح عيسى عليه السلام ضرب مثلا

---

(١) إرمياء ٢٦ : ١٨

لاقتراب ملكوت السموات[1]؛ يهدف منـه إلى انتقـال الملك والشريعة من بنى إسرائيل إلى أمّة غيرهم. ولما فهموا غرضه؛ قالوا: حاشا؛ لا يكون ذلك أبدا. ولما رأى استياءهم من كلامه؛ استدل بالمزمور المئة والثامن عشر، وذكر منه آيتين. للدلالة على صحة كلامه. والمزمور كله تسعة وعشرون آية.

ونص الآيتين هو: « الحجر الذى رذله البناءون، هو الذى صار رأس الزاوية. من عند الرب كان ذلك. وهو عجيب فى أعيننا» [متى ٢١: ٤٢]

ونصهما فى المزمور هو: «الحجر الذى رفضه البناءون، قد صار رأس الزاوية. من قِبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا» [مز ١١٨: ٢٢ ـ ٢٣]

ونص المزمور ١١٨ :

« احمدوا الرب؛ لأنه صالح؛ لأن إلى الأبد رحمته. ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته. ليقل بيت هرون: إن إلى الأبد رحمته. ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته. من الضيق دعوت الرب؛ فأجابنى من الرحب. الرب لى؛ فلا أخاف. ماذا يصنع بى الإنسان؟ الرب لى بَيْن مُعينىَّ، وأنا سأرى بأعدائى. الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان. الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء. كل الأمم أحاطوا بى. باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بى، واكتنفونى. باسم الرب؛ أبيدهم. أحاطوا بى مثل النحل. انطفأوا كنار الشوك. باسم الرب أبيدهم. دحرتنى دحورا لأسقط. أما الرب فعضدنى. قوتى وترنمى الرب، وقد صار لى خلاصا. صوت ترنم وخلاص فى خيام الصدّيقين. يمين الرب صانعة ببأس. يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس. لا أموت بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب. تأديبا أدبنى الرب، وإلى الموت لم يسلمنى. افتحوا لى أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لى. وصرت لى خلاصا. **الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا.**

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . نبتهج ونفرح فيه. آه يارب خلِّص. آه يارب أنقذ. **مبارك الآتى باسم الرب.** باركناكم من بيت الرب. الرب هو الله وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيحة بربط، إلى قرون المذبح. إلهى أنت فأحمدك. إلهى فأرفعك. احمدوا الرب؛ لأنه صالح؛

---

(١) ملكوت السموات : هو ظهور جماعة من الناس يعبدون الله رب السموات والأرضين ، ويعملون بشريعته ، تمييزا لهم عن عبادة آلهة البشر التى هى الأصنام فى الأرض . وكان الملكوت أولا فى بنى إسرائيل بشريعة موسى . والمسيح عيسى ينبه على انتقاله إلى بنى إسماعيل بشريعة محمد .

لأن إلى الأبد رحمته» [مز ١١٨]

يقول اليهود والنصارى: إن هذا المزمور نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى عليه السلام. وفيه يتحدث النبى بظهر الغيب، عن نفسه، فيقول: إن أعدائى حاربونى، وأنا دعوت الله؛ فنصرنى عليهم. وليس أعدائى هم بنو إسرائيل فحسب، بل كل الأمم؛ لأنهم لا يريدون العمل بشريعة الله التى أعطانى إياها. وقد نصرنى الله على كل الأمم وأورثنى أرضهم وديارهم. ولقد تآمروا على قتلى. ولكن الله عصمنى منهم؛ فلم يقتلونى« إلى الموت لم يسلمنى» ثم قال النبى: إننى من نسل إسماعيل المبارك فيه، نسل هاجر الجارية وهو نسل محتقر فى أعين السفهاء من بنى إسرائيل. وهو نسل يشبه الحجر المرفوض من البناءين. وهذا النسل المرفوض هو الذى سآتى منه؛ لأقود الأمم إلى الله. ثم نطق بأنه مبارك من الله كإسماعيل أبيه «مبارك الآتى باسم الرب» لا باسم الشيطان الرجيم. وقال: أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح؛ كناية عن نسخ الشريعة على يديه. وختم كلامه بحمد الله رب العالمين.

هذا هو نص التوراة. وقد اقتبسه المسيح عيسى عليه السلام فى مناسبتين، للاستشهاد به على نبوة محمد.

المناسبة الأولى: فى توضيحه من صفات ملكوت السموات: أنه ستحل فيه شريعة مكان شريعة. وأن الشريعة الجديدة، لن يقوم بها علماء بنى إسرائيل.

والمناسبة الأخرى: فى توضيحه أن المبارك الآتى باسم الرب سيأتى من بعده. وفى إتيانه سيكون خراب الهيكل خرابا لن يعمر بعده. وكنّى بخرابه عن انقضاء دهر النبوة والملك فى بنى إسرائيل؛ لأن بركة إسماعيل آخذة فى الاقتراب.

وقد روى كلامه فى المناسبتين؛ متى، ومرقس، ولوقا.

أما عن المناسبة الأولى: ففى إنجيل متى: «اسمعوا مثلا آخر: كان إنسان رب بيت غرس كرما، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجا، وسلمه إلى كرّامين، وسافر. ولما قرب وقت الأثمار، أرسل عبيده إلى الكرّامين؛ ليأخذ أثماره، فأخذ الكرّامون عبيده، وجلدوا بعضا، وقتلوا بعضا، ورجموا بعضا. ثم أرسل إليهم ابنه قائلا: يهابون ابنى. وأما الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث. هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صحاب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا، ويسلم الكرام إلى كرّامين آخرين، يعطونه الأثمار فى أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط فى الكتب: « الحجر الذي رفضه

البناءون، هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَلِ الرب كان هذا. وهو عجيب فى أعيننا» لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله، يُنزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر؛ يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله؛عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه، خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ٢١: ٣٣ ـ ٤٦]

لاحظ قوله عليه السلام: « **أما قرأتم قط فى الكتب**» وهو يعنى به كتاب الزبور. والنص الذى اقتبسه من الزبور هو: « **الحجر الذى رفضه البناءون، هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا**»

وغرضه من قوله فى النص: « إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأمة تعمل أثماره» هو النزع من بنى إسرائيل إلى أمة غيرهم. فمن هى هذه الأمة؟ إنها بالتأكيد ليست أُمَّة بنى إسرائيل. فلماذا يقول النصارى: إن يسوع المسيح هو صاحب الملكوت، وهو وأمه مريم من بنى إسرائيل؟ وأليس إسماعيل مباركا فيه؟ ثم بين المسيح عيسى عليه السلام أن النبى الآتى محارب ومنتصر. وإذا قصد بجيشه قوما؛ أهلكهم. وإذا هم قصدوه فى دياره؛ يهلكون. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: **﴿ قل: اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾**وذلك بصدد حديثه عن آل عمران. آل موسى وهرون. **وأما عن المناسبة الثانية:** فسنذكرها فيما بعد.

مجادلة العلماء بالنص المقتبس

ومن عادة بنى إسرائيل: أنهم إذا اختلفوا فى حكم شرعى. يذكرون النص الدال عليه. ويذكرون النصوص التى لها صلة به من التوراة. ثم يشرعون فى تفسير النصوص كلها. وعلى هذه العادة كان المسيح عيسى عليه السلام. فإنه كان يفسر تفسيرا موضوعيا، ومثال ذلك :

أن بنى إسرائيل كانوا يختلفون فى النبى المماثل لموسى المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر. من سفر التثنية. هل سيأتى من نسل داود عليه السلام أم من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام؟ فقال عيسى عليه السلام: إنه لن يأتى من نسل داود. ثم شرع فى ذكر أدلة من التوراة على أنه لن يأتى من نسل داود. فقال: إن المزمور المئة والعاشر. يقول فيه داود عن النبى المنتظر: إن الله قال لسيدى: كن معى، وسأضع أعداءك موطئا لقدميك. أى سأنصرك عليهم فى ساحات القتال نصرا مؤزرا. وإذا عبر عنه داود بأنه سيده؛ فإنه لا يظهر

من أبنائه. وذلك لأنه لوظهر من أبنائه وملك وحكم؛ فإنه يكون ملكا على أبيه، وسيدا ورئيسا عليه. والابن مهما علا قدره، وارتفعت منزلته، لا يكون سيدا لأبيه. وإذ عبر عنه داود بأنه سيده، فإنه لا يكون آتيا من نسله، أى لا يكون من اليهود.

وأول المزمور: «قال الرب لربى» وفى اللغة العبرانية: «قال يهْوه لأدوناى» أى قال الله لسيدى: اجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. أى كن معى، وأنا أنصرك على أعدائك. فقد جاء فى إنجيل متى: «وبينما الفرِّيسيون مجتمعون، سألهم يسوع: ما رأيكم فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود[1] ربا، بوحى من الروح؟، فيقول: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك» فإذا كان داود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ولا جرؤ أحد منذ ذلك اليوم أن يسأله عن شىء» [متى ٢٢: ٤١ - ٤٦]

ويحكى مَرقس أن عيسى عليه السلام: هو الذى قال ذلك من نفسه، ولم يسأل علماء الفريسيين عنه. وأن الناس قبلت كلامه بسرور. بينما يقول متى: إنه أفحم العلماء. ونص روايته: «وتكلم يسوع وهو يعلم فى الهيكل. قال: كيف يقول الكتبة: إن المسيح هو ابن

---

(١) نص المزمور المئة والعاشر:

« قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تسلط فى وسط أعدائك . شعبك منتدب فى يوم قوتك ، فى زينة مقدسة . من رحم الفجر ، لك طل حداثتك .

أقسم الرب ولن يندم.. أنت كاهن إلى الأبد . على رتبة ملكى صادق . الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا . يدين بين الأمم . ملأ جثثا . أرضا واسعة . سحق رءوسها . من النهر يشرب فى الطريق . لذلك يرفع الرأس » [مز ١١٠]

وقد أكد عيسى عليه السلام أن داود هو الكاتب لهذا المزمور ، وأكد أنه يتكلم فيه عن النبى الآتى على مثال موسى . والمعنى الحرفى هو : وحى الرب لسيدى

والنص العبرانى هو : قال يهوه لأدوناى . ويشير داود بذلك إلى أن بنى إسماعيل مع النبى الآتى سيكونون سادة على بنى إسرائيل حسب معنى البركة ، الممنوحة لهم من الله . وقد كان بنو إسرائيل سادة عليهم فى أيام بركة إسحق . وقوله: اجلس عن يمينى : هو كناية عن أنه سيكون مع الله . وذلك لأن التوراة تصرح بأن الله فى كل مكان وليس كمثله شىء وليس جسما . وقوله: أضع أعداءك تحت رجليك : معناه : أنصرك عليهم . وقوله تسلط فى وسط أعدائك : معناه : أن النبى الآتى سيملك على بلادهم . وقوله: شعبك منتدب فى يوم قوتك : معناه : أنهم سيتطوعون فى خدمتك ، فى يوم قيادتك لقواتك إلى المعارك. وقوله: فى زينة مقدسة . معناه : اعبدوا الرب لأجل عظمة قداسته . وقوله: من رحم الفجر لك طلّ حداثتك . معناه : أنه سيخرج بجيوشه لملاقاة أعدائه فى نشاط ظاهر . وقوله: أنت كاهن إلى الأبد . معناه: أن شريعتك إلى نهاية الزمان . ورتبة ملكى صادق هو رجل كان ملكا وكاهنا لله العلى . والنبى الآتى مشبّه به فى دوام مملكته وفى دوام شريعته [تك ١٤: ١٨-٢٠] وفى يوم ظهور هذا النبى الآتى ، ستكون حروب شديدة بينه وبين اليهود والأمم . وسيكون الله عن يمينه ليحطم أعداءه ويسحق رءوسهم . ثم يقول : من النهر يشرب فى الطريق : كناية عن أنه وهو سائر لملاقاة أعدائه ، يكون معه الزاد والعتاد ؛ فلذلك يرفع الرأس وينتصر بسهولة .

داود؟. وداود نفسه قال بوحى من الروح القدس: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك» فداود نفسه يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟ وكان من الناس جمع كثير يصغى إليه مسرورا» [مر ١٢: ٣٥ ـ ٣٧]

ويحكى لوقا: أنه وجه الكلام للعلماء الكتبة [٢٠: ٣٩] «وقال لهم: كيف يقول الناس: إن المسيح هو ابن داود؟ فداود نفسه يقول فى سفر المزامير: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك؛ فداود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟» [لو ٢٠: ٤١ ـ ٤٤]

وقد اتفق الثلاثة على« ما رأيكم فى المسيح»؟فمن هو هذا «المسيح»؟ من عادة بنى إسرائيل إطلاق لقب مسيح على أى أ ـ نبى ب ـ وعالم ج ـ وملك. على معنى: أن الله اصطفاه لأداء رسالة مقدسة. فداود؛ مسيح. لأنه كان عندهم ملك. وسليمان؛ مسيح؛ لأنه ورث أباه فى الملك. وهارون؛ مسيح؛ لأنه كان عندهم عالم دينى. وذريته كهنة مسحاء. وإلياس؛ مسيح، واليسع؛ مسيح، وعيسى بن مريم؛ مسيح؛ لأنهم علماء وأنبياء، وموسى صاحب الشريعة؛ مسيح؛ لأنه كان نبيا وعالما وملكا. والنبى الآتى إلى العالم على مثال موسى؛ بحسب لغتهم ولسانهم وعاداتهم؛ هو مسيح؛ لأنه سيكون نبيا وعالما وملكا. ومراد عيسى عليه السلام من سؤاله: «ما رأيكم فى المسيح؟» هو ما رأيكم فى محمد. النبى الأمى، الملقب منكم بلقب «المسيح»؟ من نسل مَن سيأتى؟ وأيضا: بلقب «المسيا الرئيس» وبلقب؟ « النبى»

وليس مراده نفسه؛ لأنه يتحدث عن غيره، ويبشر به. ولأنه هو من نسل هرون عليه السلام من جهة أمه، وليس هو من نسل داود عليه السلام. وليس له أب،حتى يقولوا: إنه من سبط معيّن.

ثم إن المسيح عيسى عليه السلام بعد ما نفى أن «النبى» الآتى، الملقب منهم بـ «المسيح؛ وبـ «المَسِيًّا» لن يأتى من نسل داود، من سبط يهوذا؛ قال: إنه سيأتى من نسل إسماعيل عليه السلام. لما جاء فى التوراة وهو: أن الله وعد إبراهيم قائلا: «انظر؛ فإنى بنسلك أُبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما؛ هكذا سيفعل نسلك» وإسماعيل من نسله. وله بركة. ولما جاء فى التوراة عن ذبح إبراهيم لابنه البكر الوحيد.

ففى إنجيل بَرنابا ما نصه :

«حينئذ[1] قال أندراوس: لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيا؛ فتكرم بالتصريح لنا بكل شيء. فأجاب يسوع: كل من يعمل. فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء. لذلك أقول لكم: إن الله لما كان بالحقيقة كاملا، لم يكن له حاجة إلى غناء؛ لأن الغِنَاء عنده نفسه. وهكذا لما أراد أن يعمل، خلق قبل كل شيء نَفْس رسوله الذى لأجله قصد إلى خلق الكل. لكى تجد الخلائق فرحا وبركة بالله، ويُسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيداً، ولماذا؟ وهل كان هذا هكذا إلا لأن الله أراد ذلك؟ الحق أقول لكم: إن كل نبى متى جاء فإنه إنما يحمل لأمَّة واحدة فقط علامة رحمة الله. ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده. فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه. وسيأتى بقوة على الظالمين. ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان. لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: «انظر فإنى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك»

أجاب يعقوب: يا معلم قل: لنا بمن صُنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون: بإسحق، والإسماعيليون يقولون: بإسماعيل. أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب، ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود.

فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله. فمن نسل من يكون ؟.

أجاب التلاميذ: من داود.

فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم؛ لأن داود يدعوه فى الروح رباً قائلاً هكذا: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِياً بن داود. فكيف يسميه داود رباً؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العهد صُنع بإسماعيل لابإسحق.

حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب فى كتاب موسى: أن العهد صُنع بإسحق.

أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب. ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع. بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا. لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك

---

(١) برنابا ٤٣ ـ

الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هوذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله.

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة[1]. فيكف يكون إسحق البكر وهو لما ولد؛ كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلى. لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله.

فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراءون وصانعو الشر كل شيء اليوم. الأولون بالتعليم الكاذب، والآخرون بمعيشة الخلاعة. حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً. ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذاباً في الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاءُ. يَسُرُّ كل ما صنع الله. تقريباً. لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة. روح الحكمة والقوة. روح الخوف والمحبة. روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة. روح العدل والتقوى. روح اللطف والصبر التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه. ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى إنى رأيته وقدمت له الاحترام، كما رآه كل نبى؛ لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً: يامحمد ليكن الله معك، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك. لأنى إذا قلت هذا؛ صرت نبياً عظيماً وقدوس الله.

ولما قال يسوع هذا؛ شكر الله» [بر ٤٣ -]

---

(١) الدليل من القرآن علي أن الذبيح إسماعيل عليه السلام :

١ - أنه بعدما فرغ من ذكر قصة الذبيح . قال : « وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين » ولم يقل « بشرناه » من غير الواو العاطفة . وهذا يدل علي أن المبشر به ثانيا غير المبشر به أولا .

٢ - قوله : « فبشرناها بإسحق ، ومن وراء إسحق يعقوب » يدل علي أنه بشر باثنين . وثانيهما يأتي من صلب الأول . ولو كان الذبيح إسحق ، لما كان يبشر بولد من صلبه . لأنه لو كان قد ذبح ، لما كان يأتي ؛ يعقوب . فتكون البشري به باطلة ، أو ما كان يأمر بذبح إسحق .

٣ - وصف الله إسماعيل بالصبر ، في قوله : « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . كل من الصابرين » والصبر يناسب الذبح . ووصفه بصدق الوعد ، في قوله : « إنه كان صادق الوعد » ومعني « صادق الوعد » أن الله وعده بالبركة في نسله . وأصدقه وعده في محمد ﷺ

إنجيل عيسى عليه السلام

يقول النصارى ما نصه:

«كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحيى الجيل الأول، فى الاستشهاد بالشريعة والأنبياء. ثم اتجهوا إلى الأقوال الشفهية التى لم يفكروا فى تدوينها، إلى ما يقرب من السنة المائة والخمسين» أ. هـ

ومعني قولهم: هو أن كتابهم المقدس إلى السنة المائة والخمسين. هو كتاب التوراة المشتمل على أ ـ أسفار موسى الخمسة ب ـ وأسفار الأنبياء. وكان هدف المسيح من إرساليته: هو إظهار النبوءات منها عن النبي المنتظر، وتفسيرها تفسيراً يدل على أنها لمحمدﷺ. ومن يعرفها ويعرف تفسيرها ويضع الكل فى كتاب. فإن هذا الكتاب يكون مشابها للإنجيل الحقيقى النازل من السماء على المسيح عيسى عليه السلام

وكان المسيح عيسى عليه السلام يبشر بمجىء محمد. ويستدل على مجيئه بالتوراة وأسفار الأنبياء. على هذا النحو:

أولا: يذكر النص الذى أجمع علماء بنى إسرائيل على أنه نبوءة عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى.

ثانيا: يذكر وجهة نظر علماء بنى إسرائيل فى النَّص.

ثالثا: يشرح النص، ويرد عليهم وجهة نظرهم بأدلة من التوراة وأسفار الأنبياء.

ومثال ذلك:

١ ـ ذكر نص الزبور المئة والعاشر. الذى أجمع العلماء على أنه نبوءة عن النبى الأمى الآتى. وهو: «قال الله لسيدى . . .»

٢ ـ ذكر أن علماء اليهود يقولون: إنه سيأتى من نسل داود عليه السلام. أى من اليهود العبرانيين.

٣ ـ شرح النص، ورد عليهم بنص التوراة عن بركة إبراهيم وبين أنها فى عموم نسله المبارك فيه. وإسماعيل من نسله. وهو مبارك فيه. فلابد أن يأتى منه نبى.

ولما سئل عن عهد النبوة المبرم بين الله وبين نسل إسحق، إلى الأبد [1]. أجاب: بأن

---

(١) سئل عن العهد المكتوب عنه « بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدى معه عهدا أبديا » ـ « ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية » [تك١٧]

كاتب التوراة قال: إن العهد فى إسحق وأنه هو الذبيح. وقوله باطل. لأنه لو كان قد ذبح بالفعل؛ لما كان من فائدة لهذا العهد.

٤ ـ وفى أثناء شرحه ورده، يتبين الخطأ فى النصوص. فقد قال: إن إسماعيل أكبر من إسحق بسبع سنين، وقال غيره بأربع عشرة سنة.

ويريد المسيح عيسى عليه السلام أن يقول فى العهد:

بعدما قرأ على مسامع علماء بنى إسرائيل نص الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين؛ قال ما معناه: إن إبراهيم عليه السلام لما اصطفاه الله؛ للسير أمامه من دون الناس؛ أراد أن يرُى العالم كيف استحق هذا الاصطفاء؟ فأمره بذبح ابنه البكر الوحيد. فامتثل هو وابنه. ولذلك أعطى «عهدا» فى نسل إسماعيل، بالملك على الأمم، للتمكن لشريعة سيُنزلها على نبى من نسله. وفى القرآن عن هذا العهد: ﴿وإذْا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات؛ فأتمهن. قال: إنى جاعلك للناس إماما. قال: ومن ذريتى. قال: لا ينال عهدى الظالمين﴾ قوله : ﴿ومن ذريتى﴾ فسرته التوراة بأنه يطلب الإمامة لنسل إسماعيل. ذلك قول الكاتب: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك». أى: يسير من بعدى فى البلاد؛ للدعوة إلى معرفتك. وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فى إسماعيل، وقال له: «وأما إسماعيل؛ فقد سمعت لك فيه. .» ثم عقد عهدا بينه وبين إسماعيل، دلّ عليه؛ امتثالُه للذبح بحضرة الناس عند الكعبة.

وبعد ذلك بشرت الملائكة إبراهيم بإسحق.

وفى البشارة أنه سيكون مباركا كإسماعيل. ذلك قوله عن سارة: «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها؛ فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون»

ومحرف التوراة نقل «العهد» المعلوم للناس أنه لإسماعيل، ووضعه لإسحق، مع اعترافه بأن إسحق لم يكن قد ولد بعد، ومع اعترافه بأن العهد الخاص ببركة إسحق، قد أُخذ على بنى إسرائيل فى زمان موسى، حال نزول التوراة فى جبل طور سيناء. فقال: «ولكن عهدى أقيمه مع إسحق، الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» .

وعلى ذلك يكون نقل العهد من إسماعيل إلى إسحق؛ ظلم من بنى إسحق لبنى إسماعيل. ولم لا يكون ظلما. وإسحق حال العهد مع إبراهيم وإسماعيل؛ لم يكن قد ولد بعد ولم يظهر منه ما يدل على خير أو شر؟ وقد رد الله تعالى بقوله: ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ لبنى إسماعيل. وهم بنو إسرائيل، حاملى بركة إسحق فى الأمم.

وفى إنجيل برنابا: «أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا بمن صُنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون: بإسحاق، والإسماعيليون يقولون: بإسماعيل. أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا. الذى من ذريته داود. فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله. فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم؛ لأن داود يدعوه فى الروح ربا، قائلا هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِيًا، ابن داود. فكيف يسميه داود بالروح ربا؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحق. حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب فى كتاب موسى: إن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله.

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟»

البيان:

١ ـ استدل المسيح بالزبور على أن داود عبر عن محمد ﷺ بلقب «سيدى» فقال: إن داود يقول عن النبى الآتى: «قال الله لسيدى» ويدل لقب «سيدى» على أنه لن يكون من نسل داود.

٢ ـ وإذا ظهر فى علم الله أن سيظهر سيد لداود، فإن هذا السيد يكون من نسل إسماعيل؛ لأن إسماعيل مبارك فيه.

٣ ـ وإذا تبين ظهوره من إسماعيل؛ فإن العهد يكون خاصا به.

٤ ـ ووضعه على إسحق، يدل على ظلمهم لنسل إسماعيل.

٥ ـ ولأن الذبح لبيان محبة إبراهيم لله. وقد كان ذلك من قبل ولادة إسحق. كما قالت التوراة فإن الذبيح لا يكون إسحق.

٦ ـ وإذا ثبت عهد لإسماعيل، وثبتت بركة له؛ يثبت أن النبى الآتى سيكون من إسماعيل.

وقد قال الكاتب: إن للعهد علامة هى الختان، لأن العهد فيه حروب ستنشب بين المؤمنين وبين عباد الأصنام. ولا يتميز المؤمن فى أرض المعركة إلا بالختان.

وقد ظهرت بركة إبراهيم. البركة التى نصت التوراة عليها بقولها: «فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك. وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [تك ١٢: ٢ ـ ٣] ظهرت البركة على النحو التالى:

أ ـ تبدأ أولا بركة إسحق . ومعناها: أن يملك نسله على الأمم والشعوب. ليحكموهم بشريعة من الله. وقد اصطفى الله بنى إسرائيل بن إسحق لحمل الشريعة إلى الأمم والشعوب والملك عليهم. وكل نسل إبراهيم من أبناء قطوره، وأبناء إسماعيل يكونون معهم تحت رئاستهم، فى كل أيام بركة إسحق. وقد بدأت البركة من موسى عليه السلام. فإن الله أعطاه التوراة. وأمره هو وقومه بالقيام بها خير قيام، وأن يفتحوا البلاد ويسوسوا العباد، ويقولوا للناس حُسنا.

ب ـ إلى أن تنقضى مدة بركتهم، على يد نبى مثله من إسماعيل المبارك فيه. وإذا جاء؛ تكون لبنى إسماعيل الرئاسة على كل نسل إبراهيم، ويقومون معه لفتح البلاد، ونشر الشريعة إلى أن تقوم القيامة، وتنتهى الحياة الدنيا.

وقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم وفى التوراة.

ففى القرآن الكريم: ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ ـ ﴿ وباركنا عليه، وعلى إسحق. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ وعن بدء بركة إسحق عليه السلام من موسى عليه السلام: ﴿ أن بُورك من فى النار، ومن حولها ﴾ وفى التوراة: أ ـ «وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك، لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة. وأباركها، وأعطيك أيضا منها ابنا، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون» [تك ١٧: ١٥ ـ ١٦] ب ـ «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله..

وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا؛ [تك ١٧: ١٨ ـ ٢٠]

وقال إشعياء عن عهد بنى هاجر: «فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع. أما إحسانى؛ فلا يزول عنك، وعهد سلامى لايتزعزع. قال راحمك الرب» [إش ٥٤: ١٠]

وقد استدل المسيح عيسى عليه السلام بنبوءة إشعياء هذه على مجيء محمد. فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا.

ويشهد القرآن الكريم بتحقق البركة فى إسماعيل وإسحق. فإن بنى إسرائيل[1] قد خرجوا من أرض مصر على يد موسى عليه السلام وملكوا أرض سيناء، وفلسطين ـ التى هى الأرض المقدسة ـ وملكوا مصر، وملكوا اليمن فى زمان سليمان عليه السلام. بل إن القرآن يصرح بأن يوسف عليه السلام وهو من نسل إسحق قد ملك مدة على أرض مصر، وقال لله تعالى: إنك أعطيتنى جزءا من الملك الذى وعدت به آبائى، حاملى بركة إسحق فى الأمم. ذلك قوله تعالى: ﴿ رب قد آتيتنى من الملك، وعلمتنى من تأويل الأحاديث. فاطر السموات والأرض. أنت وليىٍّ فى الدنيا والآخرة. توفنى مسلما، وألحقنى بالصالحين﴾ وقوله عن بنى إسرائيل: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم فى الأرض ﴾ ـ ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون؛ مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها. وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ ـ ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة. وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ ـ ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم. كذلك وأورثناها بنى إسرائيل ﴾ أى ورثوا أراضى جميع الأمم بفتحها بالحراب وبالسيوف، لينشروا شريعة موسى عليه السلام. وقد جاهدوا فى سبيل الله، وفتحوا البلاد، وعمروها، وعلموا الناس شريعة موسى، وحكموهم بها. وكان كل نبى يأتي من بعد موسى، كان يأتي على شريعته. لا ينسخها ولا ينقضها. وظلوا علي هذا الحال، غالبين ومغلوبين، ومعلمين بنشاط، ومعلمين بفتور، وهادين بالحق، وهادين بالباطل المحرف، وساكتين عن البيان إلى زمان ظهور مُلك الإسماعيليين، فى شخص محمد رسول الله. فملك الإسماعيليون وورثوا الأرض، بدلا عنهم.

***

إنجيل عيسى عليه السلام موجود وليس بمفقود:

ويقدر علماء بنى إسرائيل الراسخون فى العلم، ويقدر المسلمون الراسخون فى العلم، على إظهار إنجيل عيسى عليه السلام للعالَم، من أول كلمة كانت فيه، إلى آخر كلمة.

أما قدرة علماء بنى إسرائيل: فإنها معلومة من نصوص النبوءات التى هى فى التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى المنتظر؛ فإن المسيح عيسى عليه السلام قد ذكرها نصا نصا،

(١) تفسير ابن كثير فى سورة يونس.

وفسرها على محمد. وأذاع تفسيره لها فى مساجد بنى إسرائيل، وفى مدنهم. ويقدر علماء بنى إسرائيل فى أى زمان، على جمع نُبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى، ونبوءات أسفار الأنبياء، فى كتاب واحد، وتفسيرها. وهذا هو الإنجيل، أى البشرى بالنبى المنتظر؛ ليخلِّص من ذل الأجانب. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم، والمؤمنون؛ يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك ﴾ وهم يؤمنون به، من دلالة التوراة، وأسفار الأنبياء عليه. وذلك لأنهم لا يقدسون الأناجيل. ويقول تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ﴾ ويقول تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب، يعرفونه، كما يعرفون أبناءهم ﴾

وأما قدرة الراسخين فى العلم من المسلمين على إظهار مثل إنجيل عيسى عليه السلام: فإنهم سيعرفون، من كتابى هذا: أن «بُولُوس» قد أخذ أكثر نصوص نبوءات التوراة و أسفار الأنبياء عن محمد. وطبقها على عيسى عليه السلام وفرق كلامه على رسائله. وإذا عرفوا هذا؛ فإنهم يقدرون فى أى زمان، على جمع نصوص النبوءات فى مكان واحد، وعلى إزالة لغو «بولوس» فيها. وهذا هو غرض الإنجيل.

وفى هذا المعنى يقول علماء النصارى: إن رسائل «بولوس» كانت تتلى من قبل تدوين الأناجيل الأربعة. وأن كتّاب الأناجيل الأربعة كانوا يعرفون مصدرين حال الكتابة: المصدر الأول: أقوال يسوع. التى كان يُمليها على السامعين، فيكتبونها. والتي كتبها بخط يده. والمصدر الثانى: كتاب فيه سيرة يسوع المسيح وخطبه ووعظه ومحاوراته.

ولوجود التناقض الواضح بين معنى أى نبوءة فى التوراة وأسفار الأنبياء، ومعناها عند «بولوس» يلزم الأخذ بالمعنى المتفق مع معنى نبوءة التوراة وأسفار الأنبياء. وبذلك يكون التوراة وأسفار الأنبياء، فى صف. ويكون «بولوس» وأتباعه، فى الصف المقابل.

أما عن أقوال المسيح:

فهى الإنجيل الذى آتاه الله له. مكتوبا بيد القدرة. والمسيح عيسى عليه السلام قد نقل منه نسخا، وسلمها للحواريين. وكل ما فيه هو النبوءات[1] وتفسيرها؛ لتنطبق على

---

(١) ذلك واضح من قوله تعالى: ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل: إنى رسول الله إليكم؛ مصدقا لما بين يدىّ من التوراة، ومبشرا برسول يأتى من بعدى، اسمه أحمد ﴾ فقد بين أمرين لا ثالث لهما هما: ١ ـ التصديق. ٢ ـ والتبشير. والمأثور عنه في الأناجيل هو ١ ـ أنه ما جاء لنقض الناموس. ٢ ـ وأنه بشر باقتراب ملكوت السموات. فيكون المكتوب فى إنجيله الصحيح بيد القدرة: هو هذان الأمران. أما المأثور عنه فى الأخلاق والحكم والمواعظ والفتاوى الفقهية؛ فإنه قال بمثل ما تركه الأقدمون فى التوراة، وأسفار الأنبياء.

محمد. وكان بولوس على علم بكل ما فيه. ولذلك عكسه كله فى رسائله. وكان الحواريون على علم به. ولذلك نقلوا منه بأمانة. وبعد تحريف النصرانية؛ وضع المحرفون فى كل إنجيل نصوصا تلبس الحق بالباطل. والنصوص التى وضعها المحرفون بين النصوص؛ يعرفها الراسخون فى العلم. من المسلمين، وغيرهم. ومثال ذلك:

أ - احتجاج عيسى عليه السلام بالمزمور المئة والعاشر على أن «المسيح» المنتظر؛ لن يكون من نسل داود عليه السلام. فى جميع الأناجيل.

ب - ووضعهم فيها: «يا يسوع بن داود» يعنون: أنه هو «المسيح المنتظر» وأنه قد أتى من نسل داود. كيف ولا أب له؟ كيف ولا سِبْط له؟ كيف ولا إرث له فى أرض إسرائيل ؟

وأما عن الإنجيل الذى يقف خلف الأناجيل:

فإن إنجيل متى ومرقس ولوقا. هم متشابهون. وأى واحد منهم يغنى عن غيره. وهذا يدل على أنهم نقلوا عن مصدر واحد. وتصرف الكاتب وهو ينقل، فى إبراز المعنى. لا أنهم كانوا يكتبون معا ما يقوله المسيح. وإن إنجيل بَرنابا حوى كثيرا مما فى الأناجيل الثلاثة، ومما فى إنجيل يوحنا. وهو بذلك يُشبه الإنجيل الذى يقف خلف الأناجيل. إن لم يكن هو. من قبل أن تتداوله الأيدى، بغير نظرة مقدسة، إلى ما فيه.

البشرى الشفهية:

ويقول النصارى: إن المسيح عيسى عليه السلام لم يترك إنجيلا مكتوبا، وإنما ترك إنجيلا بالوعظ الشفهى، عن خلاص من يؤمن به؛ من عقوبات الذنوب والآثام. ويقولون: إن الإنجيل معناه: البشرى المفرحة. وأن الحواريين قد بشروا بالبشرى عن طريق الوعظ الشفهى، وعن طريق الكتابة أيضا.

وأنقل من كلامهم نصوصا على ذلك: يقول القس سيكل سل: «كثيرون من علماء العصر الحاضر؛ يعتقدون: أن ما كتبه «متى» فى الأصل كان مجموعة من أقوال يسوع[1]» ويقول القس حبيب سعيد: «ومن المرجح جدا: أن بعض تلاميذ «يسوع» الأولّين. قد جمعوا لاستعمالهم الخاص مجموعات من أقوال يسوع، والحوادث التى رأوها ذات شأن خطير. ونحن نعلم: أن شيئا من هذا القبيل؛ قد عمله المسيحيون فى «مصر» فى القرن الثانى. وذلك لأنه قد كشف قبل حوالى أربعين سنة، عن مجموعة؛ من أوراق البردى، تشتمل على بعض أقوال، مختصرة، تبدأ بعبارة: «يقول يسوع»[2]

---

(١) ص ٢١٨ المرشد .

(٢) ص ٢٦١ المدخل إلى الكتاب المقدس .

ويقول موريس بوكاى: «فى العصر الحديث، وأمام هذه المعطيات؛ أدرك البعض: أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة، وحسب وجهات نظره الشخصية، مع الاعتماد على المعلومات التى وجدها عند الآخرين. وعندئذ علّق الباحثون أهمية كبيرة على جمع مواد الرواية فى التراث الشفهى للطوائف الأصلية من ناحية، وعلى مصدر آرامى مكتوب مشترك، لم يعثر عليه، من ناحية أخرى[1]»

وفى ترجمة دار المشرق. مدخل إلى الأناجيل،قالوا فيه: إن «الشريعة والأنبياء؛ أو «التوراة، وأسفار الأنبياء» هما القانون،عند بنى إسرائيل، ويقابله «الرب» عند النصارى. و«الرب» ينقسم إلى قسمين: أولهما: الأقوال التى كانت من قبل القتل والصلب. وثانيهما: أقوال الحواريين التى قالوها من بعد القتل والصلب. ويطلقون على «الرب» العهد الجديد، فى مقابل العهد القديم، عهد الشريعة والأنبياء.

وقالوا: كانت السلطة العليا فى أمور الدين تتمثل عند مسيحيى الجيل الأول فى الاستشهاد بالشريعة والأنبياء. ثم اتجهوا إلى الأقوال الشفهية التى لم يفكروا فى تدوينها إلى ما يقرب من السنة المائة والخمسين. و «جمعوا فى بدء أمرهم رسائل بولس، واستعملوها فى حياتهم الكنسية» - «ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهورا واضحا، كما يظهر شأن رسائل بولس» - «فيمكن القول: أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة المائة والسبعين بمقام الأدب القانونى»

وقالوا: «ليس فى هذه المخطوطات كتاب واحد بخط المؤلف نفسه» - «وجميع أسفار العهد الجديد من غير أن يستثنى واحد منها؛ كتبت باليونانية»

وقالوا: إن أقدم مخطوط هو «المجلد الفاتيكانى؛ وهو مجهول المصدر، ويعود إلى القرن الرابع.

وقالوا: «إن نسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا، ليست كلها واحدة، بل يمكن للمرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية. ولكن عددها كثير جدا على كل حال. وهناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو، أو الألفاظ أو ترتيب الكلام. ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات تتناول معنى فقرات برمتها» أ. هـ

وفى تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين:

---

(١) ص ٩٧ دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاى.

«ربما كانت الفقرات الواردة فى متى ولوقا، ولم ترد فى مرقس؛ مأخوذة من مجموعة لأقوال الرب يسوع،وردت فى صورة كتيب مجمل باللغة الآرامية.ثم ترجم إلى اللغة اليونانية، عدة ترجمات، وليس بمستبعد أبدا: أن هذه هى أقوال الرب يسوع، حسب كتابة متى، كما ذهب «بابياس فى كتبه[1]» أ. هـ

خطب عيسى عليه السلام:

وكان عيسى عليه السلام يخطب فى هيكل سليمان،وفى مساجد بنى إسرائيل، ويعظ الناس، ويفسر لهم آيات من التوراة. مثله مثل العالِم من علماء المسلمين، يكون واعيا للقرآن، ومبلغا له. ويكون أيضا: مفسرا وشارحا ومعلما ومؤدبا، ويستشهد فى كلامه بأقوال، من أقوال السابقين؛ لتقوية كلامه وتأكيده. وقد جمعتْ الأناجيل خطبا طويلة وخطبا قصيرة. ففى خطبته على جبل الزيتون. يبدأ حديثه عن اقتراب «ملكوت السموات[2]» الآتى مع محمد. ويصف أتباعه بالتواضع، ويقول: إنهم سيرثون الأرض من بعد أهلها، كما ورثها بنو إسرائيل فى أيام بركة إسحق،ويستشهد على قوله بالمزمور السابع والثلاثين.وفيه: «الوضعاء يرثون الأرض» [مز ٣٧: ١٠] ويبين: أن الحزانى سيتعزّون فى أيام «المسيح الرئيس» [لو ٢: ٢٥ مز ٥٦: ٥] وأن الجياع والعطاش إلى البر، سيشبعون [إش ٢١: ٢ - ٣ و٥١: ١ وسى ٢٣: ٢١] وقال: طوبى للرحماء وطوبى للساعين إلى السلام، وطوبى للمضطهدين على البر؛ فإن لهم ملكوت السموات. وصرح فى هذه الخطبة بأنه على دين موسى،ولم يأت لنسخ الناموس، بل لتكميله. بالدعوة إلى الإيمان بالنبى الآتى. فإنه إذا جاء وآمنوا به؛ يكونون قد أكملوا العمل بكل أحكامه. وذلك لأن من أحكامه: الإيمان بالنبى الآتى إذا جاء. وإلى أن يجىء، لم يكن عملهم بالناموس كاملا.وطلب من الحواريين أن يقولوا فى صلواتهم لله: «ليأت ملكوتك» وهو ملكوت محمد. الآتى من بعده، لاملكوته هو، فى مجيئه الثانى مع يوم القيامة.وختم خطبته بالتأكيد على الأعمال الصالحة على وفق الناموس - وهو التوراة - إلى أن يجىء النبى الآتى، على مثال موسى.

وبدء الخطبة هو: «طوبى لفقراء الروح؛ فإن لهم ملكوت السموات، طوبى للودعاء؛ فإنهم يرثون الأرض. . الخ؛ [متى ٥: ٣ -]

---

(١) ص ١١٨ ج ١ تفسير الكتاب المقدس - فرنسس دافدسن .

(٢) أصل ملكوت السموات ويلقب أيضا بملكوت الله.من الأصحاح الثانى والسابع من سفر النبى المعظم دانيآل .

وكما بين فى خطبته هذه حقيقة ملكوت السموات الآتى مع النبى الآتى، بين فى خطبته الأولى فى هيكل سليمان: أن محمدا. سيأتى من بعده. وكان داود قد تحدث عنه بلقب «ابن الله» على عادة بنى إسرائيل فى الحديث عن أنفسهم. وهو لقب يدل على أن حامله منتسب إلى الله. فطبق النبوءة عليه فى الخطبة، ولم يترجم بابن الله. وقال: «تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء[1]؛ ليرسله لخلاص العالم، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك». .الخ [بر١٢:٦-]

ويقول بعض مفسرى النصارى: إن المزمور الأول والثانى لداود عليه السلام هما فى الأصل مزمور واحد؛ يدل على النبى الأمى الآتى على مثال موسى. هذا هو قولهم. وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿ وقد نزل عليكم فى الكتاب: أن إذا سمعتم آيات الله؛ يكفر بها، ويستهزأ بها؛ فلا تقعدوا معهم، حتى يخوضوا فى حديث غيره. إنكم إذاً مثلهم. إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا ﴾

والمنزل عليهم فى الكتاب: هو أول المزامير. ونصه: «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس. . .» ويقول الله بعد ذلك: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل؟» يعنى: لماذا يرفضون النبى الذى سأرسله إلى العالم ؟ ثم قال: إنهم تآمروا عليه؛ ليبطلوا نبوته، ويصرفوا الناس عنه. وهذا يدل على استهزائهم بالله الذى أرسله. وهم يتآمرون عليه؛ ليتحرروا من العبودية للشريعة، التى هى من الله. ويبين الله لهم - على طريق مشاكلة فكره لفكرهم - ضحكه منهم، واستهزاءه بهم. لأنهم لا يقدرون على تغيير إرادة الله. وبعد ذلك يتحول من الضحك والاستهزاء إلى أنه يتكلم ضدهم غاضبا، فإذا بهم يرتجفون أمامه خوفا ورعبا. وذلك لأن مشيئة الله هى فوق مشيئتهم، وعليهم فقط أن يخضعوا. ولعل هذا هو المراد من: ﴿ الله يستهزئ بهم، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ﴾

---

(١) التعبير بأن النبى الآتى على مثال موسى كان موجودا قبل كل الأشياء ، ومخلوقا قبل خلق العالم . معناه : أن الله تعالى لما وعد به ، من قبل مجيئه . عبر علماء بنى إسرائيل عن علم الله به؛ أنه سيظهر . بقولهم: قد خلقه الله .دلالة على تحقق الوقوع . وفكرة أن المسيا قبل خلق العالم ، موجودة فى أسفار كثيرة من أسفار الأنبياء التى اكتشفت حديثا فى كهوف قمران .

ففى سفر أخنوخ الأول ٣٧ - ٧١ يقول : « إن المسيا كائن سامى ، موجود قبل الجميع ، ومعظم فوق كل الخلائق ، وسيظهر فى الأزمنة الأخيرة ؛ لتثبيت ملكوت الله على الأرض » ويطلق عليه ألقاب : المسيح - البار - المختار - ابن الإنسان [١ أخنوخ ٥٢ :٤و٣٨ :٢و٤٥ :٣-٤و٤٦ :١-٦]

ثم يقول داود على لسان النبى بظهر الغيب: قال الله لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. فهل النبى الآتى هو «ابن بالطبيعة» إن اليهود والنصارى لا يقولون بأن لله زوجة. فداود نفسه يصرح فى المزمور التسعين: «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة. منذ الأزل إلى الأبد. أنت الله. ترجع الإنسان إلى الغبار، وتقول: ارجعوا يا بنى آدم؛ لأن ألف سنة فى عينيك مثل يوم أمس؛[1] [مز ٩٠:٢ ـ ٤] وإشعياء يقول عن الله: «أنا الرب صانع كل شىء، ناشر السموات وحدى، باسط الأرض. من معى ؟» [إش ٤٤:٢٤] ويقول موسى نفسه: «فى البدء خلق الله السموات والأرض» [تك ١:١] ثم شرع فى الحديث عن خلق آدم وحواء. والأنبياء منهما. وعلى ذلك فالتعبير بالولادة معناه الخلق. والتعبير بالبنوة معناه: المنتسب إلى الله بمقدار عظيم. فقد جاء عن داود على لسان الله تعالى: «أنا أكون له أبا،وهو يكون لى ابنا» [٢ صم٧:١٤] وجاء عن يعقوب أنه ابن الله البكر [خر٤:٢٢] وجاء عن بنى إسرائيل جميعا: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤: ١] وفى سفر التثنية: «ليس مثل الله» [تث ٣٣: ٢٦] وهو نص جلىّ، ينزّه الله عن الجسمية.

ثم قال النبى بظهر الغيب: إن الله قال لى: اطلب منى. وأنا أورثك أراضى جميع الأمم، وأجعلك ملكا. وتنتصر عليهم فى الحروب. وتعلمهم شريعتك. ثم يخاطب الملوك و القضاة بالتريث فى رفضه؛ لئلا يرفضوه. وهو يخاطب الملوك أولا؛ لأن بيدهم السلطان الزمنى والقوة والحكم. ثم من بعدهم القضاة؛ لأن القاضى يتوجّب عليه أن يتعظ هو نفسه، قبل أن يصدر حكمه على الغير. ويقول المفسرون: يذهب البعض إلى ترجمة الكلمة «قبلوا الابن» بمعنى: «أخلصوا للابن واخدموه» وذهب البعض إلى أن الجملة يمكن أن تحول «قبلوا بإخلاص» أو «قدموا ولاء صادقا» وفى القرآن الكريم بعدما تحدث عن المنافقين وهم اليهود، بين أنه يجب على المؤمنين أن لا يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين. ثم قال: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله؛ فأولئك مع المؤمنين ﴾ وهذا يوافق الترجمة «قبلوا بإخلاص»

النص:

«طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن فى ناموس الرب مسرته، وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا؛ فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه. التى تعطى ثمرها فى أوانه. وورقها لا يذبل. وكل ما يصنعه ينجح. ليس كذلك الأشرار، لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح.

(١) قال الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة ، مما تعدون ﴾

لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار. أما طريق الأشرار فتهلك. لماذا ارتجت الأمم. وتفكر الشعوب فى الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا، على الرب وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزىء بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون، جبل قدسى.

إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك. وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم. فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبلوا الابن لئلا يغضب. فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» [مز ١ و ٢]

وقد طبق عيسى عليه السلام هذا المزمور على محمد. فى قوله: «من لا يكرم الابن؛ لا يكرم الآب الذى أرسله» [يو ٥: ٢٣] وقد طبق بولس نبوءة الابن هذه على المسيح عيسى عليه السلام. فى قوله: «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة؛ كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذى جعله وارثا لكل شىء » [عب ١ : ١]

وهو يعلم: أن المسيح عيسى عليه السلام لم يحارب ولم ينتصر ولم يملك، ولم يرث أراضى، من أراضى الأمم والشعوب، ولم يتآمر عليه أحد من ملوك الأرض.

وفى النبوءة : « أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون» أى: اصطفيته، وملكته على بنى إسرائيل جميعا. وكنّى بصهيون عن اليهود بأسرهم. وفى إنجيل يوحنا : « وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ؛ ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا إلى الجبل وحده » [يو ٦ : ١٥] فيكف تنطبق النبوءة عليه ؟

ومِن هذا يعلم : أن يوحنا ـ وإنجيله مقدس عندهم ـ روى: أن عيسى عليه السلام طبق نبوءة الابن على محمد الذى يبشر به . وأن بَرنابا روى مثل روايته . فما هو وجه الخلاف بينهما ؟ حتى يُقبل واحد ، ويرفض واحد .

فتاوى عيسى عليه السلام في الدِّين :

وكان عيسى عليه السلام يفتى الناس فى أمور الدين على شريعة موسى ، ويستدل بآيات من التوراة على الفتوى . وذلك ليقنع الناس بصحة فتواه . ومثال ذلك : « فدنا إليه بعض الفريسيين ، وقالوا له ليحرجوه : أيحل لأحد أن يطلق امرأته لأية علّة كانت؟ فأجاب : أما قرأتم : أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكرا وأنثى؟ وقال : لذلك يترك الرجل

أباه وأمه ، ويلزم امرأته، ويصير الاثنان جسدا واحدا » [متى ١٩ : ٣ ـ ٥]

لقد أفتى بما أفتى به ،واستدل على فتواه بما جاء فى التوراة . فى التكوين [١ : ٢٧ و ٢ : ٢٤]

الاقتباسات عند كتّاب الأناجيل :

وكما اقتبس المسيح عيسى عليه السلام من التوراة وأسفار الأنبياء ؛ ليقنع بكلامه . اقتبس كتاب الأناجيل منهما نصوصا ؛ ليقنعوا الناس بما يكتبوه عن سيرة عيسى عليه السلام .ومثال ذلك : أنهم كتبوا فى سيرته :أنه كان من قرية « الناصرة » وقالوا : إن الله اصطفاه من « الناصرة » لأنه نبه على مجيئه منها من قبل أن يجيء . وذلك لتؤمنوا به ، إذا جاء . ثم يكتبون فى الإنجيل ؛ نص التوراة ، أو نص أسفار الأنبياء . الذى يدل على أنه سيخرج من « الناصرة » وبذلك يقنعون الناس بأنه هو النبى الذى قالت الكتب عنه : إنه سيخرج من الناصرة ؛ فيؤمنوا به .

وعلى ذلك يكون عندنا نص واحد . منقول فى الإنجيل عن مثله فى كُتب التوراة وأسفار الأنبياء . فهل هو فى الكتب ؟ هذا هو السؤال الأول . وهل هو ينطبق عليه إذا كان هو فيها ؟ وهذا هو السؤال الثانى . وهل النص فى الإنجيل هو نفس النص فى الكتب ؟. وهذا هو السؤال الثالث .

أما السؤال الأول :

فإنه لو قال كاتب الإنجيل : إن ذلك النص فى الكتب ، وبالبحث والتحرى لا يكون فيها ؛ فإنه يلزم أحد أمرين: إما أنّ الكاتب كاذب ، وإما أن النص كان فيها ، وتعمد علماء اليهود حذفه ، بعدما نقله الكاتب ؛ لينفوا العصمة عنه ، حال تحرير الإنجيل . وهما أمران أحلاهما مر . لأنه إذا ثبت الكذب ؛ تنتفى العصمة ، وإذا انتفت العصمة؛ تنتفى الثقة، وإذا انتفت الثقة، تنتفى الديانة ؛ فتكون الديانة باطلة.

وإذا ثبت تعمد الحذف ، يثبت تحريف الكتاب على أيدى علماء خونة. والعلماء الخونة لا يخرج من أيديهم شىء نافع . وإذا ثبت تحريف الكتاب ؛ تنتفى صحة الديانة ؛ فتكون الديانة باطلة .

وأما عن السؤال الثانى :

فإنه إذا كان منطبقا عليه تمام الانطباق ؛ فإنه يلزم من الانطباق؛ صحة الكلام.

وأما عن السؤال الثالث :

فإن النص الواحد إذا اختلف وضعه ؛ فإن الاختلاف فى المعنى يدل على أن الكاتب ينقل بتصرف ، ولا يدل على أنه كان مسوقا من الروح القدس .

كتاب الأناجيل نقلوا من التوراة وهم ناعسون

وتحت هذا العنوان قلنا فى التمهيد لمناظرة الهند الكبرى[1] ما نصه :

« ولأن التوراة مقدسة عند اليهود والنصارى ؛ نقل منها كتاب الأناجيل ، وهم يكتبونها ليدللوا بها على صحة الأفكار التى يريدون بها إلزام النصارى . وتبين بعد المراجعة : أنهم نقلوا وهم ناعسون .

ومثال ذلك :

١ ـ فى التوراة : « جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون » [تك٤٦ :٢٧] وفى الإنجيل: « فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته؛ خمسة وسبعون » [اع ٧ :١٤] فكاتب الإنجيل : أزاد خمسة عن كاتب التوراة .

٢ ـ يقول متى : « حينئذ تم ما قيل بإرمياء النبى » [مت ٢٧ :٩] والقائل هو زكريا فى سفره ، وليس إرمياء .

٣ ـ يقول متى: « لكى يتم ما قيل بالأنبياء: إنه سيدعى ناصريا » [مت٢ :٢٣] وليس فى أسفار الأنبياء هذا النص » أ .هـ

* * *

وكتابنا هذا ، نؤلفه للمرة الثالثة . ولو قدر له أن يضيع فى المطابع كما ضاع سابقيه ، لما يئسنا من تأليفه . وذلك : لأن موضوعه وحده[2] هو الذى يقدر به المسلم ، على هدم ملة النصارى وملة اليهود . فإن النصارى طائفة من بنى إسرائيل ، وانفصلت عنهم فى البدء ؛ بسبب اعترافهم بمحمد ﷺ الذى ظهرت لهم صحة نبوته من تفسير عيسى عليه السلام لنبوءات التوراة وأسفار الأنبياء ، عن النبى الآتى ؛ لتنطبق عليه . وقد احتال عليهم « بولوس » وشيعته ؛ ليصدوهم عنه . وذلك بقوله لهم : إن النبى الآتى هو يسوع بن مريم، وما كنا له بعارفين. ثم قال لعلماء بنى إسرائيل: أنتم تريدون صد الناس عن

---

(١) نشر دار الإيمان بالمنصورة .

(٢) ليس عند النصارى كتب فى موضوع هذا الكتاب ، وعلى طريقته . وليس عند اليهود . وهذا هو أول كتاب فى موضوعه بهذه الطريقة عند اليهود والنصارى والمسلمين .

الإيمان بمحمد إذا جاء؛ لئلا يترأس عليكم بنو إسماعيل، وتقولون: إن النبى الآتى سيكون منا . وأنتم تعرفون أنه لن يكون منكم . فما هو المانع لكم من أن تقولوا : إنه كان هو يسوع . وقد جاء ؟ وبذلك تكونون أنتم والنصارى متفقون على ردّه ، من قبل ظهوره .

وإذا تعللتم بأن هذا كذب على الله ، وفتنة ، وفساد كبير . فمن منكم الصادق الذى لا يكذب ؟ أليس إنكاركم لبركة إسماعيل كذب ؟ أوليس تحريفكم للتوراة كذب ؟ ثم خاطبهم بقوله : « هو ذا أنت تسمى يهوديا ، وتتكل على الناموس ، وتفتخر بالله ، وتعرف مشيئته ، وتميز الأمور المتخالفة . متعلما من الناموس ، وتثق أنك قائد للعميان ، ونور للذين فى الظلمة ، ومهذب للأغبياء ، ومعلم للأطفال . ولك صورة العلم والحق فى الناموس ، فأنت إذاً الذى تعلم غيرك . ألست تعلم نفسك ؟ الذى تكْرِز : أن لا يسرق . أتسرق ؟ الذى تقول : أن لا يزنى . أتزنى ؟ الذى تستكره الأوثان . أتسرق الهياكل ؟ الذى تفتخر بالناموس . أبعدى الناموس تهين الله ؟ لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم . كما هو مكتوب » [رومية ٢: ١٧ ـ ٢٤] وفى هذا النص اقتباس بالمعنى . وهو : « لأن اسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم » والاقتباس من [إش ٥٢ : ٥ حز ٣٦ : ٣] وقوله كما هو مكتوب . يشير به إلى أنه مكتوب فى إشعياء وحِزقيال . وهما من أسفار الأنبياء .

شهادة التوراة بصحة النصرانية والإسلام :

ويقول النصارى : إن التوراة تشهد بصحة الديانة النصرانية . وذلك لأن فى التوراة نبوءات عن نبى ، يأتى على مثال موسى . وهذه النبوءات منطبقة على يسوع المسيح . وهو نبى النصرانية .

ويقول المسلمون : إن التوراة تشهد بصحة دين الإسلام. وذلك لأن النبوءات التى هى فيها عن النبى المماثل لموسى. هى منطبقة على محمد رسول الله ﷺ وهو نبى الإسلام .

ويقول النصارى : لو قدر وفرض أن التوراة غير موجودة فى العالم ؛ فإن النصرانية تضيع معها ، ولا يظهر لها من أثر . فإنها هى أساس الديانة النصرانية ، وإذا انهد الأساس ؛فإن المبنى ينهار تبعا له .

ويقول المسلمون : إن التوراة لا تشهد وحدها لمحمد ﷺ وإنما يشهد معها أيضا إنجيل عيسى عليه السلام . فهما اثنان لا واحد.والتوراة معها أسفار الأنبياء .وهم كثيرون. والإنجيل كتبه كثيرون من أهل العلم . وعلى ذلك فالشهود لمحمد ﷺ كثيرون .

ويقول المسلمون : إن كل ما فى التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى الآتى هو لمحمد ﷺ

وليس عن عيسى نبوءات فى كل الأسفار . ليس ولا واحدة . وقد كتب محرفو إنجيل يوحنا ، على لسان عيسى عليه السلام : « لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم . وهو موسى ، الذى عليه رجاؤكم ؛ لأنكم لو كنتم تصدقون موسى . لكنتم تصدقونني ؛ لأنه هو كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك ، فكيف تصدقون كلامى ؟ » [يو ٥ : ٤٥ _ ٤٧]

ونصوص التوراة التى قالوا[1] : إنها تدل عليه فى كتاب موسى ، هى :

النص الأول : « فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك. وتكون بركة . وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » [تك ١٢ : ٢ _ ٣]

النص الثانى : « وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ، ويتبارك به ؛ جميع أمم الأرض » [تك ١٨ : ١٨]

النص الثالث : « أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى » [تك ٢٢ : ١٧ _ ١٨]

النص الرابع : « ودعا يعقوب بنيه ، وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام » ثم قال : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ؛ حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » [تك ٤٩ : ١ و ١٠]

النص الخامس : « يقيم لك الرب إلهك : نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون . . . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به . . » [تث ١٨ : ١٥ _ ٢٢]

والرد عليهم :

هو أن الله تعالى بارك فى إبراهيم عليه السلام . وقسم البركة بين إسماعيل وإسحق عليهما السلام ويقول يعقوب عليه السلام لبنيه : إنه فى آخر أيام بركة إسحق فى الأُمم . سيزول الملك منكم ، وستنسخ الشريعة على يد « شيلون » نبى السلام . وبيده الشعوب تُقاد . وأظهر موسى عليه السلام أنه سيأتى من إسماعيل بقوله: « من وسط إخوتهم » لا

---

(١) راجع الكتاب المقدس _ المشوهد _ دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط _ أربك بَابِلْ سنة ١٩٩٥
Arabic Bible 053
UBS 1995 - sevies 6 - 5 M

منهم . فإن إسماعيل أخ لإسحق ، ومبارك فيه . وقال : إنه سيكون أميا لايقرأ ولا يكتب؛ وسيكلم العالم بكل وصايا الله . ولم تكن مع عيسى عليه السلام إلا شريعة موسى صاحب التوراة . وقد أرسل علماء بنى إسرائيل وفدا منهم . إلى يحيى عليه السلام ليسألوه عن هذا النبى ؛ لأنه لم يكن قد جاء حتى زمانه . فأنكر أنه هو ، وقال : إنه سيأتى من بعدى . وجاء فى إنجيل بَرنابا [1]: أن الوفد كان موجها إلى عيسى عليه السلام وأجاب بأنه سيأتى من بعده . ولم يأت من بعدهما إلا محمد ﷺ وعن هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ﴾

ثم إن يحيى وعيسى دعوا معا بدعوة واحدة هى الدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات الذى تنبأ عنه دانيال من بعد زمانه . وقال : إنه سيتأسس على الأرض من بعد المملكة الرابعة ، مملكة الروم . ولم يُزل الروم من « فلسطين » إلا محمد ﷺ وعن هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ غلبت الروم فى أدنى الأرض . وهم من بعد غلبهم ، سيغلبون . فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم . وعد الله . لا يخلف الله وعده ﴾

قال النبى دانيآل فى الأصحاح الثامن من سِفره :

« فى السنة الأولى لبيلشاصّر ، ملك بابل ؛ رأى دانيال حلما . ورؤى رأسه على فراشه . حينئذ كتب الحلم ، وأخبر برأس الكلام . أجاب دانيال ، وقال : كنت أرى فى رؤياى ليلا ، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير ، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة . هذا مخالف ذاك .

الأول كالأسد ، وله جناحا نسر . وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه ، وانتصب عن الأرض ، وأوقف على رجلين كإنسان ، وأعطى قلب إنسان .

وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب ، فارتفع على جنب واحد . وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه . فقالوا له هكذا : قم كل لحما كثيرا .

وبعد هذا كنت أرى ، وإذا بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رءوس ، وأعطى سلطانا .

بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جداً. وله أسنان من حديد كبيرة . أكل وسحق وداس الباقى برجليه . وكان مخالفا لكل الحيوانات

---

(١) برنابا ٤٢ ـ

الذين قبله . وله عشرة قرون . كنت متأملا بالقرون ، وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها ، وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه ، وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن ، وفم متكلم بعظائم .

كنت أرى أنه وضعت عروش ، وجلس القديم الأيام .لباسه أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقى ، وعرشه لهيب نار ، وبكراته نار متقدة . نهر نار ، جرى وخرج من قدامه . ألوف ألوف تخدمه ، وربوات ربوات وقوف قدامه . فجلس الدين ، وفتحت الأسفار . كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن . كنت أرى ، إلى أن قتل الحيوان ، وهلك جسمه ، ودفع لوقيد النار . أما باقى الحيوانات ؛ فنزع عنهم سلطانهم ، ولكن أعطوا طول حياة ، إلى زمان ووقت .

كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء . مثل ابن إنسان . أتى ، وجاء إلى القديم الأيام ؛ فقربوه قدامه؛ فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ؛ لتتعبد له كل الشعوب ، والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى، ما لن يزول . وملكوته ، مالا ينقرض »

وقال دانيآل فى تفسير الحلم عن الملكوت الذى لا ينقرض أبدا : « والمملكة والسلطان . وعظمة المملكة تحت كل السماء ، تعطى لشعب قديسى العلى. ملكوته؛ ملكوت أبدى . وجميع السلاطين . إياه يعبدون ويطيعون »

وقال متى ومَرقس ولوقا : إن أول كلمة تكلم بها عيسى عليه السلام فى بنى إسرائيل، هى دعوتهم إلى التوبة ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات ، الذى تنبأ النبى دانيآل عن تأسيسه على الأرض بعد مملكة الروم . ويعنى بالتوبة : أنهم يتركون الكبر والعناد ويستعدون للدخول فى دينه . يقول متى : « من ذلك الزمان ، ابتدأ يسوع يكْرِز ويقول توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [مت ٤ : ١٧] «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب » [متى ٤ : ٢٣]

« ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل ، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه؛ ففتح فاه وعلمهم قائلا : طوبى للمساكين بالروح؛ لأن لهم ملكوت السموات » [مت٥:١ـ]

« قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان، وزرعها فى حقله. وهى أصغر جيمع البرور . ولكن متى نمت ؛ فهى أكبر البقول. وتصير شجرة ، حتى إن طيور السماء تأتى ،وتتآوى فى أغصانها » [مت١٣ :٣١ ـ ٣٢]

وقد تطابق ملكوت السموات مع القرآن الكريم . فقد قال تعالى : ﴿ ومثلهم فى

الإنجيل كزرع ، أخرج شطئه ؛ فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه ﴾ وبين أن العبادة هى بمعنى الخضوع للقانون ، فى قوله : ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ، وقومهما لنا عابدون ؟ ﴾ أى خاضعون لنظمنا وعاداتنا وقوانين بلادنا . لا أننا آلهة . نعبد من دون الله . وفى التوراة هذا المعنى وهو : « اسكنوا الأرض، وتعبدوا لملك بابل؛ فيكون لكم خير » [٢ مل ٢٥ : ٢٤] أى اخضعوا كخضوع الأسرى ، لآسريهم .

* * *

ويجب على قضاة العالم محاكمة النصارى بتهمة السرقة . وذلك لأنهم سرقوا من التوراة وأسفار الأنبياء ما ليس لهم ، سرقوا النبوءات التى تدل على محمد ﷺ من التوراة وأسفار الأنبياء . ووضعوها على عيسي عليه السلام وأسسوا بها ديانة . أضلوا بها كثيرين من خلق الله . وأدلة الاتهام : موجودة فى كتبهم . وهى نصوص النبوءات ، وتأويلاتهم للنبوءات تأويلا فاسدا .

وهأنذا أذكر من كل إنجيل ورسالة ؛ ما سرقوه ، وما ضللوا به . وإذا لم يتضح شرحنا فى موضع؛فإنه سيتضح فى شرح موضع مماثل له. وقد يكون الإيضاح فى كتاب غير هذا . وعلى من يكتب من بعدى فى هذا الموضوع : أن يجعل لكل إنجيل كتابا. ويسميه اقتباس كاتب إنجيل متى من التوراة وأسفار الأنبياء ،أو شواهد كاتب إنجيل متى من التوراة وأسفار الأنبياء . وهكذا فى كل إنجيل ورسالة . ولا يخجل من تكرير الكلام؛فإنهم وضعوا الأناجيل المتشابهة؛ لتحير الناس فى المعنى .

وهذا الموضوع له فوائد كثيرة منها :

١ ـ إثبات أن محمدا ﷺ مكتوب عنه فى التوراة وفى الإنجيل .

٢ ـ إثبات التحريف فى كتبهم المقدسة. إما تحريف التوراة،وإما تحريف الإنجيل

٣ ـ إثبات أن تأويلاتهم للنصوص هى على حد ﴿ لا تقربوا الصلاة ﴾ ولا يذكرون ﴿وأنتم سكارى ﴾

والله أسال أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

٢٣ رمضان ١٤١٤   ٥ مارس ١٩٩٤

د. أحمد حجازي أحمد السقا

الحائز على درجة الدكتوراه ، من كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر فى موضوع « البشارة بنبى الإسلام فى التوراة ، والإنجيل »

الاقتباسات

فى

إنجيـــل متـــى

لاحظ أولا :

أن إنجيل متى ومَرقس ولوقا ، هم كإنجيل واحد . وذلك لأن موضوعات ، أى واحد فيهم ؛ هى موضوعات الآخر . ويقابلهم إنجيل يوحنا . ويجمع موضوعات من الكل بغير ترتيب ؛ إنجيل بَرنابا .والاقتباسات التى ستظهر عند متى ، هى نفسها التى ستظهر عندمرقس ولوقا . بزيادة فى العدد أو نقص قليل .

وأقوال المسيح عيسى عليه السلام فيهم تُركز على الدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات الذى تنبأت عنه التوراة بعد زوال مملكة أهل الروم ، المرموز إليه بالحيوان الرابع فى الأصحاح السابع عند النبى المعظم دانيال . ونبى ملكوت السموات هو المرموز إليه بالحجر ، فى الأصحاح الثانى من سفر دانيال . وقد ذكرنا النص عن الحيوانات الأربعة . والآن نذكر النص عن الحجر الذى قُطع من جبل بغير يدين . وهو فى حلم ليل ، رآه الملك « نبوخذ نصّر » ملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م وطلب من علماء قومه تفسيره ، فلم يعرفوا .وكان بنو إسرائيل فى ذاك الزمان ، خاضعين لمملكة « بابل » وكان النبى دانيـال فيها مع بعض الأسـرى.وكان لـه اسـم آخر، هو « بلطشاصر » وأدخله «أريوخ» على الملك ؛ ليفسر له الحلم .

الاقتباس الأول :

الحجر المقطوع من جبل بغير يدين

نص التوراة :

«حينئذ دخل أريوخ بدانيال، إلى قدام الملك مسرعا، وقال له هكذا: قد وجدت رجلا من بنى سبى يهوذا،الذى يعرّف الملك بالتعبير. أجاب الملك،وقال لدانيال ـ الذى اسمه بلطشاصرـ :هل تستطيع أنت على أن تعرفنى بالحلم الذى رأيت ، وبتعبيره ؟

أجاب دانيال قدام الملك، وقال:السر الذى طلبه الملك ، لا تقدر الحكماء ، ولا السحرة ، ولا المجوس، ولا المنجمون ، على أن يبينوه للملك.لكن يوجد إله فى السموات كاشف الأسرار. وقد عرف الملك نَبُوخَذْ نصَّر،ما يكون فى الأيام الأخيرة.

حلمك ، ورؤى رأسك على فراشك . هو هذا :

أنت يا أيها الملك أفكارك على فراشك ، صعدت إلى ما يكون من بعد هذا . وكاشف الأسرار . يعرفك بما يكون . أما أنا فلم يكشف لى هذا السر ، لحكمة فىّ أكثر من كل الأحياء . ولكن لكى يعرف الملك بالتعبير ، ولكى تعلم أفكار قلبك .

أنت أيها الملك كنت تنظر ، وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهى جدا ؛ وقف قبالتك . ومنظره هائل . رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وذراعاه من فضة . بطنه وفخذاه من نحاس ، ساقاه من حديد . قدماه ؛ بعضهما من حديد ، والبعض من خزف . كنت تنظر ، إلى أن قطع حجر بغير يدين ؛ فضرب التمثال على قدميه ، اللتين من حديد وخزف ؛ فسحقهما ؛ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف ؛ فحملتها الريح ، فلم يوجد لها مكان ، أما الحجر الذى ضرب التمثال ؛ فصار جبلا كبيرا ، وملأ الأرض كلها .

هذا هو الحلم . فنخبر بتعبيره قدام الملك :

أنت أيها الملك . ملك ملوك ؛ لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا . وحيثما يسكن بنو البشر . ووحوش البر ، وطيور السماء ؛ دفعها ليدك ، وسلطك عليها جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب .

وبعدك تقوم مملكة أخرى ، أصغر منك ، ومملكة ثالثة أخرى ، من نحاس ؛ فتتسلط على كل الأرض . وتكون مملكة رابعة صلبة ، كالحديد ؛ لأن الحديد يدق ويسحق كل شىء . وكالحديد الذى يكسر ؛ تسحق وتكسر كل هؤلاء . وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار ، والبعض من حديد؛ فالمملكة تكون منقسمة، ويكون فيها قوة الحديد، من حيث إنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين.

وأصابع القدمين بعضها من حديد ، والبعض من خزف . فبعض المملكة يكون قويا ، والبعض قصما . وبما رأيتَ الحديد مختلطا بخزف الطين ؛ فإنهم يختلطون بنسل الناس ، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك ، كما أن الحديد لايختلط بالخزف .

وفى أيام هؤلاء الملوك ؛ يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا . وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق ، وتفنى كل هذه الممالك ، وهى تثبت إلى الأبد ؛ لأنك رأيت : أنه قد قطع حجر ، من جبل ، لا بيدين ، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب .

الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتى بعد هذا . الحلم حق ، وتعبيره يقين » [دانيال ٢ : ٢٥ ـ ٤٥]

لاحظ :

أنه يتكلم عن ممالك تقوم ، وممالك تفنى . ومملكة بابل هى المرموز إليها برأس التمثال . وهى المملكة الأولى . وبعدها تقوم مملكة فارس . وهى المملكة الثانية . وبعدها تقوم مملكة اليونان . وهى المملكة الثالثة . وبعدها تقوم مملكة الرومان . وهى المملكة الرابعة. وبعد الرابعة: ذكر مملكة تقوم على الأرض. ليست كالممالك السابقة التى تقوم على قوانين البشر، وعبادة الأصنام. وإنما تقوم على شريعة من الله العلى، إله السموات . ويبلغها إلى الناس إنسان مثلهم . يكون هو المؤسس للمملكة ؛ لأنه هو الذى يدعو الناس إليها ، ويحارب أعداءه من أجلها ، ويمكّن لأتباعه فيها ، وهذه المملكة تبقى إلى يوم القيامة .

ولم يذكر النبى دانيال اسم النبى الذى يصطفيه الله لتأسيس هذه المملكة . ولا البلد الذى سيخرج منه . ولا الشعب الذى سيكون منه. ومن أجل ذلك أرسل الله المسيح عيسى عليه السلام ليفسر كلام دانيال على محمد ﷺ فبماذا فسّر ؟

١ ـ بين لبنى إسرائيل أنه قد اقترب . وعلامة اقترابه : هى أنهم يعيشون فى زمان المملكة الرابعة .

٢ ـ بين لبنى إسرائيل أنه سيأتى فى نسل إسماعيل عليه السلام لأن له بركة ؛ ولأنهم هم أنفسهم ، فى ملكوت السموات الذى أسسه لهم موسى عليه السلام .

٣ ـ شرح حقيقة الملكوت بالأمثال .

٤ ـ حث علماء بنى إسرائيل على الدعوة إليه ، وأخذ العهد والميثاق على الحواريين بالدعوة إليه . وابتدأ يشرح مجىء الملكوت ، فقال :

نص الإنجيل :

« طوبى للمساكين بالروح [(١)] ؛ لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للحزانى ؛ لأنهم يتعزّون . طوبى للودعاء ؛ لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء؛ لأنهم يرحمون. طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام ؛ لأنهم أبناء الله يُدعوْن ، طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى؛ كاذبين. افرحوا وتهللوا؛ لأن أجركم عظيم فى السموات؛ فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم. . إلخ. . »

---

(١) راجع التقديم لإنجيل يعقوب ـ نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

يريد أن يقول: إن علماء بنى إسرائيل استكبروا على خلق الله وأذلوهم، وأن علماء صاحب الملكوت سيكونون متواضعين مع الخلق وسيرحم بعضهم بعضا.

وروى متى عن يحيى عليه السلام كما روى عن عيسى عليه السلام فقال: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» ـ «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكْرِز، ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» وقد قال داود عليه السلام فى سفر الزبور: إن الملكوت لله أى لسيادة شريعته على الأرض «لأن للرب الملك وهو المتسلط على الأمم» [مز٢٢:٢٨] «الرب فى السموات. ثبت كرسيه ومملكته على الكل تسود» [مز ١٠٣:١٩] «بمجد ملكك؛ ينطقون، وبجبروتك يتكلمون؛ ليعرفوا بنى آدم قدرتك، ومجد جلال ملكك. ملكك؛ ملك كل الدهور، وسلطانك فى كل دور فدور » [مز ١٤٥: ١١ ـ ١٣]

وعلى ذلك يكون الاقتباس صحيحا. وهو يدل على بدء مملكة بركة إسماعيل وشريعتهم.

الاقتباس الثاني :

يقول متى : إن ملاك الله تراءى ليوسف النجار ،خطيب مريم العذراء ، وقال له : إنها حبلى من الروح القدس .

نص الإنجيل :

« وستلد ابنا ؛ فسمه يسوع ؛ لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم . وكان هذا كله ؛ ليتم ما قال الرب على لسان النبى : « ها إن العذراء تحمل ، فتلد ابنا ،يسمونه عمّانوئيل» أى: الله معنا » [متى ١ : ٢١ ـ ٢٣]

نص التوراة :

« ها العذراء تحبل وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عمانوئيل » [إش ٧ : ١٤]

البيــان :

من أوصاف النبى المنتظر فى التوراة : أن يحارب أعداء الله ، ويخلص المؤمنين به من شرهم ، ويملك على بلادهم . ومحرف الإنجيل يريد أن يطبق هذه الصفة على يسوع . بمعنى تخليص المؤمنين به من الخطايا والذنوب . وبذلك يجعل ملكوت السموات ؛ ملكوت يسوع . لا ملكوت محمد ﷺ .

فلننظر فى صفة الخلاص . تجدها فى التوراة وفى الإنجيل بمعنى التخليص من الأعداء بالحرب . فقد قال لوقا : « كما قال بلسان أنبيائه الأطهار فى الزمن القديم : «يخلصنا من أعدائنا ، وأيدى جميع مبغضينا » [لو ١ : ٦٨ـ ٧١]

ويقول داود عن النبى الآتى : « وأسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مبغضيه. أما أمانتى ورحمتى ، فمعه . وباسمى ينتصب قرنه ، وأجعل على البحر يده ، وعلى الأنهار يمينه » [مز ٨٩ : ٢٥]

هذا عن صفة الخلاص . وأما عن « العذراء »

فإن « العذراء » مترجمة عن الكلمة العبرانية « علمه » ومعناها : الامرأة الشابة. سواء كانت بكرا أو ثيبا (١) . والنص يدل ، فى سفر إشعياء ، على حادثة تمت فى زمان إشعياء . وهى أن « آحاز » ينتصر على أعدائه فى مدة قليلة . هى من حين ولادة صبى ، إلى أن يعرف الصبى الخير والشر . ونصه : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها العذراء تحبل وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عمانوئيل . زبدا وعسلا يأكل . متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير ؛ لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ، ويختار الخير ، تخلى الأرض التى أنت خاش من مليكها »

ونص التوراة مختلف عن نظيره فى الإنجيل فإن «يسمونه » غير « تدعو اسمه » و « أى الله معنا » زائدة عند متى . وهذا الاختلاف يبطل قولهم : إن الروح القدس عصم الكتّاب من الخطأ .

الاقتباس الثالث :

قال متى : إن مجوسا فى أيام الملك هيرودس جاءوا إلى « أورشليم » حال ولادة يسوع من العذراء وقالوا : أين ملك اليهود ؛ لنسجد له ؟ ولما بلغ هيرودس خبرهم، استفسر من علماء بنى إسرائيل عن المكان الذى سيولد فيه النبى الأمى الآتى إلى العالم [تث ١٨] فقالوا له: فى « بيت لحم » وذلك لأن التوراة تنبأت عن ولادته فى بيت لحم، التى فى أرض فلسطين، وفى سبط أرض يهوذا. وقالت: إنه سيكون ملكا، وسيخلص المؤمنين به، من أيدى ملوك الكفر، والشرك وعباد الأوثان والأصنام . ذلك هو قولهم.

---

(١) كتاب أقانيم النصارى ـ نشر دار الأنصار بمصر وكتاب إظهار الحق لرحمت الله الهندى .

نص الإنجيل :

« واستخبرهم : أين يولد المسيح[1] ؟ فقالوا له : فى بيت لحم اليهودية . فقد أوحى إلى النبى ، فكتب : « وأنت يابيت لحم ، أرض يهوذا . لست أصغر ولايات يهوذا ، فمنك يخرج الوالى ، الذى يرعى شعبى إسرائيل » [مت ٢ : ٤ ـ ٦]

نص التوراة :

« أما أنت يا بيت لحم ، أفراتة ، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل » [ميخا ٥ : ٢]

الـــرد عليه :

أ ـ يقول السامريون : إن النبى المنتظر سيخرج من سبط يوسف ، ويقول العبرانيـــون : إنه سيخرج من سبط يهوذا . ونصـــوص التـوراة تبين أنه سيخرج من « فاران » موطن سكن بنى إسماعيل عليه السلام .

ب ـ وأخطأ متى فى قوله : إن ولادة يسوع كانت فى أيام هيرودس . وهو قد ولد حوالى السنة الثالثة والسبعين ، قبل عيسى المسيح . وتوفى فى السنة الربعة قبل الميلاد . فكيف يكون مولودا فى أيامه[2]؟

ج ـ نبوءات التوراة تبين أنه لن يكون من بنى إسرائيل . فقد قال يعقوب عليه السلام : إن الملك لن يزول من أبنائه حتى يأتى شيلون . وله تخضع الشعوب . وقال داود : إن النبى الآتى سيده . أى لن يكون من اليهود .

د ـ إن المسيح عيسى عليه السلام لم يكن ملكا ؛ لقوله : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله »

هـ ـ وملكوت السموات الذى أنبأ عنه دانيال ، وكتب عنه متى ؛ هو ملكوت لا يقوم إلا بعد زوال دولة الرومان . ودولة الرومان قد احتلت أورشليم سنة ثلاث وستين قبل الميلاد . وقال دانيال فى الأصحاح التاسع من سفره ، ونقل قوله متى : إن مجيء تأسيس الملكـــوت سيتم بعـــد سبعين أسبوعا . وعبّر عن تدميـر « هيكل سليمان » برجسة الخراب

---

(١) يقصد النبى الأمـــى الآتى إلى العالـــم على مثال صاحـب التوراة ، وهم يلقبونه بلقب « المسيح » وبلقب « المَسِيّا » وبلقب « ابن الله » . . . الخ وهو محمد ﷺ.

(٢) ص ٣٨ العهد الجديد طبعة دار المشرق ببيروت ـ هامش .

. والسبعون أسبوعا هم أربعمائة وتسعين سنة [1]. وغرض المحرفين من الاقتباس : هو تأييد وجهة نظر العبرانيين فى زعمهم : أن النبى الآتى سيكون منهم . لا من بنى إسماعيل . وعلى هذا تكون نبوءة المجوس باطلة .

الاقتباس الرابع :

يقول متى : إن المجوس لما انصرفوا من « فلسطين » هربت مريم بابنها مع يوسف النجار إلى « مصر » لئلا يقتله هيرودس ، وأقاموا بها إلى وفاة هيرودس .

نص الإنجيل :

« فقام وأخذ الطفل وأمه ليلا، ولجأ إلى مصر. فأقام هناك إلى وفاة هيرودس؛ ليتم ما قال الرب على لسان النبى: « من مصر دعوت ابنى » [مت ٢: ١٤ ـ ١٥]

نص التوراة :

يقول هوشع على لسان الله تعالى : « لما كان إسرائيل غلاما أحببته، ومن مصر دعوت ابنى . كل ما دعوهم ، ذهبوا من أمامهم ، يذبحون للبعليم ، ويبخّرون للتماثيل المنحوتة » [هو ١١ : ١ ـ ٢]

الــرد عليه :

أ ـ إنه يقول : فأقام هناك إلى وفاة هيرودس . ومفسرو الإنجيل يقولون : إن هيرودس قد مات من قبل أن يولد .

ب ـ إن هوشع يقول عن بنى إسرائيل كلهم : إن الله دعاهم وأخرجهم من مصر مع موسى عليه السلام وقد جاء فى ترجمة[2] : « ومن مصر دعوت أبناءه » وباقى النص يتحدث عنهم بصيغة الجمع . وهو أنهم تركوا الله وعبدوا التماثيل ، وذبحوا للبعل . فلماذا يحرفون فى الترجمة ؟

ج ـ وقد قال لوقا : إن المسيح كان فى هيكل سليمان فى « أورشليم » يطلب العلم من صغره . وكان العلماء يعجبون من فهمه وأجوبته . [لو ٢: ٦:٤]

وغرض المحرفين من هذا الاقتباس: هو إثبات أن عيسى هو النبى الآتى على مثال موسى . وذلك لأن موسى خرج ببنى إسرائيل من مصر، وأسس ملكوت الله بالتوراة. وهم يريدون أن يقولوا : إن عيسى خرج من مصر، وأسس ملكوت الله بالإنجيل.

(١) البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل ج ١ طبعة دار البيان العربى بالقاهرة ـ خلف جامع الأزهر .

(٢) فى إظهار الحق. الترجمة: دعوت أبناءه .

الاقتباس الخامس :

نص الإنجيل :

« فلما رأى هيرودس أن المجوس سخروا منه ، استشاط غضبا ، وأرسل فقتل كل طفل فى بيت لحم وجميع أراضيها ، من ابن سنتين فما دون ذلك ، بحسب الوقت الذى تحققه من المجوس . فتم ما قال الرب على لسان النبى إرمياء : « صوت سمع فى الرامة . بكاء ونحيب شديد. راحيل تبكى على بنيها. وقد أبت أن تتعزى؛ لأنهم زالوا عن الوجود»

نص التوراة :

« هكذا قال الرب. صوت سمع فى الرامة، نوح. بكاء مر. راحيل تبكى على أولادها، وتأبى أن تتعزى عن أولادها ؛ لأنهم ليسوا بموجودين » [إرمياء ٣١:١٥]

الـــرد عليه :

إن راحيل هم أم يوسف عليه السلام . وهو يرمز بها إلى اليهود السامريين ، الذين كانوا فى السبى بعيدا عن « فلسطين » ثم يقول إرمياء : إنهم رجعوا من السبى «هكذا قال الرب : امنعى صوتك عن البكاء ، وعينيك عن الدموع . . فيرجع الأبناء إلى تخمهم »

ووجه الشبه غير حاصل فى الاقتباس. وذلك لأن الأسارى رجعوا . والأطفال المقتولين ـ كما يقول ـ لم يرجعوا إلى الحياة . ولأن « راحيل » رمز للسامريين . والأطفال لم يكونوا منهم ، بل كانوا ـ على حد قوله ـ من العبرانيين .

وكيف يقتلهم هيرودس وهو ميت من قبلهم ؟

وغرض المحرف من هذا الاقتباس : هو إثبات أن عيسى هو النبى الآتى على مثال موسى . وذلك لأن فرعون مصر ، كان يقتل الذكور من بنى إسرائيل . وجاء موسى فخلصهم من الأذى . وهذا هو هيرودس يقتل منهم كما قتل فرعون . وجاء عيسى ليخلصهم من الأذى . فهو يربط بين النبى الأول وهو موسى ، والنبى المنتظر ـ فى نظره ـ وهو يسوع . ولكن النصوص لا تشهد له ، والواقع يكذبه .

الاقتباس السادس :

يقول المحرفون : إنه بعد موت هيرودس ، ملك ابنه « أرخلاوس » من بعده . وأن ملاك الله تراءى فى الحلم ليوسف النجار وهو فى مصر ، وقال له : عد إلى أرض إسرائيل . فعاد إلى أرض إسرائيل . وخاف أن يعيش فى أرض العبرانيين ، وهى أورشليم وما

حولها ، فعاش فى أرض السامريين . وهى منطقة الجليل .

نص الإنجيل :

« وجاء مدينة يقال لها: الناصرة، فسكن فيها ؛ ليتم ما قيل على لسان الأنبياء: إنه يدعى ناصريا » [مت : ٢٣]

نص التوراة :

يقول مفسرو الإنجيل: «إنه يدعي ناصريا » مفقود من التوراة . ويقول المعلقون على ترجمة دار المشرق : « يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النص الذى يستند إليه متّى»

كيفية إثبات تحريف التوراة وتحريف الإنجيل :

قوله : إن فى التوراة نبوءة عن أنه سيدعى ناصريا . وهى ليست فى التوراة . يلزم منه :

١ ـ إما أن كاتب الإنجيل يكذب

٢ ـ وإما أنه كان صادقا ، وقت الكتابة. وعلماء اليهود هم الذين حذفوا النص من التوراة ، بعدما نقله . وأياما كان المعنى ؛ فإن التحريف قد تم ووقع . وهذا هو المراد إثباته .

خطأ الاقتباس :

ثم نقول: إن غرض المحرف من هذا الاقتباس: هو إثبات مماثلة عيسى بموسى؛ ليظهر للعالم أنه هو النبى الآتى على مثاله . لا محمد رسول الله ﷺ وذلك لأن موسى كان فى مصر ، وهرب من وجه فرعون إلى أرض مدين[خر ٤ : ١٩] وهو يريد المماثلة بقوله : إن عيسى كان فى مصر ، وهرب من وجه « أرخلاوس » إلى « الناصرة » ولماذا قال : إن منطقة تبشيره كانت هى « الجليل » ؟ هذا سؤال من الأهمية بمكان عظيم . وذلك لأن مدن الجليل هى مدن اليهود السامريين . وهو من اليهود العبرانيين سكان أرض أورشليم . ويوجد عداء شديد بين الطائفتين . ويقول العبرانيون : إن السامريين كفار . فلماذا قال : إن منطقة تبشيره كانت فى مدن الجليل؟ إنه قال بذلك ؛ ليربط بينه وبين موسى ؛ فإن موسى لما خرج من مصر ، عاش بين الكفار فى سيناء ، ودعاهم إلى الله ، ورغّبهم فيه . وها هو ـ على رأى المحرفين ـ يعيش بين الكفار فى الجليل ؛ ليبشر ويعظ . وفاته : أن يوحنا ذكر فى إنجيله : أن منطقة تبشيره كانت هى اليهودية أرض العبرانيين. وأنه بشر أيضا فى مدن السامريين، كما ذكر متى وذكر متى أن منطقة تبشيره كانت فى

الجليل ، وأنه بشر أيضا فى مدن العبرانيين . وفاته : أن موسى عاش بينهم وحاربهم . وعيسى كان يقول : « أعطوا ما لقيصر ؛ لقيصر ، وما لله ؛ لله »

الاقتباس السابع :

نص الإنجيل :

«فى تلك الأيام؛ ظهر يوحنا المعمدان ينادى فى برية اليهودية. فيقول : توبوا، قد اقترب ملكوت السموات ؛ فهو الذى عناه النبى إشعياء بقوله : « صوت مناد فى البرية : أعدوا طريق الرب ، واجعلوا سبله قويمة » [مت ٣ : ١ - ٣]

يريد أن يقول : إن يحيى عليه السلام كان يطوف مدن بلاد اليهود العبرانيين . وهى تقع بين سلسلة الجبال الممتدة من أورشليم إلى حَبرون - مدينة الخليل - والبحر الميت ، أو الأردن السفلى . ويقول: توبوا . ومعناه : تغيير فى العقلية ، أى: لا تكذبوا على الله وتقولوا : إن النبى المنتظر سيأتى من بنى إسرائيل . فإن لإسماعيل بركة . ويقول : قد اقترب منكم ملكوت الله .وأنا لست صاحبه ، ولا يسوع هو صاحبه . وإنما أنا أصرخ فى البلاد ؛ ليستعدوا للدخول فيه إذا ما جاء . وكذلك يسوع . وكذلك كل العلماء من أيام النبى إشعياء إلى هذا اليوم . والاقتباس صحيح . ولكن « بولوس » سيحرف معناه فى رسائله .

وقول إشعياء : « صوت مناد فى البَرِّيَة . . . » هو هذا :

نص التوراة :

«عَزُّوا . عزوا شعبى . يقول إلهكم . طيبوا قلب أورشليم ، ونادوها بأن جهادها قد كمل . . . صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب . قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيما ، والعراقيب سهلا ؛ فيعلن مجد الرب ، ويراه كل بشر جميعا ؛ لأن فم الرب تكلم . صوت قائل ناد . فقال : بماذا أنادى ؟ كل جسد ؛ عشب ، وكل جماله ؛ كزهر الحقل . يبس العشب ، ذبل الزهر ؛ لأن نفخة الرب هبت عليه . حقا الشعب؛ عشب . يبس العشب ، ذبل الزهر . وأما كلمة إلهنا ؛ فتثبت إلى الأبد . . . الخ » [إش ٤٠ -]

والنبى إشعياء يتحدث عن أمتين . أمة بنى إسرائيل التى أكملت جهادها فى سبيل الله ، وغفر لها ما قصرت فيه. والأمة الآتية التى ستخلفها فى السير أمام الله. وإشعياء يقول : مهدوا طريق رسول الرب الآتى ، ووصف مجيئه بالقوة . فقال : إنه سيحارب

أعداءه وسينتصر عليهم. وقال : إن البشر مثل العشب . كلهم إلى زوال . أما كلمة الله ـ وهى وعده بمجيء النبى المماثل لموسى(1) ـ فإنها ستثبت إلى الأبد . . الخ . وعبر يوحنا عن كلمة الوعد، بقوله : «فى البدء كان الكلمة » أي كان الوعد بمحمد ﷺ فى سفر إشعياء .

ونص التوراة هذا كله قد طبقه المسيح عيسى عليه السلام على محمد ﷺ وعكس كلامه فيه «بولوس» فى رسائله . وسيأتى البيان .

الاقتباس الثامن :

نص الإنجيل :

قال المعمدان لبنى إسرائيل : « أنا أعمدكم فى الماء من أجل التوبة . وأما الذى يأتى بعدى ؛ فهو أقوى منى . من لست أهلا لأن أخلع نعليه . إنه سيعمدكم فى الروح القدس، والنار . بيده المذرى . ينقى بيدره ، فيجمع قمحه فى الأهراء ، وأما التبن ، فيحرقه بنار لا تطفأ » [مت ٣ : ١١ ـ ١٢]

البيــان :

الآتى بعد المعمـدان هو النبى محمـد ﷺ وذلك لأنه هو ويسوع أ ـ دعوتهما واحدة . ب ـ وهما من بنى إسرائيل . ج ـ ولم يكن أى واحد منهما ملكا على بني إسرائيل. د ـ ولم يحاربا الأعداء، ولم ينتصرا فى الحرب عليهم. هـ ـ فضلا عن ذلك. فإن وفاة هيرودس كانت قبل ميلاد عيسى عليه السلام بأربع سنوات ـ كما قال مفسرو الإنجيل ـ وهم يقولون : إن يوحنا أكبر منه بستة أشهر . ويقول إيريناوس: إن يسوع كان له خمسون سنة وهو يحاور اليهود . فتكون البعدية مشكوكا فيها. ويقولون : إن دعوتهما واحدة وهى « اقتراب الملكوت » فكيف يكون من بعده، وهو معه ؟ والشك فى التواريخ حاصل .

ثم إنه وصف الآتى من بعده بأوصاف الملك المحارب المنتصر على أعدائه . فقال: «هو أقوى منى» وفى مزامير سليمان يوصف النبى الآتى بالقوة . وترمز النار إلى الحرب . ففى سفر ملاخى عن النبى الآتى : « ومن يحتمل يوم مجيئه ؟ ومن يثبت عند ظهوره ؟ لأنه مثل نار الممحص ، ومثل أشنان القصار » [ملا ٣ : ٢] والحصاد يرمز إلى هلاك الكفار فى أيام النبى الآتى [يوئيل ٤ : ١٢ ـ ١٣ وإش ٢٧ : ١٢-١٣]

وقد روى متى فى مثل زوان الحقل ـ وهو من أمثلة ملكوت السموات ـ عن عيسى عليه السلام قوله : « دعوهما ينميان كلاهما معا إلى الحصاد . وفى وقت الحصاد أقول

(1) « يقيم لك الرب إلهك : نبيا . . . » [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

للحاصدين : اجمعوا أولا الزوان ، واحزموه حزما ؛ ليحرق . وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى » [مت ١٣ : ٣٠] يرمز إلى أن النبى الآتى سيحارب أعداءه ، وسيهلك الكافرين ، وسيضم المؤمنين إلى حزبه .

فهذا الاقتباس منطبق على نبى الإسلام ، لا على عيسى عليه السلام.

الاقتباس التاسع :

يقول المحرف : إن يسوع لما اعتمد من يوحنا ، رأى روح الله يهبط عليه كأنه حمامة . وسمع صوتا من السماء يقول : « هذا هو ابنى الحبيب الذى عنه رضيت » [مت ٣ : ١٧]

الاقتباس من التوراة: هو ١ ـ المزمور الثانى ٢ ـ وإشعياء ٤٢ .

البيـــان :

إن هذا الموضع مقحم فى الإنجيل لغرض القول بأن يسوع هو « ابن الله » الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى . وهو لقب لمحمد ﷺ بحسب لسانهم . وذلك لأن الآيات التى قبله تبين : أن يسوع لما اعتمد من يوحنا . قال ليوحنا : « هكذا يحسن بنا أن نتم كل برّ » [مت ٣ : ١٥] أى: أنه هو والمعمدان يتعاونان معا، على هدف واحد هو إتمام كل بر . وتدل كلمة البر فى إنجيل متى على الأمانة للدعوة الجديدة . وهى الدعوة إلى ملكوت السموات. فإنه هو قد روى : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر . . لأن لهم ملكوت السموات » ـ « فإنى أقول لكم : إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين ، لن تدخلوا ملكوت السمـوات » ـ « طوبى للمطرودين من أجل البر ؛ لأن لهم ملكوت السموات » [متى ٥ : ٦ ـ] فكيف يقول بعد ذلك : إن عيسى هو صاحب الملكوت ، الملقب بابن الله ؟ هذا تناقض ، ثم إن الذى أقحمه . لم يقحم نبوءة واحدة ، وإنما أدمج نبوءتين ، فى نص واحد . ثم أقحم النص فى الإنجيل . إنه دمج المزمور الثانى ، مع نص إشعياء ٤٢ :١ وهو « حبيبى الذى سرت به نفسى » ليظهر أن عيسى هو النبى الآتى . وقد سبق أن تكلمنا فى نبوءة المزمور الثانى . وأما نبوءة إشعياء فهى هذه : «هو ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرّت به نفسى. وضعت روحى عليه . فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء . إلى الأمان يخرج الحق . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته . . » وسوف يذكرها المحرف فيما بعد .

الاقتباس العاشر :

نص الإنجيل :

«ثم سار الروح بيسوع إلى البرية ؛ ليجربه إبليس . فصام أربعين يوما وأربعين ليلة ، حتى جاع . فدنا منه المجرب ، وقال له : إن كنت ابن الله ، فمر أن تصير هذه الحجارة أرغفة، فأجابه: مكتوب : « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » فمضى به إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأقامه على شرفة الهيكل ، وقال له : إن كنت ابن الله ، فألق بنفسك إلى الأسفل ؛ لأنه مكتوب: «يوصى ملائكته بك . فعلى أيديهم يحملونك ؛ لئلا تصدم بحجر رجلك» فقال له يسوع : مكتوب أيضا : « لا تجربن الرب إلهك » ثم مضى به إبليس إلى جبل عال، وأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها، وقال له : أعطيك هذا كله إن جثوت لى ساجدا. فقال له يسوع : اذهب ياشيطان ؛ لأنه مكتوب: «للرب إلهك تسجد . وإياه وحده تعبد » ثم تركه إبليس،وإذا بملائكة[1] قد دنوا منه، وأخذوا يخدمونه» [مت٤ :١-١١]

لاحظ :

١ ـ أن المسيح صام أربعين يوماً ، وأربعين ليلة . فلماذا ؟ يريد المحرف أن يقول : إن النبى موسى من قبل أن يتلقى التوراة فى جبل سيناء من الله ؛ صام أربعين ليلة [خر ٢٤ : ١٨] وموسى وعد بنبى يأتى على مثاله . ليملك على العالم ، ويقرّ شريعة إلهية . وأن هذا النبى الآتى هو يسوع . هذا هو هدفه من نسبة الصيام إلى يسوع المسيح ؛ ليشبهه بموسى .

٢ ـ ولقب « ابن الله » لقب للنبى الآتى فى المزمور الثانى لداود . والمحرف يريد أن يطبقه على يسوع. بقوله : بما أنك ابن الله . أى « المَسِيّا الرئيس » ومن صفاته أن يستجيب الله دعاءه ، فادع لنا ربك ليصير هذه الحجارة ، أرغفة ؛ لنؤمن بك ﴿ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ؛ فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ﴾ فامتنع. مبينا ؛ أن الإنسان يحيا بالخبز، ويحيا بالشريعة. واقتبس من سفر التوراة :« ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » [تث ٨ : ٣]

٣ ـ وفى التوراة من صفات النبى الآتى : أن يحارب أعداءه وينتصر عليهم . فقال له : لأنك معصوم من القتل بقوة الله ، فألق بنفسك على الأرض ؛ لتتأكد من أنك النبى

---

(١) وإذا بملائكة قد دنوا منه، وأخذوا يخدمونه. هذا القول مشروح فى إنجيل يعقوب ـ التقديم والتعليق ـ

الآتى . فإنه مكتوب عنه فى التوراة : « يوصى ملائكته بك . فعلى أيديهم يحملونك ؛ لئلا تصدم بحجر رجلك » [مز ٩١ : ١١ ـ ١٢]

فامتنع من إلقاء نفسه ، وقال : إنه مكتوب فى التوراة : « لا تجربن الرب إلهك » [مز ٧٨ : ١٨]

٤ ـ وفى النهاية قال الشيطان له : أطعنى ، وأنا أعطيك ممالك الدنيا . ورد عليه بقوله : إنه مكتوب فى التوراة : « للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » [تث ٦ : ١٣]

ولاحظ :

أن المزمور الحادى والتسعين هو نبوءة عن النبى الأمى المماثل لموسى ، والمحرف يريد أن يجعله يسوع ، لا محمد ﷺ ونصه :

« الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير ؛ يبيت . أقول : للرب ملجأى ، وحصنى إلهى ؛ فأتكل عليه ؛ لأنه ينجيك من فخ الصياد ، ومن الوبأ الخطر . بخوافيه يظللك ، وتحت أجنحته تحتمى . ترس ومجن حقه . لا تخشى من خوف الليل ، ولا من سهم يطير فى النهار ، ولا من وبأ يسلك فى الدجى ، ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة . يسقط عن جانبك ألف ، وربوات عن يمينك . إليك لا يقرب . إنما بعينيك تنظر ، وترى مجازاة الأشرار .

لأنك قلت : أنت يا رب ملجأى . جعلت العلى مسكنك. لا يلاقيك شر ، ولا تدنو ضربة من خيمتك ؛ **لأنه يوصى ملائكته بك**؛ لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك ؛ لئلا تصدم بحجر رجلك . على الأسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس ؛ لأنه تعلق بى . أنجيه . أرفعه ؛ لأنه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له. معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه ، وأريه خلاصى » [مز ٩١]

يقول النبى الآتى بظهر الغيب : إنى متوكل على الله ، ولذلك سينجينى من كل شر . وسيوصى ملائكته بأن يحفظونى . وسأنتصر على أعدائى ولو كانوا فى غاية القوة . وسأدعو الله فيستجيب لى . وستكون أيام مُلْكى أيام خير وبركة .

فهل هذا ينطبق على عيسى عليه السلام ؟ هل حارب أعدائه ، وأسقط منهم ألوف وجماعات على الأرض قتلى ؟

الاقتباس الحادى عشر :

نص الإنجيل :

« وبلغ يسوع خبر اعتقال يوحنا ؛ فلجأ إلى الجليل ، ثم ترك الناصرة ، وجاء إلى كفر ناحوم ، على شاطىء البحر ، فى بلاد زبولون ونفتالى . فسكن فيها ؛ ليتم ما قيل على لسان النبى إشعياء : « أرض زبولون ، وأرض نفتالى . طريق البحر ، عبر الأردن ، جليل الأمم . الشعب المقيم فى الظلمة ؛ أبصر نورا عظيما ، والمقيمون فى بقعة الموت وظلاله ؛ أشرق عليهم النور . وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادى، فيقول : توبوا . قد اقترب ملكوت السموات » [مت ٤ : ١٢ ـ ١٧]

البيـان :

من صفات النبى الأمى الآتى إلى العالم : أن تكون شريعته عالمية لجميع الأمم والشعوب، وأن يملك على بلاد الكفار؛ ليلزمهم بالشريعة. وذلك واضح من المزمور الثانى والسبعين ، فإن فيه « ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض . أمامه تجثو أهل البرية ، وأعداؤه يلحسون التراب » ـ « ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له» ـ « ويصلى لأجله دائما . اليوم كله يباركه »

وبنو إسرائيل كانوا طائفتين هما: يهود أورشليم، ويهود نابلس. ويهود أورشليم كانوا سبطى يهوذا وبنيامين . ويلقبون بالعبرانيين . ويعظمون النبى داود ، وجبل صهيون ، ويقولون إن « أورشليم » مدينة مقدسة . ويهود نابلس كانوا عشرة أسباط، ويلقبون بالسامريين ، ولا يعظمون داود وإنما يعظمون « أفرايم » بن يوسف عليه السلام، ويعظمون جبل نابلس ، ويقولون إن « نابلس » هى المدينة المقدسة . ويقول يوحنا : إنه كان عداء شديد بين الطائفتين ، وأن العبرانيين ينظرون إلى السامريين كنظرتهم إلى الأمم الوثنية [يو ٤ : ٩] وأنهم شتموا عيسى عليه السلام بقولهم: «إنك سامرى ، وبك شيطان » [يو ٨ : ٤٨]

والمحرف يعلم أن محمدا سيظهر فى أمة غبية [تث ٣٢] فوضع عيسى مكان محمد، ووضع الجليل مكان «مكة» وبذلك حول دعوة النبى الأمى الآتى . من دعوة فى بلاد العرب؛ ليسلموا ، إلى دعوة فى بلاد السامريين؛ ليقبلوا الملكوت الآتى .

وإنه ليس على حق فى وصفه السامريين بالكفر؛ وذلك لأن المسيح عيسى عليه السلام بشر فى بلادهم ، كما بشر فى بلاد العبرانيين. سواء بسواء . وعندهم كتاب موسى. كما هو عند العبرانيين . ففى إنجيل يوحنا : « فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين» [يو ٤: ٣٩] وفى لوقا: «وفى ذهابه إلى أورشليم اجتاز فى وسط السامرة

والجليل وفيما هو داخل إلى قرية ، استقبله عشرة رجال برص ؛ فوقفوا من بعيد ، ورفعوا صوتهم قائلين : يا يسوع . يا معلم ؛ ارحمنا . فنظر ، وقال لهم : اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة . وفيما هم منطلقون ؛ طهروا . فواحد منهم لما رأى أنه شفى، رجع يمجد الله بصوت عظيم، وخرّ على وجهه، عند رجليه ؛ شاكرا له . وكان سامريا . فأجاب يسوع وقال : أليس العشرة قد طهروا ؟ فأين التسعة ؟ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله ، غير هذا الغريب الجنس ؟ » [لو ١٧ : ١١ ـ ١٨]

وفى هذا النص :

١ ـ أنهم نادوه بلقب المعلم . وهذا يدل على أنه ليس الله ، أو إله .

٢ ـ أنه أحالهم إلى علماء بنى إسرائيل ؛ ليعملوا لهم مراسيم الطهر من البرص ، كما تنص عليه شريعة موسى . وهذا يدل على أنه متبع للتوراة ، وغير ناسخ لها .

٣ ـ أن واحدا منهم رجع ليشكر يسوع ، ويمجد الله رب العالمين . وقد سر منه يسوع، أنه رجع وأعطى « مجدا لله »

٤ ـ وصف يسوع، هذا السامرى بأنه غريب الجنس ، كما هو اعتقاد العبرانيين فيهم .

٥ ـ وقد قال بَرنابا فى حكايته لهذه المعجزة : إن الغريب الجنس كان من بنى إسماعيل عليه السلام .

ولنرجع إلى نص الاقتباس . وهو من سفر إشعياء ؛ وهو :

« كما أهان الزمان الأول أرض زبولون ، وأرض نفتالى ؛ يكرم الأخير : طريق البحر، عبر الأردن ، جليل الأمم . الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى أرض ظلال الموت ، أشرق عليهم نور » [إش ٩ : ١ ـ ٢]

إنه يتكلم عن زمانين . زمان موسى ، وزمان النبى الآتى على مثاله .فهل كان مع عيسى شريعة ؟ إذاً عيسى وموسى زمان واحد .

وقد كتبوا : أن الزمان الأول وهو زمان بركة إسحق ، أهان أرض السامريين ، ولم يهن أرض الجليل . وأن الزمان الثانى ـ والحق : أنه زمان بركة إسماعيل ـ سيكرم أرض الجليل ، ولن يكرم أرض السامريين . وهذا منهم للغو في بركة إسماعيل عليه السلام . وذلك لأن أرض زبولون ونفتالى والجليل ؛ هى كلها أرض السامريين . وهى مع أرض العبرانيين ؛ أرض منطقة واحدة . فيها يُتلى كتاب موسى من أيام داود وطالوت . أما أرض مكة المكرمة المرموز إليها بالعاقر فى سفر إشعياء ، فهى التي كانت مهانة فى الزمان

الأول ؛ لأنه لم يكن منها نبى مشرع ، إلى زمان محمد ﷺ وأصبحت عزيزة به . ثم قال النصارى : إن الزمان الأخير هو زمان الإنجيل ، وأن الأول هو زمان التوراة. مع علمهم بأن زمان الإنجيل وزمان التوراة هما زمان واحد ؛ وذلك لأن يسوع المسيح لم ينقض الناموس ولم ينسخه .

الاقتباس الثاني عشر :

نص الإنجيل :

« وكان يسير فى الجليل كله ؛ يعلم فى مجامعهم ، ويعلن بشارة الملكوت ، ويشفى الشعب من كل مرض وعلة . فشاع ذكره فى سورية كلها ، فأتوه بجميع المرضى المصابين بمختلف العلل والأوجاع . من الممسوسين ، والذين يصرعون فى رأس الهلال ، والمقعدين ؛ فشفاهم . فتبعته جموع كثيرة من الجليل والمدن العشر ، وأورشليم واليهودية وعبر الأردن . فلما رأى الجموع صعد الجبل وجلس ؛ فدنا إليه تلاميذه ، فشرع يعلمهم . قال

طوبى لفقراء الروح ؛ فإن لهم ملكوت السموات ، طوبى للودعاء ؛ فإنهم يرثون الأرض . . . الخ » [متى ٤ : ٢٣ ـ]

لاحــظ :

١ ـ أنه كان يعلم فى جميع مساجد بنى إسرائيل أحكام التوراة التى جاء مصدقا لها ، ويعلن بشارة ملكوت السموات الآتى ، مع النبى الأمى الآتى .

٢ ـ تبعه كثيرون من خلق الله ، من السامريين والعبرانيين .

٣ ـ صعد إلى جبل وجلس . وشرع يعلم عن الملكوت الآتى .

والسؤال الآن . إذا كان هو قد علم فى المساجد ، فلماذا هو الآن يعلم على جبل ؟ وأين يقع هذا الجبل ؛ فإنه لا ذكر لموضعه فى النص ؟

يريد المحرف أن يقول : كما تلقى موسى التوراة من على جبل طور سيناء ، وعليه ابتدأ يشرح الشريعة ؛ هكذا يسوع ؛ لأنه هو النبى الآتى على مثاله . هذا هو غرضه . مع علمه بأن موسى أعطى شريعة ، وعيسى يبشر بمجىء شريعة . فالمماثلة غير حاصلة .

أما عن موعظة الجبل ؛ فإنه قد قال كلاما حسنا، قاله من قبله أنبياء بنى إسرائيل. وسنتكلم عنها فى موضعها .

الاقتباس الثالث عشر :

نص الإنجيل :

« ولما كان المساء ؛ أتوه بكثير من الممسوسين ؛ فطرد الأرواح بكلمة منه ، وشفى جميع المرضى ؛ ليتم ما قيل على لسان إشعياء : « هو الذى أخذ أسقامنا ، وحمل أمراضنا » [مت ٨ : ١٦ ـ ١٧]

البيـــان :

فى سفر إشعياء نبوءة عن محمد ﷺ بلقب « العبد المتألم » من إعراض الناس عن دعوته . وهذه النبوءة قد طبقها عليه ؛ عيسى عليه السلام فى إنجيل يوحنا ـ المعترف بإنجيله ـ وفى إنجيل بَرنابا .

وهى تبدأ من قوله : « هو ذا عبدى يعقل، يتعالى، ويرتقى ، ويتسامى جدا » وفى ترجمة بدل « يعقل » « ينجح » أى يفلح فى دعوته . وفيها : « وفى جيله من كان يظن » وفى ترجمة : « وجيله من يصفه ؟ » أى أن أمة النبى الآتى سيكون مجدها عظيما يدهش من يصفه . وقد أظهرها الكتاب المقدس ـ دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط ـ وأظهرها مترجم إنجيل بَرنابا .

وفيها يقول إشعياء عن مكة المكرمة : « ترنّمى أيتها العاقر التى لم تلد ، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض ؛ لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل » إلى أن قال : « وكل بنيك تلاميذ الرب » وهى نبوءة طويلة استشهد بها « بولوس » فى أكثر من موضع . واستشهد بها المسيح نفسه فى أكثر من موضع .

والمحرف ههنا يريد أن يطبقها على يسوع المسيح ؛ ليظهر أنه هو النبى الأمى الآتى ، لا محمد ﷺ ونسى أن فيها : « من صدق خبرنا ؟ ولمن استعلنت ذراع الرب ؟ » كناية عن قدرة النبى الآتى على الحرب والقتال . وفيها : « ومسرة الرب بيده تنجح » أى لا يقتل بيد أعدائه .

ومراد إشعياء من قوله : « هو الذى أخذ أسقامنا ، وحمل أمراضنا » هو أن النبى الآتى تحمل الأذى وصبر عليه ، بدل كل فرد ممن اهتدى بهديه . أى تحمل الأذى فى سبيلنا ، ليرحمنا الله برحمته .

الاقتباس الرابع عشر :

نص الإنجيل :

«وفيما يسوع مجتاز من هناك ، رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية ، اسمه متى. فقال له: اتبعنى . فقام وتبعه . وبينما هو متكىء فى البيت ، إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا ، واتكأوا مع يسوع وتلاميذه . فلما نظر الفريسيون ، قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ فلما سمع يسوع ، قال لهم : لايحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى . فاذهبوا وتعلموا ما هو : « إنى أريد رحمة،لا ذبيحة » لأنى لم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة » [متى ٩: ٩ ـ ١٣]

نص التوراة :

« إنى أريد رحمة لا ذبيحة » [هوشع ٦ : ٦]

وغرض هوشع : هو أن يبين لبنى إسرائيل : أن الله اصطفاهم ـ على علم ـ على العالمين ، لهداية الوثنيين إلى الله . وهم زاغوا وفسدوا ، واهتموا بمظاهر الدين ، لا بحقائقه . ويطلب الله منهم تغيير أفكارهم ؛ ويستعدوا للدخول ، فى جماعة الأبرار ، جماعة النبى الآتى . ذلك قوله فى نهاية سفره : « من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور ، وفهيم حتى يعرفها ؟ فإن طرق الرب مستقيمة ، والأبرار يسلكون فيها . وأما المنافقون فيعثرون فيها »

وللمحرف غرضان :

الأول : بيانه: أن الملكوت الآتى الذى سيسلك فيه الأبرار؛ هو ملكوت يسوع.

والثانى : بيانه : أن تلاميذ يسوع كانوا من الأميين الجهلاء . ولم يكونوا من سبط العلم الذى هو سبط لاوى .

أما الغرض الأول : فإنه باطل بحديث التوراة . عن أمتين ، أمة قد خلت ، وأمة ستأتى . ويسوع من الأمة التى قد خلت .

وأما الغرض الثانى : فإنه يعلم أن النبى الآتى سيأتى من الأمم ؛ لأن بنى إسماعيل فى نظر اليهود ، من الأمم. وأصحابه الذين سيبلغون رسالته ؛ سيكونون منهم ، أى من الأمم . ولأنه يريد تطبيق النبوءات عليه ؛ قال : إن الحواريين من الأميين الجهلاء ، وقد اختارهم يسوع ؛ ليغيظ بهم علماء بنى إسرائيل . وذلك لكى يرفع نبوءة الأمة الجاهلة الغبية عن بنى إسماعيل عليه السلام . المذكورة فى سفر التثنية . ونصها : « هم أغارونى

بماليس إلها . أغاظونى بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعبا . بأمة غبية أغيظهم » [تث ٣٢ : ٢١] ويضعها على أمّة النصارى.

وهو يعلم : أن التلاميذ كانوا من سبط العلماء، بدليل الاقتباسات التى ذكروها من التوراة . وهم يكتبون من بعد يسوع بسنين طويلة . وهى لا يكتبها إلاَّ عالم . ويقول النصارى فى رد الغرض الثانى: إنهم كانوا جهلاء. ودليل جهلهم: هو التناقض الموجود بين الأناجيل .

الاقتباس الخامس عشر :

يقول الكاتب : إن يسوع شهد للمعمدان بالفضل . وقال عنه : إنه أفضل من نبى . وقال : إن المعمدان هو الذى كتب عنه النبى ملاخى : « هاءنذا أرسل رسولى قدامك ؛ ليعّد الطريق أمامك » [ملا ٣ : ١] يعنى به : أنه يمهد الطريق ليسوع . فيكون يسوع هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . والمعمدان يمهد له الطريق . [متى ١١:٩ ـ ١٠]

نص التوراة :

«ها أنذا أرسل ملاكى ؛ فيهيىء الطريق أمامى، ويأتى بغتة إلى هيكله؛ السيد، الذى تطلبونه، وملاك العهد الذى تسرون به. هو ذا يأتى. قال رب الجنود. ومن يحتمل يوم مجيئه ؟ ومن يثبت عند ظهوره ؟ لأنه مثل نار المحصن ، ومثل أشنان القصار » [ملا ٣ : ١ ـ ٢]

هذا نص فى النبى الأمى الآتى إلى العالم بلقب « السيد » كما قال عنه داود : إنه سيده فى المزمور المئة والعاشر . وسيهيىء الله الناس لقبول شريعته عن طريق ، الأطهار من عباده ، الشبيهين بالملائكة فى الطهر والصلاح ، ومنهم المعمدان ويسوع والحواريون . وعبر عنه بلقب « ملاك العهد » للدلالة على مشابهته بموسى . وذلك لأن بنى إسرائيل مع موسى لما تضايقوا من أعدائهم، أرسل لهم « ملكا » ليساعدهم فى الخلاص من أعدائهم. وخلّصهم منهم . ذلك قوله فى سفر إشعياء : « فى كل ضيقهم تضايق .وملاك حضرته ؛ خلصهم بمحبته ورأفته. هو فكهم ،ورفعهم ، وحملهم كل الأيام القديمة » [إش ٦٣ : ٩]

ولما أتى يسوع .لم يحارب ولم ينتصر .فكيف يكون هو صاحب هذه النبوءة ؟ وقد بين الله فى القرآن الكريم : أن الله أيد محمدا ﷺ بالملائكة، فى قوله : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة : أنى معكم ؛ فثبتوا الذين آمنوا ﴾

الاقتباس السادس عشر :

نص الإنجيل :

«فى ذلك الوقت مرَّ يسوع فى السبت، من بين الزروع؛ فجاع تلاميذه؛ فأخذوا يقلعون السنبل ويأكلون. فرآهم الفريسيون. فقالوا له: ها إن تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت. فقال لهم: أما قرأتم ما فعل داود حين جاع هو والذين معه ؟ كيف دخل بيت الله، وكيف أكلوا الخبز المقدس. وأكله لا يحل له ، ولا للذين معه، بل للكهنة وحدهم ؟

أو ما قرأتم فى الشريعة : أن الكهنة فى السبت ، يستبيحون حرمة السبت ، فى الهيكل ، ولا ذنب عليهم ؟ فأقول لكم : إن ههنا أعظم من الهيكل . ولوفهمتم معنى هذه الآية : « إنما أريد الرحمة ، لا الذبيحة » لما حكمتم على من لا ذنب عليهم . فابن الإنسان سيد السبت » [مت ١٢ : ١ ـ ٨]

البيـان :

إن الله تعالى حرم عليهم العمل فى يوم السبت . العمل اليومى المعتاد فى التجارة والزراعة والصناعة [خر ٢٠ : ٨] وقد قال المسيح عيسى عليه السلام : إننى على شريعة التوراة ، لا أنسخها ولا أخالفها [مت ٥ : ١٧] وها هم الحواريون يقطفون سنابل القمح ، ويفركونها ، ويأكلونها من الجوع ، وهم سائرون ، فى يوم السبت . وهذا عمل .

وقد برّره المسيح بقوله : إن هذا عمل تقتضيه الضرورة . ولهم فى داود النبى عليه السلام أسوة حسنة ؛ فإنه كان على شريعة موسى. ولم يكن من سبط الكهنة من سبط لاوى ، بل كان من سبط يهوذا. وأكل هو والذين معه من الخبز المقدس . الذى لا يحل أكله إلا للكهنة. وفعله مذكور فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر صموئيل الأول. وفيه : «فأعطاه الكاهن؛ المقدس ؛لأنه لم يكن هناك خبز ، إلا خبز الوجوه ، المرفوع من أمام الرب »

وهذا هو الاقتباس الأول فى النص . وهو صحيح . وأما الاقتباس الثانى فهو من النص السابق ؛ لأن الكاهن ، استباح حرمة السبت ، وأعطى داود ، من الخبز . والاقتباس الثالث هو من سفر هوشع ٦ : ٦

وقال متى بعد ذلك : « فابن الإنسان سيد السبت » وفى ترجمة أخرى : « فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا » وعلى الترجمة الأخرى ـ وهى ترجمة البروتستانت ـ تكون « أيضا » دالة على نبيين ، هما سيدا السبت . وعلى ترجمة دار المشرق يكون نبيا واحدا .

وإنه يريد أن يقول: إن يسوع سيد السبت. بمعنى: أنه «المشرع» الذى يقدر أن يبقى حرمته ، أو أن ينسخ حرمته .وغرضه : إثبات أن « ابن الإنسان » صاحب «ملكوت السموات» فى سفر دانيال هو يسوع المسيح ، لا محمد رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه ماجاء لنقض الناموس ؛ فكيف يكون هو سيده ؟

والمعنى الصحيح هو : كما أن موسى كان سيد السبت ، فإن النبى الأمى الآتى على مثاله هوسيده أيضا . وكما أظهر حرمته موسى ؛ يقدر النبى الآتى أن يظهر له حرمة ، أو حلا .

الاقتباس السابع عشر :

نص الإنجيل :

« وتبعه خلق كثير ، فشفاهم جميعا ، ونهاهم عن كشف أمره ؛ ليتم ما قيل على لسان النبى إشعياء : « هو ذا عبدى الذى اخترته ، حبيبى الذى عنه رضيت . سأجعل روحى عليه ؛ فيبشر الأمم بالحق . لن يخاصم ولن يصيح ولن يسمع أحد صوته فى الساحات . القصبة المرضوضة لن يكسرها . والفتيلة المدخنة لن يطفئها ، حتى يسير بالحق إلى النصر، وفى اسمه تجعل الأمم رجاءها » [مت ١٢: ١٥ ـ ٢١]

البيـان :

فى سفر إشعياء نبوءتين عن محمد ﷺ بلقب « عبد الله » الأولى: عبد الله المتألم من إعراض الناس عن دعوته. والثانية: عبد الله المسالم للناس، والمحب لهم. ومحرف الإنجيل كما طبق نبوءة العبد المتألم على يسوع ، يريد ههنا تطبيق نبوءة العبد المسالم على يسوع

نص التوراة :

« هو[1] ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه ؛ فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ، ولا يرفع، ولا يسمع فى الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء . إلى الأمان يخرج الحق . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته. هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها ، معطى الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحا : أنا الرب قد دعوتك بالبر؛ فأمسك بيدك، وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم؛ لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين فى الظلمة.

---

(١) هذا النص أورده البخارى عن عبد الله بن عمرو فى صفة رسول الله .

أنا الرب . هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحى للمنحوتات . هو ذا الأوليَّات قد أتت ، والحديثات أنا مخبر بها ، قبل أن تنبت أعلمكم بها ، غنوا للرب أغنية جديدة ، تسبيحه من أقصى الأرض . أيها المنحدورن فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها ؛ لترفع البرية ومدنها صوتها . **الديار التى سكنها قيدار** ، لتترنم سكان سالع . من رءوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجدا ، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر .الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ، ويقوى على أعدائه » [إش ٤٢ : ١ ـ ١٣]

لاحــظ :

١ ـ وتنتظر الجزائر شريعته . ولم يكن للمسيح شريعة مستقلة عن شريعة موسى . وهو متوافق مع قول يعقوب لبنيه : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب » [تك ٤٩ : ١٠] فقد قرن بين شريعة منسوخة على يد شيلون. نبى السلام. وبين شريعة جديدة هى شريعة « شيلون » وهو العبد المسالم .

٢ ـ غنوا للرب أغنية جديدة . ويرمز بها إلى شريعة جديدة .

٣ ـ الحروب التى تصاحب مجىء هذا النبى .

٤ ـ فيبشر الأمم بالحق . كلمة الحق فى العبرانية « مشبط » وهى تدل على الفرائض التى يقيم بها إله البر ، عدله مع البشر [تك ١٨ : ٢٥ وتث ٤ : ٦ـ ٨]

الاقتباس الثامن عشر :

نص الإنجيل :

« فدنا تلاميذه ، وقالوا له: لماذا تكلمهم بالأمثال؟ فأجابهم: لأنكم أعطيتم أنتم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما أولئك فلم يعطوا ذلك . لأن من كان له شىء، يعطى، فيفيض. ومن ليس له شىء؛ ينتزع منه، حتى الذى له. وإنما أكلمهم بالأمثال ؛ لأنهم ينظرون ولا يبصرون ، ولأنهم يسمعون ولا يسمعون ،ولاهم يفهمون . وفيهم تتم نبوءة إِشعياء حيث قال : « تسمعون سماعا ، ولا تفهمون ، وتنظرون نظرا ، ولا تبصرون. فقد غلظ قلب هذا الشعب ، وأصموا آذانهم ، وأغمضوا عيونهم ؛ لئلا يبصروا بعيونهم ، ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا ؛ أفأشفيهم ؟ »

البيــــان :

ذكر النبى عيسى عليه السلام أمثلة لملكوت السموات، وشرحها لتلاميذه . وبين أن اليهود يريدون أن يكون الملكوت الجديد فيهم. والله لا يريد أن يكون فيهم . ثم بين أن الله

سينزع الملكوت القديم من بنى إسرائيل بقوله : إن من ليس له الملكوت الجديد ، ويزعم أنه هو له . سينزع الله منه الملكوت الذى ادعاه لنفسه ، وسينزع منه القديم أيضا .

نص التــوراة :

« اذهب وقل لهذا الشعب : اسمعوا سمعا ولا تفهموا ، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلظ قلب هذا الشعب، وثقل أذنيه، واطمس عينيه ؛ لئلا يبصر بعينيه ، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه. ويرجع؛فيشفى» [إش ٦ : ٩ -] ثم قال: إن هذا العقاب «إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن،والبيوت بلا إنسان» ثم قال : ومع ذلك الخراب ، تبقى بقية مختارة من بنى إسرائيل ؛ لتنضم إلى جماعة الله المؤمنة بالنبى المنتظر حال ظهوره « ولكن كالبطمة والبلوطة التى وإن قطعت؛ فلها ساق ، يكون ساقه زرعا مقدسا » [إش ٦ : ١٣] وفى ترجمة البروتستانت: «ويرجع فيشفى» ونص الإنجيل عندهم: «ويرجعوا فأشفيهم» وفى ترجمة دار المشرق: «ويرجعوا. أفأشفيهم؟» بصيغة الاستفهام الإنكارى . يعنى : لا أشفيهم . وهذا اختلاف معنى ؛ يدلُّ على تحريف فى النصوص .

الاقتباس التاسع عشر :

نص الإنجيل :

« هذا كله قاله يسوع للجموع بالأمثال ، ولم يقل لهم شيئا من دون مثل ؛ ليتم ما قيل على لسان النبى: « أتكلم بالأمثال، وأعلن : ماكان خفيا ، منذ إنشاء العالم » [مت ١٣ : ٣٤ _ ٣٥]

موضع الاقتباس فى التوراة :

هو المزمور الثامن والسبعين . وهو نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم . وبدؤه : « اصغ يا شعبى ؛ إلى شريعتى . أميلوا آذانكم ، إلى كلام فمى . أفتح بمثل فمى . أذيع ألغازا منذ القدم . التى سمعناها وعرفناها ، وآباؤنا أخبرونا بها . لا تخفى عن بنيهم إلى الجيل الآخر » جيل بَرَكَة إسماعيل . فإن الجيل الأول هو جيل بركة إسحق .

وفى هذا المزمور يبين أن النبى الآتى سيقر شريعة من فمه ؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب وأن أمته هى الجيل الآخر. وأمة الجيل الأول هى أمة موسى عليه السلام. ثم يعدد نعم الله على بنى إسرائيل،ويقول: إنهم جحدوا فضله. فلذلك رفضهم من السير أمامه. وفى مجىء النبى الآتى ستكون حرب بينه وبينهم،وسيضرب أعداءه إلى الوراء

ثم قال : إن الله غضب على بنى إسرائيل ، يهود السامرة ، ورفض مسكن « شيلوه

« الذى يقدسوه . ولم يرفض سبط يهوذا ، يهود العبرانيين ، فى أيام داود عليه السلام فإنه اختاره ليرعى بنى إسرائيل كلهم . فرعاهم حسب كمال قلبه . وها هو ينبه على الجيل الآخر ، ويطلب منهم أن يصغوا إلى شريعة النبى الآتى .

نص المزمور ٧٨ :

« اصغ يا شعبى إلى شريعتى . أميلوا آذانكم إلى كلام فمى .أفتح بمثل فمى . أذيع ألغازا منذ القدم . التى سمعناها وعرفناها ، وآباؤنا أخبرونا . لا نُخفى عن بنيهم إلى الجيل الآخر . مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التى صنع.أقام شهادة فى يعقوب ووضع شريعة فى إسرائيل التى أوصى آباءنا أن يعرفوا بها أبناءهم ؛ لكى يعلم الجيل الآخر . بنون يولدون ، فيقومون ويخبرون أبناءهم ، فيجعلون على الله اعتمادهم ، ولا ينسون أعمال الله بل يحفظون وصاياه ، ولا يكونون مثل آبائهم، جيلا زائغا وماردا ، جيلا لم يثبت قلبه ، ولم تكن روحه أمينة لله .

بنو أفرايم النازعون فى القوس ، الرامون ، انقلبوا فى يوم الحرب . لم يحفظوا عهد الله ، وأبوا السلوك فى شريعته ، ونسوا أفعاله وعجائبه التى أراهم . قدام آبائهم صنع أعجوبة فى أرض مصر ، بلاد صوعن . شق البحر فعبرهم ونصب المياه كند ، وهداهم بالسحاب نهارا ، والليل كله بنور نار . شق صخورا فى البرية وسقاهم كأنه من لجج عظيمة. أخرج مجارى من صخرة وأجرى مياها كالأنهار . ثم عادوا أيضا ليخطئوا إليه لعصيان العلى فى الأرض الناشفة، وجربوا الله فى قلوبهم بسؤالهم طعاما لشهوتهم. فوقعوا فى الله. قالوا: هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية ؟ هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية . هل يقدر أيضا أن يعطى خبزا أو يهيىء لحما لشعبه ؟ لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت نار فى يعقوب، وسخط أيضا صعد على إسرائيل. لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلوا على خلاصه . فأمر السحاب من فوق وفتح مصاريع السموات وأمطر عليهم منّا للأكل . وبُرَّ السماء أعطاهم .أكل الإنسان خبز الملائكة. أرسل عليهم زادا للشبع. أهاج شرقية فى السماء وساق بقوته جنوبية، وأمطر عليهم لحما مثل التراب وكرمل البحر طيورا ذوات أجنحة وأسقطها فى وسط محلتهم حوالى مساكنهم فأكلوا وشبعوا جدا وأتاهم بشهوتهم . لم يزوغوا عن شهوتهم طعامهم بعد فى أفواههم فصعد عليهم غضب الله وقتل من أسمنهم . وصرع مختارى إسرائيل . فى هذا كله أخطأوا بعدُ، ولم يؤمنوا بعجائبه .

فأفنى أيامهم بالباطل وسنيهم بالرعب . إذ قتلهم طلبوه ورجعوا وبكروا إلى الله وذكروا : أن الله صخرتهم والله العلى وليهم . فخادعوه بأفواههم ، وكذبوا عليه بألسنتهم

. أما قلوبهم ، فلم تثبت معه ولم يكونوا أمناء فى عهده .

أما هو فرؤوف يغفر الإثم ولا يهلك ، وكثيرا ما رد غضبه ولم يشعل كل سخطه. ذكر أنهم بشر . ريح تذهب ولا تعود . كم عصوه فى البرية وأحزنوه فى القفر. رجعوا وجربوا الله وعنّوا قدوس إسرائيل .لم يذكروا يده . يوم فداهم من العدو. حيث جعل فى مصر آياته وعجائبه فى بلاد صوعن . إذ حول خلجانهم إلى دم ومجاريهم لكى لا يشربوا. أرسل عليهم بعوضا فأكلهم وضفادع فأفسدتهم . أسلم للجردم غلتهم وتعبهم للجراد . أهلك بالبرد كرومهم وجميزهم بالصقيع . ودفع إلى البرد بهائمهم ومواشيهم للبروق . أرسل عليهم حموّ غضبه سخطا ورجزا وضيقا. جيش ملائكة أشرار . مهد سبيلاً لغضبه . لم يمنع من الموت أنفسهم بل دفع حياتهم للوباء وضرب كل بكر فى مصر . أوائل القدرة فى خيام حام . وساق مثل الغنم شعبه وقادهم مثل قطيع فى البرية . وهداهم آمنين فلم يجزعوا. أما أعداؤهم فغمرهم البحر وأدخلهم فى تخوم قدسه . هذا الجبل الذى اقتنته يمينه. وطرد الأمم من قدامهم وقسمهم بالحبل ميراثا وأسكن فى خيامهم أسباط إسرائيل .

فجربوا . وعصوا الله العلى . وشهاداته لم يحفظوا . بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم. انحرفوا كقوس مخطئة.أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم.سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جدا،ورفض مسكن شيلو.الخيمة التى نصبها بين الناس.وسلم للسبى عزه وجلاله ليد العدو . ودفع إلى السيف شعبه ، وغضب على ميراثه . مختاروه أكلتهم النار وعذاراه لم يحمدن . كهنته سقطوا بالسيف وأرامله لم يبكين .

فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر . فضرب أعدائه إلى الوراء . جعلهم عارا أبديا . ورفض خيمة يوسف ولم يختر سبط أفرايم . بل اختار سبط يهوذا . جبل صهيون الذى أحبه . وبنى مثل مرتفعات مقدسه . كالأرض التى أسسها إلى الأبد . واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم . من خلف المرضعات أتى به ليرعى يعقوب شعبه وإسرائيل ميراثه . فرعاهم حسب كمال قلبه . وبمهارة يديه هداهم »

الاقتباس العشرون :

نص الإنجيل :

« ودنا إلى يسوع بعض الفريسيين والكتبة. من أورشليم . فقالوا له: لم يخالف تلاميذك سنّة الشيوخ ؟ فهم لا يغسلون أيديهم عند تناول الطعام .

فأجابهم : لم تخالفون أنتم وصية الله من أجل سنتكم ؟ فقد قال الله : « أكرم أباك وأمك » و « من لعن أباه أو أمه ؛ فليمت موتا » وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه

: كل شيء قد أساعدك به ؛ جعلته قربانا ؛ فلن يلزمه أن يكرم أباه .

لقد نقضتم كلام الله من أجل سنتكم . أيها المراءون . أحسن إشعياء فى نبوءته عنكم، إذ قال : « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فبعيد عنى . إنهم بالباطل يعبدوننى،فليس ما يعلّمون من المذاهب سوى أحكام بشرية » [متى ١٥ : ١ ـ ٩]

البيــان [1] :

كان من عادة علماء بنى إسرائيل أن يأكلوا أموال الناس بالباطل . ومن حيلهم فى هذا الشأن : أنهم كانوا يقولون للابن : إنه يلزمك أن تنفق على أبيك ـ مثلا ـ ما مقداره ألف شاقل . ثم يقولون له : لو قدمت عشرة ، من هذا الألف صدقة للهيكل ؛ فإنه لا تلزمك النفقة ؛ لأن الصدقة تطفىء غضب الرب ، الذى سيحصل بسبب عدم الإنفاق على الأب . فيقدم الابن صدقة للهيكل . ويحتفظ بالباقى لنفسه فينتفع العلماء ، وينتفع الابن . ويضار الأب . ومع هذا يتظاهرون بالغيرة على الشريعة . من غسل أيدى وأبارق وكئوس ، وصدقات تقدم للهيكل .

وفى هذا النص اقتباسات من التوراة :

١ ـ « أكرم أباك وأمك» [تث ٥ : ١٦]

٢ ـ « من شتم أباه وأمه ؛ يقتل قتلا » [خر ٢١ : ١٥]

٣ ـ « فقال السيد : لأن هذاالشعب قد اقترب إلىّ بفمه ، وأكرمنى بشفتيه . وأما قلبه؛ فأبعده عنى ،وصارت مخافتهم منى ،وصية الله ،معلّمة » [إش٢٩ :١٣]

الاقتباس الحادي والعشرون :

بينا : أن يوحنا المعمدان وهو يصبغ [2] يسوع فى نهر الأردن ـ أى يُعَمِّده ـ نزلت عليه الروح مثل حمامة ،وسمع صوتا من السماء : « هذا هو ابنى الحبيب الذى عنه رضيت ؛ فله اسمعوا »

ومحرف إنجيل متى كرر هذا المعنى فقال : إن موسى وإلياس تراءيا ليسوع على جبل، وبينما هو يتكلم معهم إذا غمام نير قد ظللهم، وإذا صوت من الغمام يقول : « هذا هو ابنى الحبيب الذى عنه رضيت ؛ فله اسمعوا » [متى ١٧ : ١ ـ ٨]

---

(١) راجع كتاب حكم المرتد عند المسلمين وأهل الكتاب ـ طبعة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

(٢) الصابئون الوارد ذكرهم فى القرآن هم أتباع نبى الله يحيى عليه السلام .

يريد المحرف أن يطبق ثلاث نبوءات من نبوءات التوراة عن محمد على عيسى: نبوءة المزمور الثانى التي هى لمحمد ﷺ على عيسى عليه السلام ليختم به النبوة ، في بني إسرائيل ، إلى يوم القيامة .و«له اسمعوا» أخذه من [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] وهو نبوءة النبى الأمى عن محمد عليه السلام «والذى عنه رضيت» أخذه من نبوءة العبد المسالم فى سفر إشعياء عن محمد وهى: «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سرت به نفسى. . . » [إش ٤٢ : ١ ـ]

الاقتباس الثاني والعشرون :

نص الإنجيل :

« فدنا إليه بعض الفريسيين، وقالوا له ليحرجوه : أيحل لأحد أن يطلق امرأته، لأية علّة كانت ؟ فأجاب : أما قرأتم : « أن الخالق منذ البدء ، جعلهما ذكرا وأنثى » وقال : «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلزم امرأته ، ويصير الاثنان جسدا واحدا»فلا يكونان اثنين بعد ذلك،بل جسد واحد. فما جمعه الله،فلا يفرقنه الإنسان.

فقالوا له : فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب طلاق ، وتُسرّح ؟ قال لهم : من أجل قساوة قلوبكم رخص لكم موسى فى طلاق نسائكم ، ولم يكن الأمر منذ البدء هكذا » [مت ١٩ : ٣ ـ ٨]

نص التوراة :

أ ـ « فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وأنثى خلقهم » [تك ١ : ٢٧] وفى السامرية « على صورة الملائكة »

ب ـ « لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته ، ويكونان جسدا واحدا » [تك ٢ : ٢٤]

وهذا الاقتباس يظهر أن عيسى عليه السلام كان يفتى فى الدين على شريعة موسى عليه السلام ولم يكن له من شريعة غير شريعة التوراة .

الاقتباس الثالث والعشرون :

نص الإنجيل :

« وإذا برجل يدنو ؛ فيقول له : يا معلم . ماذا أعمل من صالح ؛ لأنال الحياة الأبدية؟ فقال له : لماذا تسألنى عن الصالح ؟ إنما الصالح واحد . فإذا أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا . قال له : أى وصايا ؟ فقال يسوع : « لا تقتل . لا تزن. لا

تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك » و « أحبب قريبك؛ كنفسك » [مت ١٩ : ١٦ ـ ١٩]
وفى ترجمة البروتستانت : « ليس أحد صالحا إلا واحد. وهو الله »

نص التوراة :

١ ـ الخروج ٢٠ : ١٢ ـ ١٦

٢ ـ التثنية ٥ : ١٦ ـ ٢٠

٣ ـ الأحبار ١٩ : ١٨

وهذا الاقتباس يظهر أن عيسى عليه السلام كان فى بنى إسرائيل مثل عالم من علماء المسلمين .

الاقتباس الرابع والعشرون :

نص الإنجيل :

« ولما قربوا من أورشليم ، ووصلوا إلى بيت فاجى ، عند جبل الزيتون ؛ حينئذ أرسل يسوع تلميذين ، وقال لهما : اذهبا إلى القرية التى تجاهكما ؛ تجدا أتانا مربوطة ، وجحشا معها ؛ فحلا رباطهما ، وأتيانى بهما . فإن قال لكم قائل شيئا ، فأجيبا : الرب محتاج إليهما ؛ فيرسلهما لوقته .

وإنما حدث هذا ؛ ليتم ما قيل على لسان النبى : « قولوا لبنت صهيون : هو ذا ملكك ، آتيا إليك ، وديعا ، راكبا على أتان ، وجحش ابن دابة » [مت ٢١ : ١ ـ ٥]

البيان :

من أوصاف النبى الأمى الآتى على مثال موسى: أن يكون ملكا ورئيسا مطاعا، وأن يحارب أعدائه ، وينتصر عليهم ، ويملك على بلادهم ؛ ليمكن لشريعة الله فى الأرض . ولم يكن عيسى ملكا ولا رئيسا مطاعا ، ولا محاربا ولا منتصرا على أعدائه . فقد جاء عنه فى إنجيل يوحنا : « وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ؛ ليجعلوه ملكا ؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده » [يو ٦ : ١٥]

ويريد المحرف أن يجعل يسوع هو النبى الآتى إلى العالم. وذلك بأخذه نبوءة فى سفر زكريا، تدل على أن النبى الآتى سيكون ملكا ورئيسا مطاعا، وذلك لتطبيقها عليه.

نص التوراة :

« ابتهجى جدا يا ابنة صهيون ، اهتفى يا بنت أورشليم . هو ذا ملكك يأتى إليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار، وعلى جحش ابن أتان. وأقطع المركبة من أفرايم، والفرس من أورشليم، وتقطع قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم. وسلطانه من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض » [زكريا ٩ : ٩ ـ ١٠]

يبين هذا النص: أن هذا النبى سيتكلم بالسلام للأمم. وفى أيامه ستقطع المركبة من اليهود السامريين المعبر عنهم بأفرايم، وسيقطع الفرس من اليهود العبرانيين، المعبر عنهم بأورشليم . ويمتد ملكه إلى أقصى الأرض . وقد حدث هذا مع نبى الإسلام ﷺ فإن عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دخل مالكا أرض «فلسطين» وكان متواضعا لله هو وأصحابه . ودخل مع جنوده ، نائبا عن محمد ﷺ.

الاقتباس الخامس والعشرون :

ثم قال المحرف بعد النص السابق : إن يسوع لما دخل أورشليم بهيئة مَلكية .

نص الإنجيل :

« كان من الناس جمع كثير ، فبسطوا أرديتهم على الطريق ، وقطع غيرهم أغصان الشجر ، ففرشوا بها الطريق . وكانت الجموع التى تتقدمه والتى تتبعه ، تهتف : « هُوشَعْنَا لابن داود . **تبارك الآتى باسم الرب** .هوشعنا فى العلى » ولما دخل أورشليم ضجت المدينة كلها ، وسألت : من هذا ؟ فأجابت الجموع : هذا النبى يسوع ، من ناصرة الجليل » [مت ٢١ : ٨ ـ ١١]

البيــان :

لقد اقتبس المزمور المئة والثامن عشر بقوله : « **تبارك الآتى باسم الرب** »

وأخطأ أيضاً فى قوله إن يسوع من الناصرة . فليس فى التوراة نبوءة عن أنه سيكون من الناصرة . وهو وأمه من « حَبرون » التى هى مدينة « الخليل » فى أرض العبرانيين[1] . وأما « الناصرة» فهى من أرض السامريين . وقال المحرف : « هذا النبى يسوع » ليوهم : أن « يسوع » هو النبى الأمى المماثل لموسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . والمزمور المائة والثامن عشر قد طبقه عيسى عليه السلام نفسه على محمد ﷺ فى موضعين

(١) إنجيل لوقا ـ نسب إليصابات ومريم فى أرض يهوذا .

الموضع الأول : فى مثل « الكرامين الأردياء » فى قوله لعلماء بنى إسرائيل : « إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره .ومن سقط على هذا الحجر ؛ يترضض ، ومن سقط هو عليه ؛ يسحقه »

والموضع الآخر : فى تنبؤه عن خراب أورشليم وهدم هيكل سليمان . وقوله إن الخراب والهدم سيكونان على يد المبارك الآتى باسم الرب ؛ لأنه سينزع الملك من اليهود ، وسينسخ التوراة . ذلك قوله : « أورشليم . أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أبناءك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها . فلم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم قفرا . فإنى أقول لكم : لا تروننى بعد اليوم ، حتى تقولوا : تبارك الآتى باسم الرب » [مت٢٣ :٣٧ ـ ٣٩]

الاقتباس السادس والعشرون :

نص الإنجيل :

« ثم دخل يسوع الهيكل ، وطرد جميع الذين يبيعون ويشترون فى الهيكل ؛ فقلب طاولات الصيارفة ، ومقاعد باعة الحمام ، وقال لهم : مكتوب « بيتى بيت صلاة يُدعى . وأنتم تجعلونه مغارة لصوص » [مت ٢١ : ١٢ ـ ١٣]

البيان :

يريد المحرف أن يظهر عيسى عليه السلام بمظهر الملك الذى يأمر وينهى . فيتوصل بذلك المظهر إلى أنه هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ؛ وذلك لأن من أوصافه : أن يكون ملكا ، ورئيسا مطاعا . ويريد أيضا : أن يوهم الناس بأن « بيت الله » هو هيكل سليمان فى أورشليم وليس هو ﴿ الكعبة البيت الحرام ﴾ فى مكة المكرمة . ولذلك اقتبس من الأصحاح السادس والخمسين من سفر إشعياء ؛ لهذين الغرضين .

نص التوراة :

« هكذا قال الرب . احفظوا الحق ، وأجروا العدل ؛ لأنه عن قريب مجىء خلاصى،واستعلان برى » ثم قال : « وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه ، وليحبوا اسم الرب ؛ ليكونوا له عبيدا . كل الذين يحفظون السبت ؛ لئلا ينجسوه ، ويتمسكون بعهدى ؛ آتى بهم إلى جبل قدسى ، وأفرحهم فى بيت صلاتى . وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى ؛ لأن بيتى بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب » [إش ٥٦]

لاحـــظ :

أن بيته بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب .

وهذا لا ينطبق على هيكل سليمان ؛ لأن العبرانيين جعلوه قبلة لأنفسهم ،لا لكل الشعوب ، بدون سند من التوراة . ولا ينطبق على هيكل جِرزِّيم فى « نابلس » لأن السامريين جعلوه قبلة لأنفسهم بدون سند من التوراة . وقد صرح المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ فى إنجيل يوحنا ـ بنزع القبلة من الهيكلين ، فى قوله للمرأة السامرية : « صدقينى أيتها المرأة . تأتى ساعة . فيهـا تعبدون الآب . لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم » [يو ٤ :٢١]

الاقتباس السابع والعشرون :

نص الإنجيل :

«ودنا إليه عميان وعرج فى الهيكل ؛ فشفاهم . فلما رأى عظماء الكهنة والكتبة ما أتى به من الأمور العجيبة ، ورأوا الأطفال يهتفون فى الهيكل : « هوشعنا لابن داود » استاءوا . فقالوا له : أتسمع ما يقول هؤلاء ؟ فقال لهم يسوع : نعم . أما قرأتم قط : «على ألسنة الصغار والرضع ، أعددت لنفسك تسبيحا » ثم تركهم وخرج من المدينة إلى بيت عَنيا ، فبات فيها. وبينما هو راجع إلى المدينة عند الفجر؛ أحس بالجوع » [مت ٢١ : ١٤ ـ ١٨]

البيان :

يقول المحرف : إنهم بعدما هتفوا فى عيد الشّعانين ليسوع بقولهم : « أوصنا لابن داود » أى أهلا وسهلا ومرحبا . أظهر نصا فى التوراة هو نبوءة تدل على هذا الترحيب . ثم قال : إن يسوع بعدما دخل أورشليم ملكا ، خرج منها إلى « بيت عَنيا » ولما رجع إلى أورشليم عند الفجر أحس بالجوع . وأى ملك يكون هذا حاله ؟

ونص التوراة :

هو المزمور الثامن، ونصه: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض، حيث جعلت جلالك فوق السموات. من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا، بسبب أضدادك ، لتسكيت عدو ومنتقم . . . الخ »

وقد اقتبس بولس هذا المزمور في رسالته إلى العبرانيين . فقال : « فإنه لملائكة لم يخضع العالم العتيد ، الذى نتكلم عنه ، لكن شهد واحد فى موضع قائلا « ما هو

الإنسان حتى تذكره ، أو ابن الإنسان حتي تفتقده ؟ وضعته قليلا عن الملائكة . بمجد وكرامة كلّلته ، وأقمته على أعمال يديك .أخضعت كل شئ تحت قدميه » [عب ٢ : ٥ ـ ٨] بقصد بالواحد الشاهد : داود عليه السلام في المزمور الثامن . وقد بين المحرفون : أن يسوع المسيح هو الإنسان الذى أخضع الله له كل شئ وكتبوا على لسانه : « دُفع إليّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » [مت ٢٨ : ١٨] وقال بولس عن المسيح: « لأنه أخضع كل شئ تحت قدميه » [اكو ١٥ :٢٧] وقال فى موضع آخر : «وأخضع كل شئ تحت قدميه،وإياه جعل رأسا،فوق كل شئ للكنيسة » [اف ١ :٢٢]

ومراد المحرفين هو : أ ـ أن دانيال قال عن نبى الإسلام ﷺ : « كنت أري فى رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء ، مثل ابن إنسان. أتي وجاء إلي القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا . . » [دا ٧ : ١٣ ـ ١٤] وهم يريدون تطبيق هذا القول علي يسوع . ب ـ فى نشيد موسى [تث ٣٢] عن نبى الإسلام: « تهللوا أيها الأمم، شعبه» وفي نسخة « مع شعبه ؛ لأنه ينتقم بدم عبيده، ويرد نقمة علي أضداده . . » إلي أن قال في النص اليونانى : « ولتسجد له كل ملائكة الله » أى: تساعده على أعدائه . وهم يريدون تطبيق هذا القول علي يسوع . والمزمور الثامن نفسه يرد عليهم غرضهم . وذلك قوله : « من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا ، بسبب أضدادك ؛ لتسكيت عدو، ومنتقم » والمسيح عيسى عليه السلام لم يحارب ولم ينتصر ، ولم يُسكت عدوّا ، ومنتقما .

وسيأتى البيان فى الرسالة إلى العبرانيين .

الاقتباس الثامن والعشرون :

وهو : « الحجر الذى رفضه البناءون . . الخ [متى ٢١ : ٤٢ ـ] وهو من المزمور المئة والثامن عشر . وقد سبق بيانه .

الاقتباس التاسع والعشرون :

سئل المسيح عيسى عليه السلام عن الدليل من توراة موسى على قيام الأموات من القبور . فقال : « وأما قيامة الأموات . أفما قرأتم ما قال الله لكم : « أنا إله إبراهيم . وإلـه إسحق ، وإلـه يعقوب » ؟ وما كان إلـه أموات ، بل إلـه أحياء » [مت ٢٢ : ٣١ ـ ٣٢]

نص التوراة :

« ثم قال : أنا إله أبيك . إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب » [خر٣:٦]

الاقتباس الثلاثـــون :

نص الإنجيل :

« وبلغ الفريسيين أنه أفحم الصدوقيين ؛ فاجتمعوا معا . فسأله واحد منهم ؛ ليحرجه : يا معلم ما هى الوصية الكبرى فى الشريعة ؟ فقال له: «أحبب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك، وكل ذهنك » تلك هى الوصية الكبرى والأولى . والثانية مثلها: « أحبب قريبك حبك لنفسك » بهاتين الوصيتين ترتبط الشريعة كلها، والأنبياء » [مت ٢٢ : ٣٤ ـ ٤٠]

نص التوراة :

١ ـ «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك » [تث ٦ : ٤ ـ ٥]

٢ ـ «لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك. أنا الرب » [لا ١٩ : ١٨]

الاقتباس الحادي والثلاثون :

نص الإنجيل :

«وبينما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع : ما رأيكم فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود ربا ؟ بوحى من الروح ؛ فيقول : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك » فإذا كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ولا جرؤ أحد منذ ذلك اليوم أن يسأله عن شيء » [مت ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦]

نص التوراة :

« قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . . » [مز ١١٠ : ١ ـ] وقد سبق الكلام فيه .

وشرح المزمور من كتاب السنن القويم :

جرت عادة بنى إسرائيل فى مخاطبة ملوكهم أن يدعو الملك بسيدى . ولذلك يقول داود عن المَسِيا الآتى باعتبار أنه سيكون ملكا : إنه سيده . كأنه يقول : قال الله لسيدى

الملك . والجلوس عن اليمين ـ على عاداتهم ـ هو للتكريم . وإذ أراد الله أن يكرمه ، قال له : اجلس عن يمينى . والله ليس جسما ، ولا له مكان معين . وإنما هو يكلم البشر عن نفسه على قدر عقولهم [١ مل ٢ : ١٩] والأعداء يكونون عند موطىء قدميه ؛ هو كناية عن الخضوع التام . ففى سِفر الملوك الأول : أن الله جعل أعداء داود تحت بطن قدميه [١ مل ٥ : ٣] وشعب هذا الملك مندفع من نفسه ،فى سبيل خدمته . أى حينما يدعوهم ليظهر قوته يتجندون حالا . يأتون مزينين كأنهم مولودون من الفجر ، ويشبهون الطل المتساقط. أى النَّدى القوى على وجه الأرض . يأتى الأحداث والشباب لهذه الخدمة ؛ لأنهم عزّ الملك . وبهم يتغلب على الأعداء؛ لأنهم ذوو عزيمة وإقدام ، ولا يبخلون بأية تضحيات، مهما عظمت .

مرة أخرى يذكر الرب أنه عن اليمين ، ولكنه الآن يضع الترتيب بشكل آخر إذ الملك يجلس ، والرب عن يمينه . بينما من قبل : الرب يجلس والملك عن يمينه . وفى كلتا الحالتين : أن الشىء المهم هو أن يؤكد لنفسه وللناس : أن الله معه وسينصره على الأعداء بل سيجعل هؤلاء محطمين . لاسيما وهو يغضب عليهم غضبا شديدا . وهكذا . فإن الأرض كلها قد امتلأت بجثث القتلى وتناثرت الهامات إلى كل جانب . ولكن هذا الملك العظيم لا يعبأ بشىء ، بل يستمر فى معاركه حتى أنه لا يتأخر من أى الأسباب . وعبر عن استمراره بأنه يستخدم النهر ليشرب منه فلايعوقه عن التقدم والمسير إلى غايته ، والنيل من أعدائه ، ويرفع رأسه أخيرا ؛ كناية عن علامة الظفر العظيم ، والنصرة الكاملة . وإذا مر ليشرب من جانب النهر فإنما يفعل ذلك على سبيل الكناية لكى يستريح ويأخذ وقتا للترويح عن نفسه ، بعد أن يكون قد تغلب على كل الأعداء .

الاقتباس الثانى والثلاثون :

نص الإنجيل :

« يا أورشليم . يا أورشليم . ياقاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا . هو ذا بيتكم ؛ يُترك لكم خرابا ؛ لأنى أقول لكم : إنكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا : «مبارك الآتى باسم الرب » [مت ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٩]

نص التوراة :

« مبارك الآتى باسم الرب » [مز ١١٨ : ٢٦] وقد سبق الكلام فيه .

الاقتباس الثالث والثلاثون :

يقول المحرف : إنه فى نهاية أيام يسوع على الأرض ؛ تنبأ بقتله وصلبه . وأن الحواريين لما سمعوا أنه ينبىء بقتله وصلبه ، قالوا فى أنفسهم : إذا قتل وصلب ؛ فإنه لا يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . وذلك لأن من أوصافه فى كتاب موسى : أنه لا يقتل بيد أعدائه . ويريد المحرف أن يثبت أن يسوع هو النبى الآتى حتى ولو كان سيقتل وسيصلب . وذلك بقوله :

نص الإنجيل :

« فقال لهم يسوع : سأكون لكم جميعا حجر عثرة فى هذه الليلة. فقد كتب : « سأضرب الراعى ؛ فتتبدد خراف القطيع » [مت ٢٦ : ٣١]

يريد أن يقول : إن الحواريين سيعثرون فى أنه هو النبى الآتى أم ليس هو ؟ وأن عثرتهم هذه ؛ قد تنبأ عنها زكريا فى سفره .

نص التوراة :

«استيقظ يا سيف على راعىّ . وعلى رجل رفقتى. يقول رب الجنود . اضرب الراعى ؛ فتتشتت الغنم ، وأرد يدى على الصغار ، ويكون فى كل الأرض. يقول الرب: أن ثلثين منها يقطعان ويموتان ، والثلث يبقى فيها . وأدخل الثلث فى النار، وأمحصهم كمحص الفضة ، وأمتحنهم امتحان الذهب . هو يدعو باسمى ، وأنا أجيبه . أقول : هو شعبى . وهو يقول : الرب إلهى . . » [زك ١٣ : ٧]

البيـان :

إنه يتكلم عن عهد النبى الآتى. وعهد النبى السابق. عهد بركة إسحق، وعهد بركة إسماعيل. فيقول: إن علماء بنى إسرائيل كانوا رعاة الشعب، ومعلميهم. ولكنهم زاغوا وفسدوا. فالآن سأرسل إليهم النبى الأمى الآتى على مثال موسى؛ ليحاربهم ويغلبهم. ويظهر ذلك بعبارات مجازية هى: «استيقظ يا سيف على راعى» القدامى «وعلى رجل رفقتى» يعنى به إسرائيل، وبنوه. ثم يخاطب النبى الآتى بقوله: « اضرب الراعى» يعنى الرعاة، والمقصود بهم: بنو إسرائيل، ثم تكلم عن شعب مضى. وهو شعب بنى إسرائيل. وشعب آت. وهو شعب بنى إسماعيل. ويقول عن الشعب الآتى: «هو يدعو باسمى، وأنا أجيبه أقول:هو شعبى. وهو يقول: الرب إلهى»

وبعد هذا يقول زكريا: «هو ذا يوم للرب يأتى. فيقسم سلبك فى وسطك، وأجمع

كل الأمم على أورشليم للمحاربة ؛ فتؤخذ المدينة ، وتنهب البيوت وتفضح النساء، ويخرج نصف المدينة إلى السبى ، وبقية الشعب لا تقطع من المدينة. فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم »

١ ـ لاحظ :

« فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم »

إنه يتكلم عن«يوم الرب»وهو اليوم الذى سيظهر فيه النبى الأمِّى الآتى بملكوته.

ويقول : إنه فى حال صعوده إلى « فلسطين » ليملك عليها هو وأصحابه . سيكون فى أصحابه من جميع الأمم . كسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، ونفر من عراق العجم ، واليمن ، ومصر ، وغيرهم . وسيحاربون اليهود فى « أورشليم » ويسبون بعضا ، ويقتلون بعضا . ويخرج الرب ويحارب اليهود مع تلك الأمم . أى: أن الله سيكون فى صف النبى . ضد اليهود .

والمترجم قد ألغز المعنى . بقوله : إن الرب سيحارب مع اليهود ضد الأمم . وسياق الكلام يكذبه ويفضحه. والمترجمون الآخرون أيضا يكذبونه ويفضحونه . ففى التفسير الحديث للكتاب المقدس . ما نصه :

« ويحارب الرب ضد تلك الأمم . هناك غموض أو التباس فى حرف الجر ، بى، فى العبرانية . حيث أنها الكلمة العادية لحرف الجر فى إن. ومن هنا يمكن أن تنقل إلينا: أن الرب كان وسط الأعداء محاربا ضد إسرائيل. ومن الناحية الأخرى . فإن ضمه إلى الفعل « يحارب » يعنى عادة « ضد » . . ولقد فسر آباء الكنيسة القدامى « كيرلس» و « تيودو ريت » و « يوسابيوس » هذه الآية لتعنى: أن « الرب » يحارب ضد « أورشليم »[1] أ .هـ

٢ ـ ولاحظ :

« وتهربون فى جواء جبالى »

وهو نص فى هروب اليهود من أورشليم حال دخول جيش المسلمين فيها مع الصحابى الجليل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد عبر عيسى عليه السلام بتعبير الهرب فى حديثه عن العلامات .

ومن كلامه للحواريين: «وصلُّوا لكى لايكون هروبكم فى شتاء، ولا فى سبت. لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم . . الخ » [متى ٢٤]

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس رقم ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

يقول المفسرون: «إن هناك صعوبة فى فهم هذه الآية بسبب كثير من نقط الغموض فى النص. فالترجمة الماسورية تترجم «وتهربون» والترجمة اليونانية تترجم «يوقفون»

٣ ـ ولاحظ :

« ويأتى الرب إلهى ، وجميع القديسين معك »

هذا نص فى مجيء النبى المنتظر مع أصحابه . وفى ترجمة أخرى : « وجميع قديسيه معه »

وهذا له صلة بنبوءة « فاران » وفيها عن المَسيا المنتظر : « جميع قديسيه فى يدك » [تث ٣٣ : ١ ـ] « الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران » [حب ٣ : ٣]

٤ ـ لاحظ :

« ويكون فى ذلك اليوم أنه لا يكون نور . . الخ »

وهو تعبير مبالغ فيه عن هول المعركة وشدتها .

وقد اقتبسه المسيح في حديثه عن العلامات ، فقال : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام : تظلم الشمس . والقمر لا يُعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء . . » كناية عن هول المعركة وشدتها ، وهزيمة بني إسرائيل فى « فلسطين » فى بدء دخول المسلمين فيها .

٥ ـ لاحظ :

« فيسكنون فيها ، ولا يكون بعد لعن ؛ فتعمر أورشليم بالأمن »

إن الله لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود فى المزمور المئة والتاسع عشر، وعلى لسان عيسى بن مريم فى الأصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى . وهو الآن يذكر أنه لن يلعن الأمة الآتية .

٦ ـ لاحظ :

« ويكون أن كل الباقى من جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم ، يصعدون من سنة إلى سنة ؛ ليسجدوا للملك رب الجنود »

وهذا دليل على الحج إلى بيت الله الحرام .

٧ ـ لاحظ :

« وفى ذلك اليوم لا يكون بعد كنعانى فى بيت رب الجنود »

أى لا يكون واحد من المشركين مع المسلمين فى الكعبة. بيت الله الحرام ؛ لأن الكنعانى فى لغتهم؛ رمز للمشرك. وفى ذلك المعنى؛ جاء فى القرآن الكريم: ﴿ إنما المشركون نجس ؛ فلا يقربوا المسجد الحرم بعد عامهم هذا ﴾

وهذا هو النص بتمامه :

« استيقظ[1] يا سيف على راعىّ ، وعلى رجل رفقتى . يقول رب الجنود . اضرب الراعى فتتشتت الغنم ، وأرد يدى على الصغار . ويكون فى كل الأرض يقول الرب : إن ثلثين منها يقطعان ويموتان والثلث يبقى فيها . وأدخل الثلث فى النار وأمحصهم كمحص الفضة وأمتحنهم امتحان الذهب . هو يدعو باسمى وأنا أجيبه . أقول : هو شعبى . وهو يقول : الرب إلهى .

هوذا يوم للرب يأتى فيقسم سلبك فى وسطك . وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة . فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتفضح النساء ويخرج نصف المدينة إلى السبى . وبقية الشعب لا تقطع من المدينة .

فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم كما فى يوم حربه يوم القتال . وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق ؛ فينشق جبل الزيتون من وسطه نحو الشرق ونحو الغرب واديا عظيما جدا . وينتقل نصف الجبل نحو الشمال ونصفه نحو الجنوب . وتهربون فى جواء جبالى ؛ لأن جواء الجبال يصل إلى آصل وتهربون كما هربتم من الزلزلة فى أيام عُزِّيا ملك يهوذا . ويأتى الرب إلهى وجميع القديسين معك .

ويكون فى ذلك اليوم أنه لا يكون نور . الدرارى تنقبض . ويكون يوم واحد معروف للرب . لا نهار ولا ليل . بل يحدث أنه فى وقت المساء يكون نور . ويكون فى ذلك اليوم أن مياها حية تخرج من أورشليم نصفها إلى البحر الشرقى ونصفها إلى البحر الغربى. فى الصيف وفى الخريف تكون. ويكون الرب ملكا على كل الأرض. فى ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده . وتتحول الأرض كلها كالعربة من جبع إلى رمون جنوب أورشليم . وترتفع وتعمر فى مكانها من باب بَنيامين إلى مكان الباب الأول إلى باب الزوايا . ومن برج حننئيل إلى معاصر الملك . فيسكنون فيها ولا يكون بعد لعن ؛ فتعمر أورشليم بالأمن .

وهذه تكون الضربة التى يضرب بها الرب كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم.

---

(١) زكريا ١٣ وما بعده .

لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم، وعيونهم تذوب فى أوقابها ولسانهم يذوب فى فمهم. ويكون فى ذلك اليوم أن اضطرابا عظيما من الرب يحدث فيهم؛ فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد قريبه. ويهوذا أيضا تحارب أورشليم وتجمع ثروة كل الأمم من حولها ذهب وفضة وملابس كثيرة جدا. وكذا تكون ضربة الخيل والبغال والجمال والحمير وكل البهائم، التى تكون فى هذا المحال. كهذه الضربة .

ويكون أن كل الباقى من جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ؛ ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيدوا عيد المظال . ويكون أن كل من لايصعد من قبائل الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك رب الجنود ؛ لا يكون عليهم مطر . وإن لا تصعد ولا تأت قبيلة مصر ولا مطر عليها ؛ تكن عليها الضربة التى يضرب بها الرب الأمم الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال . هذا يكون قصاص مصر وقصاص كل الأمم، الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال .

وفى ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قدس للرب ، والقدور فى بيت الرب تكون كالمناضح أمام المذبح . وكل قدر فى أورشليم وفى يهوذا تكون قدسا لرب الجنود . وكل الذابحين يأتون ويأخذون منها ويطبخون فيها . وفى ذلك اليوم لا يكون بعد كنعانى فى بيت رب الجنود » [زك ١٣ -]

الاقتباس الرابع والثلاثون :

يقول متى : إن المسيح عيسى عليه السلام مَثَلَ أمام رئيس الكهنة للمحاكمة . وسأله رئيس الكهنة « هل أنت المسيح ابن الله » ؟

و« المسيح » هو لقب عندهم للنبى الأمى الآتى على مثال موسى. وهو محمد ﷺ ويلقب أيضاً بلقب : « المَسِيًا الرئيس » وبلقب « ابن الإنسان » و « ابن الله » لقب له أيضا فى المزمور الثانى لداود عليه السلام . فكأنه يريد أن يسأله : هل أنت النبى الأمى الآتى إلى العالم ؟ ورد على سؤاله بقوله : أنت قلت هذا الكلام ، أما أنا فلم أقل . واعلم : أنه سيأتى من بعدى .

أولا : سيأتى ، وهو جالس عن يمين قوة الله .

وثانيا : وسيأتى على سحاب السماء .

وهما : كناية عن أن الله معه ،وسينصره على أعدائه ،وسيجعله عاليا عليهم ، علوا كبيرا .

نص الإنجيل :

« أستحلفك بالله الحى ؛ أن تقول لنا : هل أنت المسيح ، ابن الله ؟ قال له يسوع : أنت قلت . وأيضا : أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » [مت ٢٩ : ٦٣ ـ ٦٤]

البيـان :

لقد استدل عيسى عليه السلام بأن المسيح المنتظر ، الملقب بابن الله، هو محمد ﷺ الذى لقبه دانيال أيضا بلقب «ابن الإنسان » وأنه سيأتى من بعده قريبا؛ بدليلين من التوراة:

الدليل الأول : قول دانيال بعد حديثه عن الممالك الأربعة : « كنت أرى فى رؤى الليل ، وإذا مع سُحب السماء ،مثل ابن إنسان ؛ أتى وجاء إلى القديم الأيام ؛ فقربوه قدامه ؛ فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى،ما لن يزول.وملكوته مالا ينقرض » [دا ٧ : ١٣ ـ ١٤]

والدليل الثانى : قول داود فى المزمور المئة والعاشر : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » [مز ١١٠ : ١]

وقوله « آتيا على سَحاب السماء » أو « غمام السحاب » هو كناية عن تعظّم النبى ﷺ وارتفاعه، وانتصاره على أعدائه. وفى أثناء نزول التوراة صاحب نزولها إتيان الله فى ظلل من الغمام «فقال الرب لموسى: ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب؛ لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك؛ فيؤمنوا بك أيضا إلى الأبد» [خر ١٩: ٩] ـ «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جدا» [خر ١: ١٨] فلما أخذتهم الرجفة طلبوا أن لا يحدث ذلك مرة أخرى. فلما أظهر الله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن بغير إتيان ولا ارتجاف؛ حذرهم من مخالفته بقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة؟﴾ يريد أن يقول: أتريدون أن أجبركم على قبول القرآن. كما أجبرتكم على قبول التوراة من قبل، إذ نتقت الجبل فوقكم كأنه ظلة؟!

والمراد بنزول الله : نزول ملك من ملائكته؛ لقوله : « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك، ليحفظك فى الطريق،وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته » [خر ٢٣ : ٢٠]

الاقتباس الخامس والثلاثون :

يقول المحرف : إن « يهوذا الإسخريوطى » قد شنق نفسه ، ندما على وشايته بالمسيح

يسوع وكان قبل شنقه ، قد ألقى الثلاثين من الفضة التى أخذها رشوة عند مقدس الهيكَل ، وانصرف . فاشترى بها العلماء حقل الخزاف ، وجعلوه مقبرة للغرباء . وهذا منه ومنهم قد تنبأت به التوراة من قبل وقوعه. فقد قال النبى إرمياء : « وأخذوا الثلاثين من الفضة . وهى ثمن المثمن . ثمنه بها بنو إسرائيل ، وأدوها عن حقل الخزاف . هكذا أمرنى الرب » [مت ٢٧ : ٣ ـ ١٠]

البيــان :

أولا: إن المحرف كذب فى قوله: إن النص من سفر إرمياء. وذلك لأنه ليس فيه.

ثانيا : إن بطرس لم يقل شنق نفسه، بل قال : إنه مات رغم أنفه [اع١:١٨]

ثالثا : قال بطرس: إن التوراة تنبأت عن وشاية يهوذا فى مَزْمورين. هما: المزمور التاسع والستين، والمزمور المائة والتاسع. يقول: « فقد كتب فى سِفر المزامير: « ولتصر داره مقفرة ،ولا يكن فيها ساكن » وكتب أيضا : « ليتول منصبه آخر » [اع ١: ٢٠]

والرد عليه :

هو أن صيغة المزمورين صيغة جمع تدل على كل اليهود ، ولا تدل على شخص بمفرده . وسنذكر نص المزمورين بعدُ

الاقتباس السادس والثلاثون :

نص الإنجيل :

« ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ؛ لكى يتم ما قيل بالنبى : « اقتسموا ثيابى بينهم ، وعلى لباسى ألقوا قرعة » [مت ٢٧ : ٣٥] وفى ترجمة دار المشرق : «فصلبوه ثم اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، وجلسوا هناك يحرسونه » وليس فيها : «لكى يتم ما قيل على لسان النبى : يقتسمون بينهم ثيابى ، ويقترعون على لباسى » [مز ٢٢:١٩] ولاشك ـ كما يقولون ـ أن هذه الإضافة أخذت من [يو ١٩:٢٤]

نص التوراة :

هو المزمور الثانى والعشرين . وهو من النبوءات الدالة على نبى الإسلام ﷺ وبدؤه: «إلهى. إلهى. لماذا تركتنى؟» وفيه تعبيرات مجازية عن ضيقه من أعدائه، وانتصاره عليهم وسيأتى الكلام فيه بعدُ . والاقتباس ٣٧ منه أيضاً .

الاقتباس السابع والثلاثون :

نص الإنجيل :

« وخيَّم الظلام على الأرض كلها، من الظهر إلى الساعة الثالثة . ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة . قال: «إيلى . إيلى . لما شبقتانى؟» أى: «إلهى . إلهى لماذا تركتنى ؟ » [مت ٢٧ : ٤٥ ـ ٤٦]

البيـــان :

إن المزمور الثانى والعشرين هو من مزامر النبى الأُمى الآتى إلى العالم . ويريد المحرف أن يطبقه على يسوع المسيح فى وقت الصلب .

وبدؤه : « إلهى . إلهى . لماذا تركتنى ؟ » وسيأتى الكلام فيه .

لاحظ :

وإذ قد وصلنا إلى هذا الموضع من إنجيل متى ؛ فإنه لكى ننفي حادثة القتل والصلب عن المسيح عيسى عليه السلام بوضوح تام . يتوجب ذكر هذه المزامير :

مزامير الآلام

نص المزمور ٢٢ :

« إلهى إلهى لماذا تركتنى . بعيدا عن خلاصى . عن كلام زفيرى . إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب . فى الليل أدعو فلا هدوًّ لى . وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل . عليك اتكل آباؤنا . اتكلوا فنجيتهم . إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سُرَّ به . لأنك أنت جذبتنى من البطن. جعلتنى مطمئنا على ثديَىْ أمى. عليك ألقيت من الرحم . من بطن أمى أنت إلهى. لا تتباعد عنى لأن الضيق قريب. لأنه لا معين .

أحاطت بى ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتنى . فغروا علىّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر . كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامى . صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط أمعائى . يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى . وإلى تراب الموت تضعنى . لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلى . أُحصى كل عظامى . وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون .

أما أنت يارب فلا تبعد. يا قوتى أسرع إلى نصرتى . أنقذ من السيف نفسى . من يد الكلب وحيدتى. خلصنى من فم الأسد. ومن قرون بقر الوحش؛ استجب لى.

أُخبر باسمك إخوتى . فى وسط الجماعة أسبحك. يا خائفى الرب ، سبحّوه . مجدوه يا معشر ذرية يعقوب . واخشوه يا زرع إسرائيل جميعا . لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه إليه ؛ استمع . من قبلك تسبيحى فى الجماعة العظيمة . أُوفى بنذورى قدام خائفيه . يأكل الودعاء ويشبعون . يسبح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد . تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصى الأرض . وتسجد قدامك كل قبائل الأمم . لأن للرب الملك ، وهو المتسلط على الأُمم . أكل وسجد كل سمينى الأرض . قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب ومن لم يحيى نفسه . الذرية تتعبد له . يخبَّر عن الرب الجيل الآتى . يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بأنه قد فعل »

نص المزمور ١٠٩ :

« يا إله تسبيحى لا تسكت . لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام بغض. أحاطوا بى وقاتلونى بلا سبب . بدل محبتى يخاصموننى. أما أنا فصلاة. وضعوا على شرا بدل خير ، وبغضا بدل حبى.

فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية. لتكن أيامه قليلة . ووظيفته ليأخذها آخر. ليكن بنوه أيتاما وامرأته أرملة. ليته بنوه تيهانا ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم. ليصطد المرابى كل ماله ولينهب الغرباء تعبه. لا يكن له باسط رحمة ولا يكن مترأف على يتاماه. لتنقرض ذريته . فى الجبل القادم ليمح اسمهم. ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولاتمح خطية أمه. لتكن أمام الرب دائما وليقرض من الأرض ذكرهم. من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته ولم يسرّ بالبركة فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه فى حشاه وكزيت فى عظامه. لتكن له كثوب يتعطف به وكمنطقة يتنطق بها دائما. هذه أجرة مبغضى من عند الرب وأجرة المتكلمين شرا على نفسى .

أما أنت يارب السيد فاصنع معى من أجل اسمك . لأن رحمتك طيبة. نجنى . فإنى فقير ومسكين أنا . وقلبى مجروح فى داخلى . كظل عند ميله ذهبت ؛ انتفضت كجرادة . ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن . وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون إلى وينغضون رءوسهم .

أعنى يا رب إلهى . خلصنى حسب رحمتك. وليعلموا أن هذه هى يدك . أنت يارب

فعلت هذا . أما هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح . ليلبس خصمائى خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء . أحمد الرب جدا بفمى وفى وسط كثيرين أسبحه . لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه »

نص المزمور ٦٩ :

« خلصنى يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسى . غرقت فى حمأة عميقة وليس مقرّ . دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرنى . تعبت من صراخى . يبس حلقى . كلت عيناى من انتظار إلهى . أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب . اعتز مستهلكى أعدائى ظلما . حينئذ رددت الذى لم أخطفه .

يا ألله أنت عرفت حماقتى . وذنوبى عنك لم تخف . لا يخز بى منتظروك يا سيد رب الجنود . لا يخجل بى ملتمسوك يا إله إسرائيل . لأنى من أجلك احتملت العار . غطى الخجل وجهى . صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى . لأن غيرة بيتك أكلتنى وتعييرات معيريك وقعت على . وأبكيت بصوم نفسى . فصار ذلك عارا على . جعلت لباسى مسحا وصرت لهم مثلا . يتكلم فىّ الجالسون فى الباب وأغانى شرابى المسكر .

أما أنا فلك صلاتى يا رب . فى وقت رضى يا ألله . بكثرة رحمتك . استجب لى. بحق خلاصك. نجنى من الطين فلا أغرق . نجنى من مبغضى ومن أعماق المياه . لا يغمرنى سيل المياه ولا يبتلعنى العمق ولا تطبق الهاوية علىّ فاها . استجب لى يا رب لأن رحمتك صالحة . ككثرة مراحمك التفت إلى . ولا تحجب وجهك عن عبدك. لأن لى ضيقا. استجب لى سريعا. اقترب إلى نفسى. فكها. بسبب أعدائى افدنى. أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى . قدامك جميع مضايقى . العار قد كسر قلبى ؛ فمرضت . انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد . ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلا .

لتصر مائدتهم قدامهم فخا وللآمنين شركا . لتظلم عيونهم عن البصر. وقلقل متونهم دائما . صبّ عليهم سخطك وليدركهم حمو غضبك . **لتصر دارهم خرابا وفى خيامهم لا يكن ساكن** . لأن الذى ضربته أنت هم طردوه وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون . اجعل إثما على إثمهم ولايدخلوا فى برك . ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يكتبوا .

أما أنا فمسكين وكئيب. خلاصك يا ألله فليرفعنى . أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد . فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف . يرى ذلك الودعاء

فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبى الله . لأن الرب سامع للمساكين ولايحتقر أسراه . تسبحه السموات والأرض . البحار وكل ما يدب فيها . لأن الله يخلّص صهيون ويبنى مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها . ونسل عبيده يملكونها ومحبو اسمه يسكنون فيها »

* * *

وإذ قد فرغنا من قراءة المزامير ٢٢ ـ ١٠٩ ـ ٦٩ نأخذ في نفى[1] القتل والصلب، عن المسيح عيسي بن مريم عليه السلام . وسنذكر باقى المزامير المقتبس منها للقتل والصلب فى ثنايا الكلام . وهى : ٣١ ـ ٣٤ ـ ١٦ ونقول :

نفي القتل والصلب
عن
عيسي عليه السلام

أولا : الخلاص :

من أوصاف النبى المنتظر فى التوراة وفى الإنجيل ـ وهو محمد ﷺ ـ أن يخلِّص هو وأتباعه ؛ متّقى الرب من بنى إسرائيل ، من سيطرة أمم الكفر عليهم ، بالحروب الشديدة على طول الزمان . ومن كلام إشعياء فى الخلاص : « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام . المبشر بالخير . المخبر بالخلاص . القائل لصهيون : قد ملك إلهك . . . فترى كل أطراف الأرض ؛ خلاص إلهنا » [إش ٥٢ : ٧ ـ] وقال إشعياء : إن جميع الأمم مكلفة بالدخول فى دين النبى المنتظر « هكذا قال الرب: احفظوا الحق، وأجروا العدل؛ لأنه قريب مجئ خلاصى ، واستعلان برّى . طوبى للإنسان الذى يعمل هذا ، ولابن الإنسان الذى يتمسك به » وفسر إشعياء كلمة « الإنسان » بأنها على العموم . فقال : « وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب؛ ليخدموه، وليحبوا اسم الرب ؛ ليكونوا له عبيدا ، كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ، ويتمسكون بعهدى ؛ آتى بهم إلى جبل قدسى ، وأفرحهم فى بيت صلاتى ، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى ؛ لأن بيتى بيت الصلاة ، يدعى ، لكل الشعوب » [إش ٥٦]

وقال لوقا فى إنجيله : إن الخلاص هو خلاص من الأعداء بالحرب على يد النبى المنتظر « كما تكلم بفم أنبيائه القديسين ، الذين هم منذ الدهر. خلاص من أعدائنا ، ومن أيدى جميع مبغضينا ؛ ليصنع رحمة مع آبائنا ، ويذكر عهده المقدس » [لوقا ١ : ٧٠ ـ ٧٢] وفى

---

(١) تكملة هذا الموضوع فى كتابنا الإنجيل فى التوراة.

هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ أى يذيعون فى أمم الكفر : أن نبيا منتظرا من نسل إبراهيم ، سيرسله الله إلى العالم ، وعلى يديه يكون خلاصنا بالحرب من ذلّ أمم الكفر . وسيفتح بلادهم ، وينشر فيها شريعته .وقد عبر لوقا عن هذا المعنى بقوله : « القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا : إننا بلاخوف منقذين من أيدى أعدائنا . نعبده بقداسة وبر ، قدامه ، جميع أيام حياتنا » [لو ١ : ٧٣ ـ ٧٥]

وفى التوراة : أنه إذا ظهر هذا النبى الأمى المنتظر ؛ فإنه سترتفع أمة ، وستنخفض أمة . ستعز أمة ، وستذل أمة . وقد حدث فى ظهوره : ارتفاع لأمة بنى إسماعيل ، وانخفاض لأمة بنى إسحق . ولو كان هذا النبى من بنى إسرائيل ـ كما يزعم أهل الكتاب ـ لدام العز فى بنى إسرائيل،والنصارى؛لأن النصارى طائفة منهم

وقد عبرت التوراة عن نزع الملك والنبوة من بنى إسرائيل، وعن مذلتهم بعد العز؛ بهذا النص : « وأنت أيها النجس الشرير ، رئيس إسرائيل . الذى قد جاء يومه ، فى زمان إثم النهاية . هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة ، ارفع التَّاج . هذه لا تلك . ارفع الوضيع ، وضع الرفيع . مُنقلبا . منقلبا . منقلبا أجعله . **هذا أيضاً لا يكون ، حتي يأتى الذى** له الحكم ؛ فأعطيه إياه » [حز ٢١ : ٢٦ ـ ٢٧] والذي له الحكم: هو النبى المنتظر . كما فى الأصحاح التاسع والأربعين . الآية العاشرة ، من سفر التكوين . ونصها : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتي يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب » أى يظل الملك في بني إسرائيل ، وتظل الشريعة ؛ حتى أن يأتى « الذى له الحكم » أو « الذي هو له » وفي بعض التراجم : « حتى يأتى المسيح » والمسيح فى لغتهم هو لقب من ألقاب النبى الأمى الآتى إلى العالم .

وعبر الإنجيل عن نزع الملك والنبوة من بني إسرائيل ، وعن مذلتهم بعد العز ؛ بهذا النص : « أنزل الأعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين » [لو : ٥٢] وقال المسيح عيسى بن مريم لعلماء بنى إسرائيل : « إن ملكوت الله يُنزع منكم ، ويعطى لأمّة تعمل أثماره » [مت ٢١ : ٤٣]

تحريف الكلم عن مواضعه :

ولما أراد النصارى جعل عيسى عليه السلام هو النبى المنتظر ، النبى الأمى الآتى إلى العالم ، ورأوا أن صفة الخلاص لم تظهر فيه ؛ وذلك لأنه لم يحارب ولم ينتصر ولم يخلص بنى إسرائيل من ذل أهل الروم؛حولوا صفة الخلاص من خلاص من الأعداء

بالحرب ـ كما تنص التوراة وينص الإنجيل ـ إلى خلاص من الخطايا والذنوب[1] . وذلك بقولهم : إن الله رضى بقتل ابنه على الصليب ؛ ليفدى جميع البشر من آثار خطية أبيهم آدم عليه السلام ، وأن من يؤمن بالمسيح ربا مصلوبا ؛ سوف يدخل الجنة بدون عمل صالح قد عمله . وبدون حساب .

وهذا منهم تحريف للكلم عن مواضعه . أى تفسير النصوص تفسيرا باطلا .

والدليل على بطلان قولهم ، فوق ما ذكرنا :

هو أن التوراة قد نصت على أن الدين أ ـ عقيدة ب ـ وعمل . وعلى أن العمل شرط صحة فى الدين. وأن من يعتقد ولا يعمل،أويعمل بلا عقيدة،هو من الأخسرين أعمالا. الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ففى سفر أيوب : « أليس البوار لعامل الشر، والنكر لفاعل الإثم ؟ » [اى ٣٠ : ٣] «حاشا لله من الشر ، وللقدير من الظلم ؛ لأنه يجازى الإنسان على فعله ، وينيل الرجل كطريقه .فحقا إن الله لا يفعل سوءا، والقدير لا يعوج القضاء » [اى ٣٤ : ١٠ ـ ١٢] وفى سفر الزبور : « الرب يمتحن الصديق ، أما الشرير ، ومحب الظلم ؛ فتبغضه نفسى . يمطر على الأشرار فخاخا . نارا . وكبريتا . وريح السموم نصيب كأسهم ؛ لأن الرب عادل ، ويحب العدل .المستقيم يبصر وجهه » [مز ١١ : ٥ ـ ٧] وتضرع داود عليه السلام إلى الله عز وجل بقوله : « إليك يا رب أصرخ. يا صخرتى. لا تتصامم من جهتى ؛ لئلا تسكت عنى؛ فأشبه الهابطين فى الجب. استمع صوت تضرعى، إذ أستغيث بك ، وأرفع يدى إلى محراب قدسك. لا تجذبنى مع الأشرار، ومع فعلة الإثم . المخاطبين أصحابهم

---

(١) معنى الإنجيل : فى الأصل اليونانى « إيفنجيليون » ومنها اشتقوا كلمة « إنجيل » وهى تدل على « البشرى المفرحة » أو « البشارة المفرحة » ففى إنجيل مرقس : « بدء بشارة يسوع المسيح » [مر ١ : ١] وفى ترجمة أخرى : « بدء إنجيل يسوع المسيح » فما هى هذه البشرى ؟ وما هو زمان بدئها ؟

يقول مرقس : إنها البشارة باقتراب ملكوت الله « وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا ، وآمنوا بالإنجيل » وفى ترجمة أخرى : « وبعد اعتقال يوحنا ، جاء يسوع إلى الجليل ، يعلن بشارة الله ، فيقول : حان الوقت واقترب ملكوت الله . فتوبوا ،وآمنوا بالبشارة » [مر ١ ١٤ ـ ١٥]

ومعنى ذلك : هو أن الإنجيل يبشر الناس باقتراب ملكوت الله . الذى أخبر النبى دانيال عن تأسيسه فى الأرض عقب زوال دولة أهل الروم .

وقول المسيح : إن الملكوت قد اقترب زمانه . يدل على أن المسيح ليس هو صاحبه . ولكن النصارى يقولون : إنه هو صاحبه ، ليس من بدء البشارة ، بل من بعد رفعه إلى السماء . وذلك لأنه قتل وصلب وانتصر على الموت . ومن حين انتصاره ؛ ظهرت مهمته فى مغفرة الخطايا . فالإنجيل هو البشرى بمغفرة الخطايا . هذا هو قولهم .

بالسلام، والشر فى قلوبهم. أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم . حسب صنع أيديهم أعطهم. رد عليهم معاملتهم؛ لأنهم لم ينتبهوا إلى أفعال الرب، ولا إلى أعمال يديه. يهدمهم ولا يبنيهم » [مز ٢٢:١ ـ ٥] ويقول إشعياء عن الله تعالى: « حسب الأعمال. هكذا يجازى مبغضيه سخطا ، وأعداءه عقابا » [إش ٥٩ : ١٨]

وفى سفر إرمياء: « هكذا قال الرب إله إسرائيل: ملعون الإنسان الذى لا يسمع كلام هذا العهد. .» [إر ١١ : ٤ ـ] ويقول حِزقيال عن الله تعالى: «كطريقهم وكأفعالهم؛ دنتهم » [حز ٣٦ : ١٩] وقال هوشع عن علماء بنى إسرائيل: «وكما يكون لصوص لإنسان، كذلك زمرة الكهنة فى الطريق؛ يقتلون نحو شكيم. إنهم قد صنعوا فاحشة. فى بيت إسرائيل رأيت أمرا فظيعا . . الآن قد أحاطت بهم أفعالهم » [هو ٦ : ٩ ـ]

وفى الأناجيل: يقول عيسى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل: « يا أولاد الأفاعى . من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة . . الخ » [متى ٣ : ٧ ـ] « وأما من عمل وعلّم؛ فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات» [مت ٥ : ١٩] « قد سمعتم: أنه قيل للقدماء: لا تزن. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ؛ ليشتهيها ؛ فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك ؛ فاقلعها وألقها عنك ؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك ؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » [متى ٥ : ٢٧ ـ ٣٠] وقد لعن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذين كفروا من بنى إسرائيل ؛ فقال : « اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية، المعدة لإبليس وملائكته » [مت ٢٥ : ٤١] وقد لعنهم داود عليه السلام من قبله ؛ فقال فى المزمور المائة والتاسع عشر لله تعالى: « انتهرتَ المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك» [مز ١١٩ : ٢١] وقال للحواريين: « بالكيل الذى به تكيلون؛ يكال لكم، ويزاد لكم » [مر ٤ : ٢٤] « وقال لهم فى تعليمه: تحرزوا من الكتبة ، الذين يرغبون المشى بالطيالسة، والتحيات فى الأسواق، والمجالس الأولى فى المجامع، والمتكآت الأولى فى الولائم ، الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلَّة يطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم » [مر ١٢:٣٨ـ٤٠] « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله ، وأهلك نفسه أو خسرها ؟ » [لو ٩ : ٢٥] ووبخ علماء بنى إسرائيل بقوله:« ويل لكم؛ لأنكم تبنون قبور الأنبياء. وآباؤكم قتلوهم . إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم؛ لأنهم هم قتلوهم، وأنتم تبنون قبورهم» [لو١١:٤٧ـ ٤٨] وخاطب الحواريين بقوله: « يا أحبائى لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر، بل أريكم ممن تخافون؟ خافوا من الذى بعد ما يقتل، له سلطان أن

يلقى فى جهنم. نعم. أقول لكم : من هذا خافوا » [لو١٢:٤ـ ٥] « لا يقدر العالم أن يبغضكم، ولكنه يبغضنى أنا ؛ لأنى أشهد عليه : أن أعماله شريرة» [يو٧:٧] وقال لعلماء بنى إسرائيل: « أليس موسى قد أعطاكم الناموس، وليس أحد منكم يعمل الناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلونى؟» [يو ٧ : ١٩]

« فنادى يسوع وقال : الذى يؤمن بى، ليس يؤمن بى، بل بالذى أرسلنى. والذى يرانى، يرى الذى أرسلنى. أنا قد جئت نورا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بى، لايمكث فى الظلمة. وإن سمع أحد كلامى، ولم يؤمن، فأنا لا أدينه؛ لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلّص العالم. من رذلنى ولم يقبل كلامى؛ فله من يدينه. الكلام الذى تكلمت به؛ هو يدينه فى اليوم الأخير »[يو ١٢ :١٤ ـ ٤٨] يقصد باليوم الأخير: انتهاء عصر الملك والنبوة فى بنى إسحق، وبدء عصر الملك والنبوة فى بنى إسماعيل. ويريد أن يقول: إنه فى حالة ظهور النبى الآتى من بعدى، ستكون حروب شديدة بين أتباعه، وبين بنى إسرائيل. ومن ينضم إلى أتباعه بسبب توضيحى لصفاته؛ فإنه سينجو من الهلاك. فكلامى هو الذى ينجيه، وكلامى هو الذى يدينه ويهلكه ، فى حال ظهوره .

ومن كلام « بولس » فى تمييز الله بين الأبرار والخطأة :

إن علماء بنى إسرائيل، انطلقوا به إلى « فيلكس» الوالى. وقالوا له: إن بولس خرج على شريعة موسى ، ونريد منك أن تعاقبه بحكم الشريعة فيه. فطلبه الوالى، وسأله عن قول العلماء فيه. فكان مما قال: « ولكننى أقر لك بهذا: أننى حسب الطريق الذى يقولون له شيعة ، هكذا أعبد إله آبائى، مؤمنا بكل ما هو مكتوب فى الناموس والأنبياء، ولى رجاء بالله فى ما هم أيضا ينتظرون: أنه سوف تكون قيامة للأموات؛ الأبرار، والأثمة. لذلك أنا أيضا أدرب نفسى ، ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة ، من نحو الله والناس. وبعد سنين كثيرة جئت أصنع صدقات لأمّتى وقرابين » [اع ٢٤ : ١٤ ـ ١٧]

يريد أن يقول : إن النصارى شيعة من اليهود، وإن هذه الشيعة ملتزمة بالتوراة، مثل اليهود سواء بسواء. وليست ملتزمة بالتوراة فقط، بل بها وبأسفار الأنبياء كلها . وأنا أعبد الله على سنن اليهود ، وأؤمن بيوم القيامة ، هذا اليوم الذى سيميز الله فيه بين الأبرار والأثمة ، ولن يسوى بينهم . إذ لا يستوى العامل والخامل ، ولا يستوى المؤمن والكافر . ولخوفى من العذاب فى جهنم ؛ أجمع صدقات وقرابين . وهذا هو ما صرح به المسيح عيسى عليه السلام فإنه قد قال : « لا تظنوا . أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » [متى ٥ : ١٧]

وعلى ما تقدم يكون قول أ ـ طائفة من النصارى: بأن « المسيح عيسى » ـ عليه السلام ـ هو الله نفسه، وقد نزل من السماء، وتجسد فى شكل إنسان، وقتل وصلب، وتعذب فى الجحيم ثلاثة أيام . هى كلها مدة وجوده فى القبر، ثم ارتفع إلى السماء، وقد غفر الذنوب وستر الخطايا ، ومنع الأثمة من دخول جهنم، وساوى بينهم وبين الأبرار فى دخول الجنة. يكون قولهم هذا ؛ قول باطل، لا أساس له من الصحة، بنص كتبهم التى يقدسونها. ب ـ وطائفة: بأن « المسيح عيسى» ـ عليه السلام ـ هو إله ثان مع الله . وهو ابنه بالطبيعة وليس بالتبنى . وقد رضى الله بقتل ابنه وصلبه وتعذيبه؛ من أجل التكفير عن الخطايا، الموروثة من آدم وحواء. يكون قولهم هذا ؛ قول باطل، لا أساس له من الصحة، بنص كتبهم التى يقدسونها . وغرضهم منه: هو اللغو فى صفة الخلاص على يد النبى المنتظر الآتى على مثال موسى عليه السلام . وهو محمد رسول الله .

* * *

ثانيا : الانتصار :

ويقول النصارى: إن « المسيح عيسى » ـ عليه السلام ـ قد قتل وصلب ، ودفن فى الأرض، ثم حيى ، وقام من أرض الأموات. وقيامته من الأموات هى انتصار على أعدائه من اليهود الذين تربصوا به للهلاك ، وسعوا به إليه.

ولماذا قالوا بهزيمته ؟ ولماذا قالوا بانتصاره ؟ الهزيمة من الأعداء ، والانتصار على الأعداء . إنهم قالوا بهزيمته ، ليتوصلوا بها إلى انتصاره . وقالوا بانتصاره ؛ لأن التوراة بينت فى صفات النبى المنتظر : أن من صفاته ؛ صفة الانتصار على الأعداء فى الحروب ، والملك عليهم . إلى يوم القيامة . وهذه الصفة متحققة فى محمد ﷺ والنصارى يعلمون علم اليقين أنه سيأتى من بعد عيسى عليه السلام بزمان ليس بالطويل ؛ ليحارب ولينتصر ، وليملك . ولما رأوا أن يجعلوا عيسى عليه السلام هو النبى المنتظر ، وليس محمدا ﷺ فكروا ـ وهم يريدون أن يلصقوا صفة الانتصار به ـ فى إيجاد معنى لهذه الصفة . وهداهم تفكيرهم إلى أن يكون معناها : هو الانتصار على الأعداء من بعد دفنهم له فى التراب.

وإذ من المعلوم : أن الدفن فى التراب ؛ يستوى فيه المقتول والمنتصر والميت موتا طبيعيا عاديا ، حتف أنفه . فإنهم إذا قالوا ـ بناء على هذا المعلوم ـ : إنه لما مات يسوع المسيح حتف أنفه ؛ قام من الأموات ؛ فإن قولهم هذا لايدل على انتصاره ؛ وذلك لأن كثيرين قد رقدوا فى التراب. وقاموا على أقدامهم. جيش عظيم جدا جدا . فأى ميزة تكون له إذا مات موتا عاديا ، وحيى حياة عادية مثل من ماتوا ، وخرجوا من قبورهم أحياء ؟

فإن على ظواهر الألفاظ فى سفر حِزقيال : « هكذا قال السيد الرب : هلم يا روح من الرياح الأربع، وهب على هؤلاء القتلى؛ ليحيوا . فتنبأتُ كما أمرنى. فدخل فيهم الروح؛ فحيوا وقاموا على أقدامهم ؛ جيش عظيم جدا جدا » [حز ٣٧: ٩-١٠] وفى المعنى الكنائى لهذا النص: يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . فقال لهم الله : موتوا . ثم أحياهم ﴾ يشير إلى سبيهم إلى بابل. وهم خائفون من جنود نبوخذ ناصر. والموت ههنا ليس على حقيقته. وإنما هو كناية عن ذلهم وهوانهم فى بلاد بابل. ثم إن الله أحياهم. أى: أرجعهم إلى فلسطين، وأعطاهم العز بدل الذل.

ولنناقش النصارى فى قولهم بهزيمته أولا على يد أعدائه ، وتمكنهم من قتله . ثم نناقشهم فى قولهم ثانيا بانتصاره على الأعداء .

أما عن قولهم بهزيمته على يد أعدائه :

فإن الهزيمة على قسمين : هزيمة تنتهى بالقتل ، وهزيمة تبدد قوة المهزوم فى حياته ، ولا تبلغ به إلى القتل . وغرض النصارى من القول بهزيمة يسوع المسيح : هو الهزيمة التى تنتهى بالقتل . وليس غرضهم هو الهزيمة التى تبدد القوة . فإن كثيرين ينهزمون ، وتتبدّد قواهم ؛ ثم تقوم لهم قائمة ، وينتصرون . وهذا واقع فيحياة الأفراد والأمم ؛ فإن داود - عليه السلام - قد هُزم فى معارك ، ومات منتصرا . و « أورشليم » التى يُعبر عنها فى القرآن الكريم[1] بـ ﴿ المدينة ﴾ أو بالقرية . قد خربت مائة عام على يد « نبوخذ نصّر » ملك بابل ، ثم عمرت .

وقد صرح النصارى بالهزيمة التى تنتهى بالقتل للمسيح عيسى عليه السلام. فهل هم على حق فى هذا التصريح ؟ ولماذا صرحوا به ؟

نقول أولا وقبل كل شىء : إن أعداء عيسى عليه السلام هم علماء بنى إسرائيل من دون الناس . وذلك لأنهم من زمان سبى بابل كانوا يعلّمون بنى إسرائيل بأن التوراة شريعة

---

(١) ﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ يقصد « أورشليم » ولا يقصد « يثرب » لأن أهل أورشليم هم اليهود، واليهود مشهورون فى العالم بأنهم هم ﴿ المنافقون ﴾ وعنهم سورة فى القرآن بهذا الوصف . وقوله تعالى : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ يقصد بالقريتين - على أحسن وجوه التفسير - أورشليم ونابلس . وذلك لأن بنى إسرائيل يريدون أن يكون النبى المنتظر منهم . السامريون يريدونه من نابلس . والعبرانيون يريدونه من أورشليم . وقوله تعالى عن اليهود : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ﴾ يعنى به رجوعهم فى مرتى الإفساد والعلو الكبير . إلى أورشليم التى هى القدس من أرض فلسطين .لأن النص عليهما في دانيال . وهو غير مقدس عند السامريين . وكانت المرة الأولي في سنة ١٩٦٧م .

لهم وليست للأمم ، وأن الله إله لهم وليس إلها للأمم ، وأن النبى المنتظر الذى وعد الله به اليهود والأمم فى سفر التثنية ، لن يكون من بنى إسماعيل عليه السلام وإنما سيكون من بنى إسرائيل . ذلك هو ما كانوا يعلمون به . مع ما فى التوراة من أن الله هو إله كل الأرض ، وأن التوراة نور وهدى للناس ، إلى أن يأتى النبى الموعود به ، من بنى إسماعيل المبارك فيه ، كإسحق أخيه .

وقد كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحدا منهم من نسل هرون عليه السلام من سبط لاوى . من جهة أُمّه . واختصه الله بالنبوة ، وأجرى على يديه معجزات خارقة للعادة؛ ليعلموا أنه مرسل من الله القادر على كل شىء؛ فيصدقوه فى كل ما يقول . وقد قال لهم : إنى مصدق لما بين يدى من التوراة ، ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه «أحمد» - وهو فى لغتهم « بِيراكليت » - ولم يلق المسيح عيسى عليه السلام اضطادا من اليهود كلهم ، وذلك لأنه لم يُكذِّب إلا العلماء ، بالدلائل من كتاب موسى وكتب الأنبياء. وهذا يجعلهم محتقرين فى أعين الناس . وقد أرادوا إهانته بالتشكيك فى كلامه ، لقلب الاحتقار عليه . وهذا واضح من الأناجيل ذاتها . فإنه قد قال لهم : « يا أولاد الأفاعى » [مت ٣:٧] وقال للناس : « احترزوا من الأنبياء الكذبة ، الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم » [مت ٧:١٥-١٦] وقال متى : إن تعليم المسيح عيسى عليه السلام أدهش الناس كلهم « فلما أكمل يسوع هذه الأقوال ؛ بهت الجموع من تعليمه؛ لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان ، وليس كالكتبة » الذين هم العلماء [مت ٧:٢٨ - ٢٩] وقال متى بعد ذكر معجزة له : « فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله ، الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا » [مت ٩ : ٨] وقال : «فتعجب الجموع قائلين : لم يظهر قط مثل هذا فى إسرائيل » [مت ٩ : ٢٣]

وقال متى : إن القرى التى سمعت بأخباره ، أرسلت إليه ؛ لشفاء مرضاها « فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنِّيسارت . فعرفه رجال ذلك المكان ، فأرسلوا إلى جميع تلك الكورة المحيطة ، وأحضروا إليه جميع المرضى ، وطلبوا إليه أن يلمسوا هُدب ثوبه فقط. فجميع الذين لمسوه، نالوا الشفاء » [مت ١٤ : ٣٤ - ٣٦] وقال مرقس: « وكانوا يأتون إليه فى كل ناحية » [مر ١ : ٤٥] « جمع كثير ، إذ سمعوا كم صنع ؛ أتوا إليه » [مر ٣ : ٨] « وبهتوا إلى الغاية ، قائلين : إنه عمل كل شئ حسنا » [مر ٧: ٣٧] وقال لوقا : « فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم ، وافتقد الله شعبه » [لو ٧ : ١٦] « وكان فى النهار يعلم فى الهيكل. وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون. وكان كل الشعب يبكرون إليه فى الهيكل ؛ ليسمعوه » [لو ٢١ : ٣٧ - ٣٨]

وكان بين السامريين والعبرانيين عداء شديد . لا يطاق . وقد كان هو من العبرانيين . ومع ذلك آمن به كثيرون من السامريين ، ورغبوا منه : أن يمكث بينهم مدة ، مع أنهم لا يعاملون العبرانيين . ففى إنجيل يوحنا : « فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين .. الخ » [يو ٤ : ٣٩ ـ] وصرح علماء بنى إسرائيل بأن عداءهم ليسوع المسيح قد ضاع سدى . فقد روى يوحنا : « فقال الفريسيون بعضهم لبعض : انظروا إنكم لا تنفعون شيئا . هو ذا العالم قد ذهب وراءه » [يو ١٢ : ١٩]

وقد ذكر كتّاب الأناجيل محاورات قد جرت بين المسيح عيسى عليه السلام وبين علماء بنى إسرائيل ؛ تدل على أنهم كانوا قاسين عليه ، وناسبين إليه قبائح ، لم يعملها . ففى إنجيل يوحنا :« فقال يسوع لليهود الذين آمنوا[١] به : إنكم إن ثبتم فى كلامى ؛ فبالحقيقة تكونون تلاميذى ، وتعرفون الحق . والحق يحرركم . أجابوه : إننا ذرية إبراهيم ، ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت : إنكم تصيرون أحرارا ؟ أجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إن كل من يعمل الخطية ؛ هو عبد للخطية . والعبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد . أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن ؛ فبالحقيقة تكونون أحرارا. أنا عالم : أنكم ذرية إبراهيم، لكنكم تطلبون أن تقتلونى ؛ لأن كلامى لا موضع له فيكم . أنا أتكلم بما رأيت عند أبى . وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم ، أجابوا وقالوا له : أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم ، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى . وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له : إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله . فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم ، لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله ، وأتيتُ ؛ لأنى لم آت من نفسى ، بل ذاك أرسلنى . لماذا لا تفهمون كلامى ؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى .أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » [يو ٨: ٣١ ـ]

فى هذا النص . تجد أنه عليه السلام بين لهم : أنهم مستعبدون لغير الله . والاستعباد إما أن يكون لحاكم أجنبى عنهم، وإما أن يكون للهوى . فإن من يُتبع نفسه هواها ؛ فإنه يكون عبدا للهوى ، لا عبدا لله ، ولا عبدا للأجنبى . وهم كذبوا عليه فى قولهم : « لم نستعبد لأحد قط » وذلك لأنهم استعبدوا لفرعون مصر، ولملك بابل ، وغيره ، وفى زمان

---

(١) لاحظ : « فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به » والقول الذى قاله فيه إهانة لهم ، وهم ردوا عليه بالسب والشتم . فكيف آمنوا به ، وهم يحتقرون كلامه ؟ ولو أنهم قالوا : « فقال يسوع لليهود الذين لم يؤمنوا به » لما توجه إليهم هذا الاعتراض .

يسوع المسيح كانوا خاضعين لدولة الروم . هذا من جهة الحكام الأجانب . وأما من جهة الهوى ؛ فإنهم يعبدون الله على وفق التوراة التى حرفها « عَزرا » فى بابل . والتحريف خطية . والإصرار على التحريف فى شأن النبى المنتظر خطية . فهو قد ثبت عليهم : أنهم بجملتهم مولودون فى الخطايا . فمن يحررهم منها ؟

وقد أجاب هو على هذا السؤال بقوله : إنكم إن مكثتم على ما أنتم عليه ؛ فإنكم لن تتحرروا من الخطايا . وإن سمعتم كلامى ، وتبتم ، وصار عندكم استعداد للإيمان بالنبى المنتظر إذا جاء ، وآمنتم به . فإنكم بالحقيقة تكونون أحرارا .

انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: أ ـ « والعبد لايبقى فى البيت إلى الأبد » ب ـ « أما الابن فيبقى إلى الأبد » ج ـ « فإن حرركم الابن ؛ فبالحقيقة تكونون أحرارا » يريد أن يقول : إنكم يا علماء بنى إسرائيل عبيد لخطاياكم وخطايا آبائكم . وذلك لأنكم مقيمون على تحريف التوراة . والتحريف خطية كبرى . وهو لن يدوم إلى الأبد ؛ لأن النبى المنتظر سوف يأتى ليزيله ، وإذا أزاله ، زال من الوجود من يعبدون الله عليه . وعبر المسيح عيسى عليه السلام عن النبى المنتظر بلقب « الابن » وهو اللقب الذى لقبه به داود عليه السلام فى المزمور الثانى . وصار لقبا معروفا ومعلوما ومعهودا للنبى الآتى . ويعنى بتحرير الابن لهم: انضمامهم إليه وعملهم بشريعته .فشريعته لن تحرّف .ومن يسير عليها ؛ يكون عبدا لله ، لا عبدا للأجنبى ، ولا عبدا للخطية . ودين هذا النبي الملقب بالابن ، سيبقي إلي الأبد .

وفرق المسيح عيسى عليه السلام بين أبناء الله ، وبين أبناء إبراهيم عليه السلام وبين أبناء الشيطان الرجيم . فقال : إن من يعمل بإرادة الله ؛ فهو ابن لله .أى تحت رعايته ، وإبراهيم وأبناؤه. أى أتباعه . هم أبناء الله ـ مجازا ـ أى عاملون بشريعته ، وهو يحوطهم برعايته وعنايته . والمخالفون لأوامر الله ، هم يخالفونه لإرضاء الشيطان الرجيم .وهم بإرضائه يكونون أبناءه ـ مجازا ـ ويقول المسيح : أنا من ذرية إبراهيم ، وأنتم من ذرية إبراهيم . والفرق بينى وبينكم : هو أننى أعمل بأعمال إبراهيم ـ وهى أعمال ترضى الله ـ وأنتم لا تعملون بها . وقد خرجتم من ملة إبراهيم إلى ملة الشيطان . لذلك يكون الشيطان أباكم . فكيف تقولون : إننا من أولاد إبراهيم ؟ « أنتم من أب هو إبليس »

وقد ردوا عليه بقولهم: « إننا لم نولد من زنا » أى: نحن المنتسبون إلى إبراهيم، وأنت المنتسب إلى إبليس ؛ لأن الزنا من أوامره .

هذه محاورة . وبعد تمامها ، يقول يوحنا : إن العلماء بعد تمامها وهم فى هيكل

سليمان فى مدينة « أورشليم » التى هى « القدس » « رفعوا حجارة ليرجموه » أى: أرادوا قتله . ولم يقدروا على قتله « أما يسوع فاختفى ، وخرج من الهيكل ، مجتازا فى وسطهم » وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ وإذ كففت بنى إسرائيل عنك ، إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم : إن هذا إلا سحر مبين ﴾ وذلك لأنه اجتاز فى وسطهم مع الحواريين ، وخرج ، مع ائتمارهم عليه ، ولم يشعروا به .

وقال يوحنا: إنه لما اختفى وخرج من الهيكل مع تلاميذه « مجتازا فى وسطهم» رأى إنسانا أكمها. وهو مجتاز فى وسطهم . فدعا الله أن يبصر ؛ فأبصرت عيناه . يقول يوحنا: « وفيما هو مجتاز ، رأى إنسانا أعمى منذ ولادته ، فسأله تلاميذه . . . الخ » ولما أبصر الأكمه ، تهكم به علماء من بنى إسرائيل ،من طائفة الفَرِّيسيين « فقال يسوع: لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم ، حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون . فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسِيين . وقالوا له: ألعلنا نحن أيضا عميان ؟ فقال لهم يسوع : لو كنتم عُميانا ، لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون : إننا نبصر ، فخطيتكم باقية. الحق الحق أقول لكم : إن الذى لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف ، بل يطلع من موضع آخر ؛ فذاك سارق ولص »

انـظر إلى تعريض المسيح بعلماء بنى إسرائيل . وهو قوله : إن كلامى عن النبى الآتى، سيتسبب فى عذاب من لا يؤمن به ، إذا جاء . وكلامى هو تبصرة لمن التبس عليه الأمر ، وقد أقمت الدليل عليه من التوراة وأسفار الأنبياء . فإن إبراهيم مبارك فيه ، وإسماعيل وإسحق ، وقد قال موسى : إنه لن يظهر مثلى من بنى إسرائيل ، والنبى الآتى مماثل لى . فى الحروب والملك والانتصار على الأعداء . وقال داود : « مبارك الآتى باسم الرب » وقال إشعياء : « ويكون الجميع ، متعلمين من الله » وقال دانيال : « إنه أوتى مجدا وملكا وسلطانا » وإن أنتم الآن تعاندون كلامى ؛ لأنه لا موضع له فيكم ، فأى فرق بينكم وبين العميان ؟ ومعارضتكم لى تدل ؛ على أنكم لا تريدون أن يكون لبنى إسماعيل ملك ونبوة ، وتريدون أن يظل الملك معكم ، وأن تظل النبوة . وإرادتكم تدل على أنكم سراق ولصوص؛ لأنه لافرق بين من يسرق الشىء الحاضر، والشىء المؤكد من حضوره ؛ لأن الله وعد به . وسرقه المال كسرقة الشرف . كلاهما مشتركان فى زوال نعمة من نعم الله . ولستم أنتم السراق واللصوص أيها الحـاضـرون . بل وأيضـا الذين كانـوا من قبلكم، من العلماء الذين لا يخافون الله « جميع الذين أتوا قبلى ؛ هم سراق ولصوص »

وقال يوحنا : إن المسيح قد ضرب للعلماء مثلا . مغزاه : أنهم سراق ولصوص. وأنهم أضلوا بنى إسرائيل ، كضلال الغنم بين الشِّعاب . وأن الثقة فيهم مفقودة ، وأنهم

يبلغون رسالة الله ، لا حبا فيها ، ولا امتثالا لأمره ، وإنما للنفع الآتى من ورائها .

وقال يوحنا : إن المسيح قد وضح لهم : أن رسالته لبنى إسرائيل وللأمم . وهى: أنه ينير الطريق للنبى الآتى من بعده ؛ ليدخلوا فى دينه إذا ما جاء . وذلك لأن النبى الآتى آت لجميع الأمم ؛ والله يريد أن يهيئهم لاستقباله ، عن طريق الإعلان عنه ، من قبل مجيئه ؛ ليسهل عليهم معرفته والدخول فى دينه .

وقال يوحنا :إن المسيح قد فرق بين دعوته ، وبين دعوة العلماء . بقوله : إن الفرق بين صاحب الغنم ، وبين الأجير . هو أن الأول يحامى عنها ، ويستشهد فى سبيلها . وأن الثانى يحامى عنها ولا يستشهد فى سبيلها .

نص المثل :

« إن الذى لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر ؛ فذاك سارق ولص . وأما الذى يدخل من الباب ؛ فهو راعى الخراف . لهذا يفتح البوَّاب ، والخراف تسمع صوته . فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها . ومتى أخرج خرافه الخاصة ؛ يذهب أمامها ، والخراف تتبعه ؛ لأنها تعرف صوته . وأما الغريب ، فلا تتبعه ، بل تهرب منه ؛ لأنها لا تعرف صوت الغرباء »

وبعدما فرغ من ذكر هذا المثل ؛ ابتدأ فى شرحه . فقال : « إنى أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلى ؛ هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب . إن دخل بى أحد ؛ فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك . وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذى هو أجير ، وليس راعيا ؛ الذى ليست الخراف له ؛ فيرى الذئب مقبلا ، ويترك الخراف ويهرب. فيخطف الذئب الخراف ويبددها . والأجير يهرب ؛ لأنه أجير ، ولا يبالى بالخراف . أما أنا فإنى الراعى الصالح ، وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى . كما أن الآب يعرفنى ، وأنا أعرف الآب . وأنا أضع نفسى عن الخراف .

ولى خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ؛ ينبغى أن آتى بتلك أيضا ؛ فتسمع صوتى ، وتكون رعية واحدة وراع واحد » [يو ١٠]

يريد أن يقول : إن بنى إسرائيل كالخراف الضالة، وأنا الراعى الصالح للرعى، لا علماء بنى إسرائيل . ولست مرسلا لبنى إسرائيل من دون الناس . وإنما أنا مرسل لهم وللأمم . وهم أولا والأمم من بعدهم . ذلك قوله : « ولى خراف أُخر ليست من هذه

الحظيرة ؛ ينبغى أن آتى بتلك أيضا ؛ فتسمع صوتى . . »

المحاولة الثانية لقتل عيسى عليه السلام :

يقول يوحنا : إن علماء بنى إسرائيل أرادوا قتله مرة ثانية ؛ والله حفظه منهم ، ونجاه من كيدهم ، وكف أيديهم عنه . وذلك بأنه أعمى عيونهم عنه ، حال هممهم بقتله . مثل المرة الأولى سواء بسواء .

ففى الأصحاح العاشر : « فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالا كثيرة حسنة ، أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان ، تجعل نفسك إلها »

يريدون أن يقولوا له : إنك إنسان حقير ، وليس لك أب ، ونحن عظماء ؛ لأننا لم نولد من زنا. ونحن أبناء الله ؛ لأنه كرمنا وعظمنا. ولا يحق لك أن تقول : أنا ابن الله ؛ لأنه لا نسب لك فى إسرائل. وهل بنو إسرائيل أبناء الله ؟ إنه مكتوب فى التوراة : أن الله خاطبهم بقوله : « أنتم أولاد للرب إلهكم » [تث ١٤ : ١] أى المؤمنون باسمه والسائرون أمامه فى الدعوة إلى دينه [يو ١ : ١٢] وعيسى عليه السلام واحد منهم ولقب « ابن الله » يصح ـ حسب شريعتهم ـ أن يطلق عليه. وهو قد وبخهم بقوله : « من منكم يبكتنى على خطيـة ؟ » [يو ٨ : ٤٦] لما عرّضوا به وقالوا له : « إننا لم نولد من زنا » [يو ٨ : ٤١]

وقد أعطاهم الله لقب « آلهة » أى: سادة على أمم الكفر. وقد خاطب الله موسى عبده ونبيه ورسوله بقوله :« أنا جعلتك إلها لفرعون » [خر ٧ : ١] أى سيدا ورئيسا . وعيسى عليه السلام واحد منهم ، ولقب « إله » يصح ـ حسب شريعتهم ـ أن يطلق عليه . ففى المزمور الثانى والثمانين لداود عليه السلام: « أنا قلت: إنكم آلهـة ، وبنو العلى كلكـم. لكن مثـل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون » [مز ٨٢ : ٦ ـ ٧]

ولما روى يوحنا : أن اليهود أجابوه بقولهم : « فإنك وأنت إنسان ، تجعل نفسك إلها» رد عليهم بما نصه : « أجابهم يسوع: أليس مكتوبا فى ناموسكم: « أنا قلت : إنكم آلهة»؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ـ ولا يمكن أن يُنقض المكتوب ـ فالذى قدسه الآب، وأرسله إلى العالم . أتقولون له : إنك تجدف؟ لأنى قلت : إنى ابن الله » فقد احتج عليهم بأنه يستحق أن يطلق عليه الألقاب التى يطلقونها على أنفسهم بحسب الشريعة . وهو أحق بها منهم ؛ لأن الله طهره ، وأرسله إلى العالم ، أما هم ففسقة ؛ لأنهم يريدون قتله .

وقد فهموا غرضه هذا . ولذلك هموا بقتله « فطلبوا أيضا أن يمسكوه ؛ فخرج من أيديهم » كيف خرج من أيديهم وهم محيطون به فى هيكل سليمان ، وفى رواق سليمان ؟ وقد كان ذلك فى عيد التجديد ، فى فصل الشتاء . كيف خرج من أيديهم وهو فى مكان ضيق محاط بالناس؟ ولذلك قالوا: ﴿ إن هذا إلا سحر مبين ﴾ كما قالوا فى المرة الأولى لما اجتاز فى وسطهم ومضى .

المحاولة الثالثة لقتل عيسي عليه السلام :

وهى عقب شفائه مريضا من مرضه فى يوم سبت . وذلك أن الله تعالى أمر بنى إسرائيل أن لا يعملوا عملا ما من الأعمال المعتادة ، من الزراعة والتجارة والصناعة ، فى يوم « السبت » أما عمل الخير فى السبت . كشفاء مريض ، أو زيارته، أو تشييع ميت إلى قبره. فهذه الأعمال وشبهها غير محرمة فى يوم السبت . بدليل : أن التوراة تنص على ختان المولود الذكر فى اليوم الثامن من ولادته. والختان عمل . فلو أن مولودا تصادف ثامنه يوم سبت ؛ فإن ختانه فيه ، لابد منه ؛ لئلا تكسر الشريعة . وإن تصادف وقوع خروف فى حفرة يوم سبت، فلابد من إخراجه منها. والإخراج عمل من الأعمال . ففى سفر الخروج : « ستة أيام تعمل ، وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا مّا » [خر ٢٠ : ٩ ـ ١٠] وفى سفر التثنية : « احفظ يوم السبت ؛ لتقدسه . كما أوصاك الرب إلهك » [تث ٥ : ١٢]

وقال يوحنا : إن الإنسان الذى شُفى ؛ مضى ، وأخبر العلماء بأن يسوع ، هو الذى أبرأه « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ، ويطلبون أن يقتلوه ؛ لأنه عمل هذا فى سبت » [يو ٥:١٦] وقد دافع المسيح عن نفسه بقوله : إنكم أيها العلماء تُظهرون الغيرة على الشريعة ، ولا تعملون بها « أليس موسى قد أعطاكم الناموس ، وليس أحد منكم يعمل الناموس ؟ لماذا تطلبون أن تقتلونى ؟ » وقال لهم : إن الختان كان فيكم من أيام إبراهيم ، من قبل موسى ، وأنتم تختنون المولود الذكر فى اليوم الثامن، ولو صادف يوم سبت. فلماذا تسخطون علىّ لأنى أبرأت مريضا فيه؟ « أجاب الجميع ، وقالوا : بك شيطان . من يطلب أن يقتلك ؟ أجاب يسوع ، وقال لهم : عملا واحدا عملت ؛ فتتعجبون جميعا . لهذا أعطاكم موسى الختان . ليس أنه من موسى، بل من الآباء. ففى السبت تختنون الإنسان . فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت ؛ لئلا ينقض ناموس موسى . أفتسخطون على ؛ لأنى شفيت إنسانا كله فى السبت ؟ لا تحكموا حسب الظاهر ، بل احكموا حكما عادلا فقال قوم من أهل أورشليم : أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه. وها هو يتكلم جهارا،

ولا يقولون له شيئا ؟ » [يو ٧: ٢٠ -] وفى هذا المحاولة ، أرادوا قتله ، وما قدروا عليه . ذلك قوله : « فطلبوا أن يمسكوه ، ولم يلق أحد يدا عليه » [يو ٧: ٣٠]

المحاولة الرابعة :

وقال يوحنا : إن علماء الفرِّيسيين ، أرسلوا خداما ؛ ليمسكوه للقتل ، وأن الكهنة أرسلوا هم أيضا . وقد مثل المسيح أمامهم ، وقال لهم : « أنا معكم زمانا يسيرا بعد . ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . ستطلبوننى ولا تجدوننى » [يو ٧: ٣٢ -] ولم يقدروا عليه .

المحاولة الخامسة :

فى اليوم الأخير ، من عيد المظال العظيم ، فى أورشليم « حدث انشقاق فى الجمع لسببه. وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه، ولكن لم يلق أحد عليه الأيادى » ومضى إلى جبل الزيتون [يو ٧ : ٤٣ -]

المحاولة السادسة :

« ثم كلمهم يسوع أيضا قائلا : أنا هو نور العالَم » وبعد كلام طويل صدر منه للعلماء فى الخزانة ، وهو يعلم فى الهيكل « لم يمسكه أحد » [يو ٨ : ٢٠] ثم شتم العلماء بقوله : « أنا أمضى وستطلبوننى ، وتموتون فى خطيتكم » - « أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق » وردوا عليه بقولهم : « من أنت ؟ » أى: أنت حقير .

المحاولة السابعة :

قال يوحنا فى الأصحاح الحادى عشر وما بعده: إن المسيح أحيا بإذن الله ميتا ، اسمه « لَعازَر » بعد دفنه فى القبر بأربعة أيام ، وإن كثيرين من اليهود ، لما نظروا ما فعل يسوع؛ آمنوا به وإن الكهنة وعلماء الفريسيين عملوا مجمعا ، واتفقوا فيه على قتله ، و« أصدروا أمرا : أنه إن عرف أحد أين هو ؛ فليدل عليه ؛ لكى يمسكوه »

وفى يوم من الأيام ذهب المسيح إلى بيت « لعازر » الذى هو فى قرية « بيت عَنْيا » وسمع به اليهود ، فجاءوا إليه ليروه « فتشاور رؤساء الكهنة ؛ ليقتلوا لعازر أيضا ؛ لأن كثيرين من اليهود ، كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع » [يو ١٢: ١٠]

ومِن هذا الذى رواه يوحنا ؛ نرى أن الائتمار كان على قتل الاثنين : المسيح ، ولعازر . فهل قتلوهما أو قتلوا أحدهما ؟

يقول يوحنا : إن المسيح لم يخش الكهنة ، ولم يخف منهم ، وإنه توجه إلى « أورشليم » فى عيد الفصح ، ولاقاه الجميع وقال الفَريسيون بعضهم لبعض

«انظروا . إنكم لا تنفعون شيئا . هو ذا العالَم قد ذهب وراءه » [يو ١٢ : ١٩]

وإذا كان العالم قد ذهب وراءه ، ووثق فيه ، ولم يثق فى العلماء . فهل يقدر العلماء على قتله ، والعالم يفديه بالمهج والأرواح ؟

وقد روى يوحنا : إنه بعدما كلم اليهود فى العيد « مضى واختفى عنهم » [يو١٢:٣٦] وهل كان اختفاؤه لأن الله أعمى أعينهم عنه، أم لأنه مضى، وهم يرونه، ثم اختفى بغير معجزة ؟ أياما كان الأمر. فإن اليهود حاولوا قتله ولم يقدروا عليه .

وجاء فى الإنجيل : أن العلماء أرسلوا جنودا للقبض على المسيح ليلا ، وكان معهم مشاعل ومصابيح وسلاح . فلما رأوه « قال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . . فلما قال لهم : إنى أنا هو ؛ رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » [يو ١٨] وهذا يدل على أنهم من هيبته ، لم يقدروا على الإمساك به .

وجاء فى الإنجيل: إن المسيح مشى مع الجنود إلى أن وصل إلى رئيس الكهنة. الذى أوصله بدوره إلى « دار الولاية » لأنه فى ذلك الوقت ـ كما يزعمون ـ لم يكن للعلماء سلطة على أحد ، فقد كان القضاء وتنفيذ الأحكام من سلطة أهل الروم . « فخرج بيلاطس إليهم، وقال : أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟ أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شرّ ، لما كنا قد سلمناه إليك. فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم، واحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال له اليهود: لايجوز لنا أن نقتل أحدا » [يو ١٨]

لاحظ :

١ ـ « فقال له اليهود : لا يجوز لنا أن نقتل أحدا » أى: أن القتل ليس من حقهم أن يوقعوه على أحد ، لا المسيح ولا غيره ؛ لأن السلطة ليست فى أيديهم .

٢ ـ أنهم لم يحددوا الشر الذى فعله .

٣ ـ أن بيلاطس قال لهم :« احكموا عليه حسب ناموسكم » أى: حددوا التهمة، وأقيموا عليها الدليل،ثم انظروا فى التوراة عن العقوبة المقررة على التهمة،وأوقعوها عليه .

فما هى التهمة ؟

الصيغة الأولى للتهمة :

لقد أوردت الأناجيل كل الاتهامات التى وجهها العلماء للمسيح ، وأوردت دفاعه عن نفسه، وأوردت دليل دفاعه عن نفسه من الناموس. كما رأينا فى نقض السبت، والبنوة،

والإلهية .

وقد ابتدع العلماء تهمة ؛ نفاها المسيح عن نفسه من قبل أن يقولوها . وهى تهمة : أنه يريد أن يجعل نفسه ملكا على بنى إسرائيل ، ويحارب بهم أهل الروم ، ويطردهم من أرض فلسطين ، ثم يملك على جميع أمم الأرض . ويسمى ملكه بملكوت السموات . أى **أنهم اتهموه زورا :بأنه يقول عن نفسه: إنه هو النبي الأميّ ، المماثل لموسى .**

تلك هى التهمة . فمن يفهم مغزاها ومرماها ؟

هذا هو البيان: إن نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء، تبين لبنى إسرائيل والأمم : أنه سيظهر نبى أمى مماثل لموسى عليه السلام فى المعجزات والحروب والانتصار على الأعداء ، والملك على الأمم والشعوب . ولم يظهر هذا النبى الأمى فى بنى إسرائيل ، وفى بنى إسماعيل ، إلى زمان المسيح عيسى عليه السلام . وقد صرح لهم بأنه ليس هو . وذلك لأن من أوصافه فى التوراة وأسفار الأنبياء : أن يكون ملكا على بنى إسماعيل وبنى إسرائيل ، وكل نسل إبراهيم ، ويحارب بهم أمم الكفر ، ويخلصهم من أيديهم بالقوة . ثم يملك هو ، وأتباعه على الأمم والشعوب .

وأهل الروم الذين كانوا يحتلون بلاد فلسطين فى ذاك الزمان ، كانوا على علم بمجىء هذا النبى الأمى . ويعلمون أنه ليس هو المسيح عيسى عليه السلام من قول دانيال فى الأصحاح التاسع : « سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ، ولكفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القدوسين » [دا ٩ : ٢٤]

ومن قول المسيح عيسى نفسه : إن رجسة خراب دانيال ، ستكون فى أرض فلسطين فى وقت فتحها على يد المسلمين أتباع النبى الأمى المماثل لموسى . وهى تدل على خراب أورشليم ، وانتهاء الملك والنبوة فى بنى إسرائيل ، وبدء الملك والنبوة فى بنى إسماعيل . فقد حكى متى عن عيسى عليه السلام : « وفيما هو جالس على جبل الزيتون ؛ تقدم إليه التلاميذ على انفراد . قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ »

إلى أن ذكـر عـلامـات لانقضـاء دهـر الملك والنبوة فى بنى إسرائيل . منها : «ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة، شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى. فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . .الخ» أى: أن الإنجيل هو البشارة باقتراب ملكوت السموات ، وليس هو كتاب الملكوت . وعبر عن النبى الأمى بلقب « ابن الإنسان » الذى لقبه به دانيال فقال : « ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب

السماء بقوة ، ومجد كثير » وفى رواية مرقس بعد ذكر هذه العلامات : « هكذا أنتم أيضا . متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ؛ فاعلموا : أنه قريب على الأبواب » وفى رواية لوقا : « هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ؛ فاعلموا : أن ملكوت الله قريب »

وملكوت الله قد أنبأ دانيال أنه سيقوم على الأرض بعد ممالك أربعة هى : بابل وفارس واليونان والرومان . فى الأصحاح الثانى والسابع . وعلامات الملكوت فى دانيال لا تنطبق على عيسى عليه السلام ، ولا أوصاف النبى الآتى فى التوراة ؛ تنطبق عليه ؛ فلذلك لم يصدق حكام فلسطين من قِبَل الروم هذه التهمة .

وقد صرح المسيح عيسى عليه السلام بأنه ليس ملكا ، ولا يريد الملك . وتصريحه يدل على أنه ليس هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . وليس هو ؛ لأن النبى الآتى من أوصافه أن يكون ملكا .

ومن تصريحاته :

١ ـ أنه ذهب إلى مدينة تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه ، وجمع كثير. فلما اقترب إلى باب المدينة، إذا ميت محمول ، ابن وحيد لأمه . وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة ، فأحياه بإذن الله « فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم ، وافتقد الله شعبه » [لو ٧] وأراودا أن يجعلوه ملكا عليهم ، فرفض الملك .

٢ ـ إنه لما صنع معجزة المائدة السماوية ، ظن الأميون من اليهود : أنه هو النبى الآتى إلى العالم « وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ؛ ليجعلوه ملكا ؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده » [يو ٦: ١٥] فانصرافه إلى الجبل ، ورفضه الملك ؛ هو دليل على أنه ليس هو النبى الآتى إلى العالم . وهذا دليل عملى على نفى التهمة .

٣ ـ وكان جنود الرومان فى أورشليم . وتمنع شريعة التوراة أن يملك على بنى إسرائيل ملك ليس من إخوتهم ؛ لئلا يبعدهم عن الله . ففى سفر التثنية : « من وسط إخوتك ؛ تجعل عليك ملكا . لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ، ليس هو أخاك » [تث ١٧ : ١٥]

وقد رأى المسيح أن الحرب ضد روما لا فائدة منها ؛ لضرورة تؤدى إلى عدم الفائدة ، وهى الضعف والتفرق والاختلاف . فلذلك نصح بأن لا يحاربوا الرومان . وكيف معَ هذه النصيحة ، يتهمونه بأنه يريد الملك ، لطرد الرومان ؟ إن العلماء سألوه « أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا ؟ نعطى أم لا نعطى ؟ . . . فأجاب يسوع وقال لهم : أعطوا ما لقيصر ؛

لقيصر ، وما لله ، لله » [مرقس ١٢ : ١٣ ـ ١٧]

٤ ـ وفى محاكمته أمام رئيس الكهنة. سأله « وقال له : أستحلفك بالله الحى، أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله؟ » أى :هل أنت النبى الأمى الآتى إلى العالم ،الملقب من دانيال بلقب « المسيح الرئيس » والملقب من داود عليه السلام بلقب « ابن الله » ؟ ومن أوصاف هذا النبى أن يكون ملكا ورئيسا مطاعا [مز ٢و٧٢ دا ٢ و ٧]

ورد عليه المسيح عيسى بقوله : « أنت قلت » أما أنا فلم أقل . ثم اعترف بمجىء محمد ﷺ من بعده ، فقال : « وأيضا أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء »

وابن الإنسان هو لقب لمحمد ﷺ فى سفر دانيال ٧ : ١٣ ـ ١٤ وقوله عن يمين القوة أخذه من قول داود عنه : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » [مز ١١٠ : ١] وقوله: على سحب السماء؛ أخذه من قول دانيال عنه : « وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان » [دا ٧ : ١٣] وروى كتاب الأناجيل : أن المسيح الرئيس وهو النبى الأمى المماثل لموسى ، كان اليهود يزعمون أنه سيأتى من نسل داود، فوبخهم عيسى عليه السلام على هذا الزعم وبين أنه لن يظهر من نسل داود . وذلك لأن داود أخبر بأنه سيده ، والابن لا يكون سيدا لأبيه. فإذاً الآتى لن يكون من نسله . وحيث لإسماعيل بركة ؛ فإن الآتى سيكون من نسله . ففى متى : « وفيما كان الفَرِّيسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود. قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا، قائلا؟ « قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » فإن كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » [متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦]

وفى العبرى : قال يهوه لأدوناى . أى: قال الله لسيدى : كن معى وأنا أنصرك على أعدائك . وسيد داود لا يكون من نسله .

٥ ـ وفى محاكمته أمام بيلاطوس الوالى على أورشليم من قبل روما ؛ أظهر لهم بيلاطوس : « أنهم أسلموه حسدا . وإذ كان جالسا على كرسى الولاية ، أرسلت إليه امرأته قائلة : إياك وذلك البارّ » [متى ٢٧ : ١٨ ـ ١٩] ثم إنّ بيلاطوس : أخذ ماء، وغسل يديه ، قدام الجمع ،قائلا : إنى برىء من دم هذا البار » [متى ٢٧ : ٢٤]

وعلى ذلك . فتهمة أنه يطلب الملك . قد نفاها المسيح عيسى نفسه، عن نفسه،

ونفاها عنه جنود الرومان .

٦ ـ وفى أثناء حياته « قال له واحد من الجمع : يا معلم . قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . فقال له : يا إنسان . من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟ » [لو ١٢ : ١٣] أى : لست ملكا ، ولا رئيسا مطاعا .

٧ ـ وقد أورد القديس بَرنابا محاورة جرت بين رئيس علماء بنى إسرائيل ، وبين عيسى عليه السلام . ظهر منها أنه أ ـ نفى عن نفسه تهمة الملك ب ـ وأنه بشر بمحمد ﷺ وعبر عنه بلقب موضوع عليه . وهو « المَسيًا » ج ـ وأن بنى إسرائيل لما أرادوا قتله ؛ كف الله أيديهم عنه. واستدل المسيح عيسى عليه السلام على كل ما قال بأدلة من التوراة ، وأسفار الأنبياء .

النص :

« ولما جاء النهار ، صعد يسوع إلى الهيكل ، مع جم غفير من الشعب ؛ فاقترب منه رئيس الكهنة ، قائلا : قل لى يا يسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به ، من أنك لست الله ، ولا ابن الله ، ولا مسيا ؟

أجاب يسوع : لا . ألبتة . لم أنس . لأن هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله فى يوم الدينونة ؛ لأن كل ما كتب فى كتاب موسى صحيح كل الصحة[1]؛ فإن الله خالقنا ؛ أحد. وأنا عبد الله ، وأرغب فى خدمة رسول الله، الذى تسمونا مسيًا [2] . قال رئيس الكهنة : فما المراد إذاً من المجىء إلى الهيكل بهذا الجم الغفير؟ لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكا على إسرائيل ؟ احذر من أن يحّل بك خطر . أجاب يسوع : لو طلبت مجدى ، ورغبت فى نصيبى فى هذا العالم ؛ لما هربت لما أراد أهل نايين أن يجعلونى ملكا . حقا . صدقنى أنى لست أطلب شيئا فى هذا العالم . حينئذ قال رئيس الكهنة : نحب أن نعرف شيئا عن مسيا . وحينئذ اجتمع الكهنة والكتبة والفَرِّيسيون ، نطاقا حول يسوع . أجاب يسوع : ما هو ذلك الشىء الذى تريدون أن تعرفوه عن مسيا ؟ لعله الكذب[3]؟ حقا . إنى لا أقول لك الكذب ؛ لأنى لو كنت قلت الكذب ؛ لعبدتنى أنت والكتبة والفريسيون ، مع كل إسرائيل ، ولكن تبغضوننى وتطلبون

(١) يعنى بالصحة : أن الله هو الخالق للعالم وحده ، وأنه سيرسل النبى الأمى المماثل لموسى فى موعده .

(٢) راجع مقدمة الإعلام للقرطبى ، وكتاب المسيا المنتظر تأليف / أحمد حجازى السقا. نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

(٣) يكذب اليهود العبرانيون ويقولون : إنه سيأتى من نسل داود ، ويكذب السامريون ويقولون : إنه سيأتى من سبط يوسف عليه السلام .

أن تقتلونى ؛ لأنى أقول لكم الحق . قال رئيس الكهنة : نعلم الآن : أن وراء ظهرك شيطانا ؛ لأنك سامرى ، ولا تحترم كاهن الله. أجاب يسوع : لعمر الله ، ليس وراء ظهرى شيطان ، ولكنى أطلب أن أخرج الشيطان . فلهذا السبب يثير الشيطان علىّ العالم؛ لأنى لست من هذا العالم ، بل أطلب أن يمجد الله ، الذى أرسلنى إلى العالم . فأصيخوا السمع لى ، أخبركم بمن وراء ظهره الشيطان . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته : إن من يعمل بحسب إرادة الشيطان؛ فالشيطان وراء ظهره، وقد وضع عليه لجام إرادته ، ويديره أنّى شاء ، حاملا إياه على الإسراع إلى كل إثم . كما أن اسم الثوب يختلف باختلاف صاحبه ، وهو هو الثوب نفسه ، هكذا البشر يختلفون . على كونهم من مادة واحدة ، بسبب أعمال الذى يعمل فى الإنسان .

إذا كنت قد أخطأت ، فلماذا لم توبخونى كأخ، بدلا من أن تبغضونى كعدو ؟ حقا إن أعضاء الجسد ، تتعاون متى كانت متحدة بالرأس . وإن ما انفصل عنها عن الرأس ؛ فلا يعينه ؛ لأن يدى الجسد لا تشعر بألم رجلى جسد آخر ، بل برجلى الجسد الذى هى متحدة به . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته : إن من يخاف ويحب الله خالقه ؛ يرحم من يرحمه الله ـ الذى هو رأسه ـ ولما كان الله لا يريد موت الخاطىء ، بل يمهل كل أحد ،للتوبة . فلو كنتم من ذلك الجسد ، الذى أنا متحد فيه ، لكنتم ـ لعمر الله ـ تساعدونى ؛ لأعمل بحسب رأسى .

إذا كنت أفعل الإثم ، وبخونى ، يحببكم الله ؛ لأنكم تكونون عاملين بحسب إرادته، ولكن إذا لم يقدر أحد أن يوبخنى على خطية ، فذلك دليل على أنكم لستم أبناء إبراهيم ، كما تدعون أنفسكم ، ولا أنتم متحدون بذلك الرأس الذى كان إبراهيم متحدا به. لعمر الله. إن إبراهيم أحب الله بحيث أنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيما، ولا بهجر أبيه وأمه، ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله.

أجاب رئيس الكهنة : إنما أسألك هذا ، ولا أطلب قتلك . فقل لنا : من كان ابن إبرهيم هذا ؟

أجاب يسوع : إن غيرة شرفك يا ألله تؤججنى ، ولا أقدر أن أسكت . الحق أقول : إن ابن إبراهيم : هو إسماعيل ، الذى يجب أن يأتى من سلالته مَسِيًّا ، الموعود به إبراهيم : أن به تتبارك كل قبائل الأرض .

فلما سمع هذا رئيس الكهنة؛ حنق وصرخ :لنرجم هذا الفاجر ؛ لأنه إسماعيلى ، وقد جدّف على موسى ، وعلى شريعة الله . **فأخذ من ثَم كل من الكتبة والفريسيين مع**

شيوخ الشعب حجارة ليرجموا يسوع ؛ فاختفى عن أعينهم ، وخرج من الهيكل .

ثم إنهم بسبب شدة رغبتهم فى قتل يسوع ، أعماهم الحنق والبغضاء ؛ فضرب بعضهم بعضا ، حتى مات ألف رجل ، ودنسوا الهيكل المقدس . أما التلاميذ والمؤمنون الذين رأوا يسوع خارجا من الهيكل ؛ لأنه لم يكن محتجبا عنهم ؛ فإنهم تبعوه إلى بيت سِمعان .

ولما هدأ الاضطراب فى الهيكل بانصراف يسوع ؛ صعد رئيس الكهنة . وبعد أن أومأ بيديه للصمت ، قال : ماذا نفعل أيها الأخوة ؟ ألا ترون أنه قد أضل العالم كله ، بعمله الشيطانى . فإذا لم يكن ساحرا ، فكيف اختفى الآن ؟ فحقا إنه لو كان طاهرا ونبيا ، لما جدف على الله وعلى موسى خادمه ، وعلى مسيا ، الذى هو أمل إسرائيل . وماذا أقول ؟ فلقد جدف على طغمة كهنتنا برمتها . فالحق أقول لكم : إنه إذا لم يزل من العالم؛ تدنس إسرائيل ودفعنا الله إلى الأمم . انظروا كيف قد تدنس هذا الهيكل المقدس بسببه .

وتكلم رئيس الكهنة بطريقة أعرض لأجلها كثيرون عن يسوع . فتحول بذلك الاضطهاد السرى إلى اضطهاد علنى ، حتى إن رئيس الكهنة ذهب بنفسه إلى هيرودوس ، وإلى الوالى الرومانى ، متهما يسوع بأنه رغب فى أن يجعل نفسه ملكا على إسرائيل . وكان عندهم على هذا شهود زور . فالتأم من ثَمّ مجلس عام ضد يسوع ؛ لأن أمر الرومانيين أخافهم . ذلك أن مجلس الشيوخ الرومانى أرسل أمرين بشأن يسوع ، يتوعد فى أحدهما بالموت من يدعو يسوع الناصرى نبى اليهود : الله . ويتوعد فى الآخر بالموت من يشاغب فى شأن يسوع الناصرى نبى اليهود . فلهذا السبب وقع الشقاق فيما بينهم . . »
[بر ٢٠٦ ـ]

المناقشة :

فى هذا النص نرى : أن المسيح عيسى عليه السلام نفى عن نفسه تهمة الملك . وأن علماء بنى إسرائيل أرادوا قتله ؛ لقوله : إن « المَسِيّا » سيأتى من بنى إسماعيل ، لا من بنى إسرائيل ، وأن الرومان أنفسهم يعلمون أنه يبشر بمجىء غيره من بعده . ولذلك أصدروا أمرهم بعدم التعرض له .

الصيغة الثانية للتهمة

ويقول متى : إن شاهدا زور ، شهدا بالكذب « وقالا : هذا قال : إنى أقدر أن أنقض هيكل الله ، وفى ثلاثة أيام أبنيه » ويقول مرقس : « ثم قام قوم ، وشهدوا عليه زورا قائلين : نحن سمعناه يقول : إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى ، وفى ثلاثة

أيام أبنى آخر ، غير مصنوع بأياد »

ومتى قال : إنهما اثنان ، ومرقس قال : إنهم قوم . ومع هذا الاختلاف . الذى يبين : أن الأناجيل لم تكتب بإلهام إلهى ، ولم يعصم الله الكتاب من الزلل . فإن تهمة نقض الهيكل ، هى نفسها تهمة الملك . فإن النبى الأمى الآتى سيأتى لينسخ شريعة موسى ، ويغيّر عوائده وشعائره . والهيكل من عوائده وشعائره . وسيأتى ليقيم مملكة لن تنقرض أبدا . والصيغة الثانية تدل على أنه ليس هو ؛ لأنه لم ينقض الهيكل .

وقال لوقا : « فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، وقال لهم : قد قدمتم إلىّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب ، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علّة مما تشتكّون به عليه ، ولا هيرودس أيضا ، لأنى أرسلتكم إليه . وها لا شىء يستحق الموت ، صُنع منه »

وقال يوحنا : « فخرج بيلاطس أيضا خارجا ، وقال لهم : ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا : أنى لست أجد فيه علة واحدة . فخرج يسوع خارجا وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس : هو ذا الإنسان ، فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام ، صرخوا قائلين : اصلبه . اصلبه . قال لهم بيلاطس : خذوه أنتم واصلبوه ؛ لأنى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود : لنا ناموس ، وحسب ناموسنا يجب أن يموت ؛ لأنه جعل نفسه ابن الله »

وهل جعل نفسه ابن الله ؟

إن علماء بنى إسرائيل يتهمون عيسى عليه السلام بأنه جعل نفسه « ابن الله » ؟ فما هو معنى هذا الاتهام ؟ معناه : هو أنه يريد أن يجعل نفسه ملكا على بنى إسرائيل . وهى نفس التهمة التى صرح بها العلماء ، ونفاها هو عن نفسه .

وبيان ذلك : هو أن داود عليه السلام فى المزمور الثانى لقَّب النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام بلقب « ابن الله » أى: منتسب إليه ، وعامل بما يرضيه ، ومؤمن باسمه . فقال : « لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل؟. قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا، على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم ، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى إنى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء

خزاف تكسرهم .. الخ » [مز ٢]

يريد بتعبيرات مجازية أن يبين أن النبى الأمى الآتى ، سيكون منتصرا على أعدائه ، وسيملك على ديارهم . ولأن عيسى بشّر به من بنى إسماعيل . وهذا يغيظ اليهود ، زعموا : أنه يطبق النبوءات على نفسه . ليعكسوا كلامه ، وليدلوا به إلى الحكام . ولقد استيقن الحكام بأنه ينبىء عن غيره . فتركوه وشأنه .

ولماذا كتبوا فى الأناجيل : أن المتآمرين على قتل يسوع المسيح هم :

هيرودوس وبيلاطوس ، مع أمم وشعوب إسرائيل ؟ لماذا كتبوا ؟ وقد رأينا أن هيرودوس وبيلاطوس لم يتآمرا عليه . وأمم وشعوب إسرائيل . هم شعب واحد ، لا أمم، ولا شعوب . وهو شعب قد سار وراءه ، كما قال يوحنا : « فقال الفريسيون بعضهم لبعض : انظروا . إنكم لا تنفعون شيئا . هو ذا العالم قد ذهب وراءه » [يو ١٢ : ١٩]

لماذا كتبوا هذا؟ لأن داود عليه السلام فى المزمور الثانى قال عن محمد ﷺ: « لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض . واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه » ولقبه بالمسيح الذى هو المَسِيّا . وهم لما أرادوا أن يطبقوا هذه النبوءة على المسيح عيسى عليه السلام ، فسروا الأمم والشعوب ببنى إسرائيل من دون الناس . والنص يشهد بأن الأمم والشعوب هم لكل سكان الأرض؛ لقوله: « قامت ملوك الأرض»

وقد نسبوا إلى بطرس تطبيق هذه النبوءة على عيسى عليه السلام فى الأصحاح الرابع من سفر أعمال الرسل؛ وكتبوا : أن اليهود قتلوه وصلبوه تحقيقا لهذه النبوءة وشبهها. لا أن اليهود قتلوه حقا ، وصلبوه حقا . ولو لم تكن هذه النبوءة وشبهها من نبوءات النبى الآتى ، ما قالوا بقتله وصلبه .

ويعلم مما تقدم :

أن عيسى عليه السلام لم يُهزم ولم يقتل على يد أعدائه . وذلك :

١ ـ لأن التهمة لم تثبت عليه .

٢ ـ ولأن علماء اليهود العبرانيين كان يختفى عن أعينهم حينما كانوا يهمون بقتله .

٣ ـ ولأن شعب بنى إسرائيل كانوا يعرفون أنه على حق فيما يقول . وقد عبر عن هذا يوحنا بقوله : « فقال الفريسيون بعضهم لبعض : انظروا . إنكم لا تنفعون شيئا . هو ذا العالم قد ذهب وراءه » [يو ١٢ : ١٩]

٤ ـ ولأن حكام فلسطين من قبل أهل الروم شهدوا بأنه رجل صالح ، ونبى عظيم ،

وبرأوه من الاتهامات الموجهة إليه من علماء اليهود .

ومن هذا هو حاله ، كيف يصح أن يقال عنه : إنه قد هُزم وقُتل على يد أعدائه ؟

وأما عن قولهم بانتصاره على أعدائه :

فإنه إذا كان لم يهزم ولم يقتل ، كيف يصح أن يقال : إنه قد انتصر من بعد الهزيمة والقتل ؟ كيف ينتصر على الأموات ، إذا هو لم يُقتل ولم يُصلب ؟

والسبب فى قولهم بقتله وصلبه ، وهم يعلمون أنه لم يقتل ولم يصلب : هو أن أهل الروم واليهود اتفقوا فيما بينهم على أن يذيعوا فى الناس : أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى ؛ قد أتى حقا ، ولم يعرفه المعاصرون له . وقد كان هو يسوع المسيح بن مريم . وجمعوا علماء من اليهود يعرفون كل نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى الآتى ، وطلبوا منهم أن يفسروها تفسيرا يصدق على يسوع المسيح ؛ فاجتمع هؤلاء العلماء فى مدينة « نيقية » سنة ٣٢٥ م وفسروا النبوءات كما أرادوا منهم ، ونسبوا التفسير إلى بطرس وبولس وغيرهما .

ثم إنهم أعادوا كتابة الأناجيل ، لهذا الغرض ، ووضعوا سفر أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس وغيره بعد الأناجيل لهذا الغرض . وكل ذلك للغو فى نبوة محمد ﷺ من قبل مجيئه .

ويدلك على ذلك : الاقتباسات والشواهد التى دعموا بها تفاسيرهم . وتقدر أن تظهر خطأهم إذا قرأت ما قبل النص المقتبس وما بعده . وهذه أمثلة للبيان :

المثال الأول :

كتبوا : أنه لما صلب ؛ عملوا قرعة ، على اقتسام ثيابه « لكى يتم ما قيل بالنبى: «اقتسموا ثيابى بينهم ، وعلى لباسى ألقوا قرعة » [متى ٢٧ : ٢٥] يريدون أن يقولوا : إن نبيا من الأنبياء القدماء ، تنبأ فى سفره بأن النبى المنتظر الآتى على مثال موسى ، سوف يقتسمون ثيابه بالقرعة بعد هزيمته وقتله . وحيث أن يسوع المسيح هو الذى هزم وقتل ؛ فإنه يكون هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى .

فلنبحث فى أسفار الأنبياء عن النص ، ولنقرأه كله . لنرى هل هو ينطبق على يسوع المسيح أم على محمد بن عبد الله؟ والنص فى المزمور الثانى والعشرين. وهو: « إلهى . إلهى . لماذا تركتنى ، بعيدا عن خلاصى ، عن كلام زفيرى . إلهى فى النهار أدعو ؛ فلا تستجيب ، فى الليل أدعو ؛ فلا هدوّ لى . . . » إلى أن قال : إن الله استجاب دعاءه،

ونصره على أعدائه نصرا مؤزرا . « لأنه لم يحتقر ، ولم يرذل مسكنة المسكين ، ولم يحجب وجهه عنه ، بل عند صراخه إليه ؛ استمع » ويدل الاستماع؛ على النصر ، ويدل النصر؛ على عدم الموت ، ويدل عدم الموت؛ على عدم اقتسام ثيابه .

ولماذا عبر باقتسام الثياب ؟ إنه قال : « يقسمون ثيابى بينهم ، وعلى لباسى يقترعون » فهل هذا القول على الحقيقة ، أم على المجاز ؟ إنه ليس على الحقيقة . وإنه هو كناية عن هوانه وضعفه أمام أعدائه ، من قبل أن ينصره الله ، والدليل على أنه كناية : هو النص كله . ففيه عن شكواه : « أحاطت بى ثيران كثيرة » ولم يكن عند صلب المسيح ثيران تأكل العشب . وفيه « أقوياء باشان اكتنفتنى » ولم يكن فى «فلسطين » أحد من مدينة « باشان » وفيه « كالماء انسكبت » وهو لم ينسكب . وفيه « انفصلت كل عظامى » وعظامه لم تنفصل . وفيه « صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط أمعائى » وقلبه لم يذب . وفيه « قد أحاطت بى كلاب » والكلاب لم تحط به وهو على الخشبة . وفيه « أنقذ من السيف نفسى » ولم تكن سيوف . وفيه «خلصنى من فم الأسد » وهو لم يدخل فم الأسد . وفيه « ومن قرون بقر الوحش » وبقر الوحش لم يكن موجودا عند الصلب. وفيه: « أما أنا فدودة ، لا إنسان » أى ضعيف لا حول لى ولا قوة . فى نظر أعدائى . ولم يكن هو دودة على الحقيقة . وكل ذلك وشبهه كثير ؛ يدل على أن التعبير كناية عن هوانه وضعفه أمام أعدائه ، من قبل أن ينصره الله .

المثال الثانى :

كتبوا فى متى : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى إيلى لماذا شبقتنى ؟ أى إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ » لماذا كتبوا هذا ؟ لأن المزمور الثانى والعشرين ـ السابق ذكره ـ هو نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم وهو محمد ﷺ والمحرفون يريدون تطبيقه على يسوع المسيح ، بقولهم : إن يسوع نفسه وهو على الصليب طبقه على نفسه . وذلك بنطقه له وهو على خشبة الصَّلب .

المثال الثالث :

كتبوا فى لوقا : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى» لماذا كتبوا هذا ؟ لأن المزمور الحادى والثلاثين يتحدث عن النبى الآتى ويصفه بأن أعداءه سيحيطون به إحاطة السوار بالمعصم ،وأنه يطلب من الله أن ينصره عليهم. ولما أراد النصارى أخذ كل النبوءات عن النبى الآتى ليضعوها على عيسى عليه السلام كتبوا : أنه وهو يسلم الروح على الصليب نطق بقوله : « فى يدك أستودع روحى » ليطبق النبوءة على

نفسه . والنص لا يشهد لهم وذلك لأن النبى الآتى يطلب بظهر الغيب « سريعا أنقذنى » ويقول : إن الله استجاب له ونصره على أعدائه « أما أنا فعلى الرب توكلت. أبتهج وأفرح برحمتك ؛ لأنك نظرت إلى مذلتى، وعرفت فى الشدائد نفسى ، ولم تحبسنى فى يد العدو ، بل أقمت فى الرحب رجلى » ـ «ولكنك سمعت صوت تضرعى ، إذ صرخت إليك »

نص المزمور ٣١ .

« عليك يا رب توكلت . لا تدعنى أخزى مدى الدهر ، بعدلك نجنى . أمل إلىّ أذنك . **سريعا أنقذنى** . كن لى صخرة حصن ، بيت ملجإ ، لتخليصى . لأن صخرتى ومعقلى أنت . من أجل اسمك تهدينى وتقودنى . أخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى . لأنك أنت حصنى . **فى يدك أستودع روحى . فديتنى يا رب ، إله الحق** . أبغضتُ الذين يراعون أباطيل كاذبة . أما أنا فعلى الرب توكلت . أبتهج وأفرح برحمتك ؛ **لأنك نظرت إلى مذلتى ، وعرفت فى الشدائد نفسى ، ولم تحبسنى فى يد العدو ، بل أقمت فى الرحب رجلى .**

ارحمنى يا رب ؛ لأنى فى ضيق . خَسَفَتْ من الغم عينى . نفسى وبطنى ؛ لأن حياتى قد فنيت بالحزن ، وسنينى بالتنهد . ضعفتْ بشقاوة قوتى ، وبليت عظامى . عند كل أعدائى صرت عارا ، وعند جيرانى بالكلية، ورعبا لمعارفى. الذين رأونى خارجا ، هربوا عنى . نُسيت من القلب مثل الميْت ،صرتُ مثل إناء متلف ؛ لأنى سمعتُ مذمة من كثيرين . الخوف مستدير بى بمؤامراتهم معاً علىّ . تفكروا فى أخذ نفسى .

أما أنا فعليك توكلتُ يا رب .قلتُ : إلهى أنت . فى يدك آجالى . نجنى من يد أعدائى، ومن الذين يطردوننى. أضئ بوجهك على عبدك . خلّصنى برحمتك . يا رب لا تدعنى أخزَى ؛ لأنى دعوتك . ليخز الأشرار . ليسكتوا فى الهاوية . لتبكم شفاه الكذب ، المتكلمة على الصِّديق بوقاحة ، بكبرياء واستهانة .

ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك ، وفعلته للمتكلين عليك ، تجُاه بنى البشر . تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس . تخفيهم فى مظلة من مخاصمة الألسن . مبارك الرب ؛ لأنه قد جعل عجبا ، رحمته لى فى مدينة محصّنة . وأنا قلت فى حيرتى : إنى قد انقطعتُ من قدام عينيك . ولكنك سمعت صوت تضرعى، إذْ صرختُ إليك .

أحبوا الرب يا جميع أتقيائه . الرب حافظ الأمانة ، ومجازٍ بكثرة . العاملَ بالكبرياء . لتتشدّد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب » [مز ٣١]

لاحظ :

أن النبى الأمى يقول بظهر الغيب لله تعالى : « عليك يا ربُّ توكلتُ » ويقول: إن أعدائى قد أحاطوا بى ، إحاطة السوار بالمعصم، وأنت يا رب « أخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى » ويقول : إن الله استجاب له ، ونصره عليهم « فديتنى يا رب إله الحق » ـ «نظرت إلى مذلّتى » ـ « لم تحبسنى فى يد العدو » وقال لله تعالى: ليس إله غيرك ندعوه، ونلجأ إليه . فأنت وحدك روحى فى يدك ، وفى يدك آجالى « نجنى من يد أعدائى » ويقول النبى ﷺ لله تعالى : « ولكنك سمعتَ صوت تضرعى . إذ صرختُ إليك »

وواضح من هذا كله : أن النص ينطبق على محمد ﷺ ولا يدل على القتل والصلب

المثال الرابع :

كتبوا فى يوحنا :

١ ـ أنه وهو على الصليب قال : « أنا عطشان » يقول يوحنا : « فلكى يتم الكتاب ، قال : أنا عطشان » يقصد المحرف أن يقول : إن المزمور التاسع والستين ، والثانى والعشرين ، يصفان النبى الآتى بأنه سيقول :« أنا عطشان » وإذ قال المسيح ذلك وهو على الصليب ؛ فإنه يكون هو النبى الآتى إلى العالم . والنص يبين أن التعبير كناية عن إحاطة الأعداء به ، ومضايقاتهم له . ثم يبين : أن الله نصره ، ولم يسلمه إلى يد أعدائه،فى قوله: « استجب لى يارب لأن رحمتك صالحة »ـ « استجب لى سريعا » ـ « لأن الرب سامع للمساكين ، ولا يحتقر أسراه » وفى المزمور الثانى والعشرين، الذى بدؤه : « إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ » يذكر أن الله نصره « لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ، ولم يحجب وجهه عنه ، بل عند صراخه إليه؛ استمع » وقد سبق ذكر نص المزمورين .

٢ ـ « ليتم الكتاب القائل: عظم لا يكسر منه » يعنون: أن المسيح وهو على الصليب لم تكسر رجليه. وهذا النص فى سفر الخروج ١٢ : ٤٦ عن ذبائح فريضة الفِصح ، ولا يمت إلى النبوءات بصلة. وقال بعضهم : إنه اقتباس من المزمور الرابع والثلاثين. والنص هو: « كثيرة هى بلايا الصديق ، ومن جميعها ينجيه الرب ، يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر » [مز ٣٤ : ١٩ ـ ٢٠] والمعنى على الكناية لا على الأسلوب الحقيقى. وفى نفس المزمور: أن الله حفظ النبى الآتى ونصره على أعـــدائه « طلبت الرب فاستجاب لى. ومن كل مخاوفى أنقــذنى » ـ « هذا المسكين صرخ ، والرب استمعه ، ومن كل ضيقاته خلصه »

نص المزمور ٣٤ .

« أبارك الرب فى كل حين . دائما تسبيحه فى فمى . بالرب تفتخر نفسى . بسمع الودعاء فيفرحون . عظموا الرب معى ، ولنعلٍّ اسمه معا .

طلبت إلى الرب ؛ فاستجاب لى ، ومن كل مخاوفى أنقذنى . نظروا إليه ، واستناروا ، ووجوههم لم تخجل . هذا المسكين صرخ ، والرب استمعه ، ومن كل ضيقاته ؛ خلّصه . ملاك الرب حالّ حول خائفيه ، وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . طوبى للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب يا قديسيه ؛ لأنه ليس عوز لمتقيه. الأشبال احتاجت وجاعت ، وأما طالبو الرب ؛ فلا يعوزهم شئ من الخير .

هلم أيها البنون ؛ استمعوا إلىّ ؛ فأعلّمكم مخافة الرب . من هو الإنسان الذى يهوى الحياة ، ويحب كثرة الأيام ؛ ليرى خيرا . صن لسانك عن الشر ، وشفتيك عن التكلم بالغشّ . حد عن الشر ، واصنع الخير ، اطلب السلامة ، واسع وراءها . عينا الرب نحو الصّديقين ، وأذناه إلى صراخهم . وجه الرب ضد عاملى الشر ، ليقطع من الأرض ذكرهم . أولئك صرخوا ، والرب سمع ، ومن كل شدائدهم أنقذهم . قريب هو الرب ، من المنكسرى القلوب ، ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هى بلايا الصدّيق ، ومن جميعها ؛ ينجيه الرب ، يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر . الشّر يميت الشرير، ومبغضو الصديق يعاقبون . الرب فادى نفوس عبيده ، وكلٌّ من اتكل عليه ؛ لا يعاقب » [مز ٣٤]

البيان :

يقول النبى الأمىٍّ بظهر الغيب عن نفسه : إنه يبارك الله بالغدو والآصال ، وإنه يسبح اسم ربه الأعلى . وعبر بفمه عن أنه أمى ، وسيُقرؤه الله ، ولا ينسى ، وبين أن أعداءه صنعوا به صنائع شر ، وأنه طلب من الله أن ينصره عليهم ، فاستجاب له ونصره ، ومن كل المخاوف أنقذه « ومن كل ضيقاته ؛ خلّصه » وهذه النبوءة لا تنطبق على عيسى عليه السلام حسب قولهم فيه . فإن قولهم بقتله ، يتنافى مع نصر الله له ، وكيف يقتل ، وموسى نفسه يصرح بأنه لن يقتل ، فى الأصحاح الثامن عشر ، من سفر التثنية ؟

٣ ـ « وورد فى آية أخرى من الكتاب : « سينظرون إلى من طعنوا » يعنى المحرف : أن المسيح وهو على الصليب طعنوه بالحربة فى جنبه ، فخرج لوقته دم وماء . ويعنى بالكتاب سفر زكريا . مع أن المطعون لا يخرج من جنبه ماء .

ومن يقرأ النص كله فى سفر زكريا ، و يلاحظ تشكيل الحروف ، يجد أن الاقتباس فى غير محله. وذلك لأنه يتحدث عن اجتماع بَشَر؛ لحرب اليهود فى أورشليم.

ويقول : إن أهل أورشليم سينظرون إلى الله ، الذى أهانوه بالعصيان.. والمحرف يقول: ينظرون إلى المسيح وهو على خشبة الصلب. والنص هو : « وأفيضُ على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات،فينظرون إلىّ ـ بتشديد الياء مفتوحة ـ الذى طعنوه » [زك ١٢ : ١٠] وقبل هذا النص قوله : « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون ، اهتفى يا بنت أورشليم . هو ذا ملكك . يأتى إليك . هو عادل ومنصور. وديع وراكب حمار ، وعلى جحش ابن أتان[1] ، وأقطع المركبة من أفرايم، والفرس من أورشليم . وتقطع قوس الحرب ، ويتكلم بالسلام للأمم ، وسلطانه من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض »[زك ٩ : ٩ ـ ١٠] يريد أن يقول : إننى سأرفض شعب بنى إسرائيل ، الذين أهانوننى بالمعصية ، وسآتى بشعب جديد ليسير أمامى .

٤ ـ كتبوا فى يوحنا : « لأنهم لم يكونوا بعدُ يعرفون الكتاب : أنه ينبغى أن يقوم من الأموات »

يريد المحرف أن يقول : إن الناس ما كان عندهم علم بما فى النبوءات عن النبى الآتى من أنه سيدفن فى التراب ، ويقوم من الأموات . ولما دفن المسيح وقام ، دل ذلك على صدق النبوءات عليه . هذا هو ما يريد أن يقوله لتثبيت عقيدة القيامة من الأموات . ولننظر فى نصوص النبوءات ، لنرى ما فيها عن هذه العقيدة :

يقول بطرس : « أيها الرجال الإسرائيليون . اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده ، فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون . هذا أخذتموه ، مسلّما بمشورة الله المحتومة ، وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه ، الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت ، إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه ؛ لأن داود يقول فيه :

« كنت أرى الرب أمامى فى كل حين . أنه عن يمينى ، لكى لا أتزعزع . لذلك سرّ قلبى، وتهلل لسانى، حتى جسدى أيضا سيسكن على رجاء ؛ لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية ، ولا تدع قدوسك يرى فسادا ، عرفتنى سبل الحياة ، وستملأنى سرورا مع وجهك »

---

(١) هو لا يقصد التعبير الحقيقى وهو ركوبه حقيقة على الحمار والجحش. وإنما يقصد الكناية عن التواضع الشديد. فالحصان كناية عن الكبر، والحمار كناية عن التواضع.

أيها الرجال الأخوة . يسوغ لى أن يقال لكم جهارا عن رئيس الآباء داود : إنه مات، ودفن ، وقبره عندنا ،حتى هذا اليوم . فإذ كان نبيا وعلم أن الله حلف له بقسم : أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ، ليجلس على كرسيه ، سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح: أنه لم تترك نفسه فى الهاوية، ولا رأى جسده فسادا . فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك ، وإذ ارتفع بيمين الله ، وأخذ موعد الروح القدس من الآب ؛ سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه ؛ لأن داود لم يصعد إلى السموات . وهو نفسه يقول : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتىّ أضع أعداءك موطئا لقدميك »

فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل: أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم : ربا ومسيحا » [أعمال ٢ : ٢٢ ـ ٣٦]

فى هذا النص اقتباسان من أسفار الأنبياء . هما نبوءتان عن النبى الآتى . وهو محمد ﷺ قد وضعهما المحرف على لسان بطرس ، ليصدقا على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، على معنى أنه قام من الأموات ، منتصرا .

الاقتباس الأول : فى المزمور السادس عشر. وفيه يقول النبى الآتى بظهر الغيب: «جعلت الرب أمامى فى كل حين . . الخ » ويطلُب من الله أن ينصره على أعدائه ، فيقول: « لأنه عن يمينى ؛ فلا أتزعزع » أى: لايقوى علىّ الأعداء ؛ لأن الله معى . ثم يقول : ولأن الأعداء لن يقووا علىّ « فرح قلبى وابتهجت روحى » ولسوف يعرفنى سبل الحياة ، ويجعل أمامى شبع وسرور، ونعم. ولن يتركنى للأشرار ليهلكوا جسدى . فأين من هذا القيامة من الأموات ، من قبل أن يحارب أعداءه وهو لم يحاربهم لا من قبل القيامة ، ولا من بعدها ؟

نص المزمور ١٦

« احفظنى يا الله ؛ لأنى عليك توكلتُ . قلت للرب : أنت سيدى .خيرى . لا شئ غيرك . القديسون الذين فى الأرض ، والأفاضل . كل مسرتى بهم . تكثر أوجاعهم ، الذى أسرعوا وراء آخر . لا أسكب سكائبهم من دم . ولا أذكر أسماءهم بشفتىّ . الرب نصيب قسمتى وكأسى . أنت قابض قرعتى . حبال وقعت لى فى النُّعماء ، فالميراث حسن عندى .

أبارك الرب الذى نصحنى ، وأيضاً بالليل تنذرنى كليتاى . جعلتُ الرب أمامى فى كل حين . لأنه عن يمينى فلا أتزعزع . لذلك فرح قلبى ، وابتهجت روحى . جسدى أيضاً يسكن مطمئنا ؛ لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع قدوسك يرى فسادا

تعرفنى سبيل الحياة . أمامك شِبع سرور . فى يمينك نِعَم إلى الأبد » [مز ١٦]

البيان :

يقول النبى بظهر الغيب : إنك بالحبل قسمت النعم بينى وبين السابق علىّ . وهو موسى كليم الله ، وأعطيت أمته ميراثا ، وأعطيت أمتى ميراثا . فهو الأول وأنا الآخر . وميراثى حسن عندى ؛ لأنه أطول من مدة السابق علىّ . وعلى هذا المعنى تكون الآخرة خير من الأولى . ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ - ﴿والآخرة خير وأبقى﴾

وقد حرف بطرس معنى « لن تدع قدوسك يرى فسادا » فقال : إن الفساد هو فساد الجسد فى القبر ، وذلك لأن الميت وهو تحت التراب ، تأكله الديدان ، والحشرات ، والحيوانات المفترسة ، وهذا فساد للجسد ، ولما مات داود عليه السلام، دفن تحت التراب وفسد جسده ، أما يسوع المسيح ، فإن الله حفظ جسده من فساده فى التراب . وذلك بأنه لما وضعوه فى القبر ، أحياه الله فى الحال ، ونقض عنه أوجاع الموت ودحرج الحجر عن فم القبر ، وأصعده إلى السماء بصحبة ملائكة أبرار . هذا هو قول بطرس فى معنى « لن تدع قدوسك يرى فسادا » وهو قول باطل ، وذلك لأنه يتحدث عن نصر الله تعالى للنبى الأمى الآتى على يد أعدائه . فيقول : إننى جعلت الله عن يمينى، أى سرتُ معه وعملت بما يسره ، وطلبت منه عونه ونصره ، ولما جعلته عن يمينى ؛ صرتُ لا أتزعزع ، أى: لا يقوى علىّ عدو . ومن أجل نصر الله : « فرح قلبى ، وابتهجت روحى »

و « الهاوية » فى العبرانيـة « شأول » [تك ٤٢ : ٣٨] وقيل : إنه اسم علم لدار الموتى. ويريد أن يقول : لقد نصرنى الله فى الدنيا على أعدائى ، وفرح قلبى ، وابتهجت روحى، ومن بعد موتى ، لن يضع الله جسدى فى النار . وذلك لأنى عملتُ بما يرضيه .

وقد عبر داود عن مصير الأشرار من بعد الموت. بقوله : « مثل الغنم للهاوية يساقون. الموت يرعاهم ، ويسودهم المستقيمون ، غداة ، وصورتهم تبلى . الهاوية مسكن لهم . إنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية ؛ لأنه يأخذنى » [مز ٤٩: ١٤ ـ ١٥]

وهذا يدل علي أن الهاوية : اسم علم لدار الموتى .

الاقتباس الثانى :

فى المزمور المئة والعاشر . وهو يكذب المحرف فى دعواه . ونصه : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك فى صهيون . تسلط فى وسط أعدائك . شعبك منتدب فى يوم قوتك ، فى زينة مقدسة . من

رحم الفجر ، لك طل حداثتك .

أقسم الرب، ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد، على رتبة ملكى صادق. الرب عن يمينك ؛ يحطم فى يوم رجزه ملوكا. يدين بين الأمم ، ملأ جثثا. أرضا واسعة، سحق رءوسها. من النهر يشرب فى الطريق . لذلك يرفع الرأس » [مز ١١٠]

والنص العبرى : قال يهوه لأدوناى . أى: قال الله لسيّد داود : كن معى، وأنا أنصرك على أعدائك نصرا مؤزرا . ثم صرح بالحرب والانتصار فيها ، فقال : « ملأ جثثا، أرضا واسعة . سحق رءوسها » فأين منه القيامة من الأموات ؟

وفوق ذلك. نجد فى الأناجيل الأربعة عبارات تدل على عدم قتل عيسى وصلبه منها :

١ ـ **فى متى** : « وفيما هما منطلقتان ، لتخبرا تلاميذه ، إذا يسوع لاقاهما ، وقال : سلام لكما » [مت ٢٨ : ٩] « فتقدم يسوع وكلمهم قائلا . . . » [مت ٢٨ : ١٨]

٢ ـ **فى مرقس** : ظهر لمريم المجدلية ، وظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم . وأخيرا ظهر للاثنى عشر .

٣ ـ **فى لوقا** : ظهر لاثنين كانا فى طريقهما إلى قرية عمواس، وظهر للتلاميذ، ووقف فى وسطهم . وقال لهم : سلام لكم « فناولوه جزءا من سمك مشوى ، وشيئا من شهد عسل ؛ فأخذ ، وأكل قدامهم »

٤ ـ **فى يوحنا** : ظهر للتلاميذ ونفخ فى وجوههم ، وظهر لهم مرة أخرى على بحر طبرية، ومرة ثالثة ومعهم شبكة فيها سمك كثير. ومرة رابعة كلم فيها بطرس.

٥ ـ **فى سفر الأعمال**: ظهر أربعين يوماوهو يتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله [اع ١ : ٣] أى: أنه استمر فى التبشير بمجيء محمد ﷺ صاحب ملكوت الله .

وبعد الأربعين يوما ؛ ارتفع عنهم .

ومن هذا حاله ؛ كيف يقال بقتله وصلبه ؟

ولماذا قال النصارى بانتصاره ؟

لأن من صفات النبى الأمى الآتى أن ينتصر على أعدائه فى الحروب . وهم يعلمون أن المسيح عيسى عليه السلام لم يحارب أعداءه . فلذلك حوّلوا صفة الانتصار ، من انتصار فى الحروب إلى انتصار فى القبور . والذى يقضى بالحق فى هذا النزاع : هو نصوص النبوءات عن النبى المنتظر . هل فيها ما يدل على قتله أم ليس فيها ؟

ولنبدأ بنبوءات الأسفار الخمسة :

فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية صفات كثيرة للنبى الآتى . منها : أنه لا يقتل بيد أعدائه « يقيم لك الرب إلهك نبيا . . . الخ »

ومحمد ﷺ لم يقتل بيد أعدائه، وانتصر عليهم فى الحروب . فالنبوءة تنطبق عليه. ويدعى النصارى أنها تنطبق على المسيح عيسى عليه السلام . وكيف عليه تنطبق ، وهم يقولون بقتله وصلبه ؟

ثم نذكر من أسفار الأنبياء ما يدل على أن الانتصار هو انتصار على الأعداء فى الحروب ، وليس هو انتصار على الموت فى القبور :

١ ـ **فى سفر زكريا :** « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون ، اهتفى يا بنت أورشليم . هو ذا ملكك ، يأتى إليك . هو عادل ومنصور ، وديع وراكب على حمار ، وعلى جحش ابن أتان . وأقطع المركبة من أفرايم ، والفرس من أورشليم ، وتقطع قوس الحرب ، ويتكلم بالسلام للأمم . وسلطانه من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض » [زك ٩ : ٩ ـ ١٠] فقد بين بقوله « وتقطع قوس الحرب » أن الانتصار يكون فى الحرب على الأعداء.

وهذه النبوءة قد طبقها النصارى على عيسى عليه السلام وهى ليست له ؛ فإنه لم يحارب ولم يكن ملكا ، ولم يكن له سلطان فى البر والبحر .

٢ ـ **وفى سفر يوئيل :** عن يوم الرب . وهو اليوم الذى يظهر فيه النبى المنتظر : أنه سيكون يوما عسيرا على الأشرار . وأن النبى سيؤسس ملكوته بالحرب ، وأنه سيكون خاتم النبيين ، لقوله عن أصحابه : « شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل ، ولا يكون أيضا بعده ، إلى سنى دور فدور » ووصف يوئيل أيام دخول أصحاب النبى الآتى أرض فلسطين فقال: « يجرون كأبطال. يصعدون السور ، كرجال الحرب، ويمشون كل واحد فى طريقه، ولا يغيرون سبلهم، ولا يزاحم بعضهم بعضا . يمشون كل واحد فى سبيله، وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون. يتراكضون فى المدينة ؛ يجرون على السور، يصعدون إلى البيوت ، يدخلون من الكوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض ، وترجف السماء . . والرب يعطى صوته أمام جيشه . إن عسكره كثير جدا » الخ [يوئيل ٢]

وقد استدل النصارى من نفس الأصحاح على أن عيسى عليه السلام هو النبى الأمى الآتى إلى العالم من قوله : « ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر . . الخ » أى: أعطى إلهامات صادقة لأصحاب هذا النبى . وقد أُعطيت لأصحاب محمد ﷺ ؛ لأنهم ليسوا من الضالين ، وليسوا من المغضوب عليهم .

٣ ـ وفى سفر إشعياء : « وحى من جهة بلاد العرب . فى الوعر ، فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين . هاتوا ماء لملاقاة العطشان . يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه ؛ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب » [إش ٢١ : ١٣ ـ] وقد استدل النصارى من نفس السفر على يسوع المسيح. وهم يعلمون أن قوله: « لذلك أقسم له بين الأعزاء ، ومع العظماء يقسم غنيمة » يدل على الانتصار فى الحروب ، وهو لم يحارب قط [إش ٥٣]

وذكر يوحنا فى إنجيله : أن المسيح عليه السلام استدل بهذا النص على النبى الآتى من بعده فى قوله : « إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكن الجميع متعلمين من الله » [يو٦:٤٥] يشير بالأنبياء إلى سفر إشعياء . وفيه يصف أصحاب النبى الآتى بقوله : « وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا » [إش٥٤:١٣] يعنى: أن أبناء «مكة» من بنى إسماعيل ، سيكونون كلهم متعلمين من الله . وفى هذا النص يقول : « من اجتمع عليك ؛ فإليك يسقط. ها أنذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ، ويخرج آلة لعمله . وأنا خلقت المهلك ليخرب » أى: أن النبى الآتى سينتصر على أعدائه فى الحروب .

إخفاء أن يسوع هو النبى الآتى إلى العالم إلي أن يُقتل ويصلب ويقوم من الأموات

ويقول النصارى : إن عيسى عليه السلام لم يعلن لأحد أنه هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام ، وذلك لأنه لو كان قد أعلن عن نفسه أنه هو النبى الأمى ؛ لما وجد من يصدقه .وذلك لأن من أوصاف النبى الأمى : أن ينتصر على الأعداء ، وهو لم يحارب ولم ينتصر .

وبعدما مات وهو لم يحارب ولم ينتصر ، أعلن أتباعه أنه هو النبى الآتى ، وما كانوا له بعارفين ، إلا بعدما قام من الأموات منتصرا . وكتبوا هذا فى إنجيل مرقس ، بوضوح تام . ومن ذلك : أن « الشياطين » لما خرجت من أجساد الناس « صرخت قائلة: إنك أنت ابن الله. وأوصاهم كثيرا: أن لا يُظهروه » [مر ٣:١١-١٢] أى: أن الشياطين اعترفت بأنه هو النبى الأمى الآتى، الملقب من داود بلقب «ابن الله» مجازا فى المزمور الثانى . وأن المسيح نفسه « أوصاهم كثيرا : أن لا يظهروه » أى: لا يذيع تلاميذه أنه هو المَسِيا الرئيس ؛ لأن الناس لن تصدقهم فى هذا الخبر .

ولما قال له بطرس: إنك أنت المسيح. أى: المسيا الرئيس. أى: النبى الأمى المماثل لموسى؛ انتهره لكى لا يقول ذلك « فقال لهم : وأنتم من تقولون: إنى أنا ؟ فأجاب بطرس

وقال له: أنت المسيح. فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » [مر ٨:٢٩ ـ ٣٠]

وقد نسب المحرف إلى بطرس : أنه بعد رفع يسوع المسيح ، وقف ونادى فى الناس بأن يسوع المسيح هو كان المسيح المنتظر ، وأنه أوصى قبل رفعه بأن لانذيع أنه هو ، فى حال حياته . ثم قال : إن الله وعد داود بأن يقيم من صلبه على عرشه . ويسوع المسيح هو الآتى من صلب داود ، ليقيم مملكة داود ، ويعيدها إلى سابق مجدها ، لأنه هو النبى الموعود به على مثال موسى ، الذى من أوصافه أن يكون ملكا ، وأن يملك إلى أقصى الأرض . والمحرف يعلم من الأناجيل : أن يسوع ليس له أب ، ويعلم : أن أمه مريم رضى الله عنها من نسل هرون ، من سبط لاوى ابن يعقوب عليه السلام . وكيف مع هذا العلم ، يزعم : أنه من نسل داود من سبط يهوذا بن يعقوب عليه السلام ؟ ففى لوقا : «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أَبِيًّا . له امرأة من بنات هرون ، اسمها أليصابات . . » [لو ١ : ٥] وهى ثامنة الفرق الكهنوتية اللاوية الأربع والعشرين [١ اخ ٢٤:١٠] وزكريا عليه السلام متزوج من « أليصابات » وهى من بنات هرون عليه السلام . وقال لوقا : إن مريم العذراء نسيبة لإليصابات « وها إن نسيبتك أليصابات قد حبلت هى أيضا بابن فى شيخوختها » [لو ١ : ٣٦] والنسب : هو القرابة . فتكون مريم من نفس السبط الذى منه أليصابات . وذلك لأن فى شريعة التوراة : أن المرأة التى تريد أن ترث فى إسرائيل ، لا بد أن تتزوج رجلا من سبطها . ليتميز نصيب كل سبط عن غيره . ذلك قوله : « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها » [عد ٣٦ : ٨]

ويقول النصارى : إن الإنجيل هو البشرى المفرحة . ويفسرون البشرى المفرحة بأنها هى موت المسيح على الصليب من أجل غفران الخطايا .

وذلك لأن آدم عليه السلام لما أخطأ وهو فى الفردوس ، لم يتب من خطئه ، فلذلك انتقلت الخطيئة منه إلى ذريته . وإذ أراد الله محو الخطيئة ، سمح بقتل يسوع المسيح وصلبه كفارة للخطيئة ، لآدم ولذريته . كل من يؤمن بالمسيح . وانتصاره على الموت ، هو دليل على أن الله رضى بذلك ، وسرّ به . وهذا لم يقل به المسيح عيسى عليه السلام ، وإنما قال به بولس الذى حرف النصرانية ، وكوّنها على حساب عيسى عليه السلام . يقول ما نصه : « ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الأخوة أننى مرارا كثيرة، قصدت أن آتى إليكم، ومنعت حتى الآن، ليكون لى ثمر فيكم أيضا ، كما فى سائر الأمم . إنى مديون لليونانيين والبرابرة. للحكماء والجهلاء. فهكذا ما هو لى مستعد لتبشيركم، أنتم الذين فى رومية أيضا؛ لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح ؛ لأنه قوة الله للخلاص ، لكل من يؤمن .

لليهودى أولا ثم اليونانى » [رو١: ١٣ ـ ١٦]

عَهـــدُ اللـــه

واعلم : أن الله تعالى عقد عهدا بينه وبين إبراهيم عليه السلام . الله فيه طرف أول، وإبراهيم ونسله طرف آخر. وفيه :أنهم يسيرون أمام الله لدعوة الناس إلى دينه، ونبذ عبادة الأوثان . وأنهم إذا ساروا ودعوا ونبذوا عبادة الأوثان بالكلام الحسن وبالجهاد بالسيف ، فإن الله تعالى يورثهم أراضى الأمم والشعوب ، ليحكموهم بشرع الله تعالى . ووجودهم بين الأمم بالشريعة الإلهية هو بركة ، لأنه بسببهم صار للأمم حياة فى الدنيا ، وحياة فى الآخرة .

وقد قال الله عن هذه البركة لإبراهيم ونسله :

« أبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » [تك ١٢: ٣] «وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » [تك ٢٦ : ٤] « وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطى نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك فى نسلك جـــميع أمم الأرض » [تك ٢٢ : ١٨] « ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . وتتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض » [تك ٢٨: ١٤]

العهــــدان

وقد قسم الله تعالى بركة إبراهيم فى الأمم بين نسل إسحق ونسل إسماعيل . لكل نسل مدة من الزمان . يحكم فيها الأمم بشريعة إلهية . وقد نصت التوراة على أنه فى الوقت الذى بدأت فيه بركة نسل إسحق، عقد الله عهدا بينه كطرف أول،وبين بنى إسرائيل ـ النائبين عن كل نسل إسحق فى البركة ـ كطرف آخر. مؤداه : أن يسير بنو إسرائيل أمام الله ، وأن تكون الشريعة فيهم، وأن تكون الملوك منهم على الأمم . وكل نسل إبراهيم معهم. وتحت رئاستهم. وفى مقابل ذلك يتعهد الله بنصرهم، ورزقهم من الطيبات. وقد وافق بنو إسرائيل على هذا الشرط. وأعطاهم التوراة على يد عبده ونبيه موسى عليه السلام. وفى هذا المعنى يقــول الله تعالـى فى القرآن الكريم: ﴿**وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم**﴾ ونص العهد فى التوراة هو:« والآن إن امتثلتم أوامرى ، وحفظتم عهدى ؛ فإنكم تكونون لى خاصة ، من بين جميع الشعوب؛ لأن جميع الأرض لى .وأنتم تكونون لى مملكة أحبار،وشعبا مقدسا » [خر ١٩: ٥ ـ ٦]

هذا عن العهد الأول ، عهد بنى إسحق عليه السلام . ويدخل فيه : إيمانهم ببركة

إسماعيل عليه السلام ودخولهم فيها ، إذا ظهر النبى الآتى منهم للبركة . فإن البركة تبدأ بنبى مشرع ، كما بدأت بركة بنى إسحق من موسى . وإنهم إذا لم يدخلوا فيها ، يكونون ناقضين للعهد . وإذا دخلوا فيها ، يكونون مكملين للعمل بكل أحكام التوراة ؛ فإن من أحكامها : السماع من النبى الآتى المماثل لموسى إذا ظهر [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] ومن لم يؤمن به حال ظهوره ، يكون ناقضا للعهد ، ولا يكون عاملا بكل أحكام التوراة .

وأما عن العهد الثانى ، عهد بنى إسماعيل عليه السلام. فإن التوراة نصت على عهد جديد، يبدأ من النبى الأمى الآتى منهم، على مثال موسى. وقد قال النبى هوشع فى سفره: إنه سيكون عهد محبة، وعدل، وأمانة، ومعرفة لله، وفيه سيعم السلام والرخاء [هو ٢ : ٢٠ ـ ٢٦] وقال النبى إرمياء فى سفره: إنه ستكون شريعة جديدة ، بعهد جديد، فى نهاية زمان بركة إسحق فى الأمم ، وشريعة الله سوف تكون مع كل الناس، لا مع سبط بعينه، ولا مع قبيلة بعينها [إرمياء٣١:٣٣ ـ ٣٤و٣٢:٣٧ ـ ٤١] ويعلن النبى حزقيال إتمام عهد أبدى، عهد سلام [حزقيال٣٦:٢٦] وقال حزقيال: إن عهد سيناء سيجدد [حز١٦:٦٠] ولسوف يتضمن تغيير القلوب وإفاضة الإلهام الإلهى على قلوب الناس [حز٣٦:٢٦ـ ٢٨] وهكذا يتم تقسيم البركة بين إسحق وإسماعيل. «تكونون لى شعبا، وأنا أكون إلهكم» [إر٣١:٣٣, ٣٢:٢٨ وحز٣٦:٢٨و٣٧:٢٧]

وفى سفر إشعياء عن هذا العهد الجديد: أنه لبنى إسماعيل ، ورمز لنسله بالعاقر التى لم تلد، كناية عن أن نسل هاجر ، لم يأت منه أنبياء بعد . وقال : إن العهد مع نسلها ، سيكون عهدا أبديا ، وأن جميع أبنائها فى حال بركتهم سيكونون متعلمين من الله ، وقد طبق المسيح عيسى عليه السلام هذه النبوءة على محمد ﷺ فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا . فى قوله لعلماء بنى إسرائيل : لماذا تتذمّرون فيما بينكم عما قلته لكم عن النبى الآتى ؟ أليس فى كتب الأنبياء : « ويكون الجميع متعلمين من الله ؟ » وهو بقوله هذا قد وضح أن لبنى إسماعيل عهد ، كما كان لبنى إسرائيل عهد . وقال إشعياء عن هذا العهد : إنه عهد ثابت لا يتزعزع ، كالعهد الذى أقسم الله به لنوح عليه السلام [إش ٥٤ : ٩ ـ ١٠]

وقال إشعياء : إن صاحب العهد الجديد هو « العبد المتألم » الذى سيقيمه الله «عهدا للشعب ، ونورا للأمم » [إش ٤٢ : ٦ و٤٩ : ٦ ـ ٨] والعبد المتألم هو النبى الأمى المماثل لموسى [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] وهو متألم من إعراض الناس عن دعوته .

ويعلم اليهود والنصارى : أن عهد بنى إسماعيل ، الذى سيبدأ من محمد ﷺ هو عهد جديد ، فى مقابل عهد قديم . هو عهد بنى إسرائيل الذي بدأ من موسى عليه السلام. وقد لغا النصاري في العهد الجديد ، بقولهم : إنه هو عهد الإنجيل . فى مقابل

عهد التوراة . كيف . والإنجيل يُحيل إلى التوراة فى الأحكام الفقهية ؟ كيف والمسيح عيسى لم يأت لنقض التوراة ؟ كيف وعيسى عليه السلام لم يأت بشريعة مستقلة عن شريعة موسى ؟ كيف . وإنه هو من بنى إسرائيل . وأصحابه طائفة من بنى إسرائيل ؟

وقد أوهموا الناس بأن الكتاب المقدس ـ ويسمونه « البَايْبُل » أيضاً ـ يحتوى على كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد. وهم يعلمون أن العهد الجديد هو عهد القرآن الكريم ، لا عهد الإنجيل: إذْ هما عهدان . عهد مع موسى. وعهد مع النبي الآتى على مثاله. والآتى على مثاله هو محمد ﷺ الذى دعا يسوع المسيح فى بنى إسرائيل باقتراب ملكوته .

ويهدف النصارى من قولهم بقتل المسيح عيسى وصلبه إلى أن العبد المتألم صاحب العهد ـ الذى هو محمد ﷺ ـ هو المسيح عيسى عليه السلام . وذلك لأنهم أمام نبوءات عن محمد ﷺ قد طبقها المسيح عيسى نفسه على محمد ﷺ فى أكثر من مكان. وهم يحاولون أثناء تحريف دعوته ؛ تطبيق النبوءات على المسيح عيسى نفسه.

فما هى محاولاتهم فى تطبيق العهد عليه ؟

أولا : تمثل التوراة : كيفية إرادة الله جذب كل البشر لعبادته ، بكيفية ارتباط الناس بعضهم ببعض بوثائق وعهود . فهناك : اتفاقات ، بين جماعات أو بين أفراد على قدم المساواة يريدون مساعدة بعضهم بعضاً . مثل : الأحلاف من أجل السلام [تكوين ١٤ : ١٣و٢١ـ٢٣, ٢١ : ٢٢ـ٢٤, ٢٦ : ٢٨, ٣١ : ٤٤ـ٤٦, ١ملوك ٥ : ٢٦, ١٥ : ١٩] أو عهود الأخوة [عاموس ١ : ٩] أو مواثيق الصداقة [١ صموئيل ٢٣ : ١٨] حتى الزواج ذاته [ملاخى ٢ : ١٤]

وهناك معاهدات غير متكافئة ، حيث يعد القوى بحماية الضعيف ، بينما يتعهد الضعيف بخدمته . وكانت الشعوب الشرقيةقديماً تألف عقد معاهدات التبعية هذه ، وتقدم لنا التوراة أمثلة كثيرة . منها : [يشوع ٩ : ١١ ـ ١٥ ، ١ صموئيل ١١ : ١, ٢ صموئيل ٣ : ١٢ـ١٤] . فى هذه الحالات ، قد يلتمس الضعيف المعاهدة . أما القوى فيوافق عليها. تبعا لرغبته ، فيملى عليه شروطه [راجع حزقيال ١٧ : ١٣ـ١٤] . ويتم الاتفاق طبقا لمراسيم مقررة فى العرف الجارى . فيرتبط الطرفان بقَسَمْ : تشطر الحيوانات إلى شطرين ، يجتاز المتعاقدان بين الشطرين ، متنزلين اللعنات على كل من يخالف شروط المعاهدة [راجع إرميا ٣٤ : ١٨] وأخيرا يقيمون نصباً تذكارياً ، فتزرع شجرة أو يقام حجر ، يصير فيما بعد شاهداً على إتمام الاتفاقية [تكوين ٢١ : ٣٣ ، ٣١ : ٤٨ ـ ٥٠] ذلك هو الاختبار الأساسى والمنطلق الذى بموجبه يصور بنو إسرائيل علاقتهم مع الله .

ثانيا : تبين التوراة كيفية إبرام العهد على النحو التالى :

اختلفت التوراة فى طريقة العهد الأول الذى جرت مراسمه،حال نزول التوراة.

فنص يقول : إن موسى وهارون وشيوخ إسرائيل أكلوا طعاما مقدسا فى حضرة ملاك الله [خروج ٢٤ : ١ ـ ٢ و ٩ ـ ١١]

ونص يقول : إن موسى أقام اثنى عشر حجرا ، تمثل الأسباط الاثنى عشر ، وبنى مذبحا ، وقدم عليه بعض الذبائح ، وسكب جزءا من الدم على المذبح ، ورش جزءا من الدم على الشعب ، إبرازا للوحدة فى الهدف التى تتم بين الله وبين بنى إسرائيل . وحينئذ يتعهد الشعب فى هذا الاحتفال بالمحافظة على بنود العهد [خروج ٢٤ : ٣ ـ ٨] و « دم العهد » مهم فى هذا الطقس ، المذكور فى هذا النص .

ثالثا : تبين التوراة :أن الله قد وضع علامات لبنى إسرائيل ؛ ليتذكروا العهد ، ولا ينسوه . منها : تابوت العهد . وهو عبارة عن صندوق صغير ، يودع فيه « لوحا الشهادة » أى لوحا الشريعة . ومنها خيمة الاجتماع [خر ٢٥ : ١٠ ـ ٢٢ وعدد ١٠ : ٣٣ ـ ٣٦ وخر ٣٣ : ٧ ـ ١١] ويزعم النصارى : إن « دم العهد » الأول ـ عهد الله مع بنى إسرائيل لحمل التوراة والعمل بها ـ يجب أن يكون مثله فى العهد الثانى . ويجب أن يكون الدم دم يسوع نفسه .

وهذا هو نص كلامهم من معجم اللاهوت الكتابى :

« ترد كلمة **diathe`ke`** فى رواية الأناجيل الأربعة عن العشاء الأخير . فى ظرف هو غاية فى الأهمية . فبعد أن أخذ يسوع خبزاً وقسمه قائلا: « خذوا كلوا ، هذا هو جسدى » أخذ كأس خمر وباركها وناولها لتلاميذه . ويحفظ مرقس أوجز عبارة قالها يسوع بهذه المناسبة . وهى: « هذا هو دمى ، دم العهد الذى يراق من أجل جماعة كثيرة » [مرقس١٤:٢٤]. ويضيف متى: « لغفران الخطايا » [متى ٢٦:٢٨] ويذكر لوقا وبولس: «هذه الكأس: هى العهد الجديد بدمى » [لوقا ٢:٢٠,١ كورنتس ١١: ٢٥] . وينفرد لوقا بقوله: «الذى يراق من أجلكم » وتشكل مناولة الكأس عملاً طقسياً. والكلمات التى نطق بها تضعه فى علاقة مع الأمر الذى يوشك يسوع أن يتممه أى: موته الذى يقبله طوعا لفداء كثيرين .

ويستشف من هذه الدلالة الأخيرة : أن يسوع يعتبر نفسه عبد الرب المتألم [إشعيا ٥٣ : ١٠] وهكذا يصبح وسيط العهد الذى كانت تشير إليه رسالة التعزية [إشعياء ٤٢ : ٦] لكن «دم العهد » يذكرنا أيضا بأن عهد سيناء قد ختم بالدم [خروج ٢٤: ٨] فتستبدل بذبائح الحيوانات ذبيحة جديدة يحقق دمها فعلياً اتحاداً نهائيا بين الله والبشر. هكذا يتم الوعد

«بالعهد الجديد » الذى تنبأ به كل من إرمياء وحزقيال، بفضل دم يسوع سوف تتحول قلوب البشر ، ويمنح لهم روح الله .فموتِ المسيح الذى هو فى نفس الوقت ذبيحة فصح ، وذبيحة عهد ، وذبيحة تكفير ، سوفِ يؤدى إلى تحقيق رموز العهد القديم ، التى كانت تشير الى هذا الموت بصور مختلفة . وسيظل هذا العمل حاضرا بيننا بفضل فعل طقسى، أمر يسوع بأن « نصنعه لذكره » ولذلك ، عن طريق الاشتراك بالأفخارستيا بإيمان ، يستطيع المؤمنون أن يتحدوا أوثق اتحاد بسر العهد الجديد ، وأن يحظوا بنعمه » أ هـ

ونص كلامهم هذا ، يدل على أن قولهم بقتل المسيح وصلبه هو للغو فى العهد الجديد عهد بركة إسماعيل، المماثل لعهد بنى إسرائيل حاملى بركة إسحق فى الأمم.

وقد رد المسيح عيسى نفسه لغوهم هذا ،بتطبيقه نبوءة العبد المتألم من إعراض بنى إسرائيل عن دعوته على محمد ﷺ فإنه هو الآتى « عهدا للشعب ونورا للأمم » وذلك فى قوله : « كيف يفقهون أن الله خلق الكون من لا شىء بكلمة واحدة ؟ » ثم استدل على ذلك بآيات من سفر إشعياء .

ومن قوله عليه السلام : « فلما رأى إشعياء ـ نبى الله ـ هذا ، صـــرخ قائلا: « حقا. إنك لإله محتجب » ويقول عن رسول الله ، كيف خلقه الله : « أما جيله فمن يصفه؟ » ويقول عن عمل الله : « من كان مشيره عنده ؟ » بل فى ذلك يقول الله للطبيعة البشرية: « كما تعلو السماء عن الأرض ، هكذا تعلو طرقى عن طرقكم ، وأفكارى عن أفكاركم » [بر ١٦٧]

هذا هو كلام عيسى عليه السلام بنصه .

وقد استدل بأربعة نصوص من سفر إشعياء . النص الأول فى إش ٤٥ : ١٥ وهو يظهر أن الله ليس كمثله شىء . والنص الثانى فى إش ٥٣ : ٨ وهو يظهر أن جيل رسول الله محمد ﷺ جيل عظيم يجل عن الوصف ، لعظمه وسعة ملكه ، وكثرة الخير فيه ، والنص الثالث فى إش ٤٩ : ١٣ وهو يظهر أن الله حكيم ، ولا يسأل عما يفعل . والنص الرابع فى إش ٥٥ : ٩ وهو يظهر أن الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم ، ومع ذلك هو أعلى وأجلّ .

والنص الثانى والثالث والرابع قد استدل بهما بولس على أن عيسى عليه السلام هو «العبد المتألم » النبى المماثل لموسى . وهذا يدل على أنه يعكس تفسير عيسى للنبوءات . بتطبيقها عليه ، لا على محمد ﷺ

وزَعْم النصارى: أن دم العهد الأول يماثله دم يسوع؛ هو زَعْم باطل. وتفسيره هو

هذا: أن الله لما أراد إنزال التوراة على موسى عليه السلام؛ طلب منه إحضار شيوخ بنى إسرائيل؛ ليأخذ العهد على بنى إسرائيل بواسطتهم؛ أن يقوموا بالتوراة خير قيام، فأحضرهم، وأخذ عليهم العهد، وقام موسى نفسه بعمل طقوس هى رش دم على مذبح، وذبح ثيران. وأخذ كتاب العهد، وقرأ فى مسامع الشعب. فقالوا: كل ما تكلم به الرب؛ نفعل ونسمع. وأثناء وقوف المشايخ السبعين على الجبل «ارتجف الجبل جدا» وصارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل، وصوت بوق شديد جدا. وكان جبل سيناء كله يدخّن. وعلى إثر ذلك، طلب بنو إسرائيل من موسى: أن لا يريهم الله هذا المنظر المرعب مرة أخرى. وأنه إذا أراد أن يكلمهم؛ فليكلمهم عن طريقه. فرد موسى الأمر إلى الله، فخاطبهم بقوله: أحسنتم فى ما قلتم. وسوف أكلمكم مرة أخرى عن طريق نبى، أمى، مماثل لموسى، من بين إخوتكم.

ومن الطلب والرد؛ يظهر: أنه لن تكون رعود وبروق، ولن يكون عهد دم بطقس، وشعائر، وذبائح سلامة؛ فى حال ظهور النبى الأمى بالشريعة الجديدة، وإذا لم تكن رجفة مصاحبة لنزول شريعته، وإذا لم يكن طقس دم؛ فإن العهد الجديد؛ لن يكون طقس دم، لا للنبى نفسه، ولا من النبى نفسه، فكيف يزعمون ـ والحالة هذه ـ أن دم المسيح يسوع قد سُفك للعهد الجديد. والعهد الجديد ليس فيه دم؟ وكيف يزعمون، وهو لم يقتل. حتى يقال: إن الآتى على مثاله يجب أن يسفك دمه ويذبح ويقتل؟

وعلى قولهم فى قتله وصلبه نقول :

إنه من يقرأ نص التوراة عن النبى الأمى الآتى ؛ يتبين له منه : أنه لايقتل . وإذا انتفى عنه القتل ؛ ينتفى أن عيسى قتل وصلب . لأن القول بقتله وصلبه يدل على أنه ليس هو صاحب النبوءة ،والنصارى يقولون : إنه هو صاحبها ، كيف يكون هو صاحبها وهى لا تنطبق عليه ؟ وهذا هو نصها من ترجمة الآباء اليسوعيين : « يقيم لك الرب إلهك : نبيا من بينكم من إخوتك مثلى له تسمعون . جريا على كل ما سألته الرب إلهك فى حوريب ، فى يوم الاجتماع قائلا : لا عدت أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ؛ لئلا أموت . فقال لى الرب : قد أحسنوا فيما قالوا . أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك، وألقى كلامى فى فيه ؛ فيخاطبهم بجميع ما آمره به . وأى إنسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى ؛ فإنى أحاسبه عليه. وأى نبى تجبر فقال باسمى قولا لم آمره أن يقوله ، أو تنبأ باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك النبى . فإن قلت فى نفسك : كيف يُعرف القول الذى لم يقله الرب ؟ فإن تكلم النبى باسم الرب ، ولم يتم كلامه ، ولم

يقع؛ فذلك الكلام لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره ، تكلم به النبى؛ فلا تخافوه » [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

وفى ترجمة البروتستانت : فإنه يموت . والمعنى واحد . ومعنى الكلام : أن الرجل الذى يكذب على الله ، ويدعى أنه هو صاحب هذه النبوءة ، أو يدعو إلى غير الله ، وهو يدعى أنه هو صاحب هذه النبوءة ؛ فإن هذا الرجل ؛ تنتهى حياته بالقتل . وعيسى عليه السلام لم يؤثر عنه أنه ادعى أنه هو صاحب هذه النبوءة ، ولم يؤثر عنه أنه دعا إلى غير الله ، حالة زعمه : أنه صاحب هذه النبوءة . وعلى ذلك فإنه لا يكون جزاؤه القتل . ومحمد ﷺ قال : إننى صاحب هذه النبوءة ، ودعا إلى الله، ورغب فيه ، ولم يقتل . وعدم قتله ، يدل على أنه هو صاحب هذه النبوءة ، ويدل على أنه هو صادق فى قوله إنه هو صاحبها .

الاقتباسات
فى
إنجيـل يوحنـا

الاقتباس الأول :

نص الإنجيل :

« وبعد هذا ، انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمه وإخوته[1] وتلاميذه ، وأقاموا هناك أياما ليست كثيرة . وكان فِصح اليهود قريبا. فصعد يسوع إلى أورشليم ، ووجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما، والصيارف جلوسا . فصنع سوطا من حبال، وطرد الجميع من الهيكل . الغنم والبقر. وكبّ دراهم الصيارف ، وقلّب موائدهم . وقال لباعة الحمام : ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت أبى ؛ بيت تجارة . فتذكر تلاميذه : أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتنى » [يو ٢ : ١٢ ـ ١٧]

النص المقتبس من التوراة :

« غيرة بيتك أكلتنى » [مز ٦٩ : ٩]

البيـان :

المزمور التاسع والستين لداود عليه السلام هو من المزامير الخاصة بالنبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام . ومحرف إنجيل يوحنا يريد تطبيق المزمور ، فى صفة الملك، على عيسى عليه السلام ؛ ليصد الناس عن محمد ﷺ إذا جاء . ولذلك ابتدع بدعة هى : أن عيسى عليه السلام غار على هيكل سليمان من الباعة الذين يبيعون البقر والغنم والحمام ؛ للناس الذين عليهم نذر للهيكل . وصنع سوطا من حبال ، وطرد الجميع من الهيكل . وبفعله هذا ، يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ؛ لأن المزمور انطبق عليه. فى العراك والقتال من أجل دين الله . هذا هو غرضه. والمحرف أيضا وضع هذا المزمور ـ على ظواهر الألفاظ ـ على عيسى فى مواضع أخرى منها حادثة قتله وصلبه . وأول المزمور: « خلصنى يا الله؛ لأن المياه قد دخلت إلى نفسى .غرقت فى حمأة عميقة،وليس مقر. دخلت إلى أعماق المياه،والسيل غمرنى. تعبت من صراخى، يبس حلقى، كلت عيناى من انتظار إلهى . أكثر من شعر رأسى الذى يبغضوننى بلا سبب ، اعتز مستهلكى . أعدائى ظلما . . . الخ»

---

(١) اقرأ عن إخوة عيسى عليه السلام فى كتابنا الأدلة الكتابية فى فساد النصرانية . نشر دار الفضيلة بمصر .

نص المزمور ٦٩ :

« خلصنى يا ألله ؛ لأن المياه قد دخلت إلى نفسى . غرقتُ فى حمأة عميقة وليس مقر . دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرنى . تعبت من صراخى . يبس حلقى . كلت عيناى من انتظار إلهى . أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب . اعتز مستهلكى أعدائى ظلما . حينئذ رددت الذى لم أخطَفه .

يا ألله أنت عرفت حماقتى . وذنوبى عنك لم تخف . لا يخز بى منتظروك يا سيد رب الجنود . لا يخجل بى ملتمسوك يا إله إسرائيل . لإنى من أجلك احتملت العار . غطى الخجل وجهى . صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى . **لأن غيرة بيتك أكلتنى** ، وتعييرات معيريك وقت علىَّ . وأبكيت بصوم نفسى. فصار ذلك عارا على . جعلتُ لباسى مِسحا وصرت لهم مثلا . يتكلم فى الجالسون فى الباب وأغانى شرابى المسكر .

أما أنا فلك صلاتى يا رب فى وقت رضى. يا ألله . بكثرة رحمتك استجب لى. بحق خلاصك . نجنى من الطين فلا أغرق .نجنى من مبغضى ومن أعماق المياه . لا يغمرنى سيل المياه ولا يبتلعنى العمق ولاتطبق الهاوية علىّ فاها . استجب لى يا رب لأن رحمتك صالحة . ككثرة مراحمك التفت إلى . ولا تحجب وجهك عن عبدك . لأن لى ضيقا . استجب لى سريعا . اقترب إلى نفسى . فكها . بسبب أعدائى افدنى. أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى. قدامك جميع مضايقى. العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ، ومعزين فلم أجد . **ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلا**[١] .

لتصر مائدتهم قدامهم فخا وللآمنين شركا . لتظلم عيونهم عن البصر . وقلقل متونهم دائما . صب عليهم سخطك وليدركهم حمو غضبك . لتصر دارهم خرابا وفى خيامهم لايكن ساكن. لأن الذى ضربته أنت ؛ هم طردوه . وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون. اجعل إثما على إثمهم ولا يدخلوا فى برك . ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لايكتبوا .

أما أنا فمسكين وكثيب . خلاصك يا ألله فليرفّعنى . أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد . فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف . يرى ذلك الودعاء

---

(١) اخذ النصارى هذه العبارة للمسيح وهو على خشبة الصلب. مع أن معناها : مجاز عن الضيق . وبعده الفرج والنصر « لأن الرب سامع للمساكين »

فيفرحون . وتحيا قلوبكم يا طالبى الله. لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه . تسبحه السموات والأرض. البحار وكل ما يدب فيها . لأن الله يخلص صِهيَوْن ويبنى مدن يهوذا؛ فيسكنون هناك ويرثونها. ونسل عبيده يملكونها ومحبو اسمه يسكنون فيها » [مز ٦٩]

وفى هذا المزمـور نجد أن النبى الآتى تعرض له الأعـداء بالسـوء حتى قال : «صرت أجنبيا عند إخوتى، وغريبا عند بنى أمى » ثم صرخ: « نجنى من مبغضى » ـ « استجب لى سريعـا. اقترب إلى نفسى. فكها بسبب أعدائى؛ افـدنى » ـ «خلاصك يا ألله ؛ فليرفعنى » ـ « لأن الرب سامع للمساكين »

وعيسى عليه السلام لم يكن أجنبيا عند اليهود ، ولم يكن غريبا عند بنى أمه من اليهود ، ولم يكن مكروها عند بنى إسماعيل ؛ لأنه يبشر بالنبى الآتى منهم ، ولم يحارب ولم ينتصر . وقوله: « غيرة بيتك » يدل على الكعبة البيت الحرام ؛ لقوله فى القرآن الكريم : ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ وكان المشركون حوله .ووجودهم يبعث على الغيرة. ولقول إشعياء عن « مكة المكرمة » : « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . . الخ » وهيكل سليمان لم يكن بيت الله المحرم .

الاقتباس الثانى :

تمهيد :

جاء فى التوراة : أن الله قال لليهود: « أنتم أولاد للرب إلهكم » [تث ١٤:١] وفسر يوحنا أولاد الله بالمؤمنين به . فقال : «وأما الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله . أى: المؤمنون باسمه » [يو ١:١٢] ولقب داود عليه السلام النبى الأمى الآتى على مثال موسى ، بلقب « ابن الله » على حسب لسان قومه . فقال : « لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا ، على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما . الساكن فى السموات يضحك ، الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليه بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون ، جبل قدسى . إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . . الخ » [مزمور ٢]

وقد أرسل الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام ليبشر بمجىء هذا النبى الملقب بلقب ابن الله من بعده . فبشر به بلقب « ابن الإنسان » الذى لقبه به دانيال، وبلقب «ابن الله » الذى لقبه به داود . فقد قال يوحنا : إنه بعدما أكل الحواريون من المائدة السماوية طلبوا يسوع وقالوا له : يا معلم متى صرت هنا ؟

نص الإنجيل :

« أجابهم يسوع، وقال: الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز ، فشبعتم . اعملوا . لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى، للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الإنسان ؛ لأن هذا الله الآب قد ختمه . فقالوا له: ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع ، وقال لهم : هذا هو عمل الله : أن تؤمنوا بالذى هو أرسله .

وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل ما أعطانى، لا أتلف منه شيئا ، بل أقيمه فى اليوم الأخير؛ لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن، ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . فكان اليهود يتذمّرون عليه .

فأجاب يسوع وقال لهم : لا تتذمّروا فيما بينكم . لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب فى الأنبياء: « ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦ : ٢٦ -]

لاحظ :

« ابن الإنسان » - « اليوم الأخير » - « الابن » - « مكتوب فى الأنبياء » - «ويكون الجميع متعلمين من الله »

النص المقتبس من التوراة :

« ويكون الجميع متعلمين من الله » [إش ٥٤ : ١٣]

البيـــان :

يشبه عيسى عليه السلام شريعة النبى الأمى الآتى بالطعام ، بجامع الحياة فى كل . ولم يقل : أنا الذى أعطى بل قال : إن الذى سيعطى هو « ابن الإنسان » الذى أُبشّر به ، وبين أن عمل الله المطلوب من بنى إسرائيل : هو الإيمان بالنبى الذى سيرسله الله ، فى اليوم الأخير . وهو آخر أيام البركة فى بنى إسحق ، وبدء أيام البركة فى بنى إسماعيل . ويقول عيسى عليه السلام : إن كلامى عنه ؛ يدل عليه ، وهو الذى سيعرّفه للناس إذا جاء . ولأنه لم يقل إن النبى الآتى سيكون من بنى إسرائيل ؛ تذمروا عليه ، واغتاظوا منه ، ورد عليهم بقوله : لماذا ضاقت صدوركم بسبب كلامى : أنه لن يكون من بنى إسرائيل ؟ لماذا تستاءون أليس النبى إشعياء بين أنه سيكون من بنى إسماعيل ؟ ألم يقل عن أتباعه : إنهم سيكونون متعلمين من الله ؟ لماذا تتذمرون على ، وأنا ما قلت إلا ما قاله إشعياء النبى

. وكتابه من كتب الأنبياء ؟ فلننظر فى كتب الأنبياء ، ولنقرأ النص . وهو :

« ترنّمى أيتها العاقر ، التى لم تلد . أشيدى بالترنّم أيتها التي لم تَمخَض . لأن بنى المستوحشة أكثر من بني ذات البعل . قال الرب . أوسعى مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك . لا تُمسكى. أطيلى أطنابك ، وشدّدى أوتادك ؛ لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمما ، ويعمر مدنا خربة ، لا تخافى ؛ لأنك لا تخزين، ولا تخجلى؛ لأنك لا تستحين؛ فإنك تنسبين خزى صبَاك ، وعارُ ترملك ، لا تذكرينه بعد ؛ لأن بعلك هو صانعك ، رب الجنود اسمه . ووليك قدوس إسرائيل. إله كل الأرض ؛ يُدعى ، لأنه كامرأة مهجورة ، ومحزونة الروح ، دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذلت .قال إلهك . لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة ، وبإحسان أبدى أرحمك. قال وليك الرب ؛ لأنه كمياه نوح ، هذه لى . كما حلفتُ أن لا تعبر بعدُ مياه نوح على الأرض ، هكذا حلفتُ أن لا أغضب عليك ، ولا أزجرك ؛ فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع ، أما إحسانى . فلا يزول عنك ، وعهد سلامى لا يتزعزع . قال راحمك الرب .

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية : هأنذا أبني بالأُثمد حجارتك ، وبالياقوت الأزرق أؤسسك ، وأجعل شرفك يا قوتا ، وأبوابك حجارة بهرمانية ، وكلَّ تخومك حجارة كريمة. وكلَّ بنيك **تلاميذ الرب** . وسلام بنيك كثيراً . بالبرِّ تثبتين ، بعيدة عن الظلم ؛ فلا تخافين ، وعن الارتعاب ؛ فلا يدنو منك . ها إنهم يجتمون اجتماعا ليس من عندى . من اجتمع عليك ، فإليك يسقط . هأنذا قد خلقتُ الحدّاد الذى ينفخ الفحم في النار ، ويخرج آلة لعمله ، وأنا خلقتُ المهلك ؛ ليخرب .

كلُّ آلة صُوِّرت ضدكِ لا تنجح . وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب ، وبرّهم من عندى . يقول الرب » [إش ٥٤]

يريد أن يقول : إن العاقر كناية عن « مكة المكرمة » فإنه لم يظهر فيها نبى من بعد إسماعيل إلا محمد ﷺ وعبر ببنى المستوحشة عن « هاجر » أم إسماعيل عليه السلام . لأن ذلك الوصف عن بنى إسماعيل فى سفر التكوين وهو « وإنه يكون إنسانا وحشيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن» وقال : إنه فى حالة ظهور النبى « بإحسان أبدى أرحمك » وقال : إن ثمرات كل شىء ستُجبى إلى مكة « وكل تخومك حجارة كريمة » وقال : إن حرمها سيكون آمنا « وعن الارتعاب فلا يدنو منك » وقال :إن من يقصدها بسوء ؛سيهلك . وأن من يحاجّ المسلمين ، سيغلب . وأن « هذا هوميراث عبيد الرب وبرّهم » وسبط لاوى هم الأئمة والفقهاء فى شريعة بنى إسرائيل ،

وأما فى شريعة بنى إسماعيل ؛ فإن كل مسلم يقدر على إقامة الشعائر الدينية حتى ولو كان عبدا حبشيا . وهذا هو معنى قوله : « ويكون الجميع متعلمين من الله »

وقد أخذ بولس نص إشعياء هذا ، واستدل به على أن عيسى عليه السلام هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ؛ ليشوّش على استدلال عيسى به على محمد ﷺ وسنذكر هذا فى موضعه .

الاقتباس الثالث :

نص الإنجيل :

« فتناول اليهود أيضا حجارة؛ ليرجموه .أجابهم يسوع : أعمالا كثيرة حسنة ، أريتكم من عند أبى .بسبب أى عمل منها ترجموننى؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن؛ بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان، تجعل نفسك إلها. أجابهم يسوع: أليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت : إنكم آلهة ؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن يُنقض المكتوب. فالذى قدّسه الآب ، وأرسله إلى العالم . أتقولون له : إنك تجدف ؟ » [يو ١٠ :٣١ـ٣٦]

النص المقتبس من التوراة :

« أنا قلت : إنكم آلهة » [مزمور ٨٢ : ٦]

البيـــان :

كلمة « آلهة » وكلمة « ابن الله » قال فيهما داود عليه السلام : إن كل يهودى يستحق أن يطلق عليه لقب «إلــه» بمعنى سيد، ويطلق عليه لقب « ابن الله» بمعنى المنتسب إلى الله والداعى إليه . فموسى عليه السلام قال له الله : « أنا جعلتك إلها لفرعون » [خر ٧ :١] أى سيدا. وقال عن الله :« أنتم أولاد للرب إلهكم » [تث ١٤ :١] وحيث أن المسيح عيسى عليه السلام من بنى إسرائيل ؛ فإنه يستحق لقب « إله » ولقب « ابن الله » على هذا المعنى ، بحسب الشريعة . فإذا قال عن نفسه إنه « إله » فإنه لا يكون مجِّدفا على الله تعالى . وإذا كان لقب « إله » يطلق على اليهودى الصالح أو الفاسد ، فإطلاقه على عيسى وهو صالح ؛ من باب أَوْلى. يقول داود عليه السلام ، على لسان الله تعالى ، مخاطبا بنى إسرائيل جميعا : « أنا قلت : إنكم آلهة ،وبنو العلى كلكم . لكن مثل الناس تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون »

الاقتباس الرابع :

تمهيد :

من أوصاف النبى الأمى الآتى المماثل لموسى عليه السلام : أن يكون ملكا ؛ لقوله عنه : « له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ؛ تُباد من الشعب » [اع ٣ : ٢٢] ولقول داود عنه : « ويملك من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض » [مز ٧٢ : ٨]

وإذ أراد النصارى جعل هذا النبى ، عيسى عليه السلام ، لا محمدا ﷺ زعموا : أن عيسى عليه السلام دخل « أورشليم » فى نهاية حياته على الأرض . فى هيئة ملكية . وملك وحكم على اليهود .

نص الإنجيل :

« وفى الغد سمع الجمع الكثير الذى جاء إلى العيد ، أن يسوع آت إلى أورشليم . فأخذوا سعوف النخل ، وخرجوا للقائه ، وكانوا يصرخون : أُوصنّا . مبارك الآتى باسم الرب ، ملك إسرائيل ، ووجد يسوع جحشا ، فجلس عليه . كما هو مكتوب : لا تخافى يا ابنة صهيون. هو ذا ملكك يأتى جالسا على جحش أتان » [يو ١٢ : ١٢ ـ ١٥]

فى هذا النص اقتباسان،من التوراة :واحد من الزبور،والآخر من سفر زكريا .

ونص الاقتباس الأول : « مبارك الآتى باسم الرب » [مز ١١٨ : ٢٦] ونص الاقتباس الآخر : « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون . اهتفى يا بنت أورشليم . هو ذا ملكك يأتى إليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار ، وعلى جحش ابن أتان . وأقطع المركبة من أفرايم ، والفرس من أورشليم . وتقطع قوس الحرب ، ويتكلم بالسلام للأمم . وسلطانه من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض »[زك ٩ : ٩ ـ ١٠]

ومن يقرأ المزمور ، من أوله إلى آخره ؛ لا يجده ينطبق على عيسى ـ عليه السلام ـ ويجده ينطبق على محمد ﷺ ومن يقرأ الأناجيل الأربعة يجد فيها أن عيسى عليه السلام طبق هذا المزمور على محمد ﷺ فضلا عن المأثور عن عيسى عليه السلام من أنه رفض الملك ، وانصرف إلى الجبل وحده [يو ٦ : ١٥] ويدعى النصارى أن المسيح قد قتل وصلب وانتصر على الموت ، وفى هذا المزمور نجد أن النبى الآتى لا يقتل ، وينتصر على أعدائه فى الحروب .

نص المزمور ١١٨ :

« احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته ، ليقل إسرائيل : إن إلى الأبد رحمته . ليقل بيت هرون: إن إلى الأبد رحمته . ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته .

من الضيق دعوت الرب؛ فأجابنى من الرحب . الرب لى فلا أخاف . ماذا يصنع بى الإنسان . الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى . الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان . الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء . كل الأمم أحاطوا بى . باسم الرب أُبيدهم . أحاطوا بى واكتنفونى . باسم الرب أُبيدهم . أحاطوا بى مثل النحل . انطفأوا كنار الشوك . باسم الرب أُبيدهم . دحرتنى دحورا لأسقط . أما الرب فعضدنى . قوتى وترنمى الرب . وقد صار لى خلاصا . صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين . يمين الرب صانعة ببأس . يمين الرب مرتفعة . يمين الرب صانعة ببأس . لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب . تأديبا أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى .

افتحوا لى أبواب البر . أدخل فيها وأحمد الرب . هذا الباب للرب . الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا. الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا.

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . نبتهج ونفرح فيه . آه يارب خلص . آه يارب أنقذ . مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله وقد أنار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح . ألهى أنت فأحمدك . إلهى فأرفعك احمدوا الرب ؛ لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته » [مز ١١٨]

فى هذا المزمور : أن النبى الآتى من ضيقه من أعدائه ، دعا الله أن ينصره ؛ فأجابه. وأن كل الأمم أحاطوا به، لحربه وهزيمته « باسم الرب أبيدهم » ـ « انطفأوا كنار الشوك » ثم صرح بعدم قتله على يد أعدائه فقال : « لا أموت ، بل أحيا » ـ « وإلى الموت لم يسلمنى » ثم بين أنه ناسخ لشريعة موسى بقوله : « أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح » كناية عن انتهاء الطقوس والشعائر الدينية فى بنى إسرائيل .

والاقتباس الآخر من سفر زكريا ، لا ينطبق على عيسى عليه السلام لأنه لم يكن ملكا . بدليل قول يوحنا : « وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده » [يو ٦ : ١٥]

وفى الأناجيل : أنه بعدما دخل « أورشليم » على هذه الهيئة فى النهار ، خرج منها فى الليل ، إلى قرية « بيت عنيا » مع الحواريين ، وجاع ، ولم يجد أكلا ، فنظر شجرة

تين على بعد ، فقصدها . فلم يجد فيها ثمرا ؛ فلعنها . فهل هذا يدل على أنه قد ملك مدينة « أورشليم » وما حولها ؟ يقول مَرقس : « فدخل يسوع أورشليم والهيكل ، ولما نظر حوله إلى كل شىء . إذ كان الوقت قد أمسى ، خرج إلى بيت عنيا ، مع الاثنى عشر . وفى الغد لما خرجوا من بيت عَنْيا ؛ جاع . فنظر شجرة تين من بعيد ، عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا . لأنه لم يكن وقت تين . فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد ، وكان تلاميذه يسمعون »
[مر ١١ : ١١ ـ ١٤]

وعيسى عليه السلام وهو يضرب الأمثال لملكوت السموات. ضرب مثلا مغزاه: انتقال الشريعة من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل ، واستدل بالمزمور المئة والثامن عشر على ما يقول .

وهذا هو نص المثل :

« اسمعوا مثلا آخر . كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره ، فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا . ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين، يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه .

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه ؛خافوا من الجموع ؛لأنه كان عندهم مثل نبى » [متى ٢١ : ٣٣ ـ]

لاحظ قوله عليه السلام : « أما قرأتم قط فى الكتب ؟ » يقصد بالكتب أسفار الأنبياء . ثم نطق النص . وهو فى المزمور المئة والثامن عشر ، وهو : « الحجر الذى رفضه البناءون ، هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا » ثم بين : أن صاحب ملكوت السموات ، سيكون محاربا منتصرا . وإذا قصده أعداؤه فى داره ، سيُغلبون ،

وإذا قصد هو أعداءه فى ديارهم ؛ سيغلبهم . ذلك قوله : « ومن سقط على هذا الحجر؛ يترضض ، ومن سقط هو عليه؛ يسحقه » وهذه الصفة متحققة فى نبى الإسلام وأتباعه. ولاحظ قوله: «لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره » وهذا يدل على انتقال الملك والنبوة إلى غير اليهود ، وحيث أن عيسى من اليهود ؛ فإنه يكون متكلما عن غيره . وحيث أن لإسماعيل بركة ؛ فإن الآتى ، يكون منه .

وأصل ملكوت السموات من هذا النص فى سفر دانيال :

النص :

«فى السنة الأولى لبِيَلْشَاصَّر ملك بابل رأى دانيال حلما ورؤى رأسه على فراشه حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام . أجاب دانيال وقال : كنت أرى فى رؤياى ليلا وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير . وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة . هذا مخالف ذاك . الأول كالأسد وله جناحا نَسر . وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه وانتصب عن الأرض وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان . وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب فارتفع على جنب واحد وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه . فقالوا له هكذا : قم كل لحما كثيرا . وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر . وكان للحيوان أربعة رءوس وأُعطى سلطانا . بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جدا. وله أسنان من حديد كبيرة . أكل وسحق وداس الباقِىَ برجليه . وكان مخالفاً لكل الحيوانات الذين قبله . وله عشرة قرون . كنت متأملا بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأُولى من قدامه وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن وفم متكلم بعظائم . كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام . لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة . نهر نار جرى وخرج من قدامه . ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه . فجلس الدين وفتحت الأسفار . كنتُ أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن . كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار . أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت .

كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض .

أما أنا دانيال فحزنت روحى فى وسط جسمى وأفزعتنى رؤى رأسى . فاقتربت إلى

واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا . فأخبرنى وعرفنى تفسير الأمور . هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة : هى أربعة ملوك يقومون على الأرض . أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين. حيئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذى كان مخالفاً لكلها وهائلا جدا وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق وداس الباقى برجليه . وعن القرون العشرة التى برأسه وعن الآخر الذى طلع فسقطت قدامه ثلاثة وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه . وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم حتى جاء القديم الأيام وأعطى الدين لقديسى العلى وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة .

فقال هكذا : أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها . والقرون العشرة من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون . ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين . ويذل ثلاثة ملوك . ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسُّنة ويسلَّمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان . فيجلس الدّين. وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى . والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى . ملكوته ملكوت أبدى وجميع السلاطين ؛ إياه يعبدون ويطيعون . إلى هنا نهاية الأمر » [دا ٧]

لاحظ :

أن دانيال نفسه فسر الممالك بقوله : « هى أربعة ملوك يقومون على الأرض » وأن شعب الله الجديد مع النبى الآتى « يمتلكون المملكة إلى الأبد » ـ « والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء ؛ تُعطى لشعب قديسى العلى » وأن الأمم والشعوب ستدخل فى دين الله أفواجا « وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون »

ويدعى النصارى: أن المملكة ؛ مملكتهم بالملك الروحى ، على قلوب المؤمنين بيسوع ، ويدعون : أن يسوع أسس هذه المملكة . والنص يبين أن المملكة تتأسس على الأرض كمملكة داود وسليمان ؛ بعد زوال دولة الروم . ويسوع نفسه قد نادى باقتراب ملكوت الله من بعده . وقد كان فى بدء دولة الروم. وقد تحققت العلامات فى محمد ﷺ وأتباعه .

الاقتباس الخامس :

نص الإنجيل :

« تكلم يسوع بهذا ، ثم مضى واختفى عنهم .

ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها ؛ لم يؤمنوا به . ليتم قول إشعياء النبى الذى قاله : « يارب من صدق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب ؟» لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا . لأن إشعياء قال أيضا : « قد أعمى عيونهم ، وأغلظ قلوبهم ؛ لئلا يبصروا بعيونهم ، ويشعروا بقلوبهم ، ويرجعوا ؛ فأشفيهم » قال إشعياء هذا ، حين رأى مجده ، وتكلم عنه » [يو ١٢ : ٣٦ - ٤٢]

اقتبس كاتب الإنجيل نصين من التوراة ، من أسفار الأنبياء ؛ ليدلل بهما على أن يسوع هو المَسيّا الرئيس ، النبى الأمى الآتى إلى العالم ، وعلى أن اليهود لم يقبلوه مع علمهم بأنه هو. النص الأول : إش٥٣ :١ والثانى : إش ٦ : ٩ - ١٠ .

أما النص الأول فهو نبوءة عن محمدﷺ وقد طبقها عليه عيسى المسيح نفسه، طبقا لرواية بَرنابا ويوحنا. وهو جزء من حديث طويل. وأما النص الثانى. فإنه وصف لطبيعة اليهود . فى زمان ظهور النبى الأمى الآتى. وهو: « اسمعوا سمعا، ولاتفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا . غلظ قلب هذا الشعب ، وثقل أذنيه، واطمس عينيه ؛ لئلا يبصر بعينيه ، ويسمع بإذنيه ، ويفهم بقلبه ، ويرجع؛ فيشفى » [إش ٦ : ٩ - ١٠]

نص التوراة الأول :

« هو ذا عبدى يعقل ، يتعالى ، ويرتقى ، ويتسامى جدا »

إلى أن قال: « وفى جيله من كان يظن » وفى ترجمة « وأمّا جيله ؛ فمن يصفه؟» ثم قال : « لذلك أقسم له بين الأعزاء ، ومع العظماء يقسم غنيمة » وبعدما وصفه بالصفات التى تدل على احتقار اليهود له إذا ظهر . قال : « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض ؛ لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل . . الخ »

وقد ذكر يوحنا : أن المسيح عيسى عليه السلام قد طبق هذا النص على محمد ﷺ فى قوله : « إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكن الجميع متعلمين من الله »

وذكر بَرنابا : أن المسيح عيسى عليه السلام قد طبق هذا النص على محمد ﷺ فى قوله : « وأما جيله فمن يصفه ؟ »

نص التوراة الثاني :

يبين فيه إشعياء : إن اليهود لن يفنوا كلهم ، فى حال ظهور الجيل الآتى . وكلهم لن يرفضوا النبى الآتى . **وإنما ستبقى منهم بقية** ، إلى يوم القيامة. ومنهم فئة قليلة ستؤمن بالنبى الآتى ، وتكون مع شعبه . يقول إشعياء : إن لكل ملك من ملائكة الله ستة أجنحة

« باثنين يغطى وجهه، وباثنين يغطى رجليه ، وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك ، وقال : قدوس . قدوس. رب الجنود. مجده ملء كل الأرض » ثم قال الله له : « اذهب وقل لهذا الشعب : اسمعوا سمعا ، ولا تفهموا . . الخ » .

وقال إشعياء لله تعالى : « إلى متى ؟ » فقال له :« إلى أن تصير المدن خربة ، بلا ساكن » ولكن تبقى بقية « كالبُطمة والبلّوطة ، التى وإن قُطعت ؛ فلها ساق ؛ يكون ساقه زرعا مقدسا » ومحرف الإنجيل يعنى من النص : أن اليهود لم يرفضوا عيسى كلهم ، فإن الحواريين كانوا منهم . وأن الجمهور لما رفضه ؛ رفضه مجاناً بلا سبب . فلا يقولن قائل : إن عيسى ليس هو النبى الآتى ؛ لأنه لو كان هو ؛ لقبله اليهود وآمنوا به . لايقولن قائل هذا . لايقولون قائل هذا. هذا هو غرض الكاتب .

الاقتباس السادس :

نص الإنجيل :

« أنا أعلم الذين اخترتهم . لكن ليتم الكتاب : « الذى يأكل معى الخبز ، رفع علىّ عقبه » أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو . الحق الحق أقول لكم: الذى يقبل من أرسله ؛ يقبلنى . والذى يقبلنى ، يقبل الذى أرسلنى » [يو ١٣ : ١٧ - ٢٠]

يريد المحرف أن يقول : إن يسوع يعلم بنوايا الذين اختارهم من بين علماء بنى إسرائيل . وواحد منهم سيخونه ، ويدل عليه للقتل والصلب . وهذا قضاء أزلى من أجل أن يعلم الناس أن يسوع هو المسيا الرئيس . وقد اقتبس المحرف آية من المزمور الحادى والأربعين ، للدلالة على صدق دعواه . والمزمور كله يدل على عدم قتل المسيا وصلبه ؛ فكيف تدل الآية عليه ؟

نص التـوراة :

نص المزمور ٤١ :

« طوبى للذى ينظر إلى المسكين . فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويُحييه . يغتبط فى الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه . الرب يعضده وهو على فراش الضعف . مهدتَ مضجعه كله فى مرضه .

أنا قلت: يارب ارحمنى . اشف نفسى لأنى قد أخطأت إليك . أعدائى يتقاولون علىَّ بشر : متى يموت ويبيد اسمه . وإن دخل ليرانى يتكلم بالكذب . قلبه يجمع لنفسه إثما

. يخرج . فى الخارج ؛ يتكلم . كل مبغضى يتناجون معاً علىَّ . علىَّ تفكروا بأذيتى . يقولون: أمر ردىء قد انسكب عليه . حيث اضطجع لا يعود يقوم . أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى؛ رفع علىَّ عقبه .

أما أنت يا رب فارحمنى وأقمنى فأجازيهم . بهذا علمت أنك سررت بى. أنه لم يهتف علىّ عدوى . أما أنا فبكمالى دعمتنى وأقمتنى قدامك إلى الأبد . مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد . آمين فآمين »

لاحظ :

« فأقمنى ؛ فأجازيهم » ومعناها : قونى؛ لأحارب أعدائى ، وأنتقم منهم . ولاحظ:

« ولا يسلمه إلى مرام أعدائه » ـ « أما أنا فبكمالى دعمتنى، وأقمتنى قدامك ، إلى الأبد » أى: أن الله نصر المسيا على أعدائه،وأبقى شريعته إلى الأبد.وقوله: « أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به » لا يعنى به رجلا معينا ـ كم زعم المحرف ـ وإنما يعنى به فئة من المنافقين .

وهو يعنى بهم بنى إسرائيل . لأنهم هم الذين اختارهم ـ علي علم ـ علي العالمين؛ لهداية الوثنيين إليه، وائتمنهم على الشريعة ، وأطعمهم المنّ والسلوى ، ورزقهم من الطيبات . ومع ذلك : جحدوا الفضل ، وأنكروا المعروف ، ورفعوا العقب . كناية عن استعدادهم للشر .

الاقتباس السابع :

وهو نص مذكور فى سيرة ابن هشام. ونص التوراة هو: «إنهم أبغضونى بلا سبب» وهو جملة من الزبور تبين أن المزمور التى هى فيه كله نبوءة عن محمد ﷺ

نص الإنجيل :

« الذى يبغضنى،يبغض أبى أيضا.لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى، لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا، وأبغضونى أنا وأبى. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم : « إنهم أبغضونى بلا سبب » [يو ١٥ ٢٣ ـ ٢٥]

هذا النص موضوع فى وسط كلام عيسى عليه السلام عن « بِيراكْليت الروح القدس » و « بيراكليت » هو اسم « أحمد » ﷺ ويعنى بالناموس : المزمور التاسع والستين . والخامس والثلاثين. وهما من المزامير الدالة على محمد ﷺ والمسيح طبقهما على «أحمد»

بطريق الإحالة وهى جملة: «الذين يبغضوننى بلا سبب» وكل مزمور منهما يدل على محمد ﷺ.

وبدء المزمور ٦٩

« خلصنى يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسى. غرقت فى حمأة عميقة، وليس مقر، دخلتُ إلى أعماق المياه والسيل غمرنى. تعبت من صراخى. يبس حلقى. كلت عيناى من انتظار إلهى، أكثر من شعر رأسى، الذين يبغضوننى بلا سبب» إلى أن قال: « صرت أجنبيا عند إخوتى ، وغريبا عند بنى أمى ؛ لأن غيرة بيتك أكلتنى » وقد سبق البيان . وبدء الخامس والثلاثين: «خاصم يارب مخاصمى» وفيه: «ولا يتغامز بالعين الذين يبغضوننى بلا سبب» وكله عن محمد، كسابقه .

الاقتباس الثامن :

نص الإنجيل :

« ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع ، أخذوا ثيابه ، وجعلوها أربعة أقسام، لكل عسكرى قسما ، وأخذوا القميص أيضا . وكان القميص بغير خياطة ، منسوجا كله من فوق . فقال بعضهم لبعض : لا نشقه، بل نقترع عليه ، لمن يكون؟ ليتم الكتاب القائل : « اقتسموا ثيابى بينهم ، وعلى لباسى ألقوا قرعة » هذا فعله العسكر »[يو ١٩ : ٢٣ ـ ٤ مزمور ٢٢ : ١٨]

يريد المحرف أن يقول : إن عيسى عليه السلام قتل وصلب . والقتل والصلب يـدلان على أنـه النبى الأمـى الآتى إلى العالـم ؛ لأن داود قال عنـه بظهـر الغيب : « اقتسموا ثيابى بينهم ، وعلى لباسى ألقوا قرعة »

وقد وقع المحرف فى إشكال عظيم . وهو أن القميص الذى بغير خياطة ؛ يدل على أن عيسى عليه السلام كان من نسل الكهنة ، أبناء هرون عليه السلام . وهم يزعمون أنه من نسل داود عليه السلام . وقد أخبر القرآن الكريم أن أمه من نسل هارون . فى قوله : ﴿ يا أخت هرون ﴾

والكتاب الذى اقتبس منه المحرف هو سفر الزبور . والنص لا يشهد له ، وإنما يشهد لمحمد ﷺ وذلك لأنه يطلب نصر الله بقوله : « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ بعيدا عن خلاصى، عن كلام زفيرى » وبين المزمور أن الله استجاب له ونصره على أعدائه؛ فلم يقتلوه لقوله : « ولم يحجب وجهه عنه،بل عند صراخه إليه ؛ استمع »

مزمور ٢٢ :

« إلهى إلهى لماذاتركتنى . بعيدا عن خلاصى . عن كلام زفيرى . إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب . فى الليل أدعو فلا هدوّ لى . وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل . عليك اتكل آباؤنا . اتكلوا فنجيتهم . إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به. لأنك أنت جذبتنى من البطن . جعلتنى مطمئنا على ثديى أمى . عليك ألقيت من الرحم . من بطن أمى أنت إلهى . لا تتباعد عنى لأن الضيق قريب . لأنه لا معين .

أحاطت بى ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتنى، فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر. كالماء انسكبت. انفصلت كل عظامى. صار قلبى كالشمع. قد ذاب فى وسط أمعائى. يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى. وإلى تراب الموت تضعنى. لأنه قد أحاطت بى كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدى ورجلى. أحصى كل عظامى. وهم ينظرون ويتفرسون فى. **يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون** .

أما أنت يا رب فلا تبعد. ياقوتى أسرع إلى نصرتى . أنقذ من السيف نفسى . من يد الكلب وحيدتى. خلصنى من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش. استجب لى .

أخبر باسمك إخوتى . فى وسط الجماعة أسبحك . يا خائفى الرب سبحوه . مجدوه يا معشر ذرية يعقوب . واخشوه يا زرع إسرائيل جميعا . لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه . **بل عند صراخه إليه؛ استمع** . من قبلك تسبيحى فى الجماعة العظيمة. أوفى بنذورى قدام خائفيه . يأكل الودعاء ويشبعون . يسبح الرب طالبوه . تحيا قلوبكم إلى الأبد . تذكر وترجع الى الرب كل أقاصى الارض. وتسجد قدامك كل قبائل الأمم. لأن للرب الملك وهو المتسلط على الأُمم . أكل وسجد كل سمينى الأرض . قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب ومن لم يحيى نفسه الذرية تتعبد له . يخبر عن الرب **الجيل الآتى** . يأتون ويخبرون ببره **شعبا سيولد** بأنه قد فعل » [مز ٢٢]

الاقتباس التاسع :

نص الإنجيل :

« بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل . فلكى يتم الكتاب ، قال : « أنا عطشان» وكان إناء موضوعا مملوا خلا . فملأوا إسفنجة من الخل ، ووضعوها على زوفا، وقدموها إلى فمه، فلما أخذ يسوع الخل، قال : قد أكمل . ونكس رأسه ، وأسلم الروح»
[يو ١٩ : ٢٨ ـ ٣٠]

يريد المحرف أن يقول : إن المزمور التاسع والستين ، الآية الحادية والعشرين. والمزمور الثانى والعشرين ، الآية الخامسة عشر ، يدلان على أن النبى الأمى الآتى إلى العالم سيقول: « أنا عطشان » ـ « ولصق لسانى بحنكى » وسيسقونه الخل . وحيث أن ذلك قد تم فى يسوع ، فإنه يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . لا محمد رسول الله ﷺ

وقد سبق ذكر هذين المزمورين. وفيهما : أن النبى الآتى لا يتمكن منه أعداؤه؛ لأنه « عند صراخه إليه ؛ استمع » والتعبيرات مجازية ، كناية عن الشدة والضيق .

الاقتباس العاشر :

نص الإنجيل :

«وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه ؛ لأنهم رأوه قد مات. لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة. وللوقت خرج دم وماء. والذى عاين ؛ شهد . وشهادته حق . وهو يعلم أنه يقول الحق ؛ لتؤمنوا أنتم ؛ لأن هذا كان؛ ليتم الكتاب القائل: «عظم لا يكسر منه » وأيضا : يقول كتاب آخر: «سينظرون إلى الذى طعنوه» [يو ١٩ : ٣٣ ـ ٣٧ مز ٣٤ : ٢١ زك ١٢ : ١٠]

يريد المحرف أن يقول : إن المزمور الرابع والثلاثين هو من مزامير النبى الآتى إلى العالم . وفيه : « كثيرة هى بلايا الصدِّيق ، ومن جميعها ينجيه الرب . يحفظ جميع عظامه . واحد منها لاينكسر » وحيث أن يسوع وهو على الصليب لم تكسر ساقيه ؛ فإنه يكون هو النبى الآتى إلى العالم .

وأن الأصحاح الثانى عشر من سفر زكريا فيه: « وأفيض على بيت داود،وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات؛ فينظرون إلىّ الذى طعنوه » [زك١٢: ١٠]

أما كلام زكريا فإنه يقول : فينظرون إلىَّ . أى: ينظرون إلى الله ، الذى رفضوا شريعته . وليس النص بدال على أنهم ينظرون إلى المطعون ذاته [1] .

---

(١) فى كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس ـ العهد القديم . بقلم جويس بولدوين ـ دار الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٩٤م .

يقول المفسر لسفر زكريا : « إن « طعنوه » تصبح فى اليونانية « عومل باحتقار » أو « أهين » فى حين تعنى فى الآرامية « رفض بازدراء » ولقد جاءت « إلى الذى » فى بعض المخطوطات العبرانية الماسوريتية . إلا أن هذه المخطوطات ليست موثوقا بها تماما . وتتبع الترجمات اليونانية والسريانية والآرامية أفضل المخطوطات العبرانية فتستخدم عبارة « إلىّ » ـ بتشديد الياء مفتوحة ـ

واعتبر « ج .كالفن » موضوع الموت مجازيا . فقال : « الآن يتكلم الله ، كما يفعل البشر ، معلنا أنه قد طعن من خطايا شعبه ، وبصفة خاصة باستهانتهم العنيدة بكلمته ، بنفس الأسلوب الذى يتلقى فيه رجل مائت ؛ جرحا قاتلا، عندما يطعن قلبه » أ هـ [ص ٢١٢ ـ ٢١٣]

وأما المزمور الرابع والثلاثين ؛ فإنه يدل على محمد ﷺ بأساليب كنائية. وقد ابتدع المحرفون بدعة الصليب لوضع النبوءات الدالة عليه ، على عيسى عليه السلام . على حسب ظواهر النصوص . والنصوص لا تشهد لهم .

نص التـــوراة :

نص المزمور ٣٤ :

« أبارك الرب فى كل حين . دائما تسبيحه فى فمى . بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون . عظموا الرب معى ولنعل اسمه معاً .

طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى . نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل . هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . طوبى للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شىء من الخير .

هلم أيها البنون استمعوا إلى فأعلمكم مخافة الرب . من هو الإنسان الذى يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيرا ؟ صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش . حد عن الشر واصنع الخير . اطلب السلامة واسع وراءها . عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم . وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم . أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم . قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . **يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر** . الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون . الرب فادى نفوس عبيده . وكل من اتكل عليه لا يعاقب » [مز ٣٤]

وأما المزمور الرابع والثلاثين ؛ فإنه يدل على محمد ﷺ وقد ابتدع المحرفون بدعة الصليب لوضع النبوءات الدالة عليه، على عيسى عليه السلام . والنصوص لا تشهد لهم .

نص انـــوراة :

نص المزمور ٣٤ :

« أبارك الرب فى كل حين . دائما تسبيحه فى فمى . بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون . عظموا الرب معى ولنعل اسمه معاً .

طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى . نظروا إليه واستناروا

ووجوههم لم تخجل . هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . طوبى للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شىء من الخير .

هلم أيها البنون استمعوا إلى فأعلمكم مخافة الرب . من هو الإنسان الذى يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيرا ؟ صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش . حد عن الشر واصنع الخير . اطلب السلامة واسع وراءها . عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم . وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم . أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم . قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . **يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر** . الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون . الرب فادى نفوس عبيده . وكل من اتكل عليه لا يعاقب » [مز ٣٤]

لاحظ :

قول النبى الآتى بظهر الغيب « طلبت إلى الرب فاستجاب لى ، ومن كل مخاوفى أنقذنى » أى نصره على أعدائه « هذا المسكين صرخ ، والرب استمعه ، ومن كل ضيقاته ؛ خلصه . ملاك الرب حالّ حول خائفيه ، وينجيهم » - « أولئك صرخوا والرب سمع ، ومن كل شدائدهم ؛ أنقذهم »

والمحرف أخذ بظاهر اللفظ وهو «يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر» وقال بعدم كسر رجلى يسوع وهو على الصليب. وهو يعلم أن ظاهر اللفظ غير مراد. لقرائن صارفة عن إرادته . والمراد: هو الكناية عن حفظ الله للنبى ﷺ

الاقتباسات
فى
سفر أعمال الرسل

الاقتباس الأول :

نسب المحرف إلى بطرس فى سفر أعمال الرسل ـ وهو سفر يبين انفصال المسيحية عن اليهودية ـ أنه قال : إن يسوع المسيح قد قتل وصلب ،وأن الذى خانه ، ودل اليهود على مكانه ؛ للقبض عليه ، وهو « يهوذا الإسخريوطى » قد تنبأت التوراة عن خيانته ، وهى تذكر أوصاف النبى الأمى الآتى إلى العالم . وحيث أن الخيانة قد وقعت على يسوع المسيح ، وبسببها قتل وصلب ؛ فإنه يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . واقتبس نصين من سفر المزامير للدلالة على هذا المعنى .من المزمور ٦٩ والمزمور ١٠٩

نص الإنجيل :

« وفى تلك الأيام ، قام بطرس فى وسط التلاميذ . وكان عدة أسماء معا ، نحو مئة وعشرين . فقال : أيها الرجال الأخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب ، الذى سبق الروح القدس ، فقاله بفم داود عن يهوذا ، الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع . إذ كان معدودا بيننا ، وصار له نصيب فى هذه الخدمة . فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم . وإذ سقط على وجهه ؛ انشق من الوسط ؛ فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم ، حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما . أى حقل دم . لأنه مكتوب فى سفر المزامير: « **لتصر داره خرابا ، ولا يكن فيها ساكن** » و « **ليأخذ وظيفته آخر** » [١ اع ١ : ١٥ ـ ٢٠]

نص التـوراة :

أ ـ مزمور ٦٩ : ٢٥ ب ـ مزمور ١٠٩ : ٨

وكاتب سفر الأعمال كتب: « لتصر داره خرابا ، ولا يكن فيها ساكن » بصيغة المفرد، ونص المزمور: « لتصر دارهم خرابا وفى خيامهم لا يكن ساكن » بصيغة الجمع. وكاتب سفر الأعمال كتب: « **ليأخذ وظيفته آخر** » بصيغة المفرد . ونص المزمور يدل على أنه يتكلم عن جميع الأشرار من اليهود . الأشرار الذين يتآمرون على النبىَ الأمى الآتى، ويريدون اللغو فى شريعته ، وهزيمته فى الحروب . وأول المزمور هو : « يا إله تسبيحى . لا تسكت ؛ لأنه قد انفتح علىّ فم الشرير ، وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام

بغض . أحاطوا بى وقاتلونى بلا سبب. بدل محبتى . يخاصموننى . أما أنا فصلاة . وضعوا على شرا ، بدل خير ، وبغضا بدل حبى » هذا هو أول المزمور . وبعدما دعا على الأشرار بالهلاك ، قال : « هذه أجرة مبغضيى من عند الرب ، وأجرة المتكلمين شرا على نفسى » فهو يتكلم بصيغة الجمع ، لا بصيغة المفرد ، ويعدد ما سيفعله اليهود بالنبى فى حالة ظهوره . فلماذا يأخذون فعلا واحدا وينسبونه إلى واحد، ولا يأخذون سائر الأفعال ؟

ثم طلب النصر من الله فقال : « نجنى . فإنى فقير ومسكين أنا » وبين أن الله نصره بقوله : « أحمد الرب جدا بفمى ، وفى وسط كثيرين أسبحه ؛ لأنه يقوم عن يمين المسكين؛ ليخلّصه من القاضين على نفسه » وفى المزمور الذى بعده يقول عنه : « الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا » [مز ١١٠ : ٥]

والنصر على الأعداء فى الحروب ، يدل على فشل المؤامرات والخيانات .

نص المزمور ٦٩ :

« خلصنى يا ألله لأن المياه قد دخلت إلى نفسى . غرقت فى حمأة عميقة وليس مقرّ . دخلت إلى أعماق المياه ، والسيل غمرنى . تعبت من صراخى . يبس حلقى . كلت عيناى من انتظار إلهى . أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب . اعتز مستهلكى أعدائى ظلما . حينئذ رددت الذى لم أخطفه .

يا ألله أنت عرفت حماقتى . وذنوبى عنك لم تخف . لا يخز بى منتظروك يا سيد رب الجنود . لا يخجل بى ملتمسوك يا إله إسرائيل . لأنى من أجلك احتملت العار . غطى الخجل وجهى . صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى . لأن غيرة بيتك أكلتنى وتعييرات معيريك وقت على . وأبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا على . جعلت لباسى مسحا وصرت لهم مثلا . يتكلم فى الجالسون فى الباب وأغانى شرابى المسكر .

أما أنا فلك صلاتى يا رب فى وقت رضى . يا ألله بكثرة رحمتك استجب لى بحق خلاصك . نجنى من الطين فلا أغرق نجنى من مبغضى ومن أعماق المياه . لا يغمرنى سيل المياه ولا يبتلعنىٍ العمق ولاتطبق الهاوية على فاها . استجب لى يا رب لأن رحمتك صالحة . ككثرة مراحمك التفت إلى . ولا تحجب وجهك عن عبدك . لأن لى ضيقا . استجب لى سريعا. اقترب إلى نفسى . فكها . بسبب أعدائى افدنى. أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى. قدامك جميع مضايقى. العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن . ومعزين فلم أجد . ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلا .

لتصر مائدتهم قدامهم فخا وللآمنين شركا . لتظلم عيونهم عن البصر وقلقل متونهم

دائما . صب عليهم سخطك وليدركهم حمو غضبك . **لتصر دارهم خرابا وفى خيامهم لايكن ساكن**. لأن الذى ضربته أنت هم طردوه ، وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون. اجعل إثما على إثمهم ولا يدخلوا فى برك . ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لايكتبوا .

أما أنا فمسكين وكئيب . خلاصك يا ألله فليرفعنى . أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد . فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف . يرى ذلك الودعاء فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبى الله . لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه . تسبحه السموات والأرض. البحار وكل ما يدب فيها. لأن الله يخلص صهيون ويبنى مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها . ونسل عبيده يملكونها ،ومحبو اسمه يسكنون فيها » [مز ٦٩]

التعليق:

هذا المزمور الذى يدل على محمد ﷺ ضيعوه منه بقولهم: إنه يدل على مؤامرة يهوذا، وعطش المسيح على الصليب. فالقول بقتل المسيح وصلبه غرضهم منه: تضييع نبوءات على محمد، لا أن المسيح قد قتل وصلب :

نص المزمور ١٠٩ :

« يا إله تسبيحى لا تسكت . لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام بغض أحاطوا بى وقاتلونى بلا سبب . بدل محبتى يخاصموننى . أما أنا فصلاة . وضعوا على شر بدل خير وبغضا بدل حبى .

فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية. لتكن أيامه قليلة **ووظيفته ليأخذها آخر**. ليكن بنوه أيتاما وامرأته أرملة. ليته بنوه تيهانا ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم . ليصطد المرابى كل ماله ولينهب الغرباء تعبه. لا يكن له باسط رحمة ولا يكن مترإف على يتاماه . لتنقرض ذريته. **فى الجيل القادم ليمح اسمهم**. ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولاتمح خطية أمه. لتكن أمام الرب دائما. وليقرض من الأرض ذكرهم. من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته ولم يسرّ بالبركة فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه فى حشاه وكزيت فى عظامه. لتكن له كثوب يتعطف به وكمنطقة يتنطق بها دائما. هذه أجرة مبغضى من عند الرب وأجرة المتكلمين شرا على نفسى.

أما أنت يارب السيد فاصنع معى من أجل اسمك. لأن رحمتك طيبة . نجنى. فإنى فقير ومسكين أنا وقلبى مجروح فى داخلى. كظل عند ميله ذهبت. انتفضت كجرادة. ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن. وأنا صرت عارا عندهم. ينظرون إلى وينغضون رءوسهم .

أعنى يا رب إلهى . خلصنى حسب رحمتك . وليعلموا أن هذه هى يدك . أنت يارب فعلت هذا . أما هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح . ليلبس خصمائى خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء . أحمد الرب جدا بفمى وفى وسط كثيرين أسبحه . لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه » [مز ١٠٩]

الاقتباس الثاني :

قال عيسى عليه السلام : إن اسم النبى الأمى الآتى هو « أحمد » وفى العبرى «بِيراكليت » وفى اليونانى « بيرا كليتوس » ولقبه بـ « الروح القدس » أى « أحمد » المصطفى من الله الطاهر ، لأداء رسالة مقدسة . ومحرف الإنجيل كتبه فى اليونانى : «براكليتوس » هكذا قال النصارى . وهو بدون الشكل ينطق إما بفتح الباء الثقيلة وإما بكسرها . ووضع السين فى آخر الكلمة ؛ يدل على أن الكلمة اسم ؛ وذلك لأن السين فى اليونانية تضاف فى آخر الاسم ،مثل يوسيفوس ،ليوسف ،وبمبيوس ، وأغسطوس . وهكذا. وفى التراجم القديمة وضعوا « باراكليتوس » وفسروها بالنائب عن عيسى عليه السلام ، وفى التراجم الحديثة وضعوا « المُعَزِّى » وفسروها بالنائب عن عيسى عليه السلام. وفى ترجمة « المؤيِّد » parakletos.

ويسكت النصارى عن الكلام فى «بيراكليت» ولا يسكتون عن الكلام فى «الروح القدس» الذى هو لقب لبيراكليت . وابتدعوا له تفسيرا . وهو أن « الروح القدس » أقنوم إلهى ، ونزل من السماء بعد عشرة أيام من صعود عيسى إليها ، وبلبل ألسنة الحواريين ، وغير لغاتهم . وهو يلهم المؤمنين فعل الخير ، ويؤيدهم وينصرهم على أعدائهم . وهل «الروح القدس » الذى هو أقنوم إلهى عندهم، اسمه « أحمد »؟ هل الإله الثانى فى الثالوث اسمه «أحمد»؟ هل الله نفسه اسمه «أحمد» ؟ وذلك لأن « الروح القدس » لقب لـ « أحمد» و « أحمد » هو «بيراكليتوس » وليسأل الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس: هل أقنوم « الروح » اسمه «بيراكليتوس» ؟ ويقول الأرثوذكس : إن الله هو المسيح وهو الروح . فهل الثلاثة اسمهم بيراكليت ؟

لغو النصارى فى بِيَراكليت الروح القدس : parakletos.

كتبوا فى سفر أعمال الرسل : « ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء ؛ صوت ، كما من هبوب ريح عاصفة ، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة ، كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى ، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا .

وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ، ساكنين فى أورشليم . فلما صار هذا الصوت ؛ اجتمع الجمهور وتحيروا ؛ لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته. فبهت الجميع ، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض : أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين ، جليليين ؟ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته ، التى ولد فيها ؟ فرتيّون وماديون وعيلاميون ، والساكنون ما بين النهرين، واليهودية ، وكبدوكية ، وبنتس وأسيا . وفريجية وبمفيلية، ومصر ، ونواحى ليبية التى نحو القيروان . والرومانيون المستوطنون ، يهود ودخلاء . كريتيون وعرب ، نسمعهم يتكلمون بألسنتنا ، بعظائم الله . فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض : ما عسى أن يكون هذا ؟ وكان آخرون يستهزئون قائلين : إنهم قد امتلأوا سلافة .

فوقف بطرس مع الأحد عشر، ورفع صوته ، وقال لهم :أيها الرجال اليهود ، والساكنون فى أورشليم أجمعون : ليكن هذا معلوما عندكم ، وأصغوا إلى كلامى ؛ لأن هؤلاء ليسوا سكارى ، كما أنتم تظنون؛ لأنها الساعة الثالثة من النهار . **بل هذا ما قيل بيوئيل النبى** : « يقول الله : ويكون فى الأيام الأخيرة[1] : أنى أسكب من روحى على كل بشر ؛ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويرى شبابكم رؤى ، ويحلم شيوخكم أحلاما . وعلى عبيدى أيضا وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام ؛ فيتنبأون . وأعطى عجائب فى السماء من فوق ، وآيات على الأرض من أسفل ، دما ونارا وبخار دخان . تتحول الشمس إلى ظلمة ، والقمر إلى دم ، قبل أن يجىء يوم الرب[2] العظيم الشهير ،ويكون كل من يدعو باسم الرب ؛ يخلص » [أعمال ٢ :١ ـ ٢١]

نص التوراة :

« ويكون بعد ذلك : أنى أسكب روحى على كل بشر؛ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويحلم شيوخكم أحلاما ، ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضا ، وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام ، وأعطى عجائب فى السماء والأرض ، دما ونارا وأعمدة دخان . تتحول الشمس إلى ظلمة ، والقمر إلى دم ،قبل أن يجىء يوم الرب العظيم والمخوف ، ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو » [يوئيل ٢ :٢٨ـ٣٢]

البيـــان :

يريد المحرف أن يقول على لسان بطرس : إن بيراكليت الروح القدس ، نزل ، وغيّر ألسنة التلاميذ إلى لغات الأمم والشعوب ، وأن ذلك هو ما تنبأ به النبى يوئيل فى التوراة ؛

---

(١) آخر بركة إسحاق، وبدء بركة إسماعيل.

(٢) يوم الرب: هو يوم ظهور محمد ﷺ.

فقد قال : إنه قبل مجىء يوم الرب ، يسكب الله روحه على كل بشر . وحيث أنه سكب روحه فى يوم الخمسين؛ فإن يسوع يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ، لا « أحمد » الملقب بـ « الروح القدس » ويكون يوم الرب من بعده .

والرد عليه : هو أنه يوجد فرق بين « روح الله » وبين « بِيراكليت » فمن منهما الذى سكب روحه ؟ وما المراد بيوم الرب ؟

إن يوئيل يقول : « آه . على اليوم ؛ لأن يوم الرب قريب . يأتى كخراب من القادر على كل شىء » ثم يصف اليوم بأنه معركة مقدسة شرسة؛ ينتصر فيها « شعب كثير وقوى، لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضا بعده، إلى سنى دور فدور . . والرب يعطى صوته أمام جيشه . إن عسكره كثير جدا ؛ فإن صانع قوله ؛ قوى . لأن يوم الرب عظيم » وبعد هذه المعركة « تكون أورشليم مقدسة ، ولا يجتاز فيها الأعاجم فى ما بعد »

هذا هو ما فى سفر يوئيل عن المعركة المقدسة فى يوم الرب العظيم ، التى بعدها « تكون أورشليم مقدسة ، ولا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد » فهل كانت هذه المعركة فى زمان المسيح عيسى عليه السلام ؟ وهل هى من بعده ، صارت مقدسة ، ولم يحكمها الأعاجم ؟ إن أورشليم فى حياة يسوع المسيح كان يحكمها أهل الروم من سنة ثلاث وستين قبل الميلاد ، وظلوا على حكمها إلى أن أجلاهم عنها المسلمون فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ويشهد التاريخ : أن زمان هذه المعركة كان فى أيام ظهور النبى الأمى محمد ﷺ ولم يجتز فيها الأعاجم من بعده .

ولننظر فى أوصاف « بيراكليت » الملقب بالروح القدس . الأوصاف التى نسبها إليه عيسى عليه السلام فى إنجيل يوحنا . فقد قال عنه: « هو يُعلمكم كل شىء، ويُذكركم بكل ما قُلته لكم » ـ « هو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا » ـ « ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة » ـ « هو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ؛ يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية »

وقال المسيح عيسى عليه السلام: إنه قبل أن يظهر « بيراكليت الروح القدس »: «سيُخرجونكم من المجامع . بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم ؛ أنه يقدم خدمة لله» ومن بعد عشرة أيام من ارتفاع المسيح ، لم يكن قد خرج أحد من وظيفته الدينية فى مملكة بنى إسرائيل . ولما نزل الروح ـ كما يزعمون ـ لم يفتح فمه بكلمة واحدة ، ولم يعلّم ، ولم يذكّر ، ولم يرشد ، ولم يخبر ، ولم يشهد . ولا أحد من الحواريين قد شهد ، وهذا

كله يدل على أن المحرف اقتبس نصاً من سفر يوئيل ، ووضعه فى غير محله .

الاقتباس الثالث :

من أوصاف النبى الأمى الآتى إلى العالم: أنه ينتصر على أعدائه فى الحروب . وقد غيّر النصارى صفة الانتصار . من انتصار في الحروب إلى انتصار على الموت . وذلك بقولهم : إن يسوع المسيح قد قُتل وصُلب ودُفن فى القبر ، وحيى من الأموات. فلذلك يكون هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ؛ لانتصاره على الموت ، ولكى يؤكدوا هذا المعنى ؛ قال المحرف على لسان بطرس ما نصه :

نص الإنجيل :

« أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون . هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة ، وعلمه السابق ، وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت ، إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه ؛ لأن داود يقول فيه: « كنت أرى الرب أمامى فى كل حين أنه عن يمينى لكى لا أتزعزع. لذلك سُر قلبى، وتهلل لسانى . حتى جسدى أيضاً سيسكن على رجاء ؛ لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية ، ولا تدع قدوسك ؛ يرى فساداً. عرفتنى سُبل الحياة وستملأنى سروراً مع وجهك »

أيها الرجال الإخوة : يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود : إنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم . فإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم : أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ؛ ليجلس على كرسيه . سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح: «إنه لم تترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فساداً »

فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك . وإذ ارتفع بيمين الله ، وأخذ موعد الروح القدس من الآب؛ سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه ؛ لأن داود لم يصعد إلى السموات وهو نفسه يقول : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك » فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل : أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم : رباً ومسيحاً »[1] [أعمال ٢ : ٢٢ ـ ٣٦]

يريد أن يقول: إن المزمور السادس عشر ينطبق على عيسى عليه السلام من جهة قيامه من المقبرة التى دفن فيها من قبل أن يتحلل جسده فى التراب . وقارن بينه وبين داود فقال

(١) لاحظ : أن المحرف نسب إلى بطرس أنه هو الذى نادى فى اليهود بجعل عيسى هو المسيح المنتظر .

: إن داود دفن فى القبر ، ونال الفساد جسده . إذ أكله الدود . وأما المسيح فقال : إن جسده لم يفسد . مع علمه بأن مزامير المَسِيًّا كلها ، تدل على انتصاره فى حروب شديدة .وفى هذا المزمور يقول النبى الأمى، المَسِيًّا بظهر الغيب : « لأنه عن يمينى ؛ فلا أتزعزع » وعبر عن استجابة الله لدعائه بقوله: « فرح قلبى ، وابتهجت روحى » وفى المزمور الذى بعده : « أنا دعوتك ؛ لأنك تستجيب لى . يا ألله » [مز ١٧:٦]

وفى المزمور المئة والعاشر يقول :« الرب عن يمينك ، يحطم فى يوم رجزه ملوكا . يدين بين الأمم . ملأ جثثا واسعة ، سحق رءوسها »

ونص الإنجيل ـ الذى كتبه المحرف ـ يظهر اقتباسين. واحد من المزمور السادس عشر، والآخر من المزمور المئة والعاشر . ويظهر أن عيسى عليه السلام من نسل داود عليه السلام، وهو الآتى ليجلس على مملكة داود إلى الأبد وهو يعلم أن « الأبد » محدد بمدة . هى انتهاء بركة إسحق . فقسم الله لداود ينتهى بظهور بركة إسماعيل .

أما المزمور السادس عشر . فنصه :

« احفظنى يا ألله لأنى عليك توكلت . قلت للرب : أنت سيدى . خيرى . لا شىء غيرك . القديسون الذين فى الأرض والأفاضل. كل مسرتى بهم . تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر . لا أسكب سكائبهم من دم . ولا أذكر أسماءهم بشفتىّ . الرب نصيب قسمتى وكأسى . أنت قابض قرعتى .حبال وقعت لى فى النعماء. فالميراث حسن عندى .

أبارك الرب الذى نصحنى . وأيضا بالليل تنذرنى كليتاى . جعلت الرب أمامى فى كل حين . لأنه عن يمينى فلا أتزعزع . لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى . جسدى أيضاً يسكن مطمئنا . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً. تعرفنى سبيل الحياة .أمامك شبع سرور. فى يمينك نعم إلى الأبد » [مز ١٦]

وأما المزمور المئة والعاشر . فنصه :

« قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينة مقدسة . من رحم الفجر لك طل حداثتك .

أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق . الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا . يدين بين الأمم .ملأ جثثا . أرضا واسعة سحق رءوسها . من النهر يشرب فى الطريق. لذلك يرفع الرأس » [مز ١١٠]

وأما عن أنّ عيسى ليس من نسل داود . فهذا هو كلامنا فيه :

ذكر موسى عليه السلام فى الأسفار الخمسة : أن الله سيرسل نبيا مثله من بعده، وبين أن إسماعيل عليه السلام مبارك فيه . .وأن النبى الآتى سيكون من أوصافه أنه لن يقتل ، وأنه سيكون ملكا . . الخ . [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

وقد اختلف فيه بنو إسرائيل من بعد سبى بابل . فقال العبرانيون : إنه سيأتى من داود عليه السلام. وقال السامريون : إنه سيأتى من يوسف عليه السلام .ولما ظهر عيسى عليه السلام وبشر بأنه سيكون من بنى إسماعيل عليه السلام ،رأى العبرانيون أن يتفقوا مع أهل الروم على أن النبى الآتى هو عيسى نفسه ، وهو كان النبى الذى سيكون ملكا على مملكة العبرانيين ، مملكة داود ، وعلى أنه من داود لا من هرون .

أما أن النبى الآتى هو عيسى نفسه ؛ فإن الأوصاف لا تنطبق عليه . وأما أنه كان ملكا على بنى إسرائيل؛ فإنه لم يكن ملكا؛ لقوله : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله » وأما أنه من نسل داود . فإن إنجيل لوقا فى الأصحاح الأول يصرح : أنه من نسل هرون عليه السلام ، لا من نسل داود عليه السلام وذلك فى قوله : إن أليصابات هارونية ، ومريم قريبة لها . وشريعة موسى تحتم على اليهودية إذا أرادت أن ترث فى إسرائيل : أن تتزوج فى سبطها ، وأليصابات تزوجت هارونيا مثلها هو زكريا عليه السلام . ومريم وهى هارونية لم تعرف رجلا . وإذْ هى قريبة لها ؛ فإنها تكون هارونية مثلها . فكيف يدعون ـ والحالة هذه ـ أن يسوع من داود وليس من هرون ؟ وداود من سبط يهوذا ، وهارون من سبط لاوى .ومن ذلك يعلم : أن الله خلق عيسى ـ عليه السلام ـ بدون أب ، لئلا يكون منتسبا إلى أى سبط من أسباط بنى إسرائيل . فلا يدعى السامريون أنه منهم ، ولا يدعى العبرانيون أنه منهم ، فيكون إذا بشّر بالنبى الآتى من بعده؛ لا تقدر طائفة : أن تزعم أنه هو الآتى منها. ومن قبل وجود عيسى عليه السلام كان الجميع يصرحون للعالم بأن نبيا سيظهر وفى حالة ظهوره، سيملكون على بلادهم.بشريعته. وقد صرح لوقا بأن المعمدان لما ظن اليهود بأنه « المسيا » الآتى إلى العالم . قال : « أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتى من هو أقوى مني ، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. . . » [لو ٣ : ١٥ ـ]

الاقتباس الرابع :

فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : أن الله تعالى سيقيم نبيا من بعد موسى لبنى إسرائيل والأمم . له يسمعون فى كل ما يكلمهم به . ولن يكون من أنصار الله من

بعد ظهوره ، إلا من يؤمن به. وهذا النبى سيكون من بنى إسماعيل عليه السلام لأن الله قال لإبراهيم عليه السلام: « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » [تك ١٢ : ٣] وقال له عن إسماعيل، ولده : « وأما إسماعيل . فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » [تك ١٧ : ٢٠] والنص على هذا هو :

« يُقيم لك الرب إلهك : نبيا من وسطك من إخوتك. مثلى . له تسمعون . . أُقيم لهم . نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ؛ أنا أطالبه . وأما النبى الذى يُطغى ، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ؛ فيموت ذلك النبى . . الخ » [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

وفى بدء إنجيل يوحنا : أن علماء بنى إسرائيل سألوا المعمدان ـ وهو النبى يحيى عليه السلام ـ عن هذا النبى الأمى . هل أنت هو ؟ فأجاب بقوله : لست أنا إياه ، وسيأتى من بعدى . وفى إنجيل بَرنابا : أن السؤال كان لعيسى عليه السلام وأجاب بقوله: لست أنا إياه، وسيأتى من بعدى. وفى إنجيل متى. قيل لعيسى عليه السلام: « أنت هو الآتى، أم ننتظر آخر؟ » أى أنت هو النبى الأمى المماثل لموسى ؟ ولم يصرح بأنه هو ، وصرح بأن النبى الآتى سيكون من بعده ، وسيكون أعظم من يوحنا المعمدان. وذلك فى قوله : «الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت السموات ؛ أعظم منه . . وإن أردتم أن تقبلوا ؛ فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتى » [متى ١١]

يريد أن يقول : إن الأصغر فى ملكوت الله أى آخر نبى يقوم على الأرض هو أعظم من يحيى . وإن أردتم نبيا لتعملوا بشريعته ، فإن النبى الأمى الذى لقبه ملاخى بلقب إيليا، سوف يأتى من بعدى .

ومحرف سفر أعمال الرسل ، نسب إلى بطرس أنه قال لبنى إسرائيل : إن النبى الأمِّى الآتى على مثال موسى هو المسيح عيسى بن مريم،لا محمد رسول الله .

نص الإنجيل :

« فتوبوا ، وارجعوا ، لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ، ويُرسِلَ يسوعَ المسيحَ ، المبشرَ به لكم قبل ، الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء ، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للآباء : « إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به.

ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ؛ تباد من الشعب » وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده، جميع الذين تكلموا؛ سبقوا، وأنبأوا بهذه الأيام . أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لإبراهيم : « وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض » [اع ٣ : ١٩ ـ ٢٥] .

النصان المقتبسان :

اقتبس المحرف نصان من التوراة هما لمحمد ﷺ ووضعهما على عيسى عليه السلام .

النص الأول : « نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب »

والنص الثانى : « وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض »

الاقتباس الخامس :

المزمور المئة والثامن عشر نبوءة عن محمد ﷺ وقد استدل به المسيح عيسى عليه السلام على محمد ﷺ ونقل متى ومرقس ولوقا أقواله .وفيها : أن ملكوت الله ينتقل من بنى إسرائيل إلى أمة أخرى ، مرموز لها من داود بالحجر المرفوض من البناءين . وهو كناية عن نسل هاجر أم إسماعيل عليه السلام . وفيها : أن علماء بنى إسرائيل ؛ استاءوا من كلامه هذا . وقالوا : حاشا .

ومحرف سفر الأعمال نسب إلى بطرس أنه طبق المزمور المئة والثامن عشر على عيسى عليه السلام فقال : إن بطرس شفى مقعدا باسم يسوع ، ولما سأله رئيس الكهنة عن عمله هذا « حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس ، وقال لهم : يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل . إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم . بماذا شفى هذا ؟ فليكن معلوما عند جميعكم ، وجميع شعب إسرائيل : أنه باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم ، الذى أقامه الله من الأموات . بذاك وقف هذا أمامكم صحيحا . هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناءون ، الذى صار رأس الزاوية ، وليس بأحد غيره الخلاص» [اع ٤ : ٨ ـ ١١]

نص التوراة :

« الحجر الذى احتقرتموه أيها البناءون ، الذى صار رأس الزاوية »

وهذا هو نص المزمور ١١٨ :

« احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته ، ليقل إسرائيل : إن إلى الأبد

رحمته. ليقل بيت هرون: إن إلى الأبد رحمته . ليقل متقو الرب : إن إلى الأبد رحمته .

من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب . الرب لى فلا أخاف . ماذا يصنع بى الإنسان . الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى . الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان . الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء . كل الأمم أحاطوا بى . باسم الرب أبيدهم . أحاطوا بى واكتنفونى . باسم الرب أبيدهم . أحاطوا بى مثل النحل . انطفأوا كنار الشوك . باسم الرب أبيدهم . دحرتنى دحورا لأسقط . أما الرب فعضدنى . قوتى وترنمى الرب وقد صار لى خلاصا . صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين . يمين الرب صانعة ببأس . يمين الرب مرتفعة . يمين الرب صانعة ببأس . لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب . تأديبا أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى .

افتحوا لى أبواب البر . أدخل فيها وأحمد الرب . هذا الباب للرب . الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا. الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا.

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . نبتهج ونفرح فيه . آه يارب خلص . آه يارب أنقذ . مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله وقد أنار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح . إلهى أنت فأحمدك إلهى فأرفعك احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته » [مز ١١٨]

وهذا هو نص كلام عيسى عليه السلام من إنجيل متى :

« قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : « الحجر الذى رفضه البناءون ، هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا . وهو عجيب فى أعيننا » لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ، يُنزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر ؛ يترضض ، ومن سقط هو عليه ؛ يسحقه . ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ؛عرفوا أنه تكلم عليهم وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه ، خافوا من الجموع ؛ لأنه كان عندهم مثل نبى » [متى ٢١ : -]

الاقتباس السادس :

لما أطلق رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وثاق بطرس ويوحنا بعد شفاء المقعد ، ورجعا إلى أصحابهما ، وأخبراهما عما جرى بينهما وبين الكهنة وشيوخ الشعب . رفع أصحابهما هذا الدعاء إلى الله :

نص الإنجيل :

« أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، القائل بفم داود فتاك : « لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض ، واجتمع الرؤساء معا ، على الرب ، وعلى مسيحه » لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس ، يسوع الذى مسحته : هيرودس ، وبيلاطس البنطى ، مع أمم وشعوب إسرائيل»
[أع ٤ : ٢٤ ـ ٢٨]

نص التوراة :

« لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ماوك الأرض ، واجتمع الرؤساء معا ، على الرب ، وعلى مسيحه »

يريد المحرف أن يقول : إن نبوءة المزمور الثانى تنطبق على عيسى عليه السلام لا على محمد ﷺ على معنى أن الشعوب والملوك والرؤساء هم هيرودس وبيلاطس مع شعب اليهود فقط . وأن التآمر هو على قتله وصلبه . فلنقرأ المزمور بتمامه . مع العلم بأن هذا المزمور هو الذى أخذ منه النصارى أصل أقنوم الابن .

نص المزمور الثاني :

« لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا، على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صِهْيَوْن ، جبل قدسى .

إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك . وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزاف تكسِّرهم .

فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب . فتبيدوا من الطريق ؛ لأنه عن قليل يتّقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » [مز ٢]

فى هذا المزمور تجد جميع أمم الأرض، وملوك الأرض كلها يتآمرون على أن لايملك النبى الأمى الآتى على بلادهم ليلزمهم بشريعة الله، والرب يستهزىء بهم، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون. وينصر نبيه فى الحرب عليهم، ويعطيه الأمم ميراثا، وأقاصى الأرض ملكا. والذى حارب وانتصر وملك على بلاد الأمم هو محمد رسول الله.

الاقتباس السابع :

خطبة استفانوس

قال كاتب سفر الأعمال: إنه بعد رفع المسيح إلى السماء، كان رجل من أتباعه يسمى استفانوس يدعو بدعوته. وهى أن موسى كتب عن مجىء نبى من بعده، وأن هذا النبى سيغير شريعة التوراة، وأن النبى دانيآل لقبه بلقب «ابن الإنسان» فنهض جماعة من اليهود، وأحضروا شهود زور، قالوا: إنا سمعنا استفانوس يقول: إن يسوع الناصرى هو الذى سيهدم هيكل سليمان، ويغير الشعائر الدينية التى يُعلمها علماء اليهود فيه. لا محمد رسول الله. فسأله رئيس الكهنة عن هذه التهمة. فقال ما نصه[1] :

« أيها الرجال الأخوة والآباء اسمعوا . ظهر إله المجد لأبينا إبرهيم وهو فى ما بين النهرين قبلما سكن فى حاران. وقال له : اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلم إلى الأرض التى أريك . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن فى حاران . ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض التى أنتم الآن ساكنون فيها . ولم يعطه فيها ميراثا ولا وطأة قدم ولكن وعد أن يعطيها ملكا له ولنسله من بعده . ولم يكن له بعد ولد . وتكلم الله هكذا : أن يكون نسله متغربا فى أرض غريبة فيستعبدوه ويسيئوا إليه أربع مئة سنة. والأُمة التى يستعبدون لها سأدينها أنا. يقول الله. وبعد ذلك يخرجون ويعبدوننى فى هذا المكان . وأعطاه عهد الختان وهكذا ولد إسحق وختنه فى اليوم الثامن .وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد رؤساء الآباء الاثنى عشر . ورؤساء الآباء حسدوا يوسف وباعوه إلى مصر وكان الله معه. وأنقذه من جميع ضيقاته وأعطاه نعمة وحكمة أمام فرعون ملك مصر فأقامه مدبرا على مصر وعلى كل بيته .

ثم أتى جوع على كل أرض مصر وكنعان وضيق عظيم فكان آباؤنا لا يجدون قوتا . ولما سمع يعقوب أن فى مصر قمحا أرسل آباءنا أول مرة . وفى المرة الثانية استعرف يوسف إلى إخوته واستعلنت عشيرة يوسف لفرعون . فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفسا . فنزل يعقوب إلى مصر ومات هو وآباءونا ونقلوا إلى شكيم ووضعوا فى القبر الذى اشتراه إبراهيم بثمن فضة من بنى حمور أبى شكيم. وكلما كان

---

(١) النص الحقيقى هو أن يسوع الناصرى قال عن محمد إنه سيهدم هيكل سليمان ، وسيغير الشعائر الدينية التى يعلّمها علماء اليهود فيه والكاتب يريد اللغو فى النصوص .وفى الإنجيل: أنه فى محاكمة عيسى قال لهم: إن ابن الإنسان وهو محمد سيأتى من بعدى. وهو الآن جالس عن يمين قوة الله، وسيأتى على سحاب السماء. وخطبة استفانوس موضوعة زورا لبيان أن ابن الإنسان هو عيسى لا محمد .

يقرب وقت الموعد الذى أقسم الله عليه لإبراهيم كان ينمو الشعب ويكثر فى مصر . إلى أن قام ملك آخر لم يكن يعرف يوسف . فاحتال على جنسنا وأساء إلى آبائنا حتى جعلوا أطفالهم منبوذين لكى لا يعيشوا .

وفى ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلا جدا . فربى هذا ثلاثة أشهر فى بيت أبيه. ولما نبذ؛ اتّخذته ابنة فرعون وربته لنفسها ابنا. فتهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا فى الأقوال والأعمال . ولما كملت له مدة أربعين سنة؛ خطر على باله أن يفتقد إخوته بنى اسرائيل . وإذ رأى واحدا مظلوما حامى عنه وأنصف المغلوب إذ قتل المصرى .

فظن أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة . وأما هم فلم يفهموا . وفى اليوم الثانى ظهر لهم وهم يتخاصمون فساقهم إلى السلامة قائلا: أيها الرجال أنتم إخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضا ؟ فالذى كان يظلم قريبه دفعه قائلا: من أقامك رئيسا وقاضيا علينا ؟ أتريد أن تقتلنى كما قتلت أمس المصرى ؟ فهرب موسى بسبب هذه الكلمة وصار غريبا فى أرض مديان حيث ولد ابنين .

ولما كملت أربعون سنة ظهر له ملاك الرب فى برية جبل سيناء فى لهيب نار عُلَّيْقَةٍ . فلما رأى موسى ذلك تعجب من المنظر . وفيما هو يتقدم ليتطلع صار إليه صوت الربّ : أنا إله آبائك إله إبرهيم وإله إسحق وإله يعقوب . فارتعد موسى ولم يجسر أن يتطلع . فقال له الرب : إخلع نعل رجليك ؛ لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة . إنى لقد رأيت مشقة شعبى الذين فى مصر وسمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم . فهلم الآن أرسلك إلى مصر .

هذا هو موسى الذى أنكروه قائلين : من أقامك رئيسا وقاضياً ؟هذا أرسله الله رئيسا وفاديا بيد الملاك الذى ظهر له فى العليقة . هذا أخرجهم صانعا عجائب وآيات فى أرض مصر وفى البحر الأحمر وفى البرية أربعين سنة .

هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل : نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون . هذا هو الذى كان فى الكنيسة فى البرية مع الملاك الذى كان يكلمه فى جبل سيناء ومع آبائنا . الذى قبل أقوالا حية ليعطينا إياها . الذى لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له بل دفعوه ورجعوا بقلوبهم إلى مصر. قائلين لهرون: اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا. لأن هذا موسى الذى أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فعملوا عجلاً فى تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم . فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا

جند السماء كما هو مكتوب فى كتاب الأنبياء : « هل قربتم لى ذبائح وقرابين أربعين سنة فى البرية يا بيت اسرائيل ؟ بل حملتم خيمة مولوك ونجم إلهكم رمفان التماثيل التى صنعتموها لتسجدوا لها . فأنقلكم إلى ما وراء بابل »

وأما خيمة الشهادة فكانت مع آبائنا فى البرية كما أمر الذى كلم موسى أن يعملها على المثال الذى كان قد رآه . التى أدخلها أيضا آباؤنا إذ تخلفوا عليها مع يشوع فى ملك الأمم الذين طردهم الله من وجه آبائنا إلى أيام داود الذى وجد نعمة أمام الله والتمس أن يجد مسكنا لإله يعقوب . ولكن سليمان بنى له بيتا . لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى . كما يقول النبى : « السماء كرسى لى والأرض موطىء لقدمى أى بيت تبنون لى ؟ يقول الرب .وأى هو مكان راحتى ؟ أليست يدى صنعت هذه الأشياء كلها؟ »

يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان . أنتم دائما تقاومون الروح القدس . كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيىء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه ؟

فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصروا بأسنانهم عليه . وأما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس. **فرأى مجد الله ويسوع**(1) **قائما عن يمين الله**. فقال : ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائما عن يمين الله . فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة. وأخرجوه خارج المدينة ورجموه. والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول. فكانوا يرجمون إستِفانُوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع اقبل روحى. ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: يا رب لاتقم لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا؛ رقد » [اع ٧]

البيـــان :

إننا نسأل النصارى هذا السؤال : لقد رفع المسيح عيسى إلى السماء بما له وبما عليه. ولم يردّ الملك إلى بنى إسرائيل [اع ١ :٦] ولم ينسخ شريعة موسى [متى ٢٣ : ٢ ـ ٣] ونادى بمجىء ملكوت السموات من بعده ، وبين أنه اقترب . وانتهت حياته من الدنيا. وأنتم

(١) من هو القائم عن يمين الله؟ إنه«ابن الإنسان» ومن هو النبى الملقب بابن الإنسان؟ هل هو يسوع أم محمد؟ ارجع إلى التوراة فى سفر دانيال؛ تجد إنه هو محمد.فالغرض من خطبة استفانوس: هو أن يقول المحرف: إن القائم هو يسوع لا محمد. وبذلك يضيع نبوءة دانيال ٧ ومزمور ١١٠ على محمد، وشرح المسيح لهما ساعة المحاكمة على محمد. [راجع كتاب البشارة بنبى الإسلام]

تقولون بذلك . وتقولون : إن استفانوس من بعد رحيله قال : إن يسوع الناصرى سينسخ شريعة موسى ، وسيغير عوائده ، وسيهدم الهيكل . كيف يصح قوله والمسيح قد ذهب ؟ وذهب ولن يعود . ألم يقل قبل رحيله : « ولست أنا بعد فى العالم » ؟ [يو ١٧ : ١١] نبى انتهت حياته . فما هى الفائدة من عودته مرة ثانية ؟

وأنتم تقولون : إنه قتل وصلب . وفى الأناجيل أنه من بعد ذكر حادثة القتل والصلب ، كان يبشر باقتراب ملكوت الله . وهذا يدل على أنه لم يقتل ولم يصلب . ففى سفر الأعمال : « وهو يظهر لهم أربعين يوما ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » وهو ملكوت محمد ﷺ أى أنه بعد الحادثة ، كان يبشر بمحمد ﷺ فلماذا القتل ؟ هل ليفصل بين مدتين فى التبشير به ؟ ولماذا الفصل وهو يتكلم عن واحد ؟

ولذلك قال الكاتب : « وأقاموا شهودا كذبة يقولون : هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ، ضد هذا الموضع المقدس ، والناموس ؛ لأننا سمعناه يقول : إن يسوع الناصرى هذا سينقض هذا الموضع ، ويغير العوائد التى سلمنا إياها موسى » وحقا هم كذبة ؛ لأن يسوع لم ينقض ولم يغير فى حال حياته . فإن النقض والتغيير يكون من غيره ، وهو الآتى من بعده .

وخطبة استفانوس تدل على أنه يتكلم عن محمد ﷺ الذى تكلم عنه عيسى عليه السلام بنفس ما تكلم به عنه استفانوس. فإنه استشهد على مجيئه بقول موسى نفسه: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك. مثلى له تسمعون » وهذا القول لا يدل على عيسى عليه السلام وقال: «ها أنا أنظر السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائما عن يمين الله » وهذا القول قد قال به عيسى نفسه. فإنه قال لرئيس الكهنة: « منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله » [لو ٢٢:٦٩] أى: اقترب مجيئه مؤيدا من الله. و «ابن الإنسان » لقب لمحمد، فى الأصحاح السابع من دنيآل. والمحرف قلب كلام استفانوس على عيسى .

ولقَّب استفانوس النبى الأمى بلقب « البار » والمحرف قلب كلامه على عيسى . فقال: «وقد قتلوا الذين سبقوا ، فأنبأوا بمجىء البار ، الذى أنتم الآن صرتم مسلميه، وقاتليه» وبطرس لقَّبه بلقب «القدوس » وبلقب « البار » فى قوله « ولكنكم أنكرتم القدوس البار» ولقبه بطرس بلقب « سيد الحياة » وفى ترجمة « رئيس الحياة » فى قوله : « فقتلتم سيد الحياة » - «ورئيس الحياة قتلتموه » والمحرف قلب كلامه على عيسى . ولقب « سيد الحياة »

أو « رئيس الحياة » مع إشعياء٥٣ : ١٠ يدلان على أن النبى الأمى لا يقتل . ونصها : «ومسرة الرب بيده تنجح » لأنه إذا كانت مسرة الرب بيده تنجح ، وهو سيد الحياة . فمن يقدر عليه؟ ومن يقدر على مثل هذا ؟ وهم قد زعموا : أن النبى الأمّى هو يسوع. وزعموا : أنه قتل وصلب ، وكيف يقتل ويصلب رئيس الحياة وسيدها ، والذى مسرة الرب بيده تنجح؟ هذا تناقض .

الاقتباسات فى نص استفانوس :

١ ـ «هل قدمتم لى ذبائح وتقدمات فى البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل ؟ بل حملتم خيمة ملكومكم ، وتمثال أصنامكم ، نجم إلهكم الذى صنعتم لنفوسكم ؛ فأسبيكم إلى ما وراء دمشق . قال الرب إله الجنود اسمه » [عاموس ٥ :٢٥ ـ ٢٧]

هذا نص التوراة. وهو متناقض مع نظيره فى الإنجيل. وهذا يدل على التحريف فى الكتب المقدسة عندهم ، ونظيره فى الإنجيل هو : « هل قربتم لى ذبائح وقرابين أربعين سنة فى البرية يا بيت إسرائيل، بل حملتم خيمة مولوك ونجم إلهكم رمفان ، التماثيل التى صنعتموها؛ لتسجدوا لها؛ فأنقلكم إلى ما وراء بابل » [اع ٧ :٢ ـ٤٣]

لاحظ : رمفان ـ مولوك ـ ملكومكم ـ دمشق ـ بابل .

٢ ـ « هكذا قال الرب، السموات كرسى، والأرض موطىء قدمى . أين البيت الذى تبنون لى ؟ وأين مكان راحتى ؟ وكل هذه صنعتها يدى ، فكانت كل هذه . يقول الرب » [إش ٦٦ : ١ ـ ٢]

٣ ـ قال استفانوس : إن إله المجد تراءى لإبراهيم عليه السلام قبل أن يقيم فى حران . وفى التوراة أن الترائى حدث فى حاران [تك ١١ :٣١] وهذا تناقض بين التوراة والإنجيل .

٤ ـ قال استفانوس : إن الله سيخرج بنى إسرائيل من مصر ليعبدوا الله فى فلسطين بعد أربعمائة سنة .

وفى التوراة : أنهم يخرجون من مصر ، ليعبدوا الله على جبل طور سيناء ، لا فى فلسطين [خر ٣ : ١١ ـ ١٢] وهذا تناقض .

٥ ـ فى التوراة : أ ـ اشترى إبراهيم مغارة المكفيلة [تك ٢٣ :٢ ـ ٢٠]

ب ـ واشترى يعقوب حقلا [تك ٣٣ : ١٨ ـ ١٩]

ويقول استفانوس : إن رفات يعقوب والأسباط ، وضعوا فى مغارة المكفيلة مع أن يوسف وضعت رفاته فى « شكيم » [يش ٢٤ : ٣٢]

الاقتباس الثامن :

نص الإنجيل :

« ثم إن ملاك الرب كلم فِيلُبُّس قائلا : قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التى هى برية . فقام وذهب. وإذا رجل حبشى خصى وزير لكَنداكة ملكة الحبشة كان على جميع خزائنها . فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد وكان راجعا وجالسا على مركبته وهو يقرأ النبى إشعياء . فقال الروح لفيلبس: تقدم ورافق هذه المركبة. فبادر إليه فيلبس وسمعه يقرأ النبى إشعياء فقال : ألعلك تفهم ما أنت تقرأ ؟ فقال : كيف يمكننى إن لم يرشدنى أحد؟ وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه .وأما فصل الكتاب الذى كان يقرأُه فكان هذا: « مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذى يجزه هكذا لم يفتح فاه . فى تواضعه انتزع قضاؤه . وجيله من يخبر به ؟ لأن حياته تنتزع من الأرض » فأجاب الخصى فيلبس وقال : أطلبُ إليك : عن من يقول النبى هذا ؟ عن نفسه أم عن واحد آخر ؟ ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فبشره بيسوع » [أع ٨: ٢٦ ـ ٣٥]

البيــان :

يريد محرف سفر الأعمال : أن ينسب إلى « فيلبس » نبوءة من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ وضعها فيلبس نفسه على عيسى عليه السلام . وهى نبوءة العبد المتألم فى سفر إشعياء . ونسى المحرف أن عيسى عليه السلام وضعها على محمد ﷺ طبقا لرواية بَرنابا ويوحنا . وهى الأصحاح ٥٣ وأوله : « هو ذا عبدى يعقل ، يتعالى ، يرتقى ،ويتسامى جدا » والأصحاح ٥٤ وأوّله : « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . . »

الاقتباس التاسع :

أول خطبة لبولس

قال كاتب سفر أعمال الرسل : إن بولس أخذ نبوءات من نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى ، ووضعها على عيسى السلام . وهى نبوءات سبق وضعها عليه . على لسان بطرس وغيره .

نص خطبة بولس

« أيها الرجال الإسرائيليون ، والذين يتقون الله ؛ اسمعوا : إله شعب إسرائيل هذا، اختار آباءنا، ورفع الشعب فى الغربة، فى أرض مصر. وبذراع مرتفعة أخرجهم منها .

ونحو مدة أربعين سنة ؛ احتمل عوائدهم فى البرِّيَّة. ثم أهلك سبع أمم ، في أرض كنعان، وقسم لهم أرضهم بالقرعة . وبعد ذلك فى نحو أربعمائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة ، حتى صَمُوئيل النبى . ومن ثَمَّ طلبوا ملكا ؛ فأعطاهم اللهُ شاوُلَ بن قيْس ، رجلا من سبط بِنْيامين ، أربعين سنة . ثم عزله ، وأقام لهم داود ملكا ، الذى شهد له أيضاً ، إذ قال : وجدت داود بن يَسّى ، رجلا حسب قلبى ، الذى سيصنع كل مشيئتى .

من نسل هذا حسب الوعد ؛ أقام الله لإسرائيل ؛ مُخَلِّصا يسوع . إذ سبق يوحنا ؛ فكَرَزَ قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسرائيل . ولما صار يوحنا يكمِّل سعيه ؛ جعل يقول : مَنْ تظنون أنى أنا ؟ لست أنا إياه . لكن هو ذا يأتى بعدى ، الذى لست مستحقا أن أَحُلَّ حذاء قدميه .

أيها الرجال الأخوة بنى جنس إبراهيم ، والذين بينكم يتَّقون الله : إليكم أُرسلتْ كلمة هذا الخلاص ؛ لأن الساكنين فى أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا ، وأقوالُ الأنبياء التى تُقرأ كلَّ سَبْت ؛ تمَّموها . إذْ حكموا عليه . ومع أنهم لم يجدوا علَّة واحدة ؛ للموت . طلبوا من بيلاطس أن يُقتل ، ولما تمموا كل ما كتب عنه ، أنزلوه عن الخشبة ، ووضعوه فى قبر ، ولكنّ الله أقامه من الأموات . وظهر أيّاما كثيرة للذين صعدوا معه ، من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب . ونحن نبشِّركم بالموعد ، الذى صار لآبائنا: إن الله قد أكمل هذا لنا ، نحن أولادهم إذْ أقام يسوع . كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى : « أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » إنه أقامه من الأموات ، غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد . فهكذا قال : إنى سأعطيكم مراحم داود الصادقة » ولذلك قال أيضاً فى مزمور آخر : « لن تدع قُدُّوسَك يرى فسادا » لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله ؛ رقد ، وانضم إلى آبائه ورأى فسادا . وأما الذى أقامه الله ؛ فلم ير فسادا . فليكن معلوما عندكم أيها الرجال الأخوة : أنه بهذا يُنادى لكم بغفران الخطايا ، وبهذا يتبرَّرُ كل من يؤمن ، من كل مالم تقدروا أن تتبرّروا منه بناموس موسى .

فانظروا لئلا يأتى عليكم ما قيل فى الأنبياء: « انظروا أيها المتهاونون،وتعجبوا، واهلكوا ؛ لأننى عملا أعملُ فى أيامكم . عملا لا تصدقون إنْ أخبركم أحد به » [اع ١٣ ١٦ ـ ٤١]

البيـــان :

هذه الخطبة متشابهة مع خطبة « استفانوس » السابق ذكرها ، فى سرد تاريخ بنى إسرائيل ، ومتشابهة مع بطرس فى سرقة النبوءات . ومختلفة عن بطرس فى أمرين: الأول

:هو أنه ألغى العمل بالشريعة، وبطرس لم يصرح بإلغائها . والثانى : أنه علل سبب انفصال النصرانية عن اليهودية . وهو أنه مضطر إلى دعوة الوثنيين من الأمم ، بسبب رفض اليهود لدعوته .

أما عن إلغاء العمل بالشريعة: فهذا مخالف: للمأثور عن عيسى عليه السلام وهو « ما جئت لأنقض الناموس » وأما عن التعليل : فإن موسى صاحب الشريعة كان مكلفا من الله بدعوة الوثنيين إلى دينه . لأن الله تعالى « إله كل الأرض » كما قال إشعياء. واليهود من سبى بابل هم الذين قصروا الشريعة عليهم ، واستبعدوا الأمم . ومع ذلك كان على دين اليهود فى زمان بولس « يهود ودخلاء » [اع ٢ : ١٠] وفى دين موسى : ترقب النبى الأمى الآتى إلى العالم والدخول فى دينه . [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢] ويريد بولس من دعوته : إدخال الأمم فى دين موسى على غير شريعة . ولن يقرّ له اليهود بذلك . ويريد بولس أيضا من دعوته : جعل النبى الآتى هو يسوع المسيح . ولن يقر له اليهود بذلك . ولا تشهد التوراة لبولس على إلغاء الشريعة ، ولا على جعل النبى الآتى هو يسوع المسيح . وهو نفسه صرح بأنه على دين موسى وهو يقدم قربان النذور [اع ١٨ : ١٨] ودخل الهيكل مع أربعة عليهم نذر ، وتطهر وقرب القربان الذى أمر به موسى ، شهادة لهم [اع ٢١ : ٢٦]

الاقتباسات فى خطبة بولس :

١ ـ اقتبس من المزمور الثانى : « أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك » للدلالة على أنه قام من الموت ، منتصرا ، وصار بالقيامة هو الملك العظيم ، النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام .

٢ ـ اقتبس من إشعياء : « أميلوا آذانكم وهلموا إلىّ . اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهدا أبديا ، مراحم داود الصادقة » [إش ٥٥ :٣] يقصد بمراحم داود : أن الله يرحم اليهود بواحد من نسله هو يسوع . وهو يعلم : أن يسوع ليس له أب ، وليس له سبط ، وأمه من نسل هرون .

٣ ـ اقتبس من داود : « لن تدع قدوسك ينال منه الفساد » [مز ١٦ : ٩] على معنى أنه لم يتعفن جسده فى القبر .

٤ ـ اقتبس من إشعياء : « جعلتك نورا للأمم ؛ لتحمل الخلاص إلى أقصى الأرض » [إش ٤٩ : ٦]

٥ ـ اقتبس من حبقُّوق: « انظروا أيها المستخفون . اعجبوا وتواروا ؛ فإنى لصانع فى أيامكم صنعا ، لو حدثكم به أحد ، لما صدقتم »[1] [حب ١ : ٥]

٦ ـ اقتبس من الإنجيل : قول المعمدان عن محمد ﷺ : « يأتى بعدى من هو أقوى منِّى الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيــور حذائه » وطبقه على يســوع المسيح .

والرد عليه :

١ ـ بالنسبة للمزمور الثانى : جاء فى إنجيل بَرنابا : أن أول خطبة لعيسى ـ عليه السلام ـ بين فيها : أن هذا المزمور ينطبق على محمد ﷺ وترجم « أنا اليوم ولدتك » بقوله : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » وجاء فى إنجيل يوحنا :أن علماء بنى إسرائيل تذمروا من قول عيسى عليه السلام لهم : إن « الابن » آت من بعدى ، ويجب عليكم أن تؤمنوا به إذا جاء . واستدل على أنه سيأتى من نسل إسماعيل عليه السلام بنص فى الأصحاح الرابع والخمسين ، من سفر إشعياء وهو : « ويكون الجميع متعلمين من الله » ومن كلامه: « لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى : أن كل من يرى الابن ، ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . . . فأجاب يسوع ، وقال لهم : لا تتذمَّروا فيما بينكم . لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ ، إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦ إش ٥٤]

٢ ـ وبالنسبة لإشعياء ٥٥ : ٣ فإن الأصحاح ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ نبوءة عن العبد المتألم وهو النبى الأمى الآتى . والمسيح نفسه طبق نبوءة العبد المتألم على محمد ﷺ فى قوله: « إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكون الجميع متعلمين من الله » وفى قوله : « ويقول عن رسول الله كيف خلقه الله ؟ » أى: عظمه تعظيما ووسع ملكه سعة كبيرة .

٣ ـ وبالنسبة للمزمور ١٦ فإن المعنى هو : لن يترك النبى الآتى؛ لينال منه أعداءه . فى الحياة الدنيا ، وأيضاً : لن يتركه في الحياة الآخرة ، مع الأشرار فى الهاوية .

٤ ـ وبالنسبة لإشعياء ٤٩. فإن النص كله عن محمد ﷺ وأوله: «اسمعى لى أيتها الجزائر، واصغوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعانى، من أحشاء أمى ، ذكر اسمى ، وجعل فمى كسيف حاد » وبعدما وصفه بأنه أمى، وصفه بأنه مهان النفس ، ومكروه من أمة بنى إسرائيل .وصفه بأن ملوكا ينظرون إليه ويقومون له ، وأن رؤساء يخضعون

---

(١) فى ترجمة البروتستانت : « انظروا بين الأمم ، وأبصروا ، وتحيروا حيرة ؛ لأنى عامل عملا فى أيامكم ؛ لا تصدقون به إن أخبر به » وهذا العمل ليس فى أيام الكَلْدانيين ؛ وذلك لأن السفر مكتوب بعد سبى بابل

لشريعته ، من أجل الله الذى قد اختاره .

وبعد ذلك تكلم الله عن طلاق أورشليم ، كناية عن أن الله رفضها من السير أمامه « ومن أجل ذنوبكم ، طلقت أمكـم » ثم بين أن الله ينصر عبـده على أعدائـه « والسيد الرب يعيننى » ثم خاطب بنى إسرائيل بقوله : « أنصتوا إلى يا شعبى ، ويا أمتى أصغى إلى . لأن شريعة من عندى تخرج ، وحقى أثبته نورا للشعوب . قريب برى . قد برز خلاصى ، وذراعى يقضيان للشعوب . إياى ترجو الجزائر ، وتنتظر ذراعى . . الخ » ثم تكلم عن العبد المتألم ، فقال : « هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا . . الخ »

ولاحظ قوله : « لأن شريعة من عندى تخرج » ولم يكن مع عيسى عليه السلام شريعة ؛ لأنه ما جاء لنقض ناموس موسى عليه السلام .

٥ ـ وبالنسبة لاقتباس حبقوق ؛ فإنه نص فى أيام ظهور محمد ﷺ لقول حبقوق نفسه : « الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع . وهناك استتار قدرته . قدامه ذهب الوبأ ، وعند رجليه خرجت الحمى . وقف وقاس الأرض . نظر فرجف الأمم ، ودكت الجبال الدهرية ، وخسفت آكام القدم . . الخ » [حبقوق ٣ : ٣ ـ]

يريد أن يقول : إن مجد الله سيظهر من الجنوب من جهة تيمان ، وأن النبى الأمى الآتى ، الملقب من حبقوق ومن بطرس بلقب « القدوس البار » سيظهر من فاران . وهو موطن سكنى إسماعيل عليه السلام ، المبارك فيه مـن الله ؛ لقـوله : « وسكن فى برية فاران » ولقوله : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » ثم وصفه بأنه محارب عظيم ، وبأنه سينتصر على أعدائه نصرا مؤزرا .

٦ ـ وبالنسبة لقول المعمدان عن النبى الأمى الآتى : « يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » [مر١ :٧] فإن المعمدان دعا إلى اقتراب ملكوت السموات الذى دعا إليه عيسى عليه السلام وهو ملكوت محمد ﷺ فقد قال مرقس: « وبعدما أُسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله. فتوبوا ، وآمنوا بالإنجيل » [مر١ : ١٤] وقال متى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا، لأنه قد اقترب

ملكوت السموات » [متى ٣ : ١ ومتى ٤ : ١٧]

الاقتباس العاشر :

نَسْخ شريعة موسى

نص الإنجيل :

« ولكن قام أُناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفَرِّيسيين وقالوا : إنه ينبغى أن يختنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى .

فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر . فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال الأخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا : أنه بفمى يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون . والله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم الروح القدس كما لنا أيضا . ولم يميز بيننا وبينهم بشىء إذ طهر بالإيمان قلوبهم . فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله. لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا. فسكت الجمهور كله. وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم .

وبعد ما سكتا أجاب يعقوب قائلا : أيها الرجال الأخوة اسمعونى . سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولا الأُمم ليأخذ منهم شعبا على اسمه . وهذا توافقه أقوال الأنبياء . كما هو مكتوب : « سأرجع بعد هذا وأبنى أيضا خيمة داود الساقطة وأبنى أيضا ردمها وأقيمها ثانية ؛ لكى يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم يقول الرب الصانع هذا كله » معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله . لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم . بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم . لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة من يكرز به. إذ يقرأ فى المجامع كل سبت » [اع ١٥ : ٥ ـ ٢١]

نص التوراة :

قوله كما ورد فى الكتاب : يقصد به [عاموس ٩ : ١١ ـ ١٢]

ونصه فى ترجمة إنجيل: «سأعود بعد ذلك؛ فأقيم خيمة داود المتهدمة. سأقيم أنقاضها وأنصبها؛ فيسعى سائر الناس إلى الرب. وجميع الأمم التى ذكر عليها اسمى ؛ يقول الرب؛ صانع هذه الأمور ، منذ الأزل » وفى ترجمة أخرى :« سأرجع بعد هذا ، وأبنى أيضا خيمة داود الساقطة، وأبنى أيضـا ردمها وأقيمها ثانية ؛ لكى يطلب الباقون من الناس

الرب .وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم . يقول الرب الصانع هذا كله» ونصه فى سفر عاموس نفسه هو: «فى ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة، وأحصن شقوقها ، وأقيم ردمها ، وأبنيها كأيام الدهر ؛ لكى يرثوا بقية أدوم ، وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم ، يقول الرب الصانع هذا »

البيـــان :

يريد أن يقول: إن التوراة تنبأت من زمان مضى بأن الله يريد فى زمن من الأزمان؛ دخول الوثنيين مع اليهود، فى الشريعة. وقد جاء الزمان. وهو زمان المسيح عيسى به مريم.

واقتباسه فى غير محله . وذلك لأن شريعة موسى كانت لليهود وللوثنيين ـ المعبر عنهم بالأمم ـ من قبل زمان عيسى عليه السلام . فهو قد وبخ علماء بنى إسرائيل بقوله : « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون . فإنكم تقفلون ملكوت السموات فى وجوه الناس ؛ فلا أنتم تدخلون ، ولا الذين يريدون الدخول ، تدعونهم يدخلون » [متى ٢٣ : ١٣ ـ ١٤] وكان فى أورشليم من بعده « يهود ودخلاء » كما قال كاتب سفر الأعمال .

الاقتباس الحادي عشر :

عَمَى اليهود عن الحق

نص الإنجيل :

« ولما أتينا إلى رومية . سلم قائد المئة الأسرى إلى رئيس المعسكر . وأما بولس فأُذن له أن يقيم وحده مع العسكرى الذى كان يحرسه .

وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود . فلما اجتمعوا قال لهم : أيها الرجال الأخوة مع أنى لم أفعل شيئا ضد الشعب أو عوائد الآباء ؛ أُسلمت مقيدا من أورشليم إلى أيدى الرومانيين . الذين لما فحصوا كانوا يريدون أن يطلقونى لأنه لم تكن فىّ علة واحدة للموت . ولكن لما قاوم اليهود اضطررتُ أن أرفع دعواى إلى قيصر . ليس كأن لى شيئا لأشتكى به على أمتى . فلهذا السبب طلبتكم لأراكم وأكلمكم لأنى من أجل رجاء إسرائيل موثق بهذه السلسة .فقالوا له : نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية ، ولا أحد من الأخوة جاء فأخبرنا أو تكلم عنك بشىء ردى . ولكننا نستحسن أن نسمع منك . ماذا ترى ؟ لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب : أنه يقاوم فى كل مكان .

فعينوا له يوما فجاء إليه كثيرون إلى المنزل فطفق يشرح لهم شاهدا بملكوت الله ومقنعا إياهم من ناموس موسى والأنبياء بأمر يسوع من الصباح إلى المساء . فاقتنع بعضهم بما قيل

وبعضهم لم يؤمنوا . فانصرفوا وهم غير متفقين بعضهم مع بعض . لما قال بولس كلمة واحدة : إنه حسنا كلم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبى . قائلا: « اذهب إلى هذا الشعب وقل : ستسمعون سمعا ولا تفهمون. وستنظرون نظرا ولا تبصرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وبآذانهم سمعوا ثقيلا. وأعينهم أغمضوها. لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا . فأشفيهم » فليكن معلوما عندكم : أن خلاص الله قد أرسل إلى الأمم وهم سيسمعون[1] . ولما قال هذا مضى اليهود ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم . وأقام بولس سنتين كاملتين فى بيت استأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه . كارزا بملكوت الله ، ومعلما بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » [اع ٢٨ : ١٦ - ٣١]

اختلاف التراجم في نص الإنجيل :

« اذهب إلى هذا الشعب . وقل : ستسمعون سمعا، ولا تفهمون، وستنظرون نظرا ، ولا تبصرون ؛ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وبآذانهم سمعوا ثقيلا، وأعينهم أغمضوها. لئلا يبصروا بأعينهم، ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا . فأشفيهم »

لاحظ : « ويرجعوا . فأشفيهم » والمعنى : إذا تابوا ؛ قبلت توبتهم ، وقبلتهم فى جماعة المؤمنين بالنبى المنتظر .

وفى ترجمة أخرى : « ويرجعوا ؛ أفأشفيهم » ؟ على الاستفهام الإنكارى والمعنى : لا أشفيهم ، ولا أقبلهم فى جماعة المؤمنين بالنبى المنتظر .

نقص فى الإنجيل :

أ - قوله : « ولما قال هذا ، مضى اليهود ، ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم » وفى ترجمة : « فلما قال ذلك ، خرج اليهود من عنده . وهم فى خلاف شديد » هذه الآية ٢٩ لا توجد فى الكتاب المقدس . دار المشرق ١٩٨٩ بيروت .

ب - قوله : « وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه » تضيف بعض النسخ : « يهودا ويونانيين » وهى تثير مشكلة. لأنه قال قبلا : إن خلاص الله للوثنيين فقط . فلماذا قبل اليهود فى الدين الذى يبشر به ؟

---

(١) يريد أن يقول : إن أمر النصارى من الآن ستتولاه روما .

الاقتباسات
فى
الرسالة إلى أهل روما

مقدمات :

أولا : بين موسى عليه السلام : أن الله تعالى أعطى عهدا لإبراهيم عليه السلام بأن يكون فى ذريته : النبوة ، والكتاب ، والملك على الأمم ؛ جزاء سيرهم أمامه ، للدعاء إليه ، ونبذ عبادة الأصنام .

وبين : أن الله قسم البركة بين إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ وأن زمان البركة فى إسحق ـ عليه السلام ـ يبدأ من حين خروج بنى إسرائل من « مصر » ونزول التوراة فى « سيناء » وينتهى من حين ظهور النبى المماثل لموسى ، من بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ ومدة البركة ؛ يكون للنسل فيها : ملك على الأمم والشعوب ؛ للحكم عليهم بالشريعة الإلهية . وقد ظل الملك فى بنى إسرائيل ـ نيابة عن بنى إسحق كلهم ـ إلى الزمن الذى ظهر فيه النّبى الأمى المماثل لموسى . وظلت الشريعة فى بنى إسرائيل إلى زمان ظهوره ؛ فهو الذى هيمن عليها ونسخها . وكان كل نبى يظهر فى بنى إسرائيل ؛ يدعو بشريعة موسى ـ عليه السلام ـ ويُفسرها تفسيرا حسنا . ولا يخالفها فى أى حكم . ومن هؤلاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فإنه صرح بقوله : « ما جئت لأنقض الناموس » وبشر بمجىء محمد ﷺ من بعده، وقال : إن اسمه بالعبرانى « بيراكليت » ـ بكسر الباء ـ أى « أحمد » وهذه البشرى تسىء إلى بنى إسرائيل ، الذين لا يخافون الله ؛ لأنها تظهر لهم: زوال ملكهم ، ونسخ شريعتهم على يديه . وهو ليس من بنى إسحق مثلهم . وهى تسر بنى إسماعيل ؛ لأنهم سيحكمون العالم فى حال ظهوره بالشريعة المعطاة له من الله . وهى أيضا لا تُسِرّ الرومانيين ـ الذين يحكمون العالم وقتئذ ـ لأنهم يعلمون من علماء بنى إسرائيل ومن عيسى عليه السلام : أن النبى الأمى الآتى سيمتد ملكه إلى أقصى الأرض ، وسيملك أتباعه على بلادهم .

ثانيا : أرسل الله المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ليبين لبنى إسرائيل وللأمم أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى ـ عليه السلام ـ لن يكون من بنى إسرائيل ـ كما يزعم اليهود العبرانيون أنه سيظهر من نسل داود ـ وإنما سيكون من بنى إسماعيل ؛ لأن له بركة . وقرأ نصـوص التوراة عن النبى الآتى وفسرها تفسير حسنا ، وبين : أنه سيأتى من بعده ، وسيكون خاتم النبيين . وهذا لا يعجب بنى إسرائيل ، ولا يعجب أهل الروم.

وتسبب عن استيائهم من بيانه : أن صار فى الناس فريقان . فريق معه ، وفريق ضده . فالفريق الذى معه : ينتظر محمدا ﷺ ويعمل بشريعة التوراة إلى أن يظهر . والفريق الذى ليس معه : يكذبه فى قوله . ويقول : إن النبى الآتى سيظهر من بنى إسرائيل ، فى المستقبل . ولكل فريق أتباع وأنصار ، وحجج وبراهين . والنصوص مع الفريقين على حد سواء . وكل يفسرها حسب دعوته .

ثالثا : ظهر فريق وقف بين الفريقين . هو فريق « بولس » وهذا الفريق كان هدفه التوفيق بين الفريقين فى موضوع « النبى الأمى الآتى » ولم يكن هدفه الكلام فى ذات الله وصفاته . وأظهر التوفيق على هذه الأمور :

١ ـ قالوا للفريق الأول ـ وهم بنو إسرائيل ـ : أنتم بقولكم : إن النبى الآتى سيكون منا . تريدون صد الناس عن ملك بنى إسماعيل . فماذا عليكم لو أكملتم كذبكم ، وقلتم: إنه هو يسوع . وقد جاء ؟ اقبلوا كلامنا هذا ، وقولوا : إنه هو ؛ لأنكم متأكدون من أنه آخر نبى فيكم ، ومن بعده سيظهر ملك بنى إسماعيل .

٢ ـ وقالوا للفريق الثانى ـ وهم أتباع عيسى الأمناء ـ إن نصوص نبوءات التوراة تدل على أن النبى الأمى الآتى هو محمد . ونحن سنكتبها كما هى. ونفسرها تفسيرا يدل على أنه هو فى أعين الراسخين فى العلم. ويدل على أن المراد بها يسوع . فى نظر الأميين . وفى الوقت الذى سيظهر فيه ؛ سيكون الواقع هو المفسر الذى لا يردّ قوله ، فى نظر الأميين والعلماء . وأنتم بقبولكم هذا الرأى تكونون فى مأمن من أذى بنى إسرائيل وأهل الروم . وما قضى الله به ؛ فإنه كائن وواقع ، لا محالة .

أما الفريق الأول : فإنهم لم يقبلوا الوسطية ، واحتجوا بأنه فى حالة ظهور هذا النبى؛ نقدر على القول بأنه ليس هو ، وسيأتى من بعده . وهؤلاء هم اليهود إلى هذا اليوم .

وأما الفريق الثانى : فإنهم لم يقبلوا الوسطية، وهربوا إلى الجبال والبلاد المجاورة، لما اشتد عليهم الأذى. من اليهود والرومان ، ونادوا باقتراب « ملكوت الله» كما أظهره النبى المعظم دانيال ، والمسيح عيسى بن مريم. وهؤلاء هم النصارى.

وبعد ما يقرب من ثلاثة قرون ، ظهرت آراء الفريق الوسط ، آراء بولس وأتباعه بقوة أهل الروم . وهؤلاء هم المسيحيون إلى هذا اليوم .

فكر بولس :

قال لليهود : أنتم كذابون فى قولكم : إن النبى الأمى الآتى سيكون من بنى إسرائيل . فماذا عليكم لو تركتم العمل بالتوراة ؟ أليس الكذب فى واحد . مساوى للكذب فى

الكل ؟ أليست الجرأة على الله فى ذنب ، تعادل الجرأة على الله فى كل الذنوب؟ فلماذا تعملون بالشريعة . وأنتم تكذبون فى شأنها ؟ أنتم سراق ولصوص وخونة وكذبة ، وعملكم بالشريعة ـ وهذه هى صفاتكم ـ لا يفيدكم شيئا . كونوا مؤمنين كما كان إبراهيم مؤمنا . واتركوا الشريعة ؛ فإنكم لن تتزكوا بها .

وإذا قبلت الأمم أن يسوع هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . وسوف تقبل ؛ لأن أهل الروم لا يريدون ترك ملكهم فى حال ظهوره ؛ فإن قبول الأُمم له ، وهم يعلمون : أنه ليس هو ؛ فيه مخالفة للشريعة . فلماذا الشريعة ؟ هم واليهود سواء . فلنجتهد من الآن فى إظهار هذه الأمور :

الأمر الأول : إلغاء العمل بشريعة موسى .

والأمر الثانى : تطبيق نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى الأمى الآتى ؛ على يسوع المسيح .

والأمر الثالث : نلزم كل مسيحى بأن يعمل بحسب قوانين البلاد التى هو فيها ، وأن يخضع للملوك والسلاطين الذين يحكمونه .

هذا هو فكر بولس وشيعته . وهو قد ابتدعه مجاملة لأهل الروم ؛ لأنه لما شاع فى العالم : أن النبى الآتى على مثال موسى . سيملك على بلادهم ، ويطردهم من فلسطين ومصر ، وسائر البلاد التى يملكونها ؛ تجرأت عليهم الناس ، ورفعوا أصواتهم عليهم .

وقد عمل أهل الروم مجمعين عالميين لوضع نبوءات التوراة والإنجيل ، عن النبى الآتى ؛ على يسوع . الأول : فى نيقية سنة ٣٢٥م وفيه ركزوا على نبوءة الابن المذكورة فى المزمور الثانى . والثانى : فى القسطنطينية سنة ٣٨١م وفيه ركزوا على نبوءة الروح القدس ، المذكورة فى الأصحاح الرابع عشر وما بعده فى إنجيل يوحنا .

وفى رسالة بولس إلى أهل روما :

١ ـ بيان أن العمل بأحكام التوراة ليس فيه فائدة .لا لليهودى ولا للأمى لاشتراكهما فى عصيان الله.

٢ ـ وبيان أن كل نبوءات التوراة والإنجيل ، عن محمد ﷺ يجب وضعها على يسوع المسيح .

ومن كلامه فى سبٍّ علماء بنى إسرائيل وشتمهم : « فإذا كنت تُدعى يهوديا ، وتعتمد على الشريعة ، وتفتخر بالله ، وتعرف مشيئته ، وتميز ما هو الأفضل بفضل تلقنك

الشريعة ، وتوقن أنك قائد للعميان ، ونور للذين فى الظلام ، ومؤدب للجهال، ومعلم للبسطاء؛ لأن لك فى الشريعة وجه المعرفة والحقيقة. أفتعلم غيرك ، ولا تعلم نفسك ؟ أتعظ بالامتناع عن السرقة، وتسرق ؟ أتنهى عن الزنى وتزنى ؟ أتستقبح الأصنام ، وتنهب معابدها . أفتفتخر بالشريعة ، وتهين الله بمخالفتك للشريعة ؟ فقد ورد فى الكتاب : « يُجدّف باسم الله ، بين الوثنيين .وأنتم السبب » [إش ٥٢:٥ حز ٣٦ :٢٠ ٢٢ رو ٢ :١٧-٢٤] يريد أن يقول للعلماء : أنتم كذابون على الله وعلى الناس . فلماذا الشريعة ؟

والآن إلى الاقتباسات ، وبيان الغرض منها :

الاقتباس الأول :

قال بولس : إننى دُعيت لأعلن بشارة الله . وإعلانه البشارة هو كإعلان المعمدان ويسوع لها . ولكنه ينفرد عنهما بقوله : إنها البشارة بيسوع المسيح مصلوبا لمغفرة الخطايا . وهما يقولان : إنها هى لمجىء محمد النبى المماثل لموسى ؛ ليقيم مملكة السموات على الأرض .

وفى إش ٥٢ : ٧ و ٦١ :١ نجد أن بشارة الله هى لظهور النبى المماثل لموسى ؛ ليخلص بنى إسرائيل بالحرب من حكم الوثنيين « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام، المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص ، القائل لصهيون : قد ملك إلهك . صوت مراقبيك . يرفعون صوتهم ، يترنّمون معا ؛ لأنهم يبصرون عينا لعين ، عن رجوع الرب إلى صهيون . أشيدى . ترنمى معا يا خرب أورشليم ؛ لأن الرب قد عزّى شعبه ، وفدى أورشليم. قد شمر الرب عن ذراع قدسه ،أمام عيون كل الأمم ، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا » [إش ٥٢ : ٧ ـ ١٠]

« روح السيد الرب علىّ ؛ لأن الرب مسحنى ؛ لأبشر المساكين ، أرسلنى لأعصب منكسرى القلب ، لأنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق ؛ لأنادى بسَنة مقبولة للرب ، وبيوم انتقام لإلهنا » [إش ٦١ : ١ ـ ٢] إنه يتكلم عن سنة مقبولة هى سنة النبى الآتى ، وبيوم انتقام هو فى ظهور النبى الآتى . وبولس يعلن البشارة بمغفرة الخطايا . والنصوص لا تؤيده فى قوله . فإن أيام يسوع قد مضت ولم يحدث فيها انتقام .

نص الإنجيل :

« فإنى لا أستحيى بالبشارة . فهى قدرة الله لخلاص كل مؤمن . لليهودى أولا ثم لليونانى ؛ فإن فيها يظهر بر الله ، بالإيمان ، كما ورد فى الكتاب : « إن البار بالإيمان يحيا » [حب ٢ : ٤ رو ١ : ١٦ ـ ١٧]

نص التوراة :

« إن البارّ بالإيمان يحيا » [حب ٢ : ٤]

ويمكن أن تترجم : « إن البار يحيا بالإيمان »

يريد أن يقول : إن الديانة مكونة من إيمان وأعمال . أو من عقيدة وشريعة . وأن الإيمان بالله واليوم الآخر ؛ يدخل الجنة . والشريعة لا تعود بفائدة مّا ، على المرء . وذلك لأن الالتزام بها ، يؤدى إلى التهاون فيها . والتهاون فيها؛ خطية . فلماذا ألتزم لتحسب علىّ الخطايا ؟ وإذا التزمتُ وتهاونت وأخطأت ؟ فإن المسيح شفيع فى المذنبين . فلماذا الالتزام ؟

والرد عليه :

هو أن الإيمان الذى يحيا به المرء حياة سعيدة هو الإيمان بركنيه . وهما : العقيدة والشريعة . وليس الإيمان الذى هو ركن واحد . فإن إبراهيم عليه السلام آمن بالله وجاهد فى سبيله . والجهاد عمل . وموسى عليه السلام نبه على أن العمل ركن صحة فى الديانة ، وقتل من إسرائيل رجلا كان يحتطب حطبا فى يوم سبت ؛ لأنه تعدى على حرمة السبت . ولو كان الإيمان وحده يُحيى ؛ لما كان من داع لقتل المخالفين ؛ لأن القتل ضد الحياة . وفى سفر التثنية : « هذا اليوم قد أمرك الرب إلهك أن تعمل بهذه الفرائض والأحكام ؛ فاحفظ واعمل بها من كل قلبك ومن كل نفسك . . الخ » [تث ٢٦ : ١٦ -]

وقد ميز بولس بين اليهود وعباد الأوثان من جهة الشريعة . فقال : إن جميع الناس متفقون على شرائع . وجميع الناس يعرفون الله رب العالمين « فمنذ خلق العالم لا يزال ما لا يظهر من صفاته . أى قدرته الأزلية وألوهيته؛ ظاهرا للبصائر فى مخلوقاته . فلا عذر لهم إذاً ، لأنهم عرفوا الله ، ولم يمجدوه . ولا شكروه ، كما ينبغى لله » [رو ١ : ٢٠] أما اليهود فإنهم عرفوا الله ، وقبلوا شريعة موسى . وأما عباد الأوثان. فإنهم قد استبدلوا بمجد الله الخالد صورا تمثل الإنسان الزائل والطيور ، وعبدوها. وقبلوا شريعة ضمائرهم[1]، وما يمليه الواجب عليهم، الواجب الذى فرضه المجتمع من عادات وتقاليد. فالكل على شريعة شريعة سماء وشريعة ضمير. ثم قال: لا يوجد فرق بين اليهودى والوثنى فى الشريعة. فاليهودى يفتخر بشريعة السماء ولا يعمل بها. والوثنى يخالف ضميره إذا حابى الوجوه. وحيث أنهما متساويان فى المخالفة. ؛ فإنه لا تكون من الشرائع فائدة. ولكن الله يجازى الكل فى يوم الحساب. يجازى الوثنى واليهودى؛ لأنه لم يترك نفسه بلا شواهد تدل

---

(١) الفيلسوف الألمانى « كانط » أخذ نظرية الواجب من بولس .

عليه. يقول بولس: « فالشدة والضيق لكل امرىء يعمل الشر . اليهودى أولا ثم اليونانى. والمجد والكرامة والسلام لكل من يعمل الخير. اليهودى أولا ثم اليونانى ؛ لأن الله لا يحابى أحدا. فالذين خطئوا وهم بغير شريعة، يهلكون أيضا بغير شريعة . والذين خطِئوا وهم بالشريعة ؛ يدانون بالشريعة . فليس الذين يصغون إلى كلام الشريعة هم الأبرار عند الله . بل العاملون بالشريعة هم الذين يبررون . فالوثنيون الذين بلا شريعة ، إذا عملوا بحسب ما تأمر به الشريعة ، كانوا شريعة لأنفسهم ـ هم الذين لا شريعة لهم ـ فيدلون على أن ما تأمر به الشريعة من الأعمال ، مكتوب فى قلوبهم ، وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم. فهى تارة تشكوهم ، وتارة تدافع عنهم » [رو ٢ : ٩ ـ]

يقول: إن الوثنيين على شريعة ضمائرهم؛ لأنهم لا يعرفون مشيئة الله عن طريق شريعة موحاة من قبل الله .كما هو أمر شريعة موسى.وشريعة ضمائرهم ليست شريعة بشرية، مدنية أو جزائية؛ لكن حكم ضمائرهم يقوم مقامها ، ويكون أشبه بشريعة موسى.

ويهدف بهذا الكلام إلى تسكيت اليهود ، فى الوقت الذى يتكلم فيه عن نبذ شريعة موسى .

الإقتباس الثانى :

نَصّ الإنجيل :

يقول بولس : إذا كان اليهودى والوثنى سواء فى الشريعة. هذا على موسى ، وهذا على ضميره. فما هو فضل اليهودى على الوثنى؟وما هى الفائدة من الختان ؟ ويعنى به: ما الفائدة من السير أمام الله للشريعة ؟ ويجيب : بأن فضل اليهودى هو أن الله ائتمنه على الشريعة.وعدم عمله بها،لا يدل على أنه خان الأمانة .فقد يدل على كسل، وقد يدل على طمع فى رحمة الله. يقول: « فما فضل اليهودى إذاً؟ وما الفائدة فى الختان؟ هى كبيرة من كل وجه. وأولها: أنهم ائتمنوا على كلام الله . فماذا بعضهم يكون ؟ إن خان بعضهم: أفتبطل خيانتهم أمانة الله ؟حاش له . بل صدق الله ، وكذب كل إنسان . على حد ما ورد فى الكتاب: « لكى تكون بارا فى كلامك ، وتغلب إذا حوكمت » [مز ٥١ : ٤] [رو ٣ ـ ١]

نص التوراة :

« لكى تتبرر فى أقوالك ، وتزكو فى قضائك » [مز ٥١ : ٤]

والرد عليه :

هو أن المزمور الحادى والخمسين كله نبوءة عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى . وبولس قد أخذه وطبقه على يسوع المسيح فى الرسائل المنسوبة إليه . من جهة أن الذبائح و القرابين لا ترضى الله إذا كان السلوك معوجا ، والقلب قاسى . ومن كلامه : « لأن دم الثيران والتيوس لا يمكنه أن يزيل الخطايا . . الخ » واستشهد [بالمزمور ٤٠ : ٧ ـ ٩ ومز ٥١ : ١٦ ـ ١٧] وذلك فى الرسالة إلى العبرانيين .

وهو هنا يريد أن ينسى الناس صفات النبى الآتى المكتوبة فى المزمور ٥١ ويريد منهم : أن يتكلموا فى التبرير والغلبة فى المحاكمة، وشريعة الضمير . بدون مناسبة .

والنبى الآتى يقول : فى المزمور ٥١ : إن أعدائى أحاطوا بى. ويطلب « نجنى من الدماء يا ألله » ويقول: أنا أمى ، لا أقرأ ولا أكتب « يا رب افتح شفتى ؛ فيخبر فمى بتسبيحك » ويقول لله : أيدنى بروح من عندك «فأعلم الأثمة طرقك ، والخطاة إليك يرجعون » أى: أنه واعظ ، وهادى ، وداعى إلى الله ، ومذكر بالرجوع إليه .

ويطلب من الله « قلبا نقيا اخلق فىّ يا ألله، وروحا مستقيما جدد فى داخلى . لا تطرحنى من قدام وجهك ، وروحك القدوس لا تنزعه منى . رد لى بهجة خلاصك ، وبروح منتدبة اعضدنى »

الاقتباس الثالث :

أولا: قرأ النصوص الآتية :

نص المزمور ٥١ :

« ارحمنى يا ألله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك . امح معاصى ، اغسلنى كثيرا من إثمى . ومن خطيتى ؛ طهرنى ؛ لأنى عارف بمعاصىّ ، وخطيتى أمامى دائما . إليك وحدك أخطأتُ . والشر قدام عينيك صنعتُ . لكى تتبرر فى أقوالك ، وتزكو فى قضائك. هأنذا بالإثم صُورت . وبالخطية حبلت بى أمى . ها قد سُررت بالحق فى الباطن؛ ففى السريرة تعرفنى حكمة . طهرنى بالزوفا فأطهر . اغسلنى؛ فأبيضّ . أكثر من الثلج . أسمعنى سروراً وفرحا. فتبتهج عظام سحقتها . استر وجهك عن خطاياى ، وامح كل آثامى . قلبا نقيا اخلُق فىّ يا ألله ، وروحا مستقيما جدد فى داخلى . لا تطرحنى من قدام وجهك . وروحك القدوس لا تنزعه منى. ردّ لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدنى ؛فأعلّم الأثمة طرقك ، والخطاةُ إليك يرجعون . نجنى من الدماء يا ألله . إله خلاصى . فيسبح لسانى برك . يا رب افتح شفتى، فيخبر فمى بتسبيحك ؛ لأنك لا تسر بذبيحة ، وإلاّ فكنتُ أقدمها بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هى روح منكسرة. القلب المنكسر

والمنسحق يا الله لا تحتقره. أحسن برضاك إلى صِهيون . ابن أسوار أورشليم حينئذ تُسرّ بذبائح البِرّ ، محرقة وتقدمة تامة. حينئذ يصعدون على مذبحك عجولا » [مز ٥١]

نص المزمور ١٤

« قال الجاهل فى قلبه : ليس إله . فسدوا ورجسوا بأفعالهم . ليس من يعمل صلاحا . الرب من السماء أشرف على بنى البشر ؛ لينظر هل من فاهم طالبِ الله ؟ الكل قد زاغوا معا . فسدوا . ليس من يعمل صلاحا . ليس ولا واحد . ألم يعلم كل فاعلى الإثم ، الذين يأكلون شعبى ، كما يأكلون الخبز ، والربَّ لم يدعوا ؟ هناك خافوا خوفا ؛ لأن الله فى الجيل البارّ ؛ رأى المسكين . ناقضتم . لأن الرب ملجأه.ليت من صهيون خلاص إسرائيل .عند رد الرب سبى شعبه ،يهتف يعقوب ، ويفرح إسرائيل » [مز ١٤]

نص المزمور ٥ :

« لكلماتى أصغ يا ربِ . تأمّل صراخى . استمع لصوت دعائى يا ملكى وإلهى ؛ لأنى إليك أُصلى . يا ربُّ بالغداة تسمع صوتى . بالغداة أُوجه صلاتى نحوك، وأنتظر. لأنك لست إلها يُسرّ بالشر. لا يساكنك الشرير . لا يقف المفتخرون قدام عينيك . أبغضت كل فاعلى الإثم. تهلك المتكلمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب . أما أنا فبكثرة رحمتك. أدخل بيتك. أسجدُ فى هيكل قدسك ؛ بخوفك . يا رب اهدنى إلى برك. بسبب أعدائى. سهل قدامى طريقك؛ لأنه ليس فى أفواههم صدق. جوفهم هُوّة.حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها . دنهم يا الله . ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم . طوّح بهم؛ لأنهم تمردوا عليك . ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك ؛ لأنك أنت تُبارك الصِّديق يا رب . كأنه بترس تُحيطه بالرضا » [مز ٥]

نص المزمور ١٤٠

« أنقذنى يا رب من أهل الشر. من رجل الظلم احفظنى . الذين يتفكرون بشرور فى قلوبهم . اليوم كله يجتمعون للقتال. سنّوا ألسنتهم كحيّة . حُمَةُ الأفعوان تحت شفاههم . سلاه. احفظنى يا رب من يدى الشِّرير. من رجل الظلم أنقذنى . الذين تفكروا فى تعثير خُطواتى. أخفى لى المستكبرون فخا وحبالا. مدوا شبكة بجانب الطريق. وضعوا لى أشراكا. سلاه . قلت للرب: أنت إلهى . أصغ يا رب إلى صوت تضرعاتى . يا رب السيد قوة خلاصى.ظللت رأسى فى يوم القتال . لا تُعطِ يا رب شهوات الشرير. لا تُنجِّح مقاصده. يترفعون. سلاه. أما رءوس المحيطين بى؛ فشقاءُ شفافهم يغطيهم. ليسقط عليهم

جمر . ليسقطوا فى النار . وفى غمرات فلا يقوموا . رجل لسان لا يثبت فى الأرض . رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه . قد علمتُ أن الرب يجرى حكما للمساكين ، وحقا للبائسين . إنما الصديقون يحمدون اسمك . المستقيمون يجلسون فى حضرتك » [مز ١٤٠]

نص المزمور ١٠

« يا رب لماذا تقف بعيدا ؟ لماذا تختفى فى أزمنة الضيق ؟ فى كبرياء الشرير يحترق المسكين . يؤخذون بالمؤامرة التى فكروا بها ؛ لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه والخاطف يجدف يُهين الرب . الشرير حسب تشامخ أنفه يقول : لا يُطالِب . كلُّ أفكاره : أنه لا إله . تثبت سبله فى كل حين . عالية أحكامك فوقه . كلُّ أعدائه ينفث فيهم . قال فى قلبه : لا أتزعزع من دور إلى دور بلاسوء . فمه مملوء لعنة وغشا وظلما . تحت لسانه مشقة وإثم . يجلس فى مكمن الديار فى المختفيات . يقتل البرئ . عيناه تراقبان المسكين . يكمن فى المختفى كأسد فى عرِّيسه . يكمن ليخطف المسكين . يخطف المسكين ، بجذبه فى شبكته . فتنسحق وتنحنى وتسقط المساكين ببراثنه . قال فى قلبه : إن الله قد نسى . حجب وجهه . لا يرى إلى الأبد .

قم يا رب . يا ألله ارفع يدك . لا تنسى المساكين . لماذا أهان الشريرُ الله ؟ لماذا قال فى قلبه : لا تُطالِبُ . قد رأيتَ ؛ لأنك تبصر المشقة ، والغمّ ، لتجازى بيدك . إليك يسلِّم المسكين أمرهَ . أنت صرت معين اليتيم . احطم ذراع الفاجر . والشرير تطلب شره ولا تجده . الرب ملك إلى الدهر والأبد ، بادت الأمم من أرضه تأوّه الودعاء قد سمعتَ يا رب ، تثبت قلوبهم . تميل أذنك . لحق اليتيم والمنسحق ؛ لكى لا يعود أيضاً ، يرعبهم إنسان من الأرض » [مز ١٠]

نص المزمور ٣٦

« نأمةُ معصية الشرير فى داخل قلبى ؛ أن ليس خوف الله أمام عينيه ؛ لأنه ملّق نفسه من جهة وجدان إثمه وبغضه . كلام فمه إثم وغش . كف عن التعقل عن عمل الخير . يتفكر بالإثم على مضجعه . يقف فى طريق غير صالح . لا يرفض الشر .

يا رب فى السموات رحمتك . أمانتك إلى الغمام . عدلك مثل جبال الله ، وأحكامك لجة عظيمة . الناس والبهائم تخلّص يا رب . ما أكرم رحمتك يا ألله . فبنو البشر فى ظل جناحيك يحتمون .

يروون من دسم بيتك ، ومن نهر نعمك تسقيهم ؛ لأن عندك ينبوع الحياة . بنورك نرى نورا ، أدم رحمتك للذين يعرفونك ، وعدلك للمستقيمى القلب . لا تأتنى رجل

الكبرياء ويد الأشرار لا تزحزحنى . هناك سقط فاعلو الإثم . دحروا ، فلم يستطيعوا القيام » [مز ٣٦]

نص الأصحاح التاسع والخمسين من سفر إشعياء :

« ها إن يد الرب ، لم تقصر عن أن تخلّص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع . بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم ، حتى لا يسمع ؛ لأن أيديكم قد تنجست بالدم ،وأصابعكم بالإثم . شفاهكم تكلمت بالكذب ، ولسانكم يلهج بالشر .ليس من يدعو بالعدل ، وليس من يحاكم بالحق ، يتكلون على الباطل ، ويتكلمون بالكذب . قد حبلوا بتعب وولدوا إثما. فقسوا بيض أفعى ، ونسجوا خيوط العنكبوت . الآكلُ من بيضهم يموت ،والتى تكسر ، تُخرج أفعى . خيوطهم لا تصير ثوبا ،ولا يكتسون بأعمالهم .أعمالهم أعمال إثم ، وفعلُ الظلم فى أيديهم . أرجلهم إلى الشر تجرى ، وتسرع إلى سفك الدم الزكى . أفكارهم أفكار إثم . فى طرقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه ، وليس فى مسالكهم عدل.جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة.كل من يسير فيها لا يعرف سلاما .

من أجل ذلك ابتعد الحق عنا،ولم يدركنا العدل.ننتظر نورا فإذا ظلامٌ .ضياءً ؛ فنسير فى ظلام دامس. نتلمس الحائط كعمى ، وكالذى بلا أعين نتجسس . قد عثرنا فى الظهر، كما فى العتمة. فى الضباب كموتى. نزأر كلنا كدبّة ، وكحمام هدرا نهدر. ننتظر عدلا وليس هو. خلاصا. فيبتعد عنا؛ لأن معاصينا كثرت أمامك، وخطايانا تشهد علينا؛ لأن معاصينا معنا ،وآثامنا نعرفها ،تعدينا وكذبنا على الرب ، وحِدنا من وراء إلهنا . تكلمنا بالظلم والمعصية. جبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب، وقد ارتد الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيدا ، لأن الصِّديق سقط فى الشارع ،والاستقامة لا تستطيع الدخول ،وصار الصدق معدوما ، والحائد عن الشر؛ يُسلب. فرأى الرب وساء فى عينيه ؛ أنه ليس عدل .

فرأى أنه ليس إنسان ، وتحير من أنه ليس شفيع ، فخلّصت ذراعه لنفسه ، وبره هو عضده . فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه ، ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء ، حسب الأعمال . هكذا يجازى مبغضيه سخطا ، وأعداءه عقابا . جزاء يجازى الجزائر ، فيخافون من المغرب اسم الرب ، ومن مشرق الشمس مجده . عندما يأتى العدو كنهر ، فنفخة الرب تدفعه .

ويأتى الفادى[1] إلى صهيون،وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب. يقول الرب. أما

---

(١) يقصد النبى الأمى محمد ﷺ.

(٢) إشارة إلى أن محمدا نبى أمى. لا يقرأ ولا يكتب .

أنا فهذا عهدى معهم. قال الرب. روحى الذى عليك، وكلامى الذى وضعته فى فمك ؛ لا يزول من فمك(٢)، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك . قال الرب: من الآن، وإلى الآبد »

ثم يخاطب « مكة المكرمة » التى رمز لها من قبل بالعاقر . فيقول « قومى استنيرى؛ لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك . . الخ »

ولكن اليهود يدعون أنه يخاطب « أورشليم » كيف ؟ وهو يقول فيما قبل : إن ملوك اليهود وعلماءهم لم يدعوا الناس إلى دينى ، ولم يحكموا بالعدل . فها أنذا آخذ منهم الملك ، وأسلمه إلى قوم آخرين ، وآخذ منهم الشريعة . فلا يكون منهم ملك ، ولا داع. وها هو الفادى سيظهر ، وسيظل ملكه ودينه إلى نهاية الزمان ، وسيأتى مع أصحابه الأطهار إلى جبل صهيون ، فاتحا غانماً .

ثانيا: وإذْ قد فرغتَ من قراءة النصوص ، فها هو نص الإنجيل ، ومنه تعلم أن بُولس يعكسُ كلام عيسى عليه السلام فى التبشير بمحمد ﷺ وعكسُهُ كلامه ؛ يدلّ على أن الإنجيل الحقيقى كانت فيه تلك النصوص وتفسيرها على محمد ﷺ

نص الإنجيل :

يقول بولس : « ولكن إذا كان ظلمنا يبرز برّ الله . فماذا نقول ؟ أفما يكون الله ظالما إذا أنزل بنا غضبه ؟ وكلامى هذا كلام بشرى محض. معاذ الله. وإلا فكيف يدين الله العالم ؟ ولكن إذا كان كذبى يزيد ظهور صدق الله من أجل مجده، فلماذا أدان أنا بعد ذلك كما يدان الخاطىء؟ ولماذا لا نفعل الشر لكى يأتى منه الخير، كما يفترى علينا. فيزعم بعضهم أننا نقول به؟ إن الحكم على هؤلاء لعدل . فماذا إذاً ؟ هل لنا أى فضل ؟ لا فضل لنا على الإطلاق . فقد برهنا : أن اليهود واليونانيين هم كلهم فى حكم الخطيئة . فقد ورد فى الكتاب :

أ ـ « ما من أحد بار . لا أحد . ما من أحد يدرك . ما من أحد يبتغى وجه الله. ضَلُّوا جميعا ففسدوا معا. ما من أحد يعمل الصالحات. لا أحد » [مز١٤: ١ ـ٣]

ب ـ « حناجرهم قلوب مفتحة ، وبألسنتهم يمكرون . سم الأصلال تحت شفاههم» [مز ٥ : ٩ و ١٤٠ : ٣]

ج ـ « أفواههم ملؤها اللعنة والمرارة » [مز ١٠ : ٧]

د ـ « أقدامهم تسرع إلى سفك الدماء ، وعلى طرقهم دمار وشقاء . سبيل السلام لا يعرفون » [إش ٥٩ : ٧ ـ ٨]

هـ ـ « وليست مخافة الله نصب عيونهم » [مز ٣٦ : ١]

وإننا نعلم : أن كل ما تقوله الشريعة، إنما تقوله للذين هم فى حكم الشريعة ، لكى يخرس كل لسان ولكى يعرف العالم كله مذنبا عند الله . فلذلك لن يبرر عنده أحد من البشر ، إذا عمل بحسب الشريعة.

فما الشريعة : إلاّ سبيل إلى معرفة الخطيئة » [رو ٣ : ١ ـ ٢٠]

البيان :

ذكرنا نص الإنجيل ، وذكرنا منه نصوص التوراة المقتبسة ، وذكرنا أماكنها .

وهو يريد أن يقول : إذا كان اليهودى والوثنى سواء فى معصية الله . فإنه ليس من الحكمة أن نلزم الأمم بشريعة التوراة[١] . ومن الحكمة أن يعترفوا بيسوع المسيح ربا مصلوبا؛ وليعمل كل واحد بحسب قوانين بلاده وعادات مجتمعه . واستدل من التوراة على أن كل البشر فاسدون ، وليس فيهم واحد يعمل صلاحا . مع أن فيهم من يعرف الشريعة .

ومعنى كلامه : « إذا كان ظلمنا يبرز بر الله . فماذا نقول ؟ » هو أن اليهود يظلمون أنفسهم ، والله يعفو عنهم . وبسبب ظلمهم وعفوه عنهم ؛ ظهر للعالم : أن الله رءوف رحيم وبار كريم . وحيث أن اليهود قد تعودوا على الظلم وهم يعلمون بالعفو ، فإنه إذا لم يعف ؛ فإنه يكون ظالما لهم . ثم يقول : هذا رأيى أنا . لا رأى أهل الحكمة ؛ فإن الله إذا لم ينزل العقاب على الظالم ؛ فإنه لا يكون عادلا « وإلا فكيف يدين الله العالم ؟ »

وقد خالفَنا فى هـذا التفسير جـماعة من النصـارى . وخطئوا بولس بقولهم : «يستنتج

---

(١) مؤلف كليلة ودمنة كان على رأى بولس وهو التخلق بالأخلاق الحميدة النابعة من الضمائر لا من الشرائع. ونص كلامه:

النص: فلما تحرَّزتُ من تصديق مالا يكون، ولم آمن إن صدّقتُه أن يُوقعنى فى مَهلكة؛ عُدتُ إلى طلب الأديان، والتماس العدل منها؛ فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا، فيما سألته عنه فيها، ولم أر فيما كلمونى به شيئا، يُحقُّ لى فى عقلى أن أُصدّق به، ولا أن أتبعه. فقلت: لما لم أجد ثقة آخذ منه الرأى أن الزّم دين آبائى وأجدادى، الذين وجدتهم عليه. فلما ذهبتُ ألتمسُ العذر لنفسى فى لزوم دين الآباء والأجداد، لم أجد لها على الثبوت، على دين الآباء طاقة، بل وجدتها تُريد أن تتفرغ للبحث عن الأديان، والمسألة عنها وللنظر فيها. فهجس فى قلبى، وخطر على بالى قُرب الأجل، وسرعة انقطاع الدنيا، واعتباط أهلها، وتخرّم الدهر حياتهم. ففكرتُ فى ذلك. فلما خفت من التردد والتحول، رأيتُ ألا أتعرض لما أتخوف منه المكروه، وأن أقتصر على عمل تشهدُ النفس أنه يوافقُ كل الأديان، فكففت يدى عن القتل والضرب وطرحت نفسى عن المكروه والغضب والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة، وأضمرت فى نفسى ألا أبغى على أحد، ولا أكذّبُ بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا للعقاب، وزايلت الأشرار بقلبى، وحاولت الجلوس مع الأخيار بجهدى، ورأيت الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين. ووجدت مكسبه ـ إذا وفّق الله وأعان ـ يسيرا . . .إلخ»

المنطق البشرى: أن الله لا ينزل غضبه على خاطىء ؛ لأن هذا الخاطىء يساهم بخطيئته فى إبراز عظمة العدل الإلهى . فيجب عندئذ أن يستنتج : أن الله لا يستطيع أن يكون ديان العالم المطلق . وبما أن هذه الخاتمة هى فى نظر بولس غير مقبولة؛ فمن البديهى: أن فى المقدمتين خطأ. فإن مساهمة الخطيئة فى إظهار عدل الله ، لا تنفى أن تبقى الخطيئة خاضعة لغضب الله وحكمه » أ . هـ .

هذا هو هدفه الظاهر من الاقتباسات . وهدفه الحقيقى هو : أن النصوص التى اقتبسها هى نصوص نبوءات عن النبى الأمى الآتى - الذى هو محمد ﷺ - وهو يريد أن لا يظهر علماء اليهود ما تدل عليه - لأنها لا تنطبق على عيسى عليه السلام - وذلك بمسارعته بتطبيقها عليهم فى صفة من صفاتهم هى المكر السىء الذى لا يحيق إلا بأهله . فكأنه يقول للعالَم مسبقا :هذه النبوءات لا تدل على النبى الأمى الآتى ، وهى تدل على مكر اليهود . فإذا قال علماء اليهود فيما بعد : هذه نصوص نبوءات عن النبى الآتى ، ولم يأت بعدُ ؛ يقول الناس لهم : هى نصوص فى شتمكم أنتم . وبذلك يسكت العلماء عن الاحتجاج بها . وهذا هو هدف بولس الحقيقى .

والمزمور الرابع عشر: فيه مقارنة بين الجيل الحاضر ،والجيل الآتى . ذلك قوله : « هناك خافوا خوفا ، لأن الله فى الجيل البار ، رأى المسكين » والجيل الحاضر هو جيل شريعة موسى ، والجيل الآتى هو جيل شريعة النبى المماثل له .

والمزمور الخامس يقول فيه النبى الأمى الآتى بظهر الغيب: « استمع لصوت دعائى، يا ملكى وإلهى ؛ لأنى إليك أصلى » ويقول : إن الله معه « أما أنا فبكثرة رحمتك ، أدخل بيتك ، أسجد فى هيكل قدسك . بخوفك » وبيت الله هو الكعبة البيت الحرام .

والمزمور المئة والأربعون يبين أن الله نصر النبى الأمى فى ساحة القتال . وهذا يهد نظرية بولس فى الخلاص من الخطايا، وذلك لأن الخلاص هو خلاص من الأعداء بالحرب. ذلك قوله : « قلت للرب: أنت إلهى . أصغ يا رب إلى صوت تضرعاتى. يا رب السيد قوة خلاصى. ظللت رأسى فى يوم القتال . . » وأول المزمور يبين أن الأحزاب اجتمعوا لحرب النبى الأمى وشددوا على قتله، ومحو دينه. وهو: « أنقذنى يا رب من أهل الشر. من رجل الظلم احفظنى. الذين يتفكرون بشرور فى قلوبهم . اليوم كله يجتمعون للقتال . سنوا ألسنتهم كحية حمة الأفعوان ، تحت شفاههم »

ولأن هذا المزمور يهدّ نظرية بولس فى الخلاص ، وضعه فى شتم علماء بنى إسرائيل ؛لأنه لم يجد تبريرا له ، يحرف به الكلم عن مواضعه .

والمزمور العاشر هو من مزامير النبى الأمى المماثل لموسى . وفيه يشرح مؤامرات أعدائه عليه . ويبين أن الله نصره عليهم ، وورثه أرضهم وديارهم . ذلك قوله : « الرب ملك إلى الدهر والأبد . بادت الأمم من أرضه . تأوه الودعاء قد سمعت يا رب . تثبت قلوبهم . تميل أذنك . لحق اليتيم والمنسحق لكى لا يعود أيضا يرعبهم إنسان من الأرض » يريد بقوله: «الرب ملك»: أن نبيه محمدا هو الذى يملك .

والمزمور السادس والثلاثين يقول علماء بنى إسرائيل فيه : إنه يصف النبى الآتى بأوصاف عظيمة جدا . فقد كتبوا فى معنى : « لأن عندك ينبوع الحياة . بنورك نرى نورا » أن النور الذى سيبصرون به هو نور النبى الآتى . وكتبوا : أن أعداء هذا النبى لن ينتصروا عليه قط . ذلك قوله : « هناك سقط فاعلو الإثم ، دحروا . فلم يستطيعوا القيام »

ونص إشعياء هو نبوءة عن النبى الآتى. وهو يرد قوله فى الخلاص من الخطايا. فلذلك ذكر شتم اليهود ورفض الله لهم ، ولم يذكر الأمّة الآتية عوضا عنهم . فقد قال بعد الشتم : إنه « لبس ثياب الانتقام » ـ « عندما يأتى العدو كنهر ، فنفخةُ الرب تدفعه . ويأتى الفادى إلى صهيون ، وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب . يقول الرب. أما أنا فهذا عهدى معهم. قال الرب. روحى الذى عليك. وكلامى الذى وضعته فى فمك، لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك ، ولا من فم نسل نسلك. قال الرب . من الآن وإلى الأبد » انظر . لقد قال عنه : « كلامى الذى وضعته فى فمك » يدلل به على أنه سيكون نبيا أميا. وقال عنه : « روحى الذى عليك » يدلل به على أنه هو عبد الرب المسالم الذى تكلم عنه إشعياء فى ٤٢ وبين أن شريعته إلى الأبد .

ومن ذلك يعلم : أن بولس وضع اقتباسات في غير موضعها . لغرض اللغو فى نبوة محمد ﷺ من قبل مجيئه .

الاقتباس الرابع :

قال بولس :

أ ـ إن إبراهيم عليه السلام نال رضا الله عنه ؛ لأنه كان مؤمنا به ، لا أنه كان عاملا بشريعته . وذلك لأنه لم تكن شريعة قبل إبراهيم ، ولم يكن معه شريعة . ولذلك أريدُ من اليهود والوثنيين : أن يقبلوا النصرانية على غير شريعة التوراة . واستدل بآيات من التوراة والزبور على هذا المعنى . وأوّلها تأويلا سيئا .

ب ـ وقال بولس : إن الله وعد إبراهيم بأن يرث نسله جميع أمم الأرض . والوعد بالإرث كان بسبب الإيمان ، وإنهم إذا ورثوا الأمم ، لا يرثوها للحكم عليهم بشريعة

إلهية، بل يرثوها للملك عليهم وأخذ الجزية منهم .

ج ـ وقال بولس : إن الشريعة تظهر الخطايا . فالمرأة الحسناء تحل لرجل ولا تحل لآخر . وهى هى فى اللون والجسم وخفّة الروح . لم تتغير فى حالة الحل ولا حالة الحرمة . والشريعة هى التى أحلت فى وقت وحرمت فى وقت . فالأم محرمة على رجل ، وغير محرمة على رجل . وغير المحرمة هى محرمة فى وقت ، وغير محرمة فى وقت . وكل ذلك من الشريعة . ومن يقترب من المحرمة ؛ فإنه يكون آثما . والشريعة هى التى أظهرت إثْمة . وإلا فالمرأة هى هى . فلماذا الشريعة ؟ ليست إلا للفرقة، ومنع الطيبات من الرزق.

نص الإنجيل :

أ ـ « فماذا نقول فى جدنا إبراهيم ؟ ماذا نال من جهة الجسد ؟ فلو نال إبراهيم البر بالأعمال ؛لكان له سبيل إلى الافتخار بذلك . ولكن ليس عند الله . فماذا يقول الكتاب ؟ « إن إبراهيم آمن بالله فحسب له ذلك برا » [تك ١٥ : ٦] فمن قام بعمل لا تحسب أجرته نعمة ، بل حقا . فى حين أن الذى لا يقوم بعمل ، بل يؤمن بمن يبرر الكافر ؛ فإيمانه يحسب برا . وهكذا يشيد داود بسعادة الإنسان الذى ينسب الله إليه البر،بمعزل عن الأعمال: « طوبى للذين عفى عن آثامهم ، وغفرت لهم خطاياهم . طوبى للرجل الذى لا يحاسبه الرب بخطيئة »[مز ٣٢: ١ ـ ٢]

الرد عليه :

إنه اقتبس نصين من التوراة. للدلالة على نبذ شريعة موسى من الملة النصرانية. وقد وضعنا رموزهما من بعدهما ، وهما :

١ ـ تكوين ١٥ :٦

٢ ـ مزمور٣٢ :١ـ٢

أما عن إبراهيم عليه السلام فإنه كان على شريعة [1] نوح عليه السلام [تك ٩ : ١ ـ ٦] . وكان كل نبى عليها إلى زمان موسى عليه السلام . وشريعة موسى كان كل نبى عليها إلى زمان محمد عليه السلام . وقد ابتلى الله إبراهيم بوصايا فعملها . منها : الجهاد فى سبيل الله بالسيف ، ومنها الختان ، ومنها ذبح ابنه البكر إسماعيل. ولما عملها ، قال له الله : ﴿ إنى جاعلك للناس إماما ﴾ فى الإيمان والأعمال . فلماذا يقول بولس : إنه إمام فى الإيمان فقط؟ وجاء فى سفر الأحبار : « أحكامى تعملون، وفرائضى تحفظون ؛

---

(١) راجع فصل الدعوات العالمية السماوية . فى كتابنا نقد التوراة ـ نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة .

لتسلكوا فيها . أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضى وأحكامى ، التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب » [اح ١٨ : ٤ - ٥]

لقد جعل الشريعة « حياة » أى: من عمل بها، يحيا حياة طيبة فى الحياة الدنيا . ويقول بولس : « وقد كتب موسى فى البر الآتى من أحكام الشريعة : « إن الإنسان الذى يتمها، يحيا بها » يريد أن يقول بوضوح : إن الشريعة إذا عمل أحد بأحكامها على وجه تام؛ أدت إلى البر . ولكن ما من أحد يستطيع أن يعمل بأحكامها على وجه تام .

وفى الشريعة : « ملعون من لا يثابر على العمل بجميع ما كتب فى سفر الشريعة » [تث ٢٧ : ٢٦] وتمام الشريعة : هو الإيمان بالنبى المنتظر .

فإذا جاء ، وآمن به المعاصرون له ؛ فإنهم هم الذين يتمون العمل بالشريعة . وتمام الشريعة « حياة » ورفض الإيمان بالنبى المنتظر هو « موت » فبنو إسرائيل ومن والاهم ، هم من بعد ظهوره فى عداد الأموات .

وأما عن اقتباسه من داود . فإن داود يقول : إنى أغبط التائبين إلى الله وأثنى عليهم ، ولا يقول : إننى أريد لهم الاستمرار فى العصيان ، ونبذ شريعة موسى . والمزمور كله يتكلم عن النبى الآتى بأن الله قد غفر ذنبه، وأن الله نصره على أعدائه. ذلك قوله لله : «أنت سترلى . من الضيق تحفظنى بترنم النجاة تكتنفنى »[1] وبولس يريد أن يلغوا فيه ، وهو يعلم أن داود وصى بالعمل بالشريعة . فقال فى نبوءة عن النبى الآتى بظهر الغيب : «كم أحببت شريعتك. اليوم كله هى لهجى » - « عن أحكامك لم أمـل » - « لو لم تكن شريعـتك لذتـى، لهلكت حينئذ فى مذلتـى » - « حبال الأشرار التفت على . أما شريعتك فلم أنسها » [مز ١١٩]

ب - وقال بولس : « فالوعد الذى وعده إبراهيم أو نسله بأن يرث العالم ؛ لا يعود إلى الشريعة، بل إلى بر الإيمان. فلو كان الورثة أهل الشريعة لأبطل الإيمان ، ونقض الوعد . . . . فقـد ورد فى الكتاب : « إنى جعلتك أبا لعدد كبير من الأمم » [تك ١٧ : ٥]

---

(١) نص المزمور ٣٢

« طوبى للذى غُفر إثمه ، وسترت خطيته . طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ، ولا فى روحه غش، لما سكتّ بليت عظامى من زفيرى اليوم كله ؛ لأن يدك ثقلت علىّ نهارا وليلا . تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ. سلاه ، أعترف لك بخطيتى ، ولا أكتم إثمى .قلتُ : أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى . سلاه . لهذا يُصلّى لك كل تقى فى وقت يجدك فيه . عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تصيب .أنت ستر لى من الضيق تحفظنى . بترنم النجاة تكتنفنى . سلاه . أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها أنصحك . عينى عليك . لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم . بلجام وزمام زينته . يُكمّ ؛ لئلا يدنو إليك . كثيرة هى نكبات الشرير . أما المتوكل على الرب ، فالرحمة تحيط به . افرحوا بالرب ، وابتهجوا يا أيها الصديقون ، واهتفوا يا جميع المستقيمى القلوب » [مز ٣٢]

هو أب لنا عند الذى به آمن ، عند الله الذى يُحيى الأموات . ويدعو إلى الوجود غير الموجود. آمن راجيا على غير رجاء ؛ فأصبح أبا لعدد كبير من الأمم. على ما قيل : «هكذا يكون نسلك » [تك ١٥ : ٥]

والرد عليه :

١ ـ استدلاله بـ « إنى جعلتك أبا لعدد كبير من الأمم » فسره بسبب إيمان صدر من إبراهيم . ولم يفسره بإيمان وأعمال . ولو كان الوعد بإيمان ؛ لاستوى مع إبراهيم كل بنى آدم ، وكل الشياطين .

فإن الكل يعرف الله . والأعمال هى التى تميز . الخبيث من الطيب . والمؤمن الملتزم بالشريعة ؛ لا يتركه الله بدون امتحان ؛ لئلا يتساوى كل العاملين فى العمل ﴿أحسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا : آمنا . وهم لا يفتنون ؟ولقد فتنا الذين من قبلهم ؛ فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت ٢ ـ ٣] وإبراهيم تزكى بالإيمان وبالشريعة وبالامتحان . وتفوق على الكل . فلذلك صار ﴿إماما ﴾ ومن يكون مثله من نسله المبارك فيه ؛ يكون إماما أيضا في زمان بركته .

أ ـ انظر إلى سفر يعقوب. وهو يبين أن التبرير بالأعمال مع الإيمان. تجده يقول : إن امتحان الإيمان يولد الثبات ، والثبات يجعل المؤمن كاملا وسالما . وإيمان الشاك يشبه موج البحر ولن ينال الشاك من الله شيئا . واستدل يعقوب بنفس الآية التى استدل بها بولس من التكوين ١٥ : ٦ على أن الإيمان بدون أعمال مثل جسد لا روح فيه . وهذا هو نص كلام يعقوب :

« لأن[1] من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة؛فقد صار مجرما فى الكل. لأن الذى قال لا تزن ،قال: أيضا : لا تقتل. فإن لم تزن ولكن قتلت؛ فقد صرت متعديا الناموس . هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية. لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم .

ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد: إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال ؟. هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى . فقال لهما أحدكم: امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد.فما المنفعة ؟ هكذا الإيمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته . لكن يقول قائل : أنت لك إيمان وأنا لى أعمال . أرنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالى إيمانى . أنت تؤمن أن الله واحد.

(١) يعقوب ٢ : ١٠ ـ

حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت ؟ ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح؟ فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان . وتم الكتاب القائل : « فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا . ودعى خليل الله » ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان ، لا بالإيمان وحده . كذلك راحاب الزانية أيضاً أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر ؟ لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ؛ هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميّت »

ب ـ وانظر إلى سفر يشوع بن سيراخ. وهو يبين أن التبرير بالأعمال مع الإيمان؛ تجده يقول: «إبراهيم كان أبا عظيما لأمم كثيرة، ولم يُوجد نظيره فى المجد. **حفظ شريعة العليّ. وقطع عهدا معه فى جسده.** قطع هذا العهد. **وعند الامتحان وُجد أمينا.** فلذلك أثبت له الرب بقسم: أنْ ستبارك الأمم فى نسله، وأن يكثره كتراب الأرض، ويُعلى شأن ذريته كالنجوم، ويورثهم من البحر ألى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض» [سى ٢٤: ١٩ ـ ٢١]

الاقتباس الخامس :

أ ـ أبناء الله .

ب ـ انتظار الخليقة لملك أبناء الله على الأرض .

ج ـ بالرغم من عداوة الشيطان لجميع الخلائق ، فإنهم ينتظرون ملك أبناء الله ليشاركوهم فيه .

د ـ المجد الآتى الذى سيتجلى فينا .

إن بولس يعلم : أن ملكوت السموات سيأتى . وليس هو ملكوت عيسى عليه السلام، ويعلم : أن أصحابه لن يكونوا من بنى إسرائيل ، وعبر عنهم بأبناء الله ـ بلسان قومه ـ وأن جميع الأمم تنتظر هذا الملكوت ،لتدخل فيه مع أصحابه . والدليل على علمه فوق ما تقدم : هو تعبيره بصيغ تدل على أنه سوف يأتى «سيتجلى» ـ « فالخليقة تنتظر » ـ « ستحرر من عبودية الفساد ؛ لتشارك أبناء الله فى حريتهم ومجدهم » ـ « بالثبات ننتظره » ولو كان هذا الملكوت لعيسى عليه السلام وقد أتى بالفعل ،ما كان يعبر عنه بصيغ تدل على أنه سوف يكون من بعد زمانه .

يقول ما نصه : « وأرى أن آلام الزمن الحاضر ، لا تعادل المجد الذى سيتجلى فينا . فالخليقة تنتظر بفارغ الصبر تجلى أبناء الله ، فقد أخضعت للباطل ، لا طوعا منها ، بل بسلطان الذى أخضعها . ومع ذلك لم تقطع الرجاء ؛ لأنها هى أيضاً ستحرر من عبودية

الفساد ؛ لتشارك أبناء الله فى حريتهم ومجدهم . فإننا نعلم : أن الخليقة جمعاء تئن إلى اليوم من آلام المخاض » [رو ٨ : ١٨ -]

وقد بينت التوراة: أن أهل العالم، سيشاركون أصحاب النبى الأمى الآتى فى مجده [إش ٥٥ : ١٣] وغرض بولس : هو أن يبين أن المجد الآتى لن يكون لبنى إسماعيل فى شخص محمد رسول الله ﷺ بل سيكون لبنى إسرائيل فى شخص عيسى عليه السلام . فى مجيئه الثانى . كيف وبولس يتكلم من بعد ظهور عيسى عليه السلام ؟ كيف وقد قال عيسى : « ولست أنا بعد فى العالم » ؟ [يو ١٧ : ١١] وعليه فإن المجد الآتى يكون مع النبى الآتى ، وقوله : « إن الخليقة جمعاء تئن إلى اليوم من آلام المخاض » يدل على أن الولادة لم تظهر بعد ، فى زمانه . ويدل أيضاً على حالة حاضرة أليمة ، وعلى توقع حالة مقبلة مجيدة . هى ظهور « المسيا » فى ملكوته .

ثم قال : إنه لا أحد يقدر أن يفصلنا عن الاعتراف بيسوع المسيح ربا مصلوبا ؛ لأنه هو حياتنا فى المجد الآتى والدهر الآتى ، وسوف نتحمل فى سبيل الدعوة إليه كل شدة وضيق. فقد ورد فى الكتاب : « إننا من أجلك نعانى الموت . طوال النهار، ونعد غنما للذبح » [مز ٤٤ : ٢٢]

نص التوراة :

« لأننا من أجلك نُمات اليوم كله . قد حسبنا مثل غنم للذبح » [مز ٤٤ : ٢٢]

والمعنى : أننا استسلمنا لإرادة الله ، كغنم لا إرادة لها .

والرد عليه :

هو أن هذا الاقتباس من مزمور ،هو من مزامير النبى الأُمى الآتى إلى العالم ، الملقب بلقب « المسيا » وهو مزمور وسط مزامير ، تذكر أوصاف المسيا ، وقد طبقها بولس نفسه على عيسى عليه السلام كما طبق هذا المزمور ، ليبعدهم عن الدلالة على محمد ﷺ ففى المزمور الأربعين : « بذبيحة وتقدمة لم تسر . أذنى فتحت . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب . . الخ »وقد استدل به بولس فى [العبرانيين ١٠ : ٤ -] والحادى والأربعين فيه : «أيضاً رجل سلامتى الذى وثقت به ، آكل خبزى ، رفع على عقبه » وقد استدلوا به على يهوذا الإسخريوطى . والثانى والأربعين فيه الكلام عن الإفاضة من جبل عرفات بمكة المكرمة «كنت أمر مع الجمّاع ، أتدرج معهم إلى بيت الله » والثالث والأربعين عن الكعبة « جبل قدسك » والخامس والأربعين « فاض قلبى بكلام صالح . . الخ » وقد استدل به بولس فى الرسالة إلى [العبرانيين ١ : ٨]

والمزمور الرابع والأربعين يبين : أن الله لم يرفض طلبات المسيا ـ وهو النبى الأُمى الآتى إلى العالم ـ والواقع يشهد : بأن بنى إسرائيل قد رفضهم الله ، ويبين أنه منتصر «بالله نفتخر اليوم كله ، واسمك نحمد إلى الدهر »

نص المزمور ٤٤

« اللهم بآذاننا قد سمعنا . آباؤنا أخبرونا بعمل عملته فى أيامهم ، فى أيام القدم ؛ أنت بيدك ، استأصلت الأمم ، وغرستهم . حطمت شعوبا ومددتهم ؛ لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ، ولاذراعهم خلصتهم . لكن يمينك وذراعك ونور وجهك ؛ لأنك رضيت عنهم . أنت هو ملكى يا الله . فأمر بخلاص يعقوب . بك ننطح مضايقينا . باسمك ندوس القائمين علينا ؛ لأنى على قوس لا أتكل ، وسيفى لا يخلصنى ؛ لأنك أنت خلصتنا من مضايقينا ، وأخزيت مبغضينا . بالله نفتخر اليوم كله ، واسمك نحمد إلى الدهر . سلاه . لكنك قدرفضتنا ، وأخجلتنا ، ولا تخرج مع جنودنا . ترجعنا إلى الوراء عن العدو . ومبغضونا نهبوا لأنفسم . جعلتنا كالضأن أكلا . ذريتنا بين الأمم . بعت شعبك بغير مال ، وما ربحت بثمنهم .تجعلنا عارا عند جيراننا . هزأة وسخرة للذين حولنا . تجعلنا مثلا بين الشعوب . لإنغاض الرأس بين الأمم . اليوم كله خجلى أمامى ، وخزى وجهى قد غطانى ، من صوت المعير والشاتم . من وجه عدو ومنتقم .

هذا كله جاء علينا ، وما نسيناك ، ولا خُنّا فى عهدك . لم يرتد قلبنا إلى وراء ولا مالت خطوتنا عن طريقك . حتى سحقتنا فى مكان التنانين ، وغطيتنا بظل الموت . إن نسينا اسم إلهنا ، أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب . أفلا يفحص الله عن هذا ؛ لأنه هو يعرف خفيات القلب ؟ لأننا من أجلك نُمات اليوم كله . قد حُسبنا مثل غنم للذبح .

استيقظ . لماذا تتغافى يا رب ؟ انتبه . لا ترفض إلى الأبد . لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا ؟ لأن أنفسنا منحنية إلى التراب ، لصقت فى الأرض بطوننا . قم عونا لنا ، وافدنا من أجل رحمتك » [مز٤٤]

يريد أن يقول: إن بنى إسرائيل امتلكوا أراضى الأمم ونشروا فيها شريعة التوراة. لأن الله كان معهم بعونه وقوته. والآن . وهم فى سبى بابل . غلبتهم الأمم(١) . وأذلوهم وأجاعوهم . وهم لا يقدرون على أمم الكفر إلا باسم الله وعونه وقوته .

ويقول لله : لقد طالت مدة الذلة والمسكنة . فاستيقظ ، وخلصنا من أيدى أعدائنا وعجل بإرسال رسولك : لنفتح على يديه بلاد الأمم ، كما كان الحال من قبل فى أيام آبائنا .

---

(١) راجع حزقيال ١٩ .

الاقتباس السادس :

أبنـــاء الموعـــد

إن الله تعالى وعد إبراهيم عليه السلام بأن تتبارك فيه جميع أمم الأرض ، وقسم البركة بين إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - والمسيح عيسى عليه السلام بشّر باقتراب البركة فى نسل إسماعيل من محمد ﷺ ويريد بولس أن يغير نسل إسماعيل بنسل الأمم الوثنية ، ويبين أن نسل إسماعيل ليس هو المقصود بالذات ، وإنما هو داخل ضمن الأمم . فالمقابلة عنده الآن بين اليهود وبين الأمم . وهى فى الحقيقة بين اليهود وبين بنى إسماعيل عليه السلام .

وهو يقول لليهود : لا تحزنوا من انتقال ملكوت الله إلى الأُمم. فتلك هى إرادة الله . وأنا حزين مثلكم ، ولكن لأنى على علم بإرادة الله ، تقبلتُ إرادته ، وانضممت إلى الأمم. وابتدأ يدلل لهم من التوراة على حرية الله فى الاختيار . فقال : إن جميع أبناء إبراهيم لم يشملهم الوعد بالبركة ، فإنها فى نسل إسحق وحده .فمن يعترض على مشيئة الله ؟ وقال بولس: إن دخول الأمم فى دين المسيح - الذى أعمله - لا يتعارض مع مصـالحكم أيها اليهود . فأنتم تريـدون النبى الآتى منكم ، وأنتم تعلمون أنه لن يأتى منكم. فماذا لو قلتم : إنه هو يسوع ؟ أليس هو من بنى إسرائيل ؟ وأنتم تريدون السيطرة على العالم بواسطة النبى الآتى . وها أنا أخدع العالم ؛ بيسوع المسيح ، لتسيطروا على العالم . فما هو الضرر العائد عليكم من دعوتى فى الأمم لدين المسيح الذى أعمله ؟ ليس بيننا من تعارض .

أنتم يا بنى إسرائيل تزعمون : أن لكم التبنى والمجد والعهود والتشريع والعبادة والمواعد والآباء ، ومنكم المسيح . هذا هو زعمكم . يريد أن يقول : إن النبى الأمى الآتى منكم ؛ فإن لكم مواعيد الله ، وقد تحققت وختمت بيسوع المسيح . وهو لم يقل الحق ، وذلك لأن المواعيد فى نسل إبراهيم ، لا فى نسل إسرائيل وحده . وإسماعيل داخل فى المواعيد .

وقال بولس : لو فرضنا إن النبى الآتى سيكون من إسماعيل ، فإنه سيدعو الأمم إلى دينه . فلنفترض الآن : أن النبى أتى من اليهود ودعا الأمم إلى دينه . فما هو وجه النفع لكم ؟ هل النفع لكم من النبى الذى سيكون من بنى إسماعيل ، أم من النبى الذى سيكون من بنى إسرائيل ؟ من الآن اسعوا وراء الأمم بيسوع ، من قبل أن يسعى وراءهم بنو إسماعيل بمحمد .

نص الإنجيل :

« أقول الصدق فى المسيح . لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس . إن لى حزنا عظيما ووجعا فى قلبى لا ينقطع . فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى ، محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد . ولهم الآباء . ومنهم المسيح حسب الجسد. الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد. آمين .

ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت . لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون . ولا لأنهم من نسل إبرهم هم جميعا أولاد . بل بإسحق يدعى لك نسل . أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا. لأن كلمةالموعد هى هذه : أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن . وليس ذلك فقط بل رفقة أيضا وهى حبلى من واحد وهو إسحق أبونا . لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرا أو شرا ، لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار . ليس من الأعمال بل من الذى يدعو . قيل لها : إن الكبير يستعبد للصغير . كما هو مكتوب : أحببت يعقوب وأبغضت عيسو .

فماذا نقول . ألعل عند الله ظلما . حاشا . لأنه يقول لموسى : إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف . فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم ، لأنه يقول الكتاب لفرعون : إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض . فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء » [رو ٩ : ١ ـ ١٨]

الاقتباسات فى النص :

١ ـ « بإسحق يكون لك نسل ، يدعى باسمك » [تك ٢١ : ١٢]

يريد بهذا الاقتباس: نبذ النبوة من بنى إسماعيل عليه السلام وقد نقله ناقصا ، وهو بتمامه يدل على أن إسماعيل من نسل إبراهيم ، وهذا هو : « بإسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة ؛ لأنه نسلك » [تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣]

٢ ـ « سأعود فى مثل هذا الوقت ، ويكون لسارة ابن » [تك ١٨ : ١٠]

يريد به : أن المواعيد كلها فى نسل سارة ، وليس منها شئ فى نسل هاجر . وهذا خطأ . فالمواعيد لهاجر أيضاً : ومنها : « وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك، فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وإنه يكون إنسانا وحشيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن » [تك ١٦ : ١٠ ـ ١٢] « ونادى ملاك الله

هاجر من السماء ، وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافى ؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام ، وشدى يدك به ؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة » [تك ٢١ : ١٧ ـ ١٨]

٣ ـ فقد ورد فى الكتاب: « إنى أحببت يعقوب، وأبغضت عيسو » [ملا ١ :٢ـ٣]. يعنى : فضلت يعقوب على عِيسُو ، وجعلته حاملا لبركة إسحق ، دون عيسو .

وغرض بولس : هو بيان أن الله اختار عيسى عليه السلام ليخلص به اليهود من أمم الأرض ، عباد الأوثان . وذلك لأنه يحبه .

وفى التوراة : أن الله أظهر حب إبراهيم لإسماعيل بقوله : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبُّه » [تك ٢٢ : ٢] والابن الوحيد هو إسماعيل ؛ لأنه أكبر من إسحق بـأربعة عشر عاماً، ولو كان الله يكرهه ، ما كان يصرح ببركة فى نسله . فإنه فى التوراة : « وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك . . . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه، وأثمره ، وأكثره كثيرا جداً . اثنى عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة » [تك ١٧ : ١٨ ـ]

٤ ـ « أرحم من أرحم ، وأرأف بمن أرأف » [خر ٣٣ : ١٩]

يعنى به : أن الشريعة ليست لليهود فقط ، بل لهم وللأمم ؛ لأن الله يرحم من يريد أن يرحمه ، سواء أكان من اليهود أو كان من الأمم .

٥ ـ قال الكتاب لفرعون : « ما أقمتك إلا لأظهر فيك قدرتى ، وينادى باسمى فى الأرض كلها » [خر ٩ : ١٦]

يعنى به : أن عناد فرعون تسبب ـ من حيث لا يدرى ـ فى إنجاز وعد الله بالبركة فى إسحق من موسى عليه السلام .

فإنها بدأت فى الأمم من حين خروج بنى إسرائيل من مصر ، وانتهت بظهور محمد ﷺ

ويريد أن يقول : إن الله لم يُقَسِّ قلب فرعون ولم يمنعه من الإيمان ، هو وملؤه ؛ لأنه نكَّل ببنى إسرائيل وأساء إليهم واختار الضلالة من تلقاء نفسه[1] . بل لأن هذه هى مشيئة الله فى البشر . لأنه لا حرية لهم ولا اختيار .

---

(١) إنجيل برنابا ـ وراجع كتاب العناية الإلهية تاليف / أحمد حجازى السقا نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

الاقتباس السابع :

الشعب المختار

إن الله تعالى قد اختار بنى إسرائيل من بين الأمم ؛ لتبليغ شريعته إلى الأمم ، إلى الزمان الذى يظهر فيه محمد ﷺ ومن ظهوره ينتهى اختيار الله لبنى إسرائيل ، ويبدأ اختيار الله لبنى إسماعيل ، فالشعب المختار هم نسل إسماعيل ونسل إسحق عليهما السلام وهذا له مدة ، وهذا له مدة . وبولس يعلم هذا علم اليقين من التوراة والإنجيل . ومع ذلك قال : إن الشعب المختار هم بنو إسرائيل على الدوام ، ومن حين ظهور يسوع ، يبدأ شعب مختار من الأمم الوثنية واليهود المؤمنين بيسوع . ويكون الجميع شعبا واحدا . وبنو إسرائيل الذين قبلوا يسوع ، لا يكونون هم الأئمة فى الشعب الجديد ؛ لأن كل واحد سيكون إماما لنفسه . ذلك هو قوله . واقتبس من التوراة شواهد عليه. والرد عليه: هو أن الشعب المختار بدل اليهود. هو مختار لدعوة الأمم؛ والوثنيون لا يدعون الوثنيين وبنو إسماعيل ليسوا وثنيين؛ لأنهم أبناء إبراهيم. وهم سيؤمنون بمحمد. وسيدعون بدعوته. مثل اليهود فى زمان موسى.

وإنى أعجب من قوله هذا غاية العجب ، وذلك لأن الله قد اختار بنى إسرائيل لدعوة الأمم . وموسى عليه السلام قد دعا الأمم ، وعلماء بنى إسرائيل وملوكهم جاهدوا فى سبيل الله . وفى زمان بولس كان « يهود ودخلاء » فما هو الجديد الذى طرأ على العالم من بعد عيسى عليه السلام ؟ وقد تبدل الحال من محمد ﷺ فقد حلت شريعة مكان شريعة . وأصبح الشعب الجديد مكونا من بنى إسماعيل والأمم وبقية من بنى إسرائيل . انظر إلى هذا النص من سفر هوشع : « من لم يكن شعبى ، سأدعوه شعبى » أى أن بنى إسرائيل الذين هم شعبه ، سيأتى الزمان الذى لن يكونوا فيه شعبه . فهو يتكلم عن شعب كان مختارا ، وشعب هو مختار الآن ؛ لحمل الشريعة إلى الأمم .

نص الإنجيل :

« فستقول لى : لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته . بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله . ألعل الجبلة تقول لجابلها : لماذا صنعتنى هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامةوآخر للهوان . فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته؛ احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك . ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التى أيضا دعانا نحن إياها، ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا. كما يقول فى هوشع أيضا: سأدعو الذى ليس شعبى؛ شعبى والتى ليست محبوبة؛ محبوبة. ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه: لستم شعبى. أنه

هناك يدعون أبناء الله الحى. وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل: وإن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص. لأنه متمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمرا مقضيا به على الأرض. وكما سبق إشعياء فقال: لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة .

فماذا نقول . إن الأمم الذين لم يسعوا فى إثر البر ؛ أدركوا البر البر الذى بالإيمان. ولكن إسرائيل وهو يسعى فى إثر ناموس البر. لم يدرك ناموس البر. لماذا ؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس . فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة . كما هو مكتوب : ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة ، وصخرة عثرة . وكل من يؤمن به لا يُخزى » [رو ٩ : ١٩ ٣٣]

الاقتباسات من التوراة :

١ ـ « من لم يكن شعبى، سأدعوه شعبى، ومن لم تكن محبوبتى، سأدعوها محبوبتى، وحيث قيل لهم: لستم بشعبى، سيدعــون أبنـاء الله الحى» [هوشع ١ : ١٠]

٢ ـ « وإن كان بنو إسرائيل عدد رمل البحر ، فالبقية وحدها تنال الخلاص ؛ فإن الرب سيتم كلمته فى الأرض إتماما كاملا سريعاً » [إش ١٠ : ٢٢ ـ ٢٣]

٣ ـ « لو لم يحفظ رب القوات لنا نسلا ،لصرنا أمثال سدوم ،وأشباه عمورة » [إش ١ : ٩]

٤ ـ « ها أنذا واضع فى صهيون حجرا لصدم، وصخرة لعثار؛ فمن آمن به ؛ لا يُخزى » [إش ٢٨ : ١٦]

واقتباس هوشع : ذكره بولس بالمعنى . وهويدل على شعب مرفوض من ملكوت الله، وشعب سيخلفه فى الدعوة إلى ملكوت الله . ذلك قول هوشع على لسان الله تعالى :« قد هلك شعبى من عدم المعرفة . لأنك أنت رفضت المعرفة ، أرفضك أنا . حتى لا تكهن لى، ولأنك نسيت شريعة إلهك ، أنسى أنا أيضا بنيك » [هو ٤ : ٦] وقوله: « وكما يكمن لصوص لإنسان ، كذلك زمرة الكهنة فى الطريق ، يقتلون نحو شكيم . إنهم قد صنعوا فاحشة . فى بيت إسرائيل رأيت أمرا فظيعا . هناك زنى أفرايم . تنجس إسرائيل وأنت أيضا يا يهوذا . . الخ » [هو ٦ : ٩ ـ] يريد أن يقول : إن السامريين والعبرانيين قد رفضوا الشريعة . وسوف أعد لهم حصادا فى يوم انتقام . ثم يكلم الله أولى الألباب ؛ فيقول : « من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور ، وفهيم حتى يعرفها ؟ فإن طرق الرب مستقيمة ، والأبرار يسلكون فيها ، وأما المنافقون فيعثرون فيها » [هو ١٤ : ٩]

وأما اقتباساته الثلاثة من إشعياء :

أ ـ فالنص الأول هو : « لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل ، كرمل البحر ؛ ترجع بقية منه . قد قضى بفناء فائض بالعدل . لأن السيد رب الجنود يصنع فناء وقضاء فى كل الأرض » [إش ١٠ : ٢٢ ـ ٢٣]

وهو مختلف فى اللفظ والمعنى عن نص الإنجيل ، الذى نقلناه عن « بولس » وهو يريد أن يقول : إن الله تعالى لن يهلك ، ولن يرفض كل بنى إسرائيل من السير أمامه ، لدعوة الناس إلى دينه ، ونبذ عبادة الأوثان ، فى الوقت الذى سيظهر فيه النبى الآتى بملكوته . وذلك لأنه سيختار منهم « بقية » يهديهم إلى الحق ، ويشرح صدورهم به ، ويحببهم فى النبى الآتى ؛ فيدخلون فى ملكوته مع أصحابه من بنى إسماعيل،ويكون الجميع دعاة وهداة للأمم.ويريد أن يقول:إن هذه «البقية» قد دخلت مع النصارى، فى الإيمان بيسوع ربا مصلوبا.وهم قد دعوا الأمم إلى الإيمان.

والرد عليه :هو أن « البقية » تدخل بعد يوم الرب ، علي يد « محمد » اليوم العظيم والمخوف ، فى ملكوت الله . ولم يكن يوم الرب على يد المسيح عيسى عليه السلام فإنه كان يقول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله »

وبعد نص إشعياء هذا يتحدث عن النبى الآتى ، فيقول : إنه « يحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » ثم يتحدث عن السلام فى أيامه بأساليب مجازية تشبيهية . فيقول : « ولذته تكون فى مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه . ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه. فيسكن الذئب مع الخروف . . لا يسوءون ، ولا يفسدون فى كل جبل قدسى؛ لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب، كما تغطى المياه البحر » [إش ١١ : ٢ ـ]

وهو لا يقصد ظواهر الألفاظ. لا يقصد أن الذئب يسكن مع الخروف ، وينسى كل واحد منهما طبعه . وإنما هو يقصد المعنى الكنائى. وهو أنه فى ملكوت النبى الآتى سيحل السلام محل الخصام ، ويكثر الخير ، ويعم النفع، ولن يفسد أحد فى المدينة المقدسة « مكة » ولا فى بيت الله المقدس « الكعبة » وسيكون الجميع متعلمين من الله .

ب ـ والنص الثانى هو : « لولا أن رب الجنوب أبقى لنا بقية صغيرة ، لصرنا مثل سدوم ، وشابهنا عمورة » [إش ١ : ٩]

يقول إشعياء قبله: « اسمعى أيتها السموات ،وأصغى أيتها الأرض ؛ لأن الرب

يتكلم: ربيت بنين ونشأتهم ، أمّا هم فعصوا على . الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف. شعبى لا يفهم . . . الخ » [إش ١ : ٢ -]

وواضح منه : أنه يتكلم عن شعب سيخلفه شعب . والشعب القديم لولا أن فيه « بقية » صالحة ؛ لأهلكه الله ، كما أهلك قريتى قوم لوط . وهما « سدوم » و « عمورة »

ج - والنص الثالث هو : « لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ، ولاة هذا الشعب ، الذى فى أورشليم ؛ لأنكم قلتم : قد عقدنا عهدا مع الموت ، وصنعنا ميثاقا مع الهاوية ، السوط الجارف إذا عبر لايأتينا ؛ لأننا جعلنا الكذب ملجأنا ، وبالغش استترنا .

لذلك هكذا يقول السيد الرب : ها أنذا أؤسس فى صهيون حجرا ، حجرامتحان ، حجر زاوية كريما . أساسا مؤسسا . من آمن ؛ لا يهرب . وأجعل الحق خيطا ، والعدل مطمارا ، فيخطف البرد ملجأ الكذب ، ويجرُف الماء الستارة ، ويمحى عهدكم مع الموت، ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية . . » [إش ٢٨ : ١٤ -]

يريد أن يقول : إن سفهاء بنى إسرائيل قد قالوا : إننا تحالفنا مع الموت ؛ أن لا نموت . وقد استجاب لنا ؛ فلن نموت ، ولن نكون فى الهاوية . ولن تؤثر فينا السياط . وذلك لأننا أتقنا الكذب إتقانا محكما ، وتردينا برداء الغش . وبالكذب والغش ننجو من الموت والهاوية وضرب السياط. ويقول الله : إننى سأقيم لكم نبيا، على غير رغبتكم فى جنسه ، وسيكون قويا جدا . وبالعدل سيؤديكم . وتحالفكم مع الموت أنه لن يأتيكم ، سينقض هو هذا التحالف ، ويقرب الموت منكم .

وما قاله إشعياء قاله داود من قبله. فقد عبر عن نسل إسماعيل المحتقر فى أعين بنى إسرائيل بأنه الحجر الذى لابد منه . مع أنه فى نظر البناءين مرفوض . وقاله عيسى عليه السلام وزاد عليه : أن من سقط على هذا الحجر ؛ يترضض ، ومن سقط هو عليه ؛ يسحقه . أى إذا قصد قوما بسوء ؛ أهلكهم . وهم إذا قصدوه بسوء ، قضى عليهم فى دياره . يقول داود عليه السلام :« الحجر الذى رفضه البناءون ؛ قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا » [مز ١١٨ متى ٢١]

وماذا يريد بولس من هذه النبوءة ؟ ما هى نيّته ؟ يريد : أن الإيمان بالمسيح ربا مصلوبا ، يكفى فى الدخول فى جماعة الرب . وهذا لا يثبت من النص . فإنه يظهر هلاك اليهود الكذابين والغشاشين - مع أنهم مؤمنين بالله - إذا لم يقبلوا النبى الآتى، على يد النبى الآتى . والذين رفضوا الإيمان بيسوع المسيح ؛ لم يهلكهم يسوع المسيح . والذين رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ أهلكهم محمد ﷺ كذلك يشهد التاريخ . فالنص لا يشهد لبولس .

الاقتباس الثامن :

الله رب العالمين

نص الإنجيل :

« أيها الإخوة إن مسرة قلبى وطلبتى إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص . لأنى أشهد لهم: أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة . لأنهم إذا كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله . لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن . لأن موسى يكتب فى البر الذى بالناموس: إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها. وأما البر الذى بالإيمان فيقول هكذا : لا تقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى: ليحدر المسيح . أو من يهبط إلى الهاوية أى: ليصعد المسيح من الأموات . لكن ماذا يقول ؟ الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك. أى: كلمة الإيمان التى نكرز بها . لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع(١) وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات؛ خلصت . لأن

---

(١) نص كلام النصارى فى الأقانيم من كتب البروتستانت :

أقنوم الآب :

« نؤمن بأن الآب هو الأقنوم الأول فى اللاهوت فى رتبة الوظيفة والعمل ، وأنه بكيفية لا تدرك هو الآب للابن الوحيد بالولادة الأزلية . وأنه منه ومن الابن ؛ ينبثق الروح القدس . وأنه فى وحدة وشركة متبادلتين مع الابن والرو ح القدس ، وأنه المبدع الأصلى فى الخلق والفداء .

تفوق إحسانه العام ؛ فأعدّ لهم خلاصا مشتركا كلفه تضحية ذاتية لا يعبر عنها وأن الناس مع كونهم خطاة، وقد فقدوا امتيازات البنوية ، وأنكروا التزاماتها إلا أنه لا يزال موجودا فيهم آثار صورة أبيهم السماوى، ولا يزالون يتمتعون بنصيب فى عنايته وجوده .

نؤمن بأبوة الله بمعنى ممتاز بالنسبة لأولئك الذين يصيرون أولادا له ، بالتجديد والتبنى ، والذين يلبون نداء محبته ، بروح البنوة ، وأنه بعلاقته الأبوية ، مع هؤلاء يتمم رغائبه نحو البشر . وأنه يرحب بهم للدخول فى الشركة معه ، ويجعلهم شركاءه فى قداسة ويتمم لهم قصده الصالح فى كل ما يختص بخيرهم الزمنى والأبدى »

أقنوم الابن :

« نؤمن بأن الرب يسوع هو ابن الله الأزلى ، ببنوة طبيعية ضرورية كائنة فى جوهر اللاهوت . وأنه بمحض اختياره أخلى نفسه من مجده وجلاله الإلهيين ، وصار إنسانا باتخاذه لذاته جسدا حقيقيا ونفسا حقيقية بلا خطية. إذ حبل به بقوة الروح القدس وولد من مريم العذراء ، وأنه لذلك إله حق وإنسان حق ، ذو طبيعتين كاملتين متميزتين ـ اللاهوت والناسوت ـ متحدين فى أقنومه الواحد لا تفترقان ألبتة ، وأنه بصفته الإله المتأنس هو الوسيط الوحيد بين الله والناس الذى به وحده ينبغى أن نخلص .

وتؤمن بأن الرب يسوع المسيح ؛ مسح بالروح القدس ؛ ليكون لنا نبيا وكاهنا وملكا كاملا أبديا وأنه أعلن إرادة الله ومشورته وأنه لأجل فدائنا أكمل كل بر بطاعته المقدسة وبذبيحته الكفارية لأجل خطية العالم . وأنه بعد موته على الصليب ودفنه ، قام من الأموات بجسده ، وصعد إلى السماء حيث يشفع فى شعبه على =

القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص . لأن الكتاب يقول : كل من يؤمن به؛ لا يخزى . لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به . لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به ؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن لم يرسلوا ؟ كما هو مكتوب : ما أجمل أقدام المبشّرين بالسلام المبشرين بالخيرات. لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. لأن إشعياء يقول : يا رب من صدق خبرنا. إذاً الإيمان بالخبر. والخبر بكلمة الله . لكننى أقول : ألعلهم لم يسمعوا ؟ بلى . إلى جميع الأرض خرج صوتهم . وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم . لكنى أقول : ألعل إسرائيل لم يعلم ؟ أولا موسى يقول : أنا أغيركم بما ليس أمة . بأمة غبية أغيظكم . ثم إشعياء يتجاسر ويقول : وُجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عنى . أما من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار بسطت يدى إلى شعب معاند ومقاوم » [رو ١٠ : ١ ـ ٢١]

البيان :

الأحكام الشرعية فى التوراة ٦١٣ حكما :

ولو فرضنا أن الأحكام الشرعية فى التوراة عشرة أحكام . والعاشر هو قبول النبى

= الدوام ، وأنه حال فى المؤمنين ساكن فى قلوبهم ، مانح لهم جدة الحياة والقوة ، جاعلا إياهم شركاء فيه وفى ماله ، وأنه جالس عن يمين الله ، رأسا لكنيسته وملكوته وله سلطان على جميع المخلوقات العاقلة وغير العاقلة ، وأنه سيأتى ثانية فى مجده ليبطل الشر ويرد كل شىء »

أقنوم الروح القدس :

« نؤمن بأن الروح القدس كائن ذو شخصية حقيقية. وهو الأقنوم الثالث فى اللاهوت ، منبثق من الآب والابن يؤمن به ، ويحب ويطاع ويعبد مع الآب والابن ، وأنه اشترك فى عمل الخلق وهو رب كل حياة ومعطيها ، وأنه حاضر مع البشر فى كل مكان ليرغبهم فى عمل الخير ، ويمنعهم عن الشر. وأنه تكلم بالأنبياء والرسل، وأوحى إلى جميع كتبة الأسفار المقدسة؛ ليعصمهم عن الخطأ فى تدوين فكر الله وإرادته وأنه قد كانت له علاقات خاصة مع الرب يسوع. إذ بقوته اتخذ ابن الله طبيعتنا بدون أن يتدنس بالخطية ، وبإرشاده وبمعونته وبتعضيده تمم المخلص عمله كوسيط وأنه إليه موكولة خدمة الإنجيل بكيفية خاصة فصحبها بقوته المقنعة ويفعل برسالته فى عقول الناس وضمائرهم حتى لا يبقى عذر للذين يرفضون الرحمة المقدمة لهم فيها.

ونؤمن بأن الروح القدس هو العامل الوحيد الفعال فى تخصيص الفداء . إذ يبكت الناس على الخطية ، وينيرهم فى معرفة الحقائق الروحية ، ويسوقهم للإصغاء إلى دعوة الإنجيل ، ويتحدهم بالمسيح ويسكن فيهم بصفته مصدر الإيمان والقداسة والتعزية والمحبة . وأنه يمكث فى الكنيسة كشخص جاعلا فرائضها فعالة مانحا أعضاءها مواهب ونعما متنوعة داعيا خدامها وماسحا إياهم للخدمة المقدسة مؤهلا سائر الموظفين لعملهم الخاص وأنه به تحفظ الكنيسة وتبنى وتمتد فى كل العالم وتتمجد أخيرا فى السموات مع المسيح »

[من دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر سنة ١٩٨٥ مطبعة دار نوبار بالقاهرة]

الآتي ، علي مثال موسي . فإن الحكم الذى لم يعمل به أحد ، لا من بنى إسرائيل ولا من الأمم ؛ هو حكم السماع من النبى الأمى الآتى على مثال موسى ، المكتوب عنه: «يقيم لك الرب إلهك : نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون» وإذا ظهر، وآمن به أحد، وسمع كلامه ؛ فإنه يكون قد أكمل العمل بأحكام التوراة الشرعية. وعلى هذا المعنى. فإن تمام شريعة موسى وغايتها وكمالها ؛هو الإيمان بالنبى الأمى الآتى ،الملقب عندهم بالمسيح أو بالمَسِيّـا . وهو معنى قول عيسى عليه السلام للحواريين: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس؛ حتى يكون الكل» أى: تمام الشريعة وغايتها هي : الإيمان بالنبى المكتوب فيها .

ويريد اليهود أن يكون هذا النبى الأمى منهم ، لا من بنى إسماعيل ـ المبارك فيه ـ مع أن الفَرِّيسين منهم يغارون على الشريعة. وهذا تناقض ، إذ كيف يغارون على الشريعة. وهم يحرفونها؟ وقول بولس: إن غاية الشريعة هى السماع من المسيح ـ الذى هو النبى الأمى الآتى ـ هو قول صحيح،لو كان يعنى به « المسيح » محمد، المنتظر المعهود. ولكنه يعنى به ههنا الإيمان بيسوع ربا مصلوبا. وهل تنبأت التوراة بيسوع المسيح ربا مصلوبا؟ وهل الإيمان به،يكمل العمل بكل أحكام التوراة؟لو كان الإيمان به يكمل العمل بها. فما هى الشريعة التى أتى هو بها؛ليسمع لها بنو إسرائيل؟ولماذا قال: «ما جئت لأنقض الناموس» ؟

ثم إنه حرف معنى نص من كتاب موسى ، يدل على أن الله قد خلق الإنسان حرا . والمسيح عيسى نفسه ـ فى رواية بَرنابا ـ قد دلل به على الحرية . وبماذا فسر بولس كلمة الله ؟ فسرها بالإيمان بالمسيح ربا مصلوبا .

وفسر بولس البر بأنه أ ـ إما البر بالعمل بالشريعة ب ـ وإما البر بالإيمان. واستدل على البر بالإيمان بقوله : « إن هذه الوصية. . الخ » وقد رددنا عليه بقولنا: إنها . فى الإيمان والأعمال معا . واستدل هو على البر بالشريعة بقوله : « إن الإنسان الذى يتمها يحيا بها » وقولُه: « وقد كتب موسى فى البر الآتى من أحكام الشريعة : «إن الإنسان الذى يتمها ؛ يحيا بها » أخذه من سفر اللاويين ١٨ : ٥ وتفرقته بغير دليل. فإن من يلتزم بشريعة، يكون مؤمنا بمنزلها، وبما يترتب على عمله بها. فالبر بالإيمان بدون شريعة غير مقبول، والبر بالشريعة بدون إيمان غير مقبول.

وقوله : « فقد ورد فى الكتاب : « من آمن به ؛ لا يخزى » يقصد بالكتاب سفر إشعياء ٢٨ : ١٦ ويقصد بالنص المقتبس : اللّغو فى نبوءة من نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى . وهى : « لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ، ولاة هذا الشعب ،

الذى فى أورشليم ؛ لأنكم قلتم : قد عقدنا عهدا مع الموت ، وصنعنا ميثاقا مع الهاوية. السوط الجارف إذا عبر، لا يأتينا؛ لأننا جعلنا الكذب ملجأنا، وبالغش استترنا. لذلك هكذا يقول السيد الرب : ها أنذا أؤسس فى صهيون حجرا. حجر امتحان، حجر زاوية كريما، أساسا مؤسسا. من آمن؛ لا يهرب. وأجعل الحق . . . الخ »

وسبق ذكره .

وأما عن اقتباسه من سفر يوئيل. وهو : « فكل من يدعو باسم الرب؛ ينال الخلاص » [يوئيل ٢ : ٣٢ العبرى ٣ : ٥ اليونانى] فإنه حرف معنى الخلاص . إلى خلاص من الخطايا . ولقب يسوع بلقب « الرب » وفى التوراة : أن الرب هو الله وحده . وأن الخلاص هو من ذل الأجانب على يد النبى المنتظر . لا الخلاص من الخطايا . وبطرس فى سفر الأعمال ٢ : ٢١ اقتبسه أيضا للتدليل به على أن النبى الأمى الآتى هو يسوع . ونص يوئيل هو نفسه نص المزمور السادس والثمانين . الآية الخامسة . وغرض يوئيل هو : أنه سوف يأتى يوم للرب وهو يوم عسير على كل سكان الأرض وهو قريب . و« شعب كثير وقوى ، لم يكن نظيره منذ الأزل ، ولا يكون أيضا بعده، إلى سنى ، دور فدور » وهم شعب النبى الأمى المماثل لموسى « ولا تكون منه نجاة » ـ « منه ترتعد الشعوب » ويصف المعركة الحربية بينه وبين اليهود ومن يواليهم فى مدينة « أورشليم » بقوله : « يجرون كأبطال . يصعدون السور كرجال الحرب ، ويمشون كل واحد فى طريقه ، ولا يغيرون سبلهم ، ولا يزاحم بعضهم بعضا . يمشون كل واحد فى سبيله . وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون . يتراكضون فى المدينة ، يجرون على السور ، يصعدون إلى البيوت ، يدخلون من الكوى كاللص . قدامه ترتعد الأرض ، وترجف السماء . الشمس والقمر يظلمان ، والنجوم تحجز لمعانها . والرب يعطى صوته أمام جيشه . إن عسكره كثير جدا ؛ فإن صانع قوله قوى ؛ لأن يوم الرب عظيم ومخوف جدا . فمن يطيقه ؟ »

ثم يقول يوئيل : إن غضب الله شديد فى هذا اليوم المخوف . وعلى من يريد أن ينجو من غضبه ويخلص؛ أن يؤمن بالنبى، وأن ينضم إلى صفوف أتباعه « تتحول الشمس إلى ظلمة ، والقمر إلى دم ، قبل أن يجىء يوم الرب العظيم والمخوف ، ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ؛ ينجو » وهذا كله تعبير مجازى ، كناية عن هول المعركة . ويقول بطرس : إن هذا قد حدث فى يوم الخمسين ، والنص كله يظهر معركة حربية شديدة . ولم يظهر يسوع فى معارك حربية . ولم يكن في يوم الخسين معارك حربية [اع ٢]

وقد عبر داود عن هذا المعنى . فقال على لسان النبى الأمى الآتى : « أمل يا رب أذنك . استجب لى ؛ لأنى مسكين ، وبائس أنا . احفظ نفسى ؛ لأنى تقى . يا إلهى

خلص أنت عبدك ، المتكل عليك . ارحمنى يا رب ؛ لأننى إليك أصرخ اليوم كله . فرح نفس عبدك ؛ لأننى إليك يارب أرفع نفسى ؛ لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك . اصغ يا رب إلى صلاتى ، وأنصت إلى صوت تضرعاتي . فى يوم ضيقى أدعوك ؛ لأنك تستجيب لى . **لا مثل لك بين الآلهة يا رب . ولا مثل أعمالك** . كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ، ويمجدون اسمك ؛ لأنك عظيم أنت وصانع عجائب . **أنت الله وحدك** .

علمنى يا رب طريقك ، أسلك فى حقك . وحِّد قلبى لخوف اسمك . أحمدك يا رب إلهى من كل قلبى وأمجد اسمك إلى الدهر ؛ لأن رحتمك عظيمة نحوى ، وقد نجيت نفسى من الهاوية السفلى . اللهم . المتكبرون قد قاموا على ، وجماعة العتاة طلبوا نفسى، ولم يجعلوك أمامهم . أما أنت يا رب فإله رحيم ورءوف . طويل الروح وكثير الرحمة والحق . التفت إلى وارحمنى . أعط عبدك قوتك وخلص ابن أمتك . اصنع معى آية للخير . فيرى ذلك مبغضى ؛ فيخزوا ؛ لأنك أنت يا رب أعنتنى وعزيتنى » [مزمور ٨٦]

وهذا المزمور لا يدل على عيسى عليه السلام ويدل على محمد ﷺ فإنه دعا الله فى يوم ضيقه من أعدائه ، ونصره الله عليهم .

واقتباسه من إشعياء : « ما أحسن أقدام الذين يبشرون » [إش ٥٢ : ٧]

سبق لبولس أن اقتبسه فى رومية ١ : ١ وهو نص فى التبشير بالنبى الآتى على مثال موسى ، ويريد بولس أن يطبقه على يسوع المسيح . بمعنى : أن الناس يبشرون به ربا مصلوبا مكفرا عن الذنوب والآثام . مع أن مرقس عكس رأيه وقال : إن يسوع المسيح كان يبشر بغيره هو والمعمدان. وصدر إنجيله بقوله : « بدء بشارة يسوع المسيح» ـ « وبعد اعتقال يوحنا ؛ جاء يسوع إلى الجليل يعلن بشارة الله ، فيقول : حان الوقت واقترب ملكوت الله ؛ فتوبوا وآمنوا بالبشارة » [مر ١ : ١٤ ـ ١٥] « لنذهب إلى مكان آخر ، إلى القرى المجاورة لأبشر فيها أيضا ؛ فإنى لهذا خرجت ، وسار فى الجليل كله يبشر فى مجامعهم » [مر ١ : ٣٨ ـ ٣٩] وضرب مثلا للملكوت الله ـ جاء ذكره فى القرآن الكريم ـ ونصه : « وقال : بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل نمثله؟ إنه مثل حبة خردل . فهى حين تزرع فى الأرض ، أصغر سائر البذور التى فى الأرض. فإذا زرعت ، ارتفعت وصارت أكبر البقول كلها ، وأرسلت أغصانا كبيرة ، حتى إن طيور السماء تستطيع أن تعشش فى ظلها » [مر ٤ : ٣٠ ـ ٣٢ ودا ٤ : ٩ و ١٨]

« وأتوه بأطفال ليضع يديه عليهم ، فانتهرهم التلاميذ. ورأى يسوع ذلك ، فاستاء. وقال لهم : دعوا الأطفال يأتون إلىّ، لا تمنعوهم ؛ فلأمثال هؤلاء ؛ ملكوت الله . الحق

أقول لكم : من لم يقبل ملكوت الله مثل الطفل ؛ لا يدخله » [مر١٠ : ١٣ - ١٦]

ومن هذه النصوص يتبين : أن عيسى - عليه السلام - كان يبشر بغيره ، لا بنفسه . وهذا الغير قد لقبه إشعياء بعبد الرب، وبين: أن سيكون له ملك عظيم جدا ، وأن الله سينصره على أعدائه. وبولس يريد اللغو فى نبوءة إشعياء ، وفى تبشير عيسى بمحمد ﷺ بقوله : إن عيسى كان يبشر بنفسه، وأنه هو عبد الرب، فى نبوءة إشعياء . والأوصاف لا تشهد بصحة قوله . يقول إشعياء: «ما أجمل على الجبال قدمى المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك إلهك. صوت مراقبيك. يرفعون صوتهم، يترنمون معا؛ لأنهم يبصرون عينا لعين، عند رجوع الرب إلى صهيون. أشيدى، ترنمى معا يا خرب أورشليم ؛ لأن الرب قد عزى شعبه، فدى أورشليم. قد شمر الرب عن ذراع قدسه، أمام عيون كل الأمم . فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا .

وقول بولس فى النص: «لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل؛ لأن إشعياء يقول: «يارب من صدّق خبرنا» هو اقتباس من التوراة من نبوءة العبد المتألم من إعراض الناس عن دعوته. وهو محمد ﷺ وغرضه من هذا الاقتباس: هو وضع نبوءة العبد المتألم على عيسى عليه السلام وغرضه باطل. وذلك لأن النبوءة تتحدث عن صفتين للعبد: الأولى: أنه سيكون نبيا م لكا. والأخرى: أنه سيكون متواضعا ورحيما. ويقول اليهود فى كتبهم: إن النبى الأمى الآتى وهو العبد المتألم ستحقق فيه هاتين الصفتين. صفة الملك وصفة الرحمة. ومما فى النبوءة عن الصفة الأولى: «هو ذا عبدى يعقل. يتعالى ويرتقى ويتسامى جدًا» - «من صدق خبرنا؟ ولمن استُعلنت ذراع الرب؟» كناية عن شدته في الحروب على ا لكفار» «ومسرة الرب بيده تنجح» - «لذلك أقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة» ومما فى النبوءة عن الصفة الأخرى: «وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين» - «لكن أحزاننا حملها» والعبد المتألم : [إش ٥٢ : ٣١ +] هو نفسه العبد المسالم فى قول إشعياء: «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم. لايصيح ولا يرفع ولايسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لايقصف، وفتيلة خامدة لايُطفئ إلى الأمان يخرج الحق. لا يكلّ ولاينكسر؛ حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته . . . » [إش ٤٢ : ١ +] وفى نبوءة العبد المتألم «وشِفع فى المذنبين» وهو دلالة على أن محمدا ﷺ هو المختص بالشفاعة فى أمته فى يوم القيام

● ● ●

وقول بولس « لكننى أقول: ألعلهم لم يسمعوا؟ بلى. إلى جميع الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم». هو اقتباس من التوراة من نبوءة عن محمد ﷺ

فى سفر الزبور ١٩ بريد أن يبعدها عنه .

المزمور التاسع عشر*

«السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاما وليل إلى ليل يبدى علما. لا قول ولا كلام. لايُسمع صوتهم. فى كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقاصى المسكونة كلماتهم. جعل للشمس مسكنا فيها. وهى مثل العروس الخارج من حَجضلته. **يبتهج مثل الجبار للسباق فى الطريق**. من أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها. ولا شئ يختفى من حرها .

ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيما. وصايا الرب مستقيمة تُفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقىّ ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها. أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشّهاد. **أيضا عبدك يحذر بها**، وفى حفظها ثواب عظيم. السهوات من يشعر بها. **من الخطايا المستترة أبرئنى. أيضا من المتكبرين احفظ عبدك؛ فلا يتسلطوا علىّ**. حينئذ أكون كاملا، وأتبرأ من ذنب عظيم. **لتكن أقوال فمى**، وفكر قلبى مرضية أمامك . يارب صخرتى **ووليى**» [مز ١٩]

البيـــــان

هذه النبوءة عن النبى الأمى الاتى إلى العالم. من يعلم أنها نبوءة؟ وذلك لأن بولس. لم يفصح عن نبوءة. يقول بذلك شارحو كلامه. فهل هذه النبوءة تدل على غرضه. وهو أن دعاة الإنجيل قد بلغوا اليهود أن عيسى هو النبى الاتى إلى العالم. وأن اليهود رفضوه بعدما بلغتهم الدعوة؟ إنها لاتدل على غرضه. وذلك لأن النبى يقول : ﴿إن ولى الله الذى نزل التاب. وهو يتولى الصالحين﴾ يقول: «يارب صخرتى وولى» ويصف الكتاب بقوله: «ناموس الرب كامل يرد النفس» وتكلم بصيغة الالتفات «يبتهج» هذا النبى «مثل الجبار» كناية عن أن سيحارب أعداءه «للسباق فى الطريق» ويبن أن العاملين بالكتاب سيبصرون» أمر الرب طاهر ينير العينين» وبين أنه أمى لايقرأ ولايكتب بقوله: «لتكن أقوال فمى»

وقول بولس: «لكنى أقول: ألعلّ إسرائيل لم يعلم؟ أوّلا: موسي يقول: «أنا أُغيركم بما ليس أمّة. بأمة غبية أغيظكم»

هو اقتباس من نشيد موسى [تث ٣٢] وفيه: أن اليهود أغاظوا الله بعبادة الأوثان، فلذلك رفضهم من السير أمامه، وأغاظهم بسلب الملك منهم والنبوة وإعطائهما لأمة أمية. وليست هذه الأمة الأمية إلا أمة بنى إسماعيل؛ لأن له بركة. وبولس يقول: إن هذه الأمة

هى الأمم الوثنية وفى مقدمتها روما. وهل ظهر من روما نبى لتبدأ به بركة، ولتنتهى به بركة؟

وسيأتى البيان :

وقول بولس: «ثم إشعياء يتجاسر ويقول: وُجدت من الذين لم يطلبونى، وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عنى. أما من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار بسطت يدى إلى شعب معاند ومقاوم»

هو اقتباس من إشعياء ٦٥ وهو واضح الدلالة فى رفض الله النبى إسرائيل من السير أمامه. ونصه: «أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبونى. قلت: هأنذا هأنذا لأمّة لم تسمّ باسمى. بسطتُ يدىّ طول النهار إلى شعب متمرد، سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يغيظنى بوههى دائما. يذبح فى الجنات، ويبخر على الآجر، يجلس فى القبور» إلى أن قال: «أما أنتم الذين تركوا الرب، ونسوا جبل قدسى، ورتّبوا للسعد الأكبر مائدة. وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة؛ فإنى أعينكم للسيف، وتجثون كلكم للذبح؛ لأنى دعوت فلم تجيبوا. تكلمت فلم تسمعوا، بل عملتم الشر فى عينى الرب، واخترتم مالم أُسرّ به. لذلك هكذا قال السيد الرب: هو ذا عبيدى يفرحون وأنتم تخرجون. هو ذا عبيدى يترغّون من طيبة القلب، وأنتم تصرخون من كآبة القلب، ومن انكسار الروح تولولون، وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى. فيميتك السيد الرب، ويسمى عبيده اسما آخر . . .» (إش ٦٥: ١ +]

البيـــــان:

يقول مفسرو الإنجيل: إن اليهود عبدوا صنم «مناة» وهو صنم يرمز إلى كوكب الزهرة، وعبدوا صنم «جاد» وهو صنم يرمز إلى كوكب المشترى/ .

وفى الكتب المقدس دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط ١٩٩٥ تحت «السعد الأكبر» عبارة لجاد. وهو المشترى. وتحت «السعد الأصغر» عبارة لَمَنى. وهو الزهرة. وفى كتب التفاسير: أن جاد هو إله الحظّ. وواضح من النص أنه يتكلم عن أمة ملعونة، وأمة مختار. ذلك قوله: «وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى» والمختارة هى أمة بنى إسماعيل؛ لأن له بركة. وفى غير تفاسير الإنجيل: أن صنم «العزّى» رمز للزهرة. وما يزال لهذا الصنم هيكل فى نواحى سوريا .

الاقتباس التاسع:

قست قلوبكم

يقول بولس: «فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السرّ. لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء. إن القادة قد حصلت جزئيا لإسرائيل، إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل. كما هو مكتوب: سيخرج[1] من صهيون المنقذ، ويرد الفجور عن يعقوب. وهذا هو العهد من قِبَلى لهم متى نزعت خطاياهم. من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم . وأما من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء . لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة . فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء. هكذا هؤلاء أيضا الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضا برحمتكم . لأن الله أغلق على الجميع معا فى العصيان لكى يرحم الجميع .

يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا ؟ أو من سبق فأعطاه فيكافأ ؟لأن منه وبه وله كل الأشياء .له المجد إلى الأبد . آمين » [رو ١١ : ٢٥ ـ ٣٦]

البيان :

يقول بولس:«إن قساوة القلب التى أصابت قسما من إسرائيل؛ ستبقى ، إلى أن يدخل الوثنيون بكاملهم. وهكذا ينال الخلاص إسرائيل بأجمعه » وفى ترجمة أخرى : «إن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل ، إلى أن يدخل مِلؤ الأمم . وهكذا سيخلص جميع إسرائيل »

يقول بعض المفسرين: «يعسر توضيح معنى هذه العبارة» وليس معناها بغامض عند عارفى النبوءات عن النبى الآتى. وذلك لأنه يتحدث عن قساوتين: قساوة جزئية وقساوة كاملة. فالقساوة الجزئية تكون من قبل مجىء النبى الآتى. والقساوة الكاملة تكون من بعد مجيئه .

والقساوة الجزئية حصلت من بعض بنى إسرائيل . فإنهم قد حرفوا التوراة فى شأن النبى الآتى ؛ لئلا تظهر منها أوصافه بوضوح . ومع ذلك آمن البعض منهم ببشارة عيسى به . والقساوة الكاملة حصلت من كل بنى إسرائيل بعد ظهور النبى الآتى ، ولم يعترفوا به. ولقب « ملؤ الأمم » هو لقب للنبى الآتى ، وهو يعادل لقب « مشتهى كل الأمم » عند حجى ٢ :٧ فقد قال حَجَّى ـ على لسان الله تعالى ـ : « وأزلزل كل الأمم ، ويأتى مشتهى كل الأمم ؛ فأملأ هذا البيت مجدا . قال رب الجنود . لى الفضة ولى الذهب . يقول رب الجنود . مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود . وفى هذا المكان أعطى السلام . يقول رب الجنود » [حجى ٢ : ٧ ـ ٩]

---

(١) يشير بالمكتوب إلى إشعياء ٥٩ : ٢٠ ومزمور ١٤ : ٧ .

«ومشتهى كل الأمم» فسره عيسى بـ «محمد» فى إنجيل بَرنابا. فيكون «ملؤ الأمم» هو محمد. عند بولس. ولم يصرح به.

ويقول بولس : ستظل القساوة جزئية من البعض ، إلى أن يدخل فى الوجود «مِلؤ الأمم » وإذا دخل، وآمنوا به ؛ فإنهم سيخلصون من ذل الأجانب على يديه، وإذا دخل ولم يؤمنوا به ؛ يكونون فى قساوة كلية ، ولن يخلصوا من الذل إذا رفضوه .

وهل سيكون « ملؤ الأمم » من بنى إسرائيل أم من بنى إسماعيل؟ يقول بولس: إنه سيكون من بنى إسرائيل . وهو يسوع المسيح . وهو يعلم : أن يسوع المسيح لم يكن منقذا، فإنه قد رفع فى المجد ، وأهل الروم جاثمين على صدورهم ، يسومونهم سوء العذاب .

والنص الذى اقتبسه من التوراة هو : « ويأتى الفادى إلى صهيون ، وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب » [إش ٥٩ : ٢٠] ونص كلامه هو : « سيخرج من صهيون المنقذ » وفى ترجمة أخرى : « من صهيون يأتى المنقذ »

انظر إلى عبارة التوراة وهى : أن الفادى وهو المنقذ والمخلص ، سيأتى إلى صهيون . أى ليس هو من صهيون . أى ليس هو من اليهود وبولس حرف الترجمة فقال : إنه سيخرج من صهيون .

وقد سبق الكلام فى هذا النص .

ويقول بولس : « ما أبعد غور غنى الله وحكمته وعلمه ، وما أعسر إدراك أحكامه ، وتبين طرقه . فمن الذى عرف فكر الرب ؟ أو من الذى كان له مشيرا ؟ » قوله هذا اقتباس بالمعنى من سفر إشعياء ٤٠ : ١٣ وهو : « من قاس روح الرب ؟ ومن مشيره ؛ يعلمه ؟ » وقوله : « ما أبعد غور غنى الله وحكمته وعلمه ، وما أعسر إدراك أحكامه ، وتبين طرقه » هو اقتباس بالمعنى ، من المزمور ١٣٩ : ٦ وهو : « عجيبة هذه المعرفة . فوقى ، ارتفعت . لا أستطيعها »

وهما نبوءتان عن النبى الأمى الآتى :

النبوءة الأولى: أما عن نبوءة إشعياء :

وهى: « عزّوا. عزوا. شعبى . يقول إلهكم . طيّبوا قلب أورشليم ، ونادوها : بأن

جهادها قد كمل . أن إثمها قد عفى عنه . أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها . صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب . قوِّموا فى القفر سبيلا لإلهنا. كلّ وطاء يرتفع . وكل جبل وأكمة ينخفض،ويصير المعوج مستقيما، والعراقيب سهلا . فيعلن مجد الرب ، ويراه كل بشر جميعا؛ لأن فم الرب تكلم .

صوت قائل: نادى. فقال: بماذا أنادى؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب. ذبل الزهر. لأن نفخة الرب هبت عليه. حقا. الشعب عشب. يبس العشب، ذبل الزهر. **وأمّا كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد** . على جبل عال . اصعدى يا مبشرة صهيون. ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. ارفعى. لا تخافى. قولى لمدن يهوذا: هو ذا إلهك. هو ذا السيد الرب بقوة؛ يأتى. وذراعه تحكم له. هو ذا أجرته معه. وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفى حضنه يحملها، ويقود المرضعات. من كال بكفه المياه ، وقاس السموات بالشّبر، وكال بالكيل تراب الأرض، ووزن الجبال بالقبان، والآكام بالميزان؟ من قاس روح الرب؟ ومن مشيره ؛ يعلمه؟ من استشاره؛ فأفهمه، وعلمه فى طريق الحق، وعلمه معرفة، وعرفه سبيل الفهم؟ هو ذا الأمم كنقطة من دلو، وكغبار الميزان؛ تحسب. هو ذا الجزائر يرفعها كدقة، ولبنان ليس كافيا للإيقاد، وحيوانه ليس كافيا لمحرقة. كل الأمم كلا شىء قدامه. من العدم والباطل ؛تحسب عنده. فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟ . . . الخ »

البيان :

يقول إشعياء النبى لعلماء بنى إسرائيل على لسان الله تعالى: « عزّوا شعبى » بنى إسرائيل؛ لأن ملكهم سيزول قريبا من على الأمم، ولأن شريعتهم ستنقض ؛ وذلك لأن النبى الذى وعدت بمجيئه سوف يأتى، من غيرجنسهم . ونادوا بأن جهاد بنى إسرائيل فى السير أمام الله ، قد كمل . وأنا أصرخ ، ولتصرخوا معى : بأن مجد الرب الآتى مع النبى الأمى الآتى ، سوف يأتى قريبا . وفى مجيئه يعز الله من يشاء ، ويذل من يشاء . وعقد مقارنة بين كلمة الإنسان وكلمة الله . فقال : إن الإنسان يشبه عشب الأرض ، ينمو ويكبر ويكون حسنا ، ثم يذبل وتذروه الرياح . وينقطع أثره من الأرض.هو وكلمته . أما الله فإنه هو الباقى ،وكلمته مثله باقية .وتثبت إلى الأبد .

فما هى الكلمة ؟

الكلمة هى : أن الله وعد بنى إسرائيل والأمم بنبى. له يسمعون و يطيعون فى كل ما يكلمهم به . فهل سينجز وعده ؟ لابد من إنجازه ؛ لأنه إذا قال كلمة لا يرجع فيها . وفى هذا المعنى يقول يوحنا : « فى البدء كان الكلمة » أى: فى التوراة[1] [تث ١٨] كانت كلمة الله بإرسال هذا النبى ، إلى بنى إسرائيل ، والأمم . وهذا النبى هو «الكلمة» وإشعياء يقول: إن كلمة ربنا بإرسال هذا النبى ؛ تثبت إلى الأبد . أى لابد من مجيئه. ووصف مجيئه بالانتصار على أعدائه فى الحروب فقال : « هو ذا إلهك . هو ذا السيد الرب بقوة ؛ يأتى » يعنى : أن نبى إلهك سوف يأتى . ومجد الله سوف يظهر فى أيامه بقوة .

ويقول النصارى فى هذه النبوءة : إن المسيح عيسى عليه السلام هو المعزِّى ، لبنى إسرائيل فى ضياع ملكهم وشريعتهم . وعلى قولهم هذا . يكون محمدا ﷺ آتيا من بعده . وذلك لقوله هو نفســه : « وأنا أطلـب من الآب ؛ فيعطيكم معز يا آخر » [يو ١٤ : ١٦] فإن كلمة « آخر» تدل على غيره ، ولا تدل على نفسه . وهذا الآخر لابد أن يكون ظاهرا لبنى إسرائيل ؛ ليقدم لهم كلمات التعزية . وهذا على ترجمتهم بالمعـزى . فإن التـرجـمة الصحيــحة هى « أحمد » وهى فى العبرانــية : «بيراكليت » وفى اليونانية : بيراكليتوس»

ويقولون : إن الصوت الصارخ فى البرارى والقفار ؛ هو ليترقب الناس ظهور النبى الأمى المماثل لموسى . الملقب بكلمة الله . ويقولون : إن الصوت الصارخ ليس هو صوت إشَعياء ، وليس هو صوت علماء بنى إسرائيل ، بل هو صوت يوحنا المعمدان . والنبى الذى يصرخ من أجله هو المسيح عيسى عليه السلام. وقد جاء فى إنجيل برَنابا : أن عيسى عليه السلام قال: أنا أصرخ من أجل محمد ﷺ وهذا حق لأن المعمدان والمسيح عيسى قد دعوا معا باقتراب « ملكوت السموات » وهذا يدل على أن أحدهما لم يصرخ للآخر ، وإنما هما كإشعياء وعلماء بنى إسرائيل قد صرخوا لصاحب ملكوت السموات . وهو محمد ﷺ

ونبوءة المزمور المائة والتاسع والثلاثين :

فالمزمور من مزامير النبى الأمى الآتى إلى العالــم. وفيه يـقول النبى بظــهر الغيب:

---

(١) فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وعد الله بإرسال محمد ﷺ [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] والوعد : كان من الله . والكلام والكلمة بمعنى واحد. قال ابن مالك: «وكلمة بها كلام قد يُؤم» ووعده لا يتخلف . وعبر عن ذلك إشعياء بقوله : « وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد » والمراد بالكلمة : النبى محمد ﷺ لأن الله وعد به . أى: أنه سيأتى بكلمة من الله . ولأن الله وعد به من زمان قديم مضى ؛ قال يوحنا كاتب الإنجيل: « فى البدء كان الكلمة » .

« يارب قد اختبرتنى وعرفتنى . أنت عرفت جلوسى وقيامى » إلى أن تحدث عن أعدائه بقوله: « ليتك تقتل الأشرار يا ألله. فيا رجال الدماء ابعدوا عنى . الذين يكلمونك بالمكر، ناطقين بالكذب . هم أعداؤك » وطلب من الله الهداية بقوله : « واهدنى طريقا أبديا » صراطا مستقيما .

ويعلم مما تقدم : أن بولس سرق نبوءتين من نبوءات النبى الآتى ، ووضعهما على عيسى عليه السلام نبوءة من إشعياء ، ونبوءة من الزبور .

والقساوة الجزئية والقساوة الكلية. جاء عنهما فى القرآن الكريم عن بنى إسرائيل: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم ؛ لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ؛ يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به . ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، إلا قليلا منهم . فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ؛ فهى كالحجارة أو أشد قسوة . وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون . أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ؟ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ ففريق كان فى الماضى يحرف من قساوة قلبه. وكلهم فى الحاضر يرفضون النبى الآتى من قساوة قلوبهم .

وأوصى بولس بأن ما يقوله هو سر من الأسرار. ولماذا هو سرّ . والسر لا يفشى فى الكتب ؟ إنه يقول : « فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر . لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء : أن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم . وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » إنه يتكلم عن خلاص جميع إسرائيل على يد النبى ، الملقب بملء الأمم ؛ خلاص من أعدائهم ، ومن جميع المبغضين لهم . فلماذا يجعله سرا ؟ لأنه يريد أن يقنعهم بقفل باب النبوة فى وجه بنى إسماعيل عليه السلام.

* * *

وإذْ قد وصلنا إلى هذا الحد من الكلام؛ نقرأ أول إنجيل يوحنا. وهو: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان فى البدء عند الله. كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضىء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه .

كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة ليشهد للنور، لكى يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان

آتيا إلى العالم. كان في العالم، وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله.

والكلمة صار جسدا وحل بيننا، ورأينا مجده، مجدا كما لوحيد من الآب، مملوءا نعمة وحقا. يوحنا شهد له ونادى قائلا: «هذا هو الذى قلت عنه: إن الذي يأتى بعدى صار قدامى، لأنه كان قبلى». ومن ملئه نحن جميعا أخذنا، ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر.

وهذه هى شهادة يوحنا ، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولا ويين ليسألوه: «من أنت؟» فاعترف ولم ينكر، وأقر: «إنى لست أنا المسيح». فسألوه: «إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟» فقال: «لست أنا». «ألنبى أنت؟» فأجاب: «لا». فقالوا له: «من أنت، لنعطى جوابا للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟» قال: «أنا صوت صارخ فى البرية: قوِّموا طريق الرب، كما قال إشعياء النبى». وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه وقالوا له: «فما بالك تعمِّد إن كنت لست المسيح، ولا إيليا، ولا النبى؟» أجابهم يوحنا قائلا: «أنا أعمد بماء، ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه. هو الذى يأتى بعدى، الذى صار قدامى، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه». هذا كان فى بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد.

وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه، فقال: «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم! هذا هو الذى قلت عنه: يأتى بعدى، رجل صار قدامى، لأنه كان قبلى. وأنا لم أكن أعرفه. لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء». وشهد يوحنا قائلا: «إنى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء، ذاك قال لى: الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» أ. هـ .

كلمة الله هي المَسِيّا

النبي الأمي الآتي إلى العالم

وفي قول النبي إشعياء: «وأما كلمة إلهنا ؛ فتثبت إلى الأبد» [إش ٤٠ : ٨] دليل على أن الله سيرسل النبي الأُمِّي المماثل لموسى، المعبر عنه بالكلمة في موعده المحدد له من الزمان. **وقوله هذا هو دليل النصارى على أقنوم الكلمة.**

وبيان ذلك:

أن يوحنا بدأ إنجيله بقوله: « في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله» وفي ترجمة أخرى: «في البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله. والكلمة هو الله» يعني: بالكلمة: النبي الآتي إلى العالم المماثل لموسى. وذلك لأن الله وعد به في سفر التثنية في الأصحاح الثامن عشر. وهو: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا... الخ » وعبر إشعياء عن وعد الله بقوله: « وأما كلمة إلهنا ؛ فتثبت إلى الأبد» ويوحنا يصدر إنجيله بالحديث عن النبي الأمي، الذي يبشر به عيسى ـ عليه السلام ـ فيقول: إن الله تعالى في البدء، من زمان إبراهيم[1] عليه السلام وعده بمباركة الأمم في نسل إسماعيل عليه السلام وها هو ينجز وعده. بإرسال من يمهد الطريق لمجيئه.

هذا هو قصد يوحنا. وذلك لأن الكلمة العبرانية المترجمة « الكلمة » تظهر أن الكلمة مذكر، وكذلك الكلمة اليونانية المترجمة عن العبرانية، تظهر أن « الكلمة » مذكر. ولذلك لم يقل المترجم للعربية: كانت الكلمة، وإنما قال: « كان الكلمة » ويقول مفسرو النصارى: إن المراد بالكلمة: النبي الآتي، الملقب بالمسيا. والتفسير الكلداني دعا المسيا « ممرا » أي: كلمة الرب.

ومعنى قوله: « والكلمة كان لدى الله » معناها: « نحو الله » فالحرف اليوناني يدل على اتجاه نحو أحد ـ هكذا يقول مفسروهم ـ أي: أن المسيا متجه في دعوته إلى الله. أي: هو يدعو إلى الله، والله يريد منه أن يدعو إليه. فهو والله يريدان هدفا واحدا هو إنقاذ العالم من إضلال الشياطين لهم. وهذا هو معنى: « والكلمة هو الله » أي: أن النبي الآتي هو والله متحدان في الهدف. وقد أظهر عيسى عليه السلام هذا المعنى في قوله: « أنا والآب واحد » [يو ١٠ : ٣٠] وفي قوله: إنه والله والحواريون، وكل من يؤمن بدعوتهم

(١) أشار إلى ذلك المسيح عيسى في قوله: «أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي؟ فرأى و فرح» [يو ٨: ٥٦] يريد يوم ظهور المَسِيا من نسل إسماعيل. وقد قلب المحرف كلامه على نفسه .

واحد فى الهدف. أى أن المؤمنين ونبيهم وإلههم فى صف. والكافرون والشياطين والدعاة إلى عبادة الشياطين فى صف. يقول ما نصه: « كما أرسلتنى إلى العالم ؛ فكذلك أنا أرسلتهم إلى العالم. وأكرس نفسى من أجلهم؛ ليكونوا هم أيضا مكرسين بالحق. لا أدعو لهم وحدهم، بل أدعوا أيضا للذين يؤمنون بى عن كلامهم ؛ فليكونوا بأجمعهم واحدا، كما أنك فىّ، يا أبت، وأنا فيك ؛ فليكونوا هم أيضا فينا ؛ ليؤمن العالم: بأنك أنت أرسلتنى. وأنت وهبت لهم ما وهبت لى من المجد، وليكونوا واحدا كما نحن واحد. أنا فيهم وأنت فى ؛ ليبلغوا كمال الوحدة، ويعرف العالم: أنك أنت أرسلتنى. وأنك أحببتهم كما أحببتنى » [يو ١٧: ١٨ - ٢٣]

ثم يقول يوحنا عن « المسيا » وهو النّبى المماثل لموسى: « به كان كل شىء. وبدونه ما كان شىء مما كان. فيه كانت الحياة. والحياة نور الناس. والنور يشرق فى الظلمات، ولم تدركه الظلمات »

يريد أن يقول: إن النبى الأمى. به خلق الله كل شىء. فهل النبى هو الواسطة التى بها يخلق الله، أم الخلق من الله يكون بلا واسطة ؟ إنه إذا كان الخلق من الله بلا واسطة. وهذا ما تصرح به التوراة،ويصرح به الإنجيل. فإن يوحنا لا يقصد من عبارته، إلا تعظيم النبى ورفعة شأنه.

ومن نصوص التوراة على أن الله هو الخالق للعالم وحده، بلا واسطة:

« فى البدء خلق الله السموات والأرض » [تك ١: ١]

وفى التوراة: أن الله إذا أراد أمرا، يقول له: ﴿ كن فيكون ﴾ ففى المزمور الثالث والثلاثين: « بكلمة الرب؛ صنعت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها » [مز ٣٣: ٦] « لأنه قال ؛ فكان. هو أمر ؛ فصار » [مز ٣٣: ٩] « يرسل كلمته فى الأرض سريعا، يجرى قوله» [مز ١٤٧: ١٥] « يخبر يعقوب بكلمته، وإسرائيل بفرائضه وأحكامه » [مز ١٤٧: ١٩] « بالأوّليات منذ زمان، أخبرتُ. ومن فمى خرجت وأنبأت بها. بغتة صنعتها ؛ فأتت » [إش ٤٨: ٣] « يا إله الآباء. يا رب الرحمة، يا صانع الجميع بكلمتك، وفاطر الإنسان بحكمتك» [حك ٩: ١ - ٢]

ومن نصوص الإنجيل على أن الله هو الخالق للعالم وحده:

« نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى، الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » [أع ١٤: ١٥] « الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه. إذ هو رب السماء والأرض » [أع ١٧: ٢٤]

وعلى أن الله هو الخالق للعالم وحده، يكون قصد يوحنا من عبارته تعظيم النبى، ورفعة شأنه. ومثل ذلك مثل الكلام عن الحكمة. فإنه للمبالغة فى وصف منافعها؛ وصفها بأنها كانت عند الله فى الأزل. والحكمة شيء معنوى لم يكن مخلوقا من الأزل. فقد جاء فى سفر الأمثال، الأصحاح الثامن، عن الحكمة: « الرب قنانى أول طريقه. من قبل أعماله، منذ القدم. منذ الأزل مسحت، منذ البدء، منذ أوائل الأرض. إذ لم يكن غمر، أبدئت. إذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه. من قبل أن تقررت الجبال، قبل التلال أبدئت... الخ » [ام ٨: ٢٢ -] وجاء فى سفر يشوع بن سيراخ عن الحكمة: « الحكمة تمدح نفسها، وتفتخر بين شعبها. تفتح فاها فى جماعة العلى، وتفتخر أمام جنوده، وتعظم فى شعبها، وتمجد فى ملإ القديسيين، وتحمد فى جمع المختارين، وتبارك بين المباركين. وتقول: إنى خرجت من فم العلى، بكرا، قبل كل خليقة... » [سى ٢٤: ١ -] فقد بين - للمبالغة - أن الحكمة خرجت بكرا عذراء من فم الله قبل خلقه أى شيء.

ثم إن يوحنا الكاتب بعدما مجد النبى الآتى، كما تمجد الحكمة، بين أن يوحنا المعمدان شهد بأن النبى الآتى سوف يأتى من بعده. ووصفه بالنور(١). على معنى أن شريعته ستضيء للناس الطريق كما تضيء المصابيح؛ الطرق فى الليالى المظلمة؛ لئلا يهلك أحد بسبب الظلام. فقال: « ظهر رجل مرسل من لدن الله، اسمه يوحنا. جاء شاهدا؛ ليشهد للنور. فيؤمن عن شهادته جميع الناس. لم يكن هو النور، بل جاء ليشهد للنور. كان النور الحق الذى ينير كل إنسان. آتيا إلى العالم » يريد أن يقول: إن يحيى عليه السلام

(١) نظرية المثل:

تقول هذه النظرية: نحن لنا عالمان ١ - عالم خفى ٢ - وعالم منظور.

والعالم المنظور هو كل ما نراه فى الحياة الدنيا. وما نراه؛ هو صورة لنظيره فى العالم الخفى، الذى لا نعرفه إلا بالعقل. فالوردة فى الأرض صورة لوردة أجمل منها وأحسن رائحة هى فى العالم الخفى. والإنسان هو صورة لله تعالى أو للملائكة. والشمس صورة لشمس أكبر منها. وهكذا. والفرق بين ما نراه فى الدنيا، وبين نظيره فى العالم الخفى: هو أن ما فى الدنيا يتغير ويعتريه الفناء، وأن ما فى العالم الخفى أبدى وكامل وتام.

هذا عن المحسوسات. وأما عن المعنويات مثل الشجاعة والكرم والعفة، والفضيلة. فإن كل شئ معنوى نمدحه ونثنى عليه؛ يُوجد له نظير فى العالم الخفى أكمل منه. هو الذى دفعنا إلى مدحه والثناء عليه. وهذا الكمال فى كل شئ؛ يطلق عليه الخير الأعظم أو المثل العليا. وقد أُخذت هذه النظرية - فى نظرنا - من الأنبياء، وعلماء بنى إسرائيل. وذلك لأنهم كانوا من قبل سبى بابل سنة ٥٨٦ ق م. يهدون الأمم إلى الله فى كل بلاد العالم بشريعة موسى عليه السلام. وفيها: أنه من بعد الموت جنة ونار. وصوّروا ما فى الجنة بصور المسرات فى الدنيا. فالمرأة الحسناء التى لا تحل لك وأنت تشتهيها؛ لو زنيت بها. فإنك ستحرم من مثلها فى الجنة. ولو عففت نفسك عنها؛ فإنها ستكون من نصيبك فى الجنة على صورة أجمل وأكمل وأتم. والله الذى نعبده ولا نراه قد خلق الإنسان على صورته. فالله مثل الإنسان ولكنه أعلى وأجلّ وهكذا وكل ماعلموه عن الجنة أو النار، قد انطبع فى عقول الناس، حتى صار كالشئ المحسوس. لدرجة أنك لو رأيت =

= إبريقا فيه ماء ، لقلت : إنه صورة لإبريق فى العالم الآخر ، ولأن ما فى العالم الآخر أحسن مما فى الدنيا . وقد انطبعت صورته فى العقول . قال أفلاطون : إن كل ما نراه فى الدنيا ، له نظير أحسن منه فى العالم الخفى . أى: عالم العقل والذهن والخيال .

ولقد قال عن هذه المُسِرّات إشعياء النبى : « لم تر عينا إنسان ، ولم تسمع أذناه ، ولم يدرك قلب بشر ، ما أعده الله للذين يحبونه » [إش ٦٤ : ٤]

ونقلها عنه بولس فقال : « بل كما هو مكتوب : « ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » [اكو ٢ : ٩]

وأرى الله هذه المسرات لداود عليه السلام إذ يسّر له أن يبصر مجد الجنة ولذلك لما عاد إلى نفسه غطى عينيه بكلتا يديه وقال باكيا : « لا تنظرى فيما بعد إلى هذا العالم يا عينى ؛ لأن كل شئ فيه باطل ، وليس فيه شئ جيد »

وفى القرآن الكريم : إن ثمرات الفواكه ونعيم الدنيا . يوجد له نظير فى عالم الآخرة فى الجنة . ولكنه أكبر من نعيم الدنيا . يقول تعالى : ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا . قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل . وأتوا به متشابها ﴾ وقال النصارى : إن يوحنا كاتب الإنجيل كان يعرف نظرية المثل لأفلاطون ، واستخدمها فى إثبات أن المسيح صورة الله . فقال : إن الشمس نور ، والقمر نور ، والنجم نور . والله نور .

ونور الله حقيقى . أى: فى عالم العقول الخفية هو المثال الكامل للنور . وصورته فى الدنيا هى نور الشمس والقمر والنجوم ، ونور الله الحقيقى لم يكن أحد يراه . ولما أراد الله أن يرى نفسه لأهل الدنيا . اتخذ جسدا بشريا هو جسد يسوع المسيح وظهر فيه . فصار يسوع المسيح هو النور الحقيقى فى نظر الناس؛لأنه هو « الله » أو « ابن الله » بالطبيعة . هذا ما يقوله مفسرو الأناجيل للغو فى نبوة محمد ﷺ من قبل مجيئه .

والرد عليهم :

يقول الكاتب : « كان إنسان مرسل من الله ، اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ؛ ليشد للنور لكى يؤمن الكل بواسطته . لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور . كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم » [يو ١ : ٦ـ ٩]

يوحنا المعمدان قد أرسله الله تعالى ليشهد للنبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى . وهو محمد ﷺ والمعمدان لم يكن هو « النور » بل «نور» و «النور» هو غيره. فمن هو هذا الغير ؟ يقول النصارى : إنه هو يسوع المسيح . ولو كان هو ، فلماذا ناديا معا بقولهما : « اقترب ملكوت السموات » ؟

وعبر المسيح عيسى عليه السلام عن العالِم بأنه « نور » فقال للحواريين : « أنتم نور العالَم » [مت ٥ : ١٤] وقال صاحب سفر الأمثال : « أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل » [أم ٤ : ١٨] وإذا كان كل عالم يعظ ويعلّم هو نور . فإن النبى الآتى يكون هو « النور » وقال إشعياء عن محمد ﷺ : إن الله جعله نورا للأمم وأنه فى حالة ظهوره ستقوم حروب بينه وبين أعدائه ، وسينتصر عليهم . ولم يكن مع عيسى عليه السلام شريعة مستقلة عن شريعة موسى ، ولم يحارب ولم ينتصر . فالنور الحقيقى فى نص الإنجيل : هو النبى الأمى الأتى . وقد وصفه بالحقيقى تمييزا له عن مدعى النبوة . الذى يظهر ويزعم : أنه هو الذى كتب عنه موسى فى سفر التثنية . وقد ظهر أدعياء كثيرون وقُتلوا .

ومن كلام إشعياء عنه :

« اسمعى لى أيتها الجزائر ، واصغوا أيها الأمم من بعيد . الرب من البطن دعانى . من أحشاء أمى ، ذكر اسمى ، وجعل فمى كسيف حاد . فى ظل يده خبأنى وجعلنى سهما مبريا ، فى كنانته أخفانى » إلى أن قال : « فقد جعلتك نورا للأمم ؛ لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » [إش ٤٩]

قد أرسله الله ليمهد الطريق للنبى الأمى الآتى، ويشهد بأنه مرسل من الله. ثم قال: إنّ النبى الآتى: « كان فى العالم. وبه كان العالم. والعالم لم يعرفه » وهذا منه مبالغة ؛ فى مدحه، والثناء عليه. كما هى المبالغة، فى وصف الحكمة. أى نبه الله على مجيئه بالكتابة عنه فى كتاب موسى. فصارت الكتابة دالة على أنه كان فى العالم. و « به كان العالم » أى به يكون العالم فى خير وسعادة. وعبر بالماضى دلالة على تحقق مجيئه، وقربه من الظهور. أو أن المراد: هو المبالغة في تعظيمه. ولم يعرفه العالَم ؛ لأنهم ليسوا على علم به، كعلم بنى إسرائيل به.

ثم قال: « جاء إلى بيته، فما قبله أهل بيته. أما الذين قبلوه. وهم الذين يؤمنون باسمه ؛ فقد مكنهم أن يصيروا أبناء الله »

يريد أن يقول: إنه سيرفض من بنى إسرائيل، إذا جاء ؛ لقساوة قلوبهم. وسيقبل الإيمان بدعوته المؤمنون بالله من كل أمة. وكل المؤمنين به يصيرون أبناء الله عوضا عن بنى إسرائيل الذين كانوا فى الزمان الماضى « أبناء الله » [تث ١٤: ١] وبعدما فسر أولاد الله بأنهم الأمة الجديدة الآتية مع النبى الآتى عوضا عن بنى إسرائيل، الذين كانوا يلقبون بأنهم أبناء الله. قال: « فهم الذين، لا من دم، ولا من رغبة لحم، ولا من رغبة رجل، بل من الله ولدوا » أى: أن الله لم يتخذ صاحبة، حتى يكون له أبناء بالطبيعة، وإذ ليس له صاحبة، وليس هو جسدا ؛ وليس كمثله شىء ؛ فإن المراد من أبناء الله ؛ هم المؤمنون باسمه، فى مقابل أبناء إبليس العاملون بإرادته.

وجاء فى بعض الترجمات اللاتينية والسريانية « بل من الله ولد » بصيغة المفرد، للدلالة على « المسيح الرئيس » وحده. إلا أن اتفاق مجمل المخطوطات اليونانية يؤيد صيغة الجمع ؛ لأنه يتكلم عن جميع المؤمنين بالنبى الآتى.

موضع التحريف:

ثم قال: إن كلمة الوعد؛ تجسدت فى يسوع المسيح، وظهر بالفعل: « والكلمة صار بشرا، فسكن بيننا، فرأينا مجده، مجدا من لدن الآب، لابن وحيد، ملؤه النعمة والحق »

يريدون أن يقولوا: إن قول إشعياء: « وأما كلمة إلهنا ؛ فتثبت إلى الأبد » وهى الوعد. بإرسال النبى المماثل لموسى إلى العالم. هذا الوعد قد تحقق ؛ فإن المسيح عيسى هو كلمة الوعد. وتحولت الكلمة من مجرد خبر مكتوب فى ورق، إلى إنسان يمشى على الأرض. وسكن فى ديار بنى إسرائيل. ورأينا مجده. مجدا من الله ؛ لابن وحيد. هو « المسيح عيسى » مملوء بالنعمة والحق.

وهل المسيح عيسى عليه السلام هو كلمة الوعد ؟ وهل كان له مجد ؟ ليس له مجد، فإنه لم يكن ملكا ولم يكن صاحب شريعة مستقلة عن شريعة موسى. وليس هو كلمة الوعد ؛ لأن شهادة المعمدان التى سيذكرها يوحنا ؛ عن النبي الملقب بالكلمة ليست له، وهى شهادة قد نسبها برنابا. وهو من كتاب الأناجيل إلى يسوع. وشهد هو بأن محمدا ﷺ هو النور الآتى إلى العالم.

وكان يوحنا المعمدان قد قال عن النبى محمد ﷺ: « يأتى بعدى من هو أقوى منى، من لست أهلا لأن أنحنى، فأفك رباط حذائه » ومحرفو إنجيل يوحنا وضعوا فيه: « شهد له يوحنا. فهتف: هذا الذى قلت فيه: إن الآتى بعدى. قد تقدمنى ؛ لأنه كان من قبلى » يريدون أن يقولوا: إن المعمدان أسبق فى الزمن من يسوع، من جهة الجسد. ويسوع أسبق فى الزمان، من المعمدان من جهة اللاهوت. وقد غفلوا عن أن المعمدان ويسوع كانا يبشران بمحمد ﷺ بصيغة واحدة هى: « اقترب ملكوت السموات »

ثم قال المحرفون: إن عيسى عليه السلام هو النبى الأمى المماثل لموسى. وموسى كان صاحب شريعة فيها النفــس بالنفس. وعيسى كان صحاب النعمة والفضل على الناس. وذلك لأنه غفر خطاياهم بغير أعمال منهم على وفق الشريعة.

يقول: « فمن ملئه نلنا بأجمعنا. وقد نلنا نعمة على نعمة. لأن الشريعة أعطيت عن يد موسى، وأما النعمة والحق، فقد أتيا عن يد يسوع المسيح »

يعنى: أن يسوع كان ممتلئا نعمة، وفاضت علينا نعمه، كما يفيض الماء من الكوز الممتلىء. ونحن لم نحصل منه على شريعة، وإنما حصلنا منه على غفران. وكفى به نعمة.

ثم قال: « إن الله ما رآه أحد قط » وهذا صحيح. وهو موافق لما فى التوراة. وهو: «لا تقدر أن ترى وجهى » ولما فى القرآن: ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وإذ رأيتم المسيح؛ فإنه لا يكون هو الله. فلماذا تزعمون بأنه هو الله ؟

وقال: « الابن الوحيد الذى فى حضن الآب، هو الذى أخبر عنه » يعنون به: أن المسيح يسوع أخبر عن الله. والحق: أنه ليس هو الوحيد الذى أخبر به. فقد أخبر به موسى والنبيون من بعده، وأخبر به محمد ﷺ الملقب بلقب « الابن » من داود عليه السلام.

شهادة المعمدان:

ثم ذكر شهادة المعمدان على هذا النحو: « وهذه شهادة يوحنا. إذ أرسل إليه اليهود من أورشليم بعض الكهنة واللاويين ؛ يسألونه: من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر اعترف: لست المسيح. فسألوه: من أنت إذاً ؟ أأنت إيليا ؟ قال: لست إياه. أأنت النبى ؟ أجاب:

لا. فقالوا له: من أنت. فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا؟ ماذا تقول فى نفسك ؟ قال: أنا صوت مناد فى البرية. قوموا طريق الرب. كما قال النبى إشعياء.

وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه أيضا: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا النبى. فلم تعمد إذاً ؟ أجابهم يوحنا: أنا أعمد فى الماء، وبينكم من لا تعرفونه. ذاك الآتى بعدى. من لست أهلا لأن أفك رباط حذائه.

وجرى ذلك فى بيت عنيا. عبر الأردن، حيث كان يوحنا يعمد. وفى الغد رأى يسوع آتيا نحوه فقال: هو ذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم. هذا الذى قلت فيه: يأتى بعدى رجل قد تقدمنى، لأنه كان قبلى، وأنا لم أكن أعرفه، ولكنى ما جئت أعمد فى الماء، إلا لكى يظهر أمره لإسرائيل »

لقد أنكر المعمدان أنه: ١ ـ المسيح المنتظر. أى المَسِيّا. أى النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى. ٢ ـ إيلياء. ٣ ـ النبى. وعلى إنكاره هذا ؛ يكون مجىء الثلاثة من بعده.

ولما سألوه عن نفسه قال: أنا أصرخ فى البرارى والقفار، كما صرخ إشعياء من قبل بتهيئة الأذهان لقبول النبى الآتى. فإنه سوف يأتى ؛ لأن كلمة إلهنا تثبت إلى الأبد. وقد ربط يوحنا صاحب الإنجيل بين الكلمة فى إشعياء التى هى الوعد بالنبى، وبين تبشير المعمدان به ؛ ليظهر أن كلمة الرب سوف تتحقق من بعده.

ومحرف الإنجيل يريد أن يقول: إن النبى الأمى هو يسوع. فكتب: « وبينكم من لا تعرفونه. ذاك الآتى بعدى » وهم يعرفون عيسى عليه السلام، ويعرفون أنه ليس هو الآتى من بعده. من أن لإسماعيل بركة. ومن أن يسوع والمعمدان كانا معا يدعوان إلى اقتراب « ملكوت السموات »

ويُكذب المحرف: ما جاء فى إنجيل بَرنابا. وهو أن الشهادة كانت لعيسى عليه السلام « فإن رؤساء الكهنة والكتبة تشاوروا فيما بينهم ؛ ليتسقّطوه بكلامه. لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين: من أنت ؟ فاعترف يسوع، وقال: الحق أنى لست المَسِيا[١]. فقالوا: أأنت إيليا أو إرميا أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع: كلا. حينئذ قالوا: من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا. فقال حينئذ يسوع: أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها، يصرخ: أعدوا طريق رسول الرب. كما هو مكتوب فى إشعياء. قالوا: إذا لم تكن المسيا[٢] ولا إيليا أو نبيا ما، فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا؟ أجاب

---

(١) فى الأصل مسيا.   (٢) فى الأصل: المسيح.

يسوع: إن الآيات التى يفعلها الله على يدى، تظهر أنى أتكلم بما يريد الله. ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه. لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذى تسمونه مسيا. الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية » [بر ٤٢: ٣ ـ ١٠]

ويقول محرف إنجيل يوحنا: إن المعمدان تمم شهادته بقوله: « رأيت الروح ينزل من السماء، كأنه حمامة ؛ فيستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه. ولكن الذى أرسلنى أعمد فى الماء، هو قال لى: إن الذى ترى الروح ينزل ؛ فيستقر عليه، هو ذاك الذى يعمد فى الروح القدس. وأنا رأيت وشهدت: أنه هو ابن الله »

هل المعمدان لم يكن يعرف يسوع ؟ إنهما أولاد خالة. ومريم وأليصابات من بنات هرون. من الهارونيين، سُكنى جبال يهوذا. كما قال لوقا. ومريم مكثت عندها ثلاثة أشهر وهى حامل بيسوع. وولد يحيى قبله بستة أشهر. ويسوع كان يصبغ فى الماء كما كان يصبغ يوحنا ولم يصبغ فى الروح القدس. والحواريون كانوا يصبغون فى الماء، مثلهما. فقد قال يوحنا: « فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يُصيّر ويعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا» [يو ٤: ١ ـ ٢] وختم المحرف شهادته بقوله: أن يسوع هو « ابن الله » فما هو المعنى الذى يقصده ؟

إن كل يهودى هو « ابن لله »وليس هو « ابن الله » يوجد فرق بين ابن لله، وبين ابن وحيد لله. فكل اليهود أبناء الله [تث ١٤: ١] بالمعنى المجازى، أى الشعب المنتسب إليه والداعى له والمؤمن به من بين الشعوب التى تمجد الأصنام وتعبدها. أما « ابن الله » فهو لقب علم مشتهر على النبى الأمى الآتى إلى العالم. لقبه به النبى المعظم داود عليه السلام فى المزمور الثانى. ومحرف الإنجيل يريد أن يطبق نبوءة المزمور الثانى التى هى لمحمد عليه السلام على عيسى عليه السلام.

وقد ذكر برنابا: أن أول خطبة كانت لعيسى عليه السلام فى هيكل سليمان، بين فيها: أن محمدا هو الملقب بلقب الابن فى المزمور الثانى لدواد. وههنا يعكس المحرف كلام عيسى نفسه بإيعاز من شيعة بولس.

ونص الخطبة:

« تبارك اسم الله القدوس، الذى من جوده ورحمته ؛ أراد، فخلق خلائقه ليمجدوه. تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء، قبل كل الأشياء ؛ ليرسله لخلاص العالم. كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: « قبل كوكب الصبح، فى ضياء

القديسين ؛ خلقتك » تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق الملائكة ؛ ليخدموه. وتبارك الله الذى قاص وخذل الشيطان وأتباعه، الذين لم يسجدوا لمن أحب الله أن يُسجد له. تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق الإنسان من طين الأرض، وجعله قيما على أعماله. تبارك اسم الله القدوس، الذى طرد الإنسان من الفردوس ؛ لأنه عصا أوامره الطاهرة. تبارك اسم الله القدوس الذى برحمته، نظر بإشفاق إلى دموع آدم وحواء، أبوىْ الجنس البشرى.

تبارك اسم الله القدوس، الذى قاص، بعدل، قايين قاتل أخيه، وأرسل الطوفان على الأرض، وأحرق ثلاث مدن شريرة، وضرب مصر، وأغرق فرعون فى البحر الأحمر، وبدّد شمل أعداء شعبه، وأدب الكفرة، وقاصّ غير التائبين.

تبارك اسم الله القدوس، الذى برحمته أشفق على خلائقه، فأرسل إليهم أنبياءه ؛ ليسيروا فى الحق، والبر، أمامه. الذى أنقذ عبيده من كل شر، وأعطاهم هذه الأرض. كما وعد أبانا إبراهيم وابنه إلى الأبد. ثم أعطانا ناموسه الطاهر، على يد عبده موسى ؛ لكى لا يغشنا الشيطان، ورفعنا فوق جميع الشعوب» [بر ١٣: ٦ـ ١٦]

الاقتباسان فى الخطبة:

١ ـ كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: « قبل كوكب الصبح، فى ضياء القديسين ؛ خلقتك » يقول بتعبير كنائى مبالغ فيه للتعظيم: إنه كان ظلام باق من ظلام الليل، وضياء الأنبياء ينير فى هذا الظلام. وفى هذا النور ؛ خلق الله محمدا ﷺ هذا هو ما يريد أن يقوله. وداود عليه السلام عبر عن هذا المعنى بقوله: إن الله تعالى بظهر الغيب قال لمحمد ﷺ: « أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك(١). اسألنى ؛ فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك، تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم » [مز ٢: ٧ ـ ٩] يريد أن يقول: أنت منتسب إلى، ومقرب منى، وأنا أحبك، كما يحب الأب أبناءه. ومن الآن أنا تكلمت كلمة. هى ستثبت إلى الأبد. وهى أنى قدرت وجودك من قبل أن توجد، ونبهت على ظهورك من قبل أن تظهر، وسوف أظهر دينك فى كل الأرض، وسيرث أتباعك أمما، وسيحطمون أئمة الكفر بقضيب من حديد.

وهى تعابير مجازية مبالغ فيها ؛ لتؤدى المعنى بأسلوب جميل. فقد قال داود فى الزبور: إن خالق العالم هوالله وحده، وليس كمثله شىء ؛ ليبين: أن كلامه هذا هو من

---

(١) وتأتى الولادة على هذا المعنى. وهو تصوير المعنوى بالحسى. كثيرا فى لسان بنى إسرائيل. ومن ذلك: «وللحجر أنت ولدتنى» [إر ٢: ٢٧] «وولدوا إثما» [إش ٥٩: ٤] وقال موسى لله عن اليهود: «ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب، أو لعلى ولدته، حتى تقول لى: احمله فى حضنك؟» [عد ١١: ١٢] .

قبيل المبالغة، عن النبى الأمى الآتى إلى العالم. على مثال موسى عليه السلام. ومن كلامه: « خلقت جميع بنى آدم » [مز ٨٩: ٤٧] « من مثل الرب إلهنا ؟ » [مز ١٣: ٥] «لتسبح اسم الرب ؛ لأنه أمر ؛ فخلقت » [مز ١٤٨: ٥] « يا رب إله الجنود من مثلك ؟ قوى. رب. وحقك من حولك. أنت متسلط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه. أنت تسكنها. أنت سحقت. رهب مثل القتيل. بذراع قوتك، بددت أعداءك. لك السموات. لك أيضا الأرض. المسكونة وملؤها. أنت أسستهما. الشمال والجنوب. أنت خلقتهما » [مزمور ٨٩: ٨ ـ ١٢]

هذا هو الدليل الأول من التوراة، الذى استدل به عيسى عليه السلام على مجىء محمد ﷺ

٢ ـ وأما الدليل الثانى الذى استدل به ؛ فهو قوله: « كما وعد أبانا إبراهيم وابنه إلى الأبد »

وقد ذكر لوقا: أن الملاك لما بشرها بولادة عيسى عليه السلام، سبحت الله وشكرته وعظمته، وذكرت رحمته بعباده، وقالت: إنه وعد، ووفى « كما كلم آباءنا: لإبراهيم ونسله إلى الأبد » [لو ١: ٥٥] فما هو الفرق بين برنابا ولوقا ؟ هو فى «ابنه » و « نسله » والابن يعنى نسل إسماعيل وحده ـ ونسله يعنى عموم نسل إبراهيم بما فيهم نسل إسماعيل.

فلننظر فى نصوص الوعد:

قال الله لإبراهيم:

١ ـ « فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » [تك ١٢: ٢ ـ ٣]

٢ ـ « لأن جميع الأرض التى أنت ترى. لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد » [تك ١٣: ١٥]

٣ ـ « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » [تك ٢٢: ١٨]

إن نصوص الوعد تذكر جميع النسل بما فيهم إسماعيل عليه السلام.

ولننظر فى نصوص الوعد عن إسماعيل:

١ ـ « بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ؛ لأنه نسلك » [تك ٢١: ١٢ ـ ١٣]

٢ ـ « وقال لها ملاك الرب: تكثيرا أكثر نسلك؛ فلا يعد من الكثرة » [تك ١٦: ١٠]

٣ ـ « وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه، وأثمره وأكثره كثيرا جدا » [تك ١٧: ٢٠]

٤ ـ « قومى احملى الغلام وشدى يدك به ؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة » [تك ٢١: ١٨]

٥ ـ « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد » إلى أن قال: « ويرث نسلك أمما، ويعمر مدنا خربة » [إش ٥٤: ٣] وقد استدل عيسى ـ عليه السلام ـ بهذه النبوءة على محمد ﷺ فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا ٦: ٤٥ إش ٥٤: ١٣.

٦ ـ قال عيسى عليه السلام: إن كاتب التوراة كتب: « وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدى معه عهدا أبديا » [تك ١٧] والصحيح: وأقيم عهدى مع إسماعيل؛ لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد، ولأن الكاتب قال: إنه هو الذبيح. وإذا فرضنا أنه قد تم ذبحه، فإن العهد لا يكون له.

ومن هذه النصوص يتبين: أن نسل إسماعيل داخل فى الوعد. وعيسى عليه السلام طبقا لرواية بَرنابا يتحدث عن الآتى من نسل إسماعيل. فيقول: إن وعد الله لإبراهيم فى نسل ولده إسماعيل ؛ آخذ فى الاقتراب. وهذا هو الحق.

لبس الحق بالباطل فى العهد

ولنرجع إلى العهد المبرم بين الله وبين إبراهيم. فإنه لما ابتلاه الله بكلمات، وأتمها، قال له: ﴿ إنى جاعلك للناس إماما ﴾[1] ففى سفر التكوين: « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لأبرام. وقال له: أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا. فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا. فسقط أبرام على وجهه، وتكلم الله معه قائلا: أما أنا. فهو ذا عهدى معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد: أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم ؛ لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك، فى أجيالهم عهدا أبديا ؛ لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. وأعطى لك، ولنسلك من بعدك، أرض غربتك. كل أرض كنعان، ملكا أبديا. وأكون إلههم » [تك ١٧: ١ ـ ٨]

تأمل فى نص هذا العهد. تجد فيه:

---

(١) فى التوراة : « اجعلك أبا لجمهور من الأمم »

١ ـ أنه لعموم نسل إبراهيم.

٢ ـ أن نسل إبراهيم يملك على الأمم والشعوب. لتعليم الشريعة، وعبادة الله وحده.

وعن ملكه، يقول الله فى القرآن الكريم: ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما. فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه ﴾ ويقول: إن الملك فى نسل إسماعيل من محمد، كما كان الملك فى نسل إسحق من موسى وأن المتكبرين الملاعين من بنى إسرائيل لا يريدونه فى نسل إسماعيل. يقول تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب. يؤمنون بالجبت والطاغوت. ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا. أولئك الذين لعنهم الله. ومن يلعن الله ؛ فلن تجد له نصيرا. أم لهم نصيب من الملك. فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا؟ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ فقد آتينا آل إبراهيم: الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما ﴾

وكاتب التوراة قد كتب العهد هكذا: « وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق. وأُقيم عهدى معه عهدا أبديا ؛لنسله من بعده. وأما إسماعيل ؛فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره. كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدى أقيمه مع إسحق، الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت، فى السنة الآتية » [تك ١٧: ١٨ ـ ٢١]

إن « البركة » تدل علي عهد ضمني مستتر بالنبوة. ويعرف هذا العهد من لفظ « البركة» ولو لم يذكر في الكلام. وإذا ذكر في الكلام ؛ فإنما هو للتأكيد عليه، وذلك واضح من قوله لإبراهيم عليه السلام: « وأباركك » ومن قوله عن سارة « وأباركها » ولما طلب إبراهيم من الله أن يسير نسل إسماعيل أمامه في الدعوة إليه، أجابه بقوله « ها أنا أباركه » فصار له وعد ببركة. وفي البركة عهد ضمني مستتر بالنبوة. وكان الطلب وكانت الإجابة من قبل ولادة إسحق. فماذا كتب الكاتب من أجل لبس الحق بالباطل ؟ كتب: أن الله سيقيم عهده الدائم بالنبوة في إسحق. فإذا فرضنا أنه قد ذبح فكيف يكون الحال في العهد ؟ إنه سيكون عديم الفائدة، وإذا فرضنا أنه في إسماعيل من بعد نجاته من الذبح ؛ لكان للعهد فائدة ومعني، ولكان ذكره بجانب النص علي بركته هو للتأكيد عليه.

وعلي هذا يكون النص الأصلي هكذا: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره. كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة، وأقيم عهدي معه. . . » والكاتب قد لبس الحق بالباطل. أي وضع الباطل في وسط الحق ؛ ليحير الناس في المعني. والباطل هو « بل

سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا ؛ لنسله من بعده » ويضاف إلي ذلك أنه حذف اسم محمد. ووضع بدله « بماد ماد » و « لجوي جدول » علي طريقة تحريف الكلم من بعد مواضعه وقد بينا هذا في كتاب « البشارة » والتفت إلى الحق. وهو: كيف يكون العهد الدائم بالنبوة فى إسحق وهو لم يولد بعد ؟ وإذا وُلد. وذبح، كما قد كتبـوا، فكيف يتحقـق هذا العهد ؟ ولذلك قال عيسى عليه السلام: إن قــوله: «وأُقيم عهدى معه عهدا أبديا ؛ لنسله من بعده » هو لإسماعيل عليه السلام.

ومن معانى البركة: الملك على كل نسل إبراهيم. أى: أن النسل القائم بالبركة فى مدة قيامه بها، يكون كل فرد فيه ؛ سيدا وملكا على غيره. من أبناء الفروع. فنسل إسرائيل، النائب عن بنى إسحق فى البركة ؛ يكونون ملوكا وسادة على كل نسل إسماعيل، ونسل عيسو، ونسل أبناء قطوره. ويكون كل فرد منه ملك وسيد على غيره. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ فى مدة بركتكم. وإذا قام نسل إسماعيل بالبركة. يكون كل فرد فيه ؛ ملكا وسيدا على غيره من أبناء الفروع. ولذلك قال الناس لإبراهيم عليه السلام: « أنت رئيس من الله بيننا » [تك ٢٣: ٦] لأنه كان سائرا أمام الله وحده فى ذلك الوقت. وداود عليه السلام يفهم أن النسل القائم بالبركة يكون فى حال قيامه بها ملكا وسيدا ورئيسا. ويكون كل فرد من النسل ملكا وسيدا ورئيسا. ولذلك لما تكلم عن محمد ﷺ قال عنه: إنه سيده. ويعنى بأنه سيده: أنه سيكون من غير بنى إسرائيل. وذلك فى قوله: «قال الله لسيدى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » والنصر العبرانى: « قال يهوه لأدوناى » [مزمور ١١٠] وسوف يكون من بنى إسماعيل ؛ لأن إسماعيل مبارك فيه. وفَهْم داود هذا، قد عبر عنه المسيح عيسى عليه السلام فى إنجيل متى ومرقس ولوقا وبرنابا. فى قوله للحواريين: « ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟... الخ »

وبعدما فرغنا من نبوءة إشعياء التى اقتبسها بولس من الأصحاح الأربعين. نتكلم عن اقتباس بولس للمزمور المائة والتاسع والثلاثين. فنقول:

النبوءة الثانية: نبوءة داود:

إن المزمور ١٣٩ كله نبوءة عن محمد ﷺ ويريد بولس من اقتباسه الآية السادسة فقط تطبيقه على عيسى عليه السلام.

ونص المزمور:

« يا رب قد اختبرتنى وعرفتنى. أنت عرفت جلوسى وقيامى. فهمت فكرى من بعيد. مسلكى ومربضى ذريت. وكل طرقى عرفت. لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يا رب

عرفتها كلها. من خلف ومن قدام حاصرتنى. وجعلت على يدك. عجيبة هذه المعرفة. فوقى ارتفعت لا أستطيعها. أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر. فهناك أيضا تهدينى يدك وتمسكنى يمينك. فقلت: إنما الظلمة تغشانى. فالليل يضىء حولى. الظلمة أيضا لا تظلم لديك، والليل مثل النهار يضىء. كالظلمة هكذا النور.

لأنك أنت اقتنيت كليتى. نسجتنى فى بطن أمى. أحمدك من أجل أنى قد امتزت عجبا. عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقينا. لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء، ورقمت فى أعماق الأرض. رأت عيناك أعضائى وفى سفرك كلها كتبت. يوم تصورت إذ لم يكن واحد منها. ما أكرم أفكارك يا الله عندى ما أكثر جملتها. إن أحصها فهى أكثر من الرمل. استيقظت وأنا بعد معك. ليتك تقتل الأشرار يا الله. فيا رجال الدماء ابعدوا عنى. الذين يكلمونك بالمكر ناطقين بالكذب هم أعداؤك. ألا أبغض مبغضيك يا رب وأمقت مقاوميك ؟ بغضا تاما أبغضتهم. صاروا لى أعداء. اختبرنى يا الله واعرف قلبى. امتحنى واعرف أفكارى. وانظر إن كان فى طريق باطل، واهدنى طريقا أبديا » [مز ١٣٩]

الاقتباس العاشر:

نص الإنجيل:

يقول بولس: «لا تبادلوا أحدا. شرا بشر. «واحرصوا على أن تعملوا الصالحات بمرأى من جميع الناس» سالموا جميع الناس. إن أمكن. على قدر ما الأمر بيدكم. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء. بل أفسحوا فى المجال للغضب. فقد ورد فى الكتاب: «قال الرب: لى الانتقام وأنا الذى يجازى» ولكن «إذا جاع عدوك؛ فأطعمه، وإذاعطش؛ فاسقه؛ لأنك فى عملك هذا، تركم على هامته، جمرا متقدا » لا تدع الشر يغلبك، بل اغلب الشر بالخير » [رو ١٢: ١٧ ـ ٢١]

نص التوراة:

الاقتباس الأول من سفر الأمثال: . ونصه فى العبرانية: « لا تدع الرحمة والحق يتركانك. تقلدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك ؛ فتجد نعمة وفطنة صالحة فى أعين الله والناس » [مثل ٣: ٤] ونصه فى اليونانية: « واحرصوا على أن تعملوا الصالحات بمرأى من جميع الناس »

الاقتباس الثانى من سفر التثنية. وهو من نبوءة عن النبى الأمى الآتى. وهو: « قال الرب: لى الانتقام وأنا الذى يجازى » وهو فى العبرانية: « لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم » [تث ٣٢: ٣٥] ويستدل به السامريون على إثبات يوم القيامة. والنص من أول الأصحاح الثانى والثلاثين إلى قوله: « تهللوا أيها الأمم. شعبه » هو نبوءة عن محمد ﷺ وقد استدل بها بولس فى رسالته إلى أهل رومية للدلالة على أن الأمة الغبية التى سيغيظ الله بها بنى إسرائيل هى أمة اليونان، لا أمة بنى إسماعيل، المبارك فيه. وهو هنا يريد إبعادها عن كونها نبوءة ؛ لأن آخرها نص فى شعب النبى الآتى وهو: « تهللوا أيها الأمم. شعبه » وفى ترجمة « مع شعبه » الآتى. والنص فى اليونانية مختلف عن النص فى العبرانية وسيقتبسه بولس فيما بعد.

والاقتباس الثالث من سفر الأمثال. ونصه: « إن جاع عدوك فأطعمه خبزا، وإن عطش فاسقه ماء ؛ فإنك تجمع جمرا على رأسه. والرب يجازيك » [أمثال ٢٥: ٢١ ـ ٢٢] وقد استدل به عيسى عليه السلام فى وعظه على الجبل.

الاقتباس الحادى عشر:

نص الإنجيل:

يقول بولس: « فعلينا نحن الأقوياء. أن نحمل ضعف الذين ليسوا بأقوياء، ولا نسع إلى ما يطيب لأنفسنا، وليسع كل واحد منّا إلى ما يطيب للقريب فى سبيل الخير من أجل البنيان. فالمسيح لم يطلب ما يطيب له، بل كما ورد فى الكتاب: « تعييرات معيريك، وقعت علىّ » [رو ١٥: ١ ـ ٣ مز ٦٩: ١٠]

نص التوراة:

إنه اقتبس الآية العاشرة من المزمور التاسع والستين. وهو مزمور من مزامير النبى الأمى الآتى إلى العالم. وأوله: « خلصنى يا الله ؛ لأن المياه قد دخلت إلى نفسى » وفيه يتحدث النبى عن آلامه من أعدائه، ويطلب من الله أن ينصره عليهم. ويذكر أن الله نصره وأيده بروح من عنده.

وقد وضع محرفو الأناجيل هذا المزمور على المسيح وهو على الصليب، ووضعه عليه بولس. وقد بينا أن المزمور كله لا ينطبق عليه.

الاقتباس الثانى عشر:

نص الإنجيل:

يقول بولس: « وإنى أقول: إن المسيح صار خادم أهل الختان ؛ ليفى بصدق الله،

ويثبت المواعد التى وعد بها الآباء. أما الوثنيون فيمجدون الله على رحمته. كما ورد فى الكتاب: « من أجل ذلك سأحمدك بين الوثنيين، وأرتّل لاسمك » وورد فيه أيضا: «إفرحى أيتها الأمم مع شعبه » وورد أيضا: « سبحى الرب أيتها الأمم جميعا، ولتثن عليه جميع الشعوب » وقال إشعياء أيضا: « سيظهر فرع يَسَّى. ذاك الذى يقوم ؛ ليسوس الأمم، وعليه تعقد الأمم رجاءها » [رو١٤: ٨ ـ ١٢]

الشواهد من التوراة:

١ ـ «من أجل ذلك سأحمدك بين الوثنيين، وأرتل لاسمك» [٢ صم ٢٢: ٥٠ ومز ١٨: ٤٩]

وفى العبرانية: « لذلك أحمدك يا رب فى الأمم، وأرنم لاسمك » [مز ١٨: ٤٩]

٢ ـ « إفرحى أيتها الأمم مع شعبه »

وفى العبرانية: « تهللوا أيها الأمم. شعبه » [تث ٣٢: ٤٣]

٣ ـ «سبحى الرب أيتها الأمم جميعا، ولتثن عليه جميع الشعوب» [مز ١١٧: ١]

وفى العبرانية: « سبحوا الرب يا كل الأمم، حمدوه يا كل الشعوب »

٤ ـ « سيظهر فرع يسى. ذاك الذى يقوم ؛ ليسوس الأمم. وعليه تعقد الأمم رجاءها » [إش ١١: ١٠] وفى العبرانية: « ويكون فى ذلك: أن أصل يسى القائم راية للشعوب. إياه تطلب الأمم، ويكون محله مجدا »

البيان:

الشاهد الأول:

النص كله نبوءة عن محمد ﷺ. وأوله: « أحبك يا رب، يا قوتى. الرب صخرتى، وحصنى، ومنقذى » أى أن النبى يتحدث بظهر الغيب عن حبه لله، واعتصامه به ويقول: « أدعو الرب الحميد ؛ فأتخلص من أعدائى » ثم يعترف بأن الله نصره « أرسل من العلى، فأخذنى. نشلنى من مياه كثيرة » ـ « خلصنى ؛ لأنه سرَّ بى» ـ وقال النبى بظهر الغيب: إن النصر يكون فى المعارك الحربية « لأنى بك اقتحمت جيشا وبإلهى تسورت أسوارا » ـ « الله يعلم يدى القتال » ـ « أتبع أعدائى فأدركهم، ولا أرجع حتى أفنيهم، أسحقهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلى، تمنطقنى بقوة للقتال » ثم يقول: إن الله سيجعله رأسا للأمم، وشعوب غريبة لا يعرفها ؛ لأنها ليست من نسل إبراهيم، ستتعبد له. أى تخضع لشريعته. ومن أجل ذلك كله ؛ « أحمدك يا رب فى الأمم، وأرنم لاسمك »

وهذا هو نص المزمور ١٨ :

« أحبك يا رب يا قوتى. الرب صخرتى وحصنى ومنقذى. إلهى صخرتى. به أحتمى. ترسى وقرن خلاصى وملجأى. أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى. اكتنفتنى حبال الموت. وسيول الهلاك أفزعتنى. حبال الهاوية حاقت بى. أشراك الموت انتشبت بى. فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت. فسمع من هيكله صوتى وصراخى قدامه دخل أذنيه. فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال. ارتعدت وارتجت لأنه غضب. صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه. ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح. جعل الظلمة ستره حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام. من الشعاع قدامه عبرت سحبه. برد وجمر نار. أرعد الرب من السموات والعلى أعطى صوته بردا وجمر نار. أرسل سهامه فشتتهم وبروقا كثيرة فأزعجهم. فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك. أرسل من العلى فأخذنى. نشلنى من مياه كثيرة. أنقذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى. أصابونى فى يوم بليتى وكان الرب سندى. أخرجنى إلى الرحب. خلصنى لأنه سر بى. يكافئنى الرب حسب برى. حسب طهارة يدى؛ يردّ لى. لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص إلهى. لأن جميع أحكامه أمامى. وفرائضه لم أبعدها عن نفسى. وأكون كاملا معه وأتحفظ من إثمى. فيرد الرب لى كبرى وكطهارة يدى أمام عينيه.

مع الرحيم تكون رحيما. مع الرجل الكامل تكون كاملا. مع الطاهر تكون طاهرا ومع الأعوج تكون ملتويا. لأنك أنت تخلص الشعب البائس. والأعين المرتفعة تضعها. لأنك أنت تضىء سراجى. الرب إلهى ينير ظلمتى. لأنى بك اقتحمت جيشا وبإلهى تسورت أسوارا. الله طريقه كامل. قول الرب نقى. ترس هو لجميع المحتمين به. لأنه من هو إله غير الرب. ومن هو صخرة سوى إلهنا. الإله الذى يمنطقنى بالقوة ويصير طريقى كاملا. الذى يجعل رجلى كالأيل وعلى مرتفعاتى يقيمنى. الذى يعلم يدى القتال فتحنى بذراعى قوس من نحاس. وتجعل لى ترس خلاصك ويمينك تعضدنى ولطفك يعظمنى. توسع خطواتى تحتى فلم تتقلقل عقباى. أتبع أعدائى فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم. أسحقهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلى. تمنطقنى بقوة للقتال. تصرع تحتى القائمين على. وتعطينى أقفية أعدائى. ومبغضى أفنيهم. يصرخون ولا مخلص. إلى الرب فلا يستجيب لهم. فأسحقهم كالغبار قدام الريح. مثل طين الأسواق أطرحهم. تنقذنى من مخاصمات الشعب. تجعلنى رأسا للأمم. شعب لم أعرفه يتعبد لى. من سماع الأذن

سمعون لى. بنو الغرباء يتذللون لى. بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم. حى هو الرب ومبارك صخرتى ومرتفع إله خلاصى. الإله المنتقم لى والذى يخضع الشعوب تحتى. منجى من أعدائى. رافعى أيضا فوق القائمين على. من الرجل الظالم تنقذنى. لذلك أحمدك يا رب فى الأمم وأرنم لاسمك. برج خلاص لملكه. والصانع رحمة لمسيحه. لدواد ونسله إلى الأبد » [مز ١٨]

الشاهد الثانى:

« افرحى أيتها الأمم مع شعبه »

وهو فى نشيد موسى. ٣٢ تث

ذلك النشيد الذى يبين فيه: نعم الله على بنى إسرائيل. ويذكر فيه: أن الله تعالى سينزع الملك من بنى إسرائيل وسينسخ شريعة التوراة. وسيسلم الملك والشريعة إلى أُمّة «جاهلة » فى نظرهم. هى أمة بنى إسماعيل المبارك فيه من الله كإسحق أخيه، ويذكر فيه: أن أُمّة بنى إسماعيل هم شعبه الذى اختاره عوضا عن شعب بنى إسرائيل، الذى حرف الشريعة، وقصّر فى السير أمام الله، بين الأمم. وقال موسى لأمم العالم: افرحوا مع شعب الله الآتى، وادخلوا فى دين النبى الآتى منه ؛ من قبل أن يأتيكم عذاب أليم على يديه.

وبولس يلغو فى نبوءة النشيد بقوله: إن النبى الآتى هو يسوع، وشعبه هم الذين آمنوا به من بنى إسرائيل، والأمم الوثنية. وعلى رأسها أمة اليونان.

ونص النشيد:

« إنصتى أيتها السموات ؛ فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمى، يهطلُ كالمطر تعليمى، ويقطر كالنُّدى كلامى. كالطل على الكَلإ، وكالوابل على العشب. إنى باسم الرب أُنادى. أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة. لا جور فيه. صدِّيق وعادل هو.

أفسد له الذين ليسوا أولاده. عيبهم. جيل أعوج ملتو. ألرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا، غير حكيم ؟ أليس هو أباك ومقتنيك ؟ هو عملك وأنشأك ؟ أُذكر أيام القدم، وتأملوا سنىّ دور فدور. إسأل أباك. فيخبرك، وشيوخك ؛ فيقولوا لك.

حين قسم العلىّ للأمم. حين فرق بنى آدم ؛ نصب تخوما لشعوب، حسب عدد بنى إسرائيل. إنَّ قسم الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده فى أرض قفر، وفى خلاء مستوحش خرب. أحاط به، ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشه وعلى

فراخه يرفّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الرب وحده، اقتاده، وليس معه إله أجنبى. أركبه على مرتفعات الأرض، فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلا من حجر، وزيتا من صوان الصخر، وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف، وكباش. أولاد باشان. وتيوس، مع دسم لب الحنطة. ودم العنب شربته خمرا.

فسمن يشورون، ورَفَس. سمنت وغلظت واكتسيت شحما. فرفض الإله الذى عمله، وغبى عن صخرة خلاصه، أغاروه بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس، ذبحوا لأوثان ليست الله. لآلهة لم يعرفوها. أحداث قد جاءت من قريب، لم يرهبها آباؤكم. الصخر الذى ولدك ؛ تركته ونسيت الله الذى أبدأك.

فرأى الرب ، ورذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهى عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم ؟ إنهم جيل متقلب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم. إنه قد اشتعلت نار بغضبى ؛ فتتقد إلى الهاوية السفلى، وتأكل الأرض وغلّتها، وتحرق أسس الجبال. أجمع عليهم شرورا، وأنفذ سهامى فيهم. إذ هم خاوون من جوع، ومنهوكون من حُمًّى وداء سام. أُرسلُ فيهم أنياب الوحوش، مع حمة زواحف الأرض.

من خارج. السيف يُثكل. ومن داخل الخدور الرَّعبةُ. الفتى مع الفتاة. والرضيع مع الأشيب. قلت: أُبددهم إلى الزوايا، وأبطّل من الناس ذكرهم. لو لم أخف من إغاظة العدو من أن ينكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعت، وليس الرب فعل كل هذه.

إنهم أُمَّة عديمة الرأى، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا، لفطنوا بهذه، وتأملوا آخرتهم. كيف يطرد واحد ألفا، ويهزم اثنان ربوة. لولا أن صخرهم باعهم. والربَّ سلَّمهم. لأنه ليس كصخرنا، صخرهم. ولو كان أعداؤنا القضاة. لأن من جفنة سدوم ؛ جفنتهم. ومن كروم عمورة. عنبهم، عنب سَمّ. ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حمة الثعابين، وسم الأصلال القاتل.

أليس ذلك مكنوزا عندى. مختوما عليه فى خزائنى. لى النقمة[1] والجزاء. فى وقت

---

(١) وقد عبر ابن سيراخ فى سفره عن يوم القيامة بأنه « يوم الانتقام » كما فى التوراة السامرية . فقال : « لا تؤخر التوبة إلى الرب ، ولا تتباطأ من يوم إلى يوم ؛ فإن غضب الرب ينزل بغتة ، ويستأصل فى يوم الانتقام . لا تعتد بأموال الظلم ؛ فإنها لا تنفعك شيئاً فى يوم الانتقام » [سى ٥ :٨ ـ ١٠]

وصرح ابن سيراخ بعذاب جهنم فى الآخرة . فقال : « لا ترتض بمرضاة المنافقين . اذكر أنهم إلى الجحيم لا يتزكون » [٩ : ١٧] « اذكر أن الموت لا يبطئ . ألم يبلغك عهد الجحيم ؟ » [١٤ : ١٢]

وقال ابن سيراخ : إنه يجب على الأمم معرفة الله والعمل بشريعته كما وجب على بنى إسرائيل . وبذلك =

تزلّ أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب، والمهيئات لهم مسرعة ؛ لأن الرب يدين شعبه. وعلى عبيده يشفق. حين يرى أن اليد قد مضت، ولم يبق محجوز ولا مطلق. يقول: أين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها ؟ التى كانت تأكل شحم ذبائحهم، وتشرب خمر سكائبهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية. انظروا الآن، أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أميت وأحيي. سحقت وإنى أشفى، وليس من يدى مخلّص. إنى أرفع إلى السماء يدى، وأقول: حى أنا إلى الأبد. إذا سننتُ سيفى البارق وأمسكتْ بالقضاء يدى، أرد نقمة على أضدادى، وأجازى مبغضىّ، أسكر سهامى بدم، ويأكل سيفى لحما، بدم القتلى والسبايا، ومن رءوس قواد العدو.

تهللوا أيها الأمم. شعبُهُ. لأنه ينتقم بدم عبيده، ويرد نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه، عن شعبه » [تث ٣٢: ١ ـ ٤٣]

الشاهد الثالث:

وفيه أن الأمم ستثنى على النبى الآتى بسبب شريعته التى تحييهم.

الشاهد الرابع:

أول النص: « ويخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة. روح المعرفة، ومخافة الرب. . الخ»

يسّى هو والد داود عليه السلام. واليهود العبرانيون يزعمون: أن النبى المنتظر سيظهر من نسله. والسامريون يزعمون أنه سيظهر من أفرايم بن يوسف عليه السلام. وهو هنا يتكلم على زعم العبرانيين ؛ فيقول: إن المسيح عيسى عليه السلام هو النبى المنتظر من نسل داود بن يسى.

«ويخرج قضيب من جذع يسىّ . . . إلخ» اقتبسه من الأصحاح الحادى عشر من سفر إشعياء والاقتباس من قصيدة عن المسيا المنتظر، تبين أنه سيكون من سلالة داود، وأنه سيكون ممتلئا من روح النبوة، وأنه يحل البر بين البشر، ويعكس في الأرض قداسة الرب،

= تتساوى الأمم واليهـود فى جزاء الدار الآخرة . يقول مخاطبا الله عز وجل : « أيها الرب إله الجميع ؛ ارحمنا ، وانظر إلينا ، وأرنا نور مراحمك ، وألق رعبك على جميع الأمم ، الذين لم يلتمسوك ؛ ليعلموا : أنه لا إله إلا أنت ، ويخبروا بعظائمك . ارفع يدك على الأمم الغريبة ، وليعرفوا عزتك . كما قد ظهرت فينا قداستك أمامهم ؛ هكذا فلتظهر عظمتك فيهم أمامنا ، وليعرفوك كما عرفنا نحن : أن لا إله إلا أنت يا رب » [٣٦ : ١]

وصرح ابن سيراخ بالعذاب الدائم فى جهنم، فقال : « إنه ليس فى الجحيم ، حساب على العمر » [٤١ : ٧]

وصرح ابن سيراخ بأن الله قد خلق الإنسان حرا ، فى قوله : « لا تقل : هو أضلنى ؛ فإنه لا حاجة له فى الرجل الخاطئ . كل رجل مبغض عند الرب ، وليس بمحبوب عند الذين يتقونه . هو صنع الإنسان فى البدء وتركه فى يد اختياره ، وأضـاف إلى ذلك وصاياه وأوامره ، فإن شئت حفـظت الوصايا ، ووفيت مرضاته » [١٥ ١٢ ـ ١٦] .

وقال : إن الله غفور رحيم ، وأنه ذو عقاب أليم : « كما أنه كثير الرحمة ، هكذا هو شديد العقاب ، فيقضى على الرجل بحسب أعماله » [١٦ : ١٣]

ويأتى بسلامٍ الفردوس. وهذا السلام من ثمار معرفة الرب. ،والنص هو: «ويخرج غصن من جذع يسى، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة. ويوحى له تقوى الرب؛ فلا يقضى بحسب رؤية عينيه، ولايحكم بحسب سماع أذنيه، بل يقضى للضعفاء بالبر، ويحكم لبائسى الأرض بالاستقامة.

ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت الشرير بنفس شَفَتَيْهِ. ويكون البر حزام حقويه، والأمانة حزام خصره. فيسكن الذئب مع الجمل، ويربض النمر مع الجدى، ويعلف العجل والشبل معا، وصبى صغير يسوقهما. ترعى البقرة والدب معا،ويربض أولادهما معا، والأسد يأكل التبن كالثور، ويلعب الرضيع على حجر الأفعى. ويضع الفطيم يده في جحر الأرقم. لايسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسى؛ لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب، كما تغمر المياه البحر» [إش ١١: ١ ـ ٩]

يقول المفسرون من النصارى عن ضرب «المسيا» للأرض بقضيب فمه، وإماتته الشرير بنفس شفتيه، . . . الخ: إن هذا كناية عن شدة بأسه على الأعداء، وعن كثرة الخيرات في عهده، وعن السلام الذى يسود العالم في ملكوته. وإنه سيأتى بخصب الأرض، كما قال عاموس ٩: ١٣ ـ ١٤ وهوشع ٢: ٢٠ و ٢٣ ـ ٢٤ وسيأتي بنزع السلام الشامل، كما قال إشعياء ٢: ٤و ٩: ٤ وميخا ٤: ٣ ـ ٤ و٥: ٩ـ ١٠ وزكريا ٩: ١٠ وسيحل السلام الدائم، كما قال إشعياء ٩: ٦ و٣٢: ١٧ ، ٦٠: ١٧ ـ ١٨ وصفنيا ٣: ١٣ وزكريا ٣: ١٠ ويوئيل ٤: ١٧والعهد الجديد، الذى هو عهد المسيا هو عهد سلام. كما قال حزقيال ٣٤: ٢٥ و٣٧: ٢٦ ومملكة المسيا هي مملكة سلام، كما قال زكريا ٩: ٨ ـ ١٠ وداود ٧٢: ٣ ـ ٧ ويقول اليهود عن ضرب المسيا للأرض بقضيب فمه . . . الخ: كما قال النصاري إنه كناية عن شدة بأسه على الأعداء، وعن كثرة الخيرات في عهده، وعن السلام الذى يسود العالم في ملكوته. ولكنهم قالوا: وهذه العلامات لم تظهر فى عهد يسوع بن مريم ـ كما يدعى النصارى ـ فلا يكون هوالمسيا الذى ننتظره .

يقرل الحبر بن كمونة: «وقد جاء فى كتب الأنبياء من علامات »المسيح«[1] وما يكون في زمانه، مالم يظهر في «أيشوع» ولا في زمانه. مثل ماجاء في كلام بعضهم مامعناه: «أنه يضرب الأرض بسوط فيه، وبريح شفتيه يميت الخاطئ» و «أنه يجلس على منبر داود فيقضى بين الناس بعدل وحق» و «أن الحروب ترتفع، ولا يرفع أحد على أحد سيفا» و «أن الذئب والكبش يربضان معا، ويرعيان جميعا، وأن الأسد يأكل التبن كالبقر» وهذا. إن كان على ظاهره، لم يجر، ولم يقع في أيام «أيشوع» ولا بعده. وإن كان مثلا ـ وذلك هو الأظهر ـ فهو مثل لارتفاع الشرور من العالم، وزوال العدوان من بين الخلق، ولم يجر فى زمانه إلا خلاف ذلك من زيادة العداوة بين الناس بسب ظهوره، وارتكابهم الذنوب العظيمة، فيه.

(١) المسيح الرئيس، لا المسيح عيسى عليه السلام، والمسيح الرئيس هو محمد.

وفى أصحابه»[1] أ. هـ

فقد حكم بأن الأظهر فى النصوص أنها مَثَل ـ أى كناية ـ عن ارتفاع الشرور من لعالم، وزوال العدوان من بين الخلق. كما قال المفسرون من النصارى. ولكن قولهم: إن لمسيا ـ أى المشيح ـ سيظهر من فرع يسّى. أى من نسل داود عليه السلام ـ يرده ما جاء فى لتوراة عن بركة لإسماعيل ـ عليه السلام ـ وقول داود نفسه: إن المسيا الآتى سيده. والابن لا يكون سيدا لأبيه. ووصفه بأنه سيكون ملكا ومحاربا ومنتصرا. ولن يقتله أعداءه، وسيمتد ملكه إلى أقصى الأرض. وعيسى ـ عليه السلام ـ لم يملك ولم يحارب. ولم ينتصر.

وهذا هو نص المزمور من ترجمة دار المشرق، سنة ١٩٨٩ بعناية بولس باسيم، النائب الرسولى للاتين ـ بيروت: النص:

« قال الرب لسيدى: اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك. يمد الرب من صهيون صولجان عزتك؛ فتسلط فى وسط أعدائك. لك الرئاسة يوم ولدت. فى بهاء القداسة من الرحم. من الفجر ولدتك[2]. أقسم الرب ولن يندم: أن أنت كاهن للأبد، على رتبة ملكيصادق. السيد عن يمينك يحطم الملوك يوم غضبه. ويدين الأمم، ويملأها جثثا، ويحطم الرؤوس فى الأرض الواسعة، فى الطريق من الوادى يشرب [3]، فلذلك يرفع رأسه» [مزمور ١١٠]

الاقتباس الثالث عشر:

نص الإنجيل:

قال بولس: « ولقد عددت شرفا لى: أن لا أبشر، إلا حين لم يذكر اسم المسيح ؛ لئلا أبنى على أساس غيرى. فعملت بما ورد فى الكتاب: « الذين لم يبشروا به ؛ سيبصرون. والذين لم يسمعوا به ؛ سيفهمون » [رو ١٥: ٢٠ ـ ٢١]

نص التوراة:

« الذين لم يبشروا به ؛ سيبصرون، والذين لم يسمعوا به ؛ سيفهمون » [إش ٥٢: ١٥] والنص فى العبرانية: « لأنهم قد أبصروا، مالم يخبروا به، ومالم يسمعوه ؛ فهموه »

وهو نص فى نبوءة العبد المتألم. وسبق أن ذكرنا: أن المسيح عيسى عليه السلام قد طبقها على محمد ﷺ وبولس يلغو فيها بإبعادها عن كونها نبوءة.

---

(١) ص ٦١ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث .

(٢) النص العبرى مصحح، وترجمتنا تستند إلى النص اليونانى [تعليق دار المشرق]

(٣) المشيح يشرب من وادى المحن مز ١٨: ٥] أو من وادى النعم الإلهية مز ٣٦: ٩] وهذا المعنى الأخير أكثر انسجاما مع سياق الكلام، أو أنه كالمحارب الجاد، فى إثر أعدائه، والذى لا يتوقف إلا لحظة، للشرب من الوادى [قض٧: ٥] [تعليق دار المشرق]

الاقتباسات
في
رسالة بولس إلى أهل كورنثوس

أولا: الرسالة الأولى:

الاقتباس الأول:

يقول بولس: « فإن لغة الصليب حماقة عند الذين فى سبيل الهلاك. وأما عند الذين فى سبيل الخلاص، أى عندنا، فهو قدرة الله. فقد ورد فى الكتاب: « سأبيد حكمة الحكماء، وأزيل فهم الفهماء » [١ كو ١: ١٨ - ١٩]

يشير بالكتاب إلى سفر إشعياء. ونصه: « فقال السيد: لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه، وأكرمنى بشفتيه. وأما قلبه فأبعده عنى، وصارت مخافتهم منى وصية الناس، معلَّمة. لذلك ها أنذا أعود ؛ أصنع بهذا الشعب عجبا وعجبا. فتبيد حكمة حكمائه، ويختفى فهم فهمائه » [إش ٢٩: ١٣ - ١٤]

البيان:

يريد أن يقول: إن المسيح عيسى عليه السلام قد قتل وصلب. من أجل خلاص المؤمنين به من خطاياهم. وهذا أمر لا يستسيغه عقل الحكيم. وأفعال الله لا تخضع للحكمة ؛ ففى التوراة: أن الله خاطب اليهود بقوله: فى مستقبل الأيام سأظهر أمرا، ليس له حكمة فى نظركم. وهذا الأمر هو صلب المسيح.

والرد عليه:

إن هذا الأمر هو إظهار النبى الأمى المنتظر من نسل هاجر رضى الله عنها. وذلك لأن الله وعدهم بإغاظتهم على يد أمة أمية جاهلة فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية. وهو هنا يوبخ اليهود على أنهم أهملوا الشريعة ونبذوها وراء ظهورهم، واتبعوا تقاليد الشيوخ، وعملوا بها، وعظموا المعلمين، ولم يعظموا الله. والمناسب لهذا الفعل منهم هو إعطاء الشريعة لقوم آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها - كما قال عيسى عليه السلام فى مثل الكرامين الأردياء - أما قتل نبى وإهانة نبى. فهذا يحدث منهم كثيرا من قبل عيسى عليه السلام وهو نفسه قد قال لهم: «ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة. فمنهم تقتلون، وتصلبون. ومنهم تجلدون فى مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة » [متى ٢٣: ٣٤]

الاقتباس الثاني:

يقول بولس: « ولكن ما كان في العالم من حماقة، فذاك ما اختاره الله ؛ ليخزى ما كان قويا. وما كان في العالم من غير حسب ونسب. وكان محتقرا ؛ فذاك، اختاره الله. ليتم ما ورد في الكتاب: « من افتخر ؛ فليفتخر بالرب » [١ كو ١: ٢٧ ـ ٣١]

يشير بالكتاب إلى سفر إرمياء ٩: ٢٣ وهو: « هكذا قال الرب: لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخرن الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغنى بغناه، بل بهذا ليفتخرن المفتخر: بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا في الأرض ؛ لأني بهذه أسر. يقول الرب »

وإرمياء يتحدث عن انتقام الله من أمة بني إسرائيل في آخر الأيام. فيقول على لسان الله تعالى: « فأترك شعبي وأنطلق من عندهم ؛ لأنهم جميعا زناة، جماعة خائنين » ـ «أفما أعاقبهم على هذه؟. يقول الرب؟ أم لا تنتقم نفسي من أمة كهذه؟ »ـ « فقال الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم، ولم يسمعوا لصوتي، ولم يسلكوا بها » ـ « ها أيام تأتي يقول الرب، وأعاقب كل مختون وأغلف »

يريد أن يقول: إنني سأعز وأذل في آخر أيام بركة بني إسرائيل. وبنو إسرائيل الذين افتخروا بالشريعة ولم يعملوا بها، سأغيظهم بأمة أخرى ـ هي في نظرهم ذليلة ـ وقد قال إشعياء في حديثه عن مكة المكرمة برمز العاقر: « أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية: هأنذا أبني بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتا، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة. وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا » [إش ٥٤]

وغرض بولس: هو تحويل الكلام من شريعة كانت مع بني إسرائيل إلى شريعة ستأتي مع بني إسماعيل. بقوله من شريعة كانت مع بني إسرائيل إلى شريعة قد أتت مع الوثنيين. ووجودها مع الوثنيين لا يدعو إلى الفخر. ويريد أن يقول: هذه هي إرادة الله.

الاقتباس الثالث:

يقول بولس: « ومع ذلك فإننا على حكمة، نتكلم بين المؤمنين الراشدين، وليست بحكمة هذه الدنيا، ولا بحكمة رؤساء هذه الدنيا. ومصيرهم للزوال. بل نتكلم عن حكمة الله السرية، التي ظلت مكتومة في الماضي، تلك التي أعدها الله قبل الدهور، في سبيل مجدنا، ولم يعرفها أحد من رؤساء هذه الدنيا. ولو عرفوها؛ لما صلبوا رب المجد. ولكن كما ورد في الكتاب: «ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر. ذلك ما أعده الله للذين يحبونه » [١ كو ٢: ٦ ـ ٩]

يريد أن يقول: إننا نتكلم عن حكمة الله السرية. وهى أن الله رأى صلب المسيح، ليكفر به عن خطايا العالم [رو ١٦: ٢٥ ـ ٢٧] وهذه الحكمة ما عرفها أحد من الذين ائتمروا على صلبه. وإنهم لو كانوا لها بعارفين، لما أقدموا على صلبه.

ونص الاقتباس من إش ٦٤: ٣ « ومنذ الأزل لم يسمعوا، ولم يصغوا. لم ترعين إلها غيرك يصنع لمن ينتظره »

والرد عليه:

إذا كان صلبه سرا من الأسرار ؛ فإن نبوءات المزامير التى زعم أنها تدل على صلبه ؛ لا تدل على صلبه. لأنها لو كانت تدل ؛ لما كان الصلب سرا. لأنها تقرأ وتسمع. والمقروء والمسموع لا يدل على سِرّ.

والحق: أن إشعياء يتحدث عن الأمة الآتية، التى ستخلف بنى إسرائيل فى السير أمام الله.

وعبر عنها بالأمة المنتظرة. فى قوله: «لم تر عين، إلها غيرك، يصنع لمن ينتظره» ثم تكلم عن الأمة المنتظرة، فقال: «أصغيت إلى الذين لم يسألوا، وجدت من الذين لم يطلبونى. قلت: هأنذا. هأنذا لأمة لم تسم باسمى. بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد، سائر فى طريق غير صالح، وراء أفكاره. .الخ »

وبولس قد كرر الاستشهاد بهذا النص.

الاقتباس الرابع:

يقول بولس: «فالإنسان البشرى لا يقبل ما هو من روح الله؛فإنه حماقة عنده، ولا يستطيع أن يعرفه. لأنه لا حكم فى ذلك إلا بالروح. وأما الإنسان الروحى فيحكم فى كل شىء، ولا يحكم فيه أحد. فمن الذى عرف فكر الرب ؛ ليعلمه؟ وأما نحن فلنا فكر المسيح » [١ كو ٢: ١٤ ـ ١٦]

نص التوراة:

« من قاس روح الرب ؟ ومن مشيره ؛ يعلمه؟ » [إش ٤٠: ١٣]

وهذه آية من الأصحاح الأربعين من سفر إشعياء. وأوله: « عزوا. عزوا شعبى. يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها قد كمل » ثم قال إشعياء: « صوت صارخ فى البرية: أعدوا طريق الرب » ثم قال: « وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد » وقد كرر بولس اللغو فى هذه النبوءة. وقد بينا سابقا: أنها أصل «الكلمة» الذى جعله النصارى أقنوما ولها ارتباط بنبوءة المزمور الثانى. والكلمة فى الأصل: كلمة الله بإرسال محمد ﷺ إلى العالم.

الاقتباس الخامس:

يقول بولس: «فلا يخدعن أحد نفسه. فإن عد أحد منكم نفسه حكيما من حكماء هذه الدنيا، فليصر أحمق؛ ليصير حكيما ؛ لأن حكمة هذا العالم حماقة عند الله. فقد ورد فى الكتاب: «إنه يأخذ الحكماء بمكرهم» وورد أيضا: « إن الرب عليم بأفكار الحكماء، ويعلم أنها باطلة » فلا يفتخرن أحد بالناس » [١ كو ٣: ١٨ ـ ٢١]

نص التوراة:

من المزمور الرابع والتسعين. وقد اقتبس منه الآية الحادية عشرة. وغرض بولس من هذا الاقتباس: هو اللغو فى نبوءة من نبوءات الزبور عن محمد ﷺ لم يقدر على صرفها عنه، إلا بالحيلة التى ذكرها. وهى الحكمة والحماقة. وهذه النبوءة لا يقدر أحد منهم على وضعها على عيسى عليه السلام وذلك لأن النبى يقول بظهر الغيب: «يا إله النقمات. يا رب. يا إله النقمات ؛ أشرق، ارتفع يا ديان الأرض. جاز صنيع المستكبرين » ثم قال عن المستكبرين: «يسحقون شعبك يا رب، ويذلون ميراثك » أى يريدون أن يبعدوا شعبه عن الإرث فى إبراهيم وأكد على أن شعبه سيرث بقوله: « لأن الرب لا يرفض شعبه، ولا يترك ميراثه » ثم يتحدث عن مؤامرات اليهود المستكبرين عليه، فيقول: « لولا أن الرب معينى لسكنت نفسى سريعا أرض السكوت » أى أرض الموت. ثم بين أن الله نصره على أعدائه بقوله: «فكان الرب لى صرحا. وإلهى صخرة ملجأى. ويرد عليهم إثمهم، وبشرهم يفنيهم. يفنيهم الرب إلهنا »

وهذا هو نص المزمور:

« يا إله النقمات. يا رب يا إله النقمات؛ أشرق. ارتفع يا ديان الأرض. جاز صنيع المستكبرين. حتى متى الخطاة يا رب. حتى متى الخطاة يشمتون. يبقّون. يتكلمون بوقاحة. كل فاعلى الإثم يفتخرون. يسحقون شعبك يا رب ويذلون ميراثك. يقتلون الأرملة والغريب ويميتون اليتيم. ويقولون: الرب لا يبصر، وإله يعقوب لا يلاحظ.

افهموا أيها البلداء فى الشعب. ويا جهلاء متى تعقلون. الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر ؟ المؤدب الأمم ألا يبكت ؟ المعلم الإنسان معرفة. الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة. طوبى للرجل الذى تؤدبه يا رب وتعلمه من شريعتك. لتريحه من أيام الشر حتى تحفر للشرير حفرة. لأن الرب لا يرفض شعبه ولا يترك ميراثه. لأنه إلى العدل يرجع القضاء وعلى أثره كل مستقيمى القلوب.

من يقوم لى على المسيئين ؟ من يقف لى ضد فعلة الإثم ؟ لولا أن الرب معينى

لسكنت نفسى سريعا أرض السكوت. إذ قلت: قد زلت قدمى فرحمتك يا رب تعضدنى. عند كثرة همومى فى داخلى. تعزياتك تلذذ نفسى. هل يعاهدك كرسى المفاسد المختلق إثما على فريضة. يزدحمون على نفس الصديق ويحكمون على دم زكى. فكان الرب لى صرحا وإلهى صخرة ملجإى. ويرد عليهم إثمهم. وبشرّهم يفنيهم. يفنيهم الرب إلهنا » [مز ٩٤]

الاقتباس السادس :

يقول بولس: « كلوا من اللحم كل ما يباع فى السوق، ولا تسألوا عن شىء مراعاة للضمير ؛ لأن للرب الأرض، وكل ما فيها » [١ كو ١٠: ٢٥ ـ ٢٦]

النص المقتبس هو: «للرب الأرض، وملؤها » [مز ٢٤: ١]

البيان:

المزمور الرابع والعشرون هو نبوءة عن «مكة المكرمة» و «جبل عرفات » ويلقب بجبل الرب. و « الكعبة » بيت الله المقدس. ففى المزمور: « من يصعد إلى جبل الرب ؟ ومن يقوم فى موضع قدسه ؟ »

وبنو إسرائيل لم يلقبوا جبال السامرة بجبال الرب، إلا من بعد عصر سليمان عليه السلام واليهود لم يلقبوا جبل صهيون بجبل الرب، إلا من عصر داود عليه السلام. وهيكل سليمان الذى هو فى أورشليم ؛ لم يكن قبلة لليهود بنص من كتاب موسى، وكذلك هيكل جرزيم فى نابلس. ذلك لأن الله قال لهم: إلى أى مكان تتجهون، وفى كل أرض تصلّون ؛ أتقبل منكم. ففى سفر الخروج: « فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا ؛ آتى إليك، وأباركك » [خر ٢٠: ٢٤]

وفى هذا المزمور حديث عن جيلين. الجيل الأول: جيل قد تولى ومضى. والجيل الآخر: سوف يأتى. والجيل الأول: جيل شرير فاسق، كما وصفه أيضا عيسى عليه السلام [متى ١٦: ٤] والجيل الآخر: طاهر اليدين ونقى القلب، ولم يحمل نفسه إلى الباطل، ولم يحلف بالكذب.

وإذا أتى النبى المنتظر ؛ فإنه سيقاتل الأشرار فى معارك حربية، وسينصره الله عليهم، ويقيم له ملكوتا ومجدا.

وهذا هو نص المزمور:

« للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها، لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها.

من يصعد إلى جبل الرب ؟ ومن يقوم فى موضع قدسه؟ الطاهر اليدين والنقى القلب الذى لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذبا. يحمل بركة من عند الرب وبرا من إله خلاصه. هذا هو الجيل الطالبه. الملتمسون وجهك يا يعقوب. سلاه.

ارفعن أيتها الأرتاج رءوسكن، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد ؟ الرب القدير الجبار. الرب الجبار. فى القتال ارفعن أيتها الأرتاج رءوسكن، وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات ؛ فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد. سلاه » [مزمور ٢٤]

الاقتباس السابع:

يقول بولس: « فإنى تسلمت من الرب، ما سلمته إليكم. وهو أن الرب يسوع، فى الليلة التى أُسلم فيها ؛ أخذ خبزا، وشكر، ثم كسره، وقال: « هذا هو جسدى. إنه من أجلكم. اصنعوا هذا لذكرى » وصنع مثل ذلك على الكأس بعد العَشاء، وقال: « هذه الكأس هى العهد الجديد، بدمى، كلما شربتم ؛ فاصنعوه لذكرى » فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس ؛ تعلنون موت الرب، إلى أن يأتى » [١كو ١١: ٢٣ ـ ٢٦]

البيان:

١ ـ إن الله تعالى عقد عهداً بينه وبين إبراهيم عليه السلام. مؤداه: أن يسير هو ونسله، أمام الله، وهو يعطيهم الأرض التى يفتحونها ؛ ملكا. ويحكمون أهلها بشريعة الله.

٢ ـ ثم جعل العهد فى نسل إبراهيم. بين بنى إسحق وبنى إسماعيل.

٣ ـ وبدأ العهد فى نسل إسحق من موسى صاحب التوراة.

٤ ـ ويبدأ العهد فى نسل إسماعيل من محمد صاحب القرآن.

٥ ـ وبولس يريد أن يجعل عهد محمد، على عيسى. فماذا قال ؟ قال: إن موسى عليه السلام عاهد بنى إسرائيل على القيام بالتوراة، وذبح ذبائح، ورش دما، وعمل طقسا مقدسا. وها هو المسيح عيسى عليه السلام يذبح نفسه، ويسفك دمه ؛ ليبين: أن العهد الذى أعلنه الله للجيل الآتى، قد تم فى جيله هو. وكان موسى عليه السلام قد ترك تذكارا لبنى إسرائيل ؛ لئلا ينسوا العهد. وهو التابوت وخيمة الاجتماع. فنسب المحرفون لعيسى عليه السلام أنه جعل كئوس الخمر، تذكارا لعهده.

وقد اقتبس بولس هذا المعنى، بالمعنى، لا باللفظ الصريح من التوراة.

وقال بولس: إن هذه الذكرى مؤقتة بعودة المسيح فى المجىء الثانى. وقد جاء فى يوحنا: أن المسيح لن يجىء. وسوف يكرر كلامه عن العهدين فيما بعد.

الاقتباس الثامن:

يقول بولس: « لا تكونوا أيها الأخوة أطفالا فى الرأى، بل تشبهوا بالأطفال فى الشر، وكونوا راشدين فى الرأى. فقد ورد فى الشريعة: « قال الرب: سأكلم هذا الشعب بلسان أناس: لهم لغة غريبة، وبشفاه غريبة. ومع ذلك لا يصغون إلىّ » [١ كو ١٤: ٢٠ ـ ٢١]

البيان:

يريد أن يقول لهم: كونوا مثل الأطفال فى الشر. لأن الأطفال يفعلون ما يفعلون، وبعد قليل يصطحبون ويتحابون. ثم إنه أشار إلى نبوءة، من نبوءات التوراة عن النبى المنتظر، ولم يقدر على إبعادها عن محمد ﷺ. وهى من سفر إشعياء، من الأصحاح الثامن والعشرين وهى: « إنه بشفة لكناء، وبلسان آخر ؛ يُكَلِّم هذا الشعب» يكلم بالبناء للمجهول.

وقد سبق لبولس الاقتباس من هذا الأصحاح للدلالة على أن النبى المنتظر هو يسوع. اقتبس « ها أنذا أؤسس فى صهيون حجرا. حجر امتحان، حجر زاوية كريما أساسا مؤسسا» وهو الآن يريد أن يقول: إن الله سيكلم بنى إسرائيل عن طريق النبى المنتظر وهو يسوع، بلغة اليونان. وهذا ظاهر البطلان. فإن إشعياء يتحدث عن أمة آتية ونبى آت. هو الذى يكلم بنى إسرائيل. كما كلمهم موسى صاحب الشريعة. وعيسى عليه السلام كان على شريعة موسى ؛ وكان لسانه لسان بنى إسرائيل. أما محمد ﷺ فإنه كلمهم بكلام جديد، وبلسان عربى مبين. وقال لبنى إسرائيل: أنتم أعراب[1] منافقون. أما أنا فعربى صادق.

الاقتباس التاسع:

يقول بولس: إنه فى نهاية الزمان ستقوم القيامة، وسيخرج الناس من قبورهم للحساب على ما عملوا. والمسيح سيقوم أول الناس، ومن بعده الحواريون « ثم يكون المنتهى. حين يسلم الملك إلى الله. الآب. بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وسلطان وقوة. فلابد له أن يملك « حتى يجعل جميع أعدائه تحت قدميه » وآخر عدو يبيده هو الموت ؛ لأنه « أخضع كل شىء تحت قدميه » [١ كو ١٥: ٢٤ ـ ٢٧]

---

(١) قوله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ **الأعراب أشد كفرا ونفاقا** ﴾ يعنى به اليهود كلهم. لا غيرهم. ومنهم من كان يسكن حول بنى إسماعيل فى ديارهم. ومنهم من كان يسكن فى المدينة أورشليم التى هي « القدس »

البيان:

بينت نصوص كثيرة فى التوراة: أن النبى المنتظر سوف يكون ملكا على الأمم والشعوب، وسوف يحارب أعداءه، وينتصر عليهم فى الحروب. وبولس يعترف بهذه الصفة. صفة الملك. وكيف يطبقها على يسوع المسيح وهو لم يملك ؟ فإنه لما أرادوا أن يملكوه انصرف إلى الجبل وحده [يو ٦: ١٥] وقال: « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » [مرقس ١٢: ١٧]

وقد طبقها بولس على المسيح فى الحياة الآخرة. حياة القيامة العامة من الأموات للحساب. فقال: إنه بانتصاره على الموت فى القبر، وإزاحة الموت عن الموتى، يكون قد أخضع الموت له، وصرفه عن الموتى. ودليل خضوع الموت للمسيح: هو أن الناس حيوا من القبور، وبالحياة لم يصر للموت سلطان. فالمسيح أباد كل رئاسة وسلطان. وهذا هو معنى الملك.

واستدل بدليلين من سفر الزبور على أن المسيح سيملك فى القيامة العامة. هما لنبى الإسلام محمد ﷺ

الدليل الأول: وهو نص المزمور المئة والعاشر، ونصه:

« قال الرب لربى: اجلس عن يمينى ؛ حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك. فى زينة مقدسة. من رحم الفجر، لك طل حداثتك. أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد، على رتبة ملكى صادق. الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا. يدين بين الأمم، ملأ جثثا واسعة، سحق رءوسها. من النهر يشرب فى الطريق. لذلك يرفع الرأس » [مز ١١٠]

هل هذا يدل على ملك فى السماء بعد انتهاء الحياة الدنيا ؟ إن الله يقول لسيد داود: كن معى، وسأنصرك على أعدائك. فهل هذا يكون فى الدنيا أم يكون فى الدار الآخرة ؟ وما فائدة الملك فى الدار الآخرة والكل واقفون للحساب أمام الله على ما قدمت أيديهم ؟

الدليل الثانى: وهو نص المزمور الثامن. ونصه:

« أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض. حيث جعلت جلالك فوق السموات. من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا، بسبب أضدادك. لتسكيت عدو ومنتقم.

إذا أرى سماواتك عمل أصابعك. القمر والنجوم التى كونتها. فمن هو الإنسان حتى تذكره ؟ وابن آدم حتى تفتقده ؟ وتنقصه قليلا عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه. الغنم والبقر جميعا، وبهائم البر أيضا، وطيـور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه. أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض » [مز ٨]

هل هذا يدل على أن كل شيء تحت قدميه فى الدار الآخرة ؟

الاقتباس العاشر:

يقول بولس: « إذا كان الأموات لا يقومون « فلنأكل ولنشرب ؛ فإننا غدا نموت » [١ كو ١٥: ٣٢]

الاقتباس من التوراة:

« فلنأكل ولنشرب ؛ فإننا غدا نموت » [إش ٢٢: ١٣]

البيان:

إن إشعياء يقول: وحى من جهة بلاد العرب. ويقول: وحى من جهة وادى الرؤيا. ثم يتكلم عن مجد النبى الأمى الآتى من نسل قِيدار بن إسماعيل عليه السلام. وبولس أخذ آية من نبوءة إشعياء هذه، وفسرها بالموت والحياة. وذلك ليبعد النبوءة عن صاحبها.

يقول إشعياء: « وحى من جهة وادى الرؤيا. فما لك أنك صعدتِ جميعا على السطوح. يا ملآنة من الجلبة. المدينة العجاجة. القرية المفتخرة. قتلاكِ ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب. جميع رؤسائك هربوا معا. أسروا بالقسى كل الموجودين بك. أسروا معا. من بعيد فروا. لذلك قلت: اقتصروا عنى فأبكى بمرارة. لا تلحوا بتعزيتى عن خراب بنت شعبى.

إن للسيد رب الجنود فى واد الرؤيا يوم شغب ودوس وارتباك. نقب سور وصراخ إلى الجبل. فعيلام قد حملت الجعبة بمركبات رجال فرسان. وقير قد كشفت المجن. فتكون أفضل أوديتك ملآنة مركبات والفرسان تصطف اصطفافا نحو الباب. ويكشف ستر يهوذا فتنظر فى ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر. ورأيتم شقوق مدينة داود أنها صارت كثيرة وجمعتم مياه البركة السفلى. وعددتم بيوت أورشليم وهدمتم البيوت لتحصين السور. وصنعتم خندقا بين السورين لمياه البركة العتيقة. لكن لم تنظروا إلى صانعه ولم تروا مصوره من قديم. ودعا السيد رب الجنود فى ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والقرعة والتنطق بالمسح.

فهوذا بهجة وفرح. ذبح بقر ونحر غنم. أكل لحم وشرب خمر. لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت. فأعلن فى أذنى رب الجنود: لا يغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا. يقول السيد رب الجنود » [إش ٢٢: ١ ـ ١٤]

يقول إشعياء: إن قوافل سبط دان بن يعقوب عليه السلام ستكون نائمة فى بلاد العرب. أى لا فائدة منها للحرب. فإن مجد اليهود قد زال. وحل محله مجد بنى إسماعيل عليه السلام. والعطشان الهارب من أمام السيوف هو النبى المنتظر المهاجر من « مكة » إلى « يثرب » وتيماء هو ابن إسماعيل عليه السلام. ويعنى به: أنه يجب على أبناء إسماعيل أن ينصروا النبى الذى ظهر منهم. ثم قال إشعياء: إن مجد بنى قيدار وهم يعبدون على شريعة موسى ؛ سيفنى عما قليل. وقيدار هو ابن إسماعيل عليه السلام. الذى جاء من نسله محمد ﷺ

ووادى الرؤيا هو وادى مكة المكرمة، التى فيها رأت هاجر رضى الله عنها رؤية. وقالت: « أههنا أيضا رأيت رؤية » ؟ [تك ١٦: ١٣] ويقول إشعياء: إن المعارك الحربية ستهزم اليهود هزيمة منكرة « ويكشف ستر يهوذا ؛ فتنظر فى ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر، ورأيتم شقوق مدينة داود أنها صارت كثيرة. . » ثم قال: إن اليهود تحصنوا فى حصون منيعة. ولم ينظروا إلى الصانع، ولم يروا مصوره من قديم. وقال إشعياء: إن المعركة الحربية التى سيكون اليهود طرفا فيها، سيهزمون فيها. ذلك قوله: « ودعا السيد رب الجنود فى ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والقرعة والتنطق بالمسح. فهو ذا بهجة وفرح. ذبح بقر، ونحرغنم، أكل لحم، وشرب خمر. لنأكل ونشرب ؛ لأننا غدا نموت. فأعلن فى أذنى رب الجنود: لا يغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا. يقول السيد رب الجنود »

أى: أنهم قالوا: نتمتع بالطيبات من الرزق من قبل هلاكنا على يد النبى الآتى وشعبه. وبولس يبعد النبى وشعبه، ويقول: إذا كان لا بعث ولا حساب، فلنأكل ما نشاء، ولنشرب ما نشاء. إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا. وما يهلكنا إلا الدهر.

الاقتباس الحادى عشر:

ذكر النبى دانيآل: أن ممالك أربعة ستنشأ على الأرض، وبعد المملكة الرابعة وهى مملكة أهل الروم سيظهر ملكوت السموات. وستخضع الأمم والشعوب لابن الإنسان صاحب ملكوت السموات. وقال المسيح عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل: « توبوا ؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات » ووصف الملكوت وصفا دقيقاً، وضرب الأمثال لمجيئه وذكر علامات فى العالم ستحدث من قبل ظهوره.

هذا ما ذكره دانيال والمسيح ابن مريم. وأما ما ذكره بولس فى اللغو فى كلامهما فهو أنه قال: إن ملكوت السموات ليس مملكة تنشأ على الأرض، وإنما هو أكل وشرب وفرح وسرور، فيه. وقال: إن أصحاب الملكوت الآتى لن يرثوا الأرض التى وعدهم الله بها للتمكين لشريعته. وذلك لأنهم بشر. والبشر يموتون، وإذا ماتوا، يحيون من جديد فى هيئة روحية لا جسدية. مثلهم كمثل الحبة، توضع فى الأرض. فتموت، ثم تخرج ورقا أخضر بعد موتها. والورق الأخضر هو غير الحبة. وكذلك البشر. وهذا منه لغو فى حقيقة الملكوت؛ لأن الورق الأخضر يأتى بعده حبوب كثيرة مثل حبة البذرة التى وضعت فى الأرض.

يقول بولس:

« لكن يقول قائل: كيف يقام الأموات ؟ وبأى جسم يأتون ؟ يا غبى. الذى تزرعه لا يحيا، إن لم يمت. والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير، بل حبة مجردة. ربما من حنطة أو أحد البواقى. ولكن الله يعطيها جسما كما أراد. ولكل واحد من البزور جسمه. ليس كل جسد جسدا واحداً، بل للناس جسد واحد وللبهائم جسد آخر. وللسمك آخر وللطير آخر. وأجسام سماوية، وأجسام أرضية. لكن مجد السماويات شىء ومجد الأرضيات آخر. مجد الشمس شىء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر. لأن نجما يمتاز عن نجم فى المجد. هكذا أيضا قيامة الأموات. يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد. يزرع فى هوان ويقام فى مجد. يزرع فى ضعف ويقام فى قوة. يزرع جسماً حيوانيا ويقام جسما روحانيا. يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى، هكذا مكتوب أيضا: صار آدم الإنسان الأول نفسا حية وآدم الأخير روحا محييا. لكن ليس الروحانى أولا بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى. الإنسان الأول من الأرض ترابى. الإنسان الثانى الرب من السماء. كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضا. وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضا. وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضا صورة السماوى. فأقول هذا أيها الإخوة: إن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد.

هو ذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت ؛ فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ أما شوكة الموت فهى الخطية. وقوة الخطية هى الناموس. ولكن شكرا لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح. إذاً يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين. مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب »
[١ كو ١٥: ٣٥ ـ ٥٧]

الاقتباسات من التوراة:

١ ـ « كان آدم الإنسان الأول نفسا حية » [تك ٢: ٧]

٢ ـ « قد ابتلع النصر الموت » [إش ٢٥: ٨]

٣ ـ « من يد الهاوية أفديهم، من الموت أخلصهم. أين أوباؤك يا موت ؟ أين شوكتك يا هاوية ؟ » [هو ١٣: ١٤]

أما الاقتباس من سفر إشعياء ؛ فهو نبوءة كبيرة عن محمد ﷺ وقد اقتبس بولس منها جزءا من آية ؛ ليبين أنها نبوءة، وليبين كيفية انطباقها على عيسى عليه السلام بقوله: إننا عرفنا الخطيئة من الشريعة. والمسيح قد قتل تكفيرا عن الخطايا ؛ فلماذا الشريعة ؟ وقد انتصر المسيح على الموت. وبانتصاره لم يصبح للموت رهبة، ولا هيبة.

وإشعياء يتحدث عن أمتين. أمة بنى إسرائيل. وأمة بنى إسماعيل. أما أمة بنى إسرائيل؛ فإن الرب سيخلى منهم الأرض، ويفرغها، ويقلب وجهها، ويبيد سكانها. وذلك الهلاك عندما يظهر النبى الأمى الآتى، الملقب بالقدوس البار، وبالبار، وبسيد الحياة. فى سفر الأعمال. وعندما يظهر يرنم أصحابه ويرفعون أصواتهم بالتكبير؛ لأجل عظمة الرب. ذلك قوله: «هم يرفعون أصواتهم ويترنمون. . . .» وإذا ظهروا، سيقول بنو إسرائيل: «يا تلفى. يا تلفى. ويل لى. . . . »

« ثم بعد أيام كثيرة، يتعهدون. ويخجل القمر، وتخزى الشمس ؛ لأن رب الجنود قد ملك فى جبل صهيون، وفى أورشليم، وقدام شيوخه ؛ مجد »

يعنون بخجل القمر، وخزى الشمس: الانتصار على الأعداء. ويعنون بأن رب الجنود قد ملك: أن النبى الأمى الآتى، قد استقر ملكه فى جبل صهيون. أى فى أرض فلسطين. وفى أورشليم. وأن هذا النبى قد ظهر مجده العظيم أمام أصحابه وأتباعه.

ثم وضع صلاة شكر على فم النبى بظهر الغيب. على غرار صلاة الزبور. فقال: « يا رب أنت إلهى. أعظمك. أحمد اسمك ؛ لأنك صنعت عجبا. . » ثم قرن بين أمتين ومدينتين. مدينة، صارت كلا مدينة. ومدينة شعب قوى ستصير عظيمة. أى أن مجد أورشليم قد انتهى، ومجد مكة قد بدأ. ثم تحدث عن كثرة الخير فى الجيل الآتى جيل بنى إسماعيل، فقال: « ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب فى هذا الجيل وليمة سمائن. . »

ثم تحدث عن أن الجميع سيكونون متعلمين من الله بقوله: « ويفنى فى هذا الجيل وجه النقاب. . »

وبين أنهم سيكونون منتصرين على أعدائهم. وعبر عن الهزيمة بالموت، فقال: « يبلع الموت إلى الأبد. . . »

ثم بين أن الخلاص على يد النبى الأمى الآتى هو خلاص من الأعداء. فقال: « ويقال فى ذلك اليوم: هو ذا إلهنا انتظرناه ؛ فخلصنا. هذا هو الرب. انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه ؛ لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل » أى قوة الله لن تتخلى عن أتقيائه.

وهذه المعانى مذكورة عن النبى الآتى فى نبوءات كثيرة منها نبوءة المزمور المئة والثامن عشر، التى طبقها المسيح عيسى نفسه على محمد ﷺ فى مثل الكرامين الأردياء. وبعدما تكلم عن نصر الله للأمة الأتية ؛ وصفها بالأمّة البارة، ووصف نبيها بأنه متوكل على الله، ووصف مدينة أورشليم بأنها ستذل بعدما كانت مرتفعة، ووصف النبى بالاستقامة. ووصف أمته بأنها ستكون فى الزيادة، وعلو الشأن.

ومن ذلك يعلم: أن بولس يلغو فى نبوءة كبيرة من نبوءات النبى الآتى، بعبارات وجيزة.

وهذا هو النص بتمامه:

« هو ذا الرب يخلى الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها. وكما يكون الشعب هكذا الكاهن. كما العبد هكذا سيده. كما الأمة هكذا سيدتها. كما الشارى هكذا البائع. كما المقرض هكذا المقترض وكما الدائن هكذا المديون. تفرغ الأرض إفراغا وتنهب نهباً لأن الرب قد تكلم بهذا القول. ناحت ذبلت الأرض. حزنت ذبلت المسكونة. حزن مرتفعو شعب الأرض.

والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع. غيروا الفريضة. نكثوا العهد الأبدى. لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها. لذلك احترق سكان الأرض وبقى أناس قلائل. ناح المسطار. ذبلت الكرمة. أنًّ كل مسرورى القلوب. بطل فرح الدفوف. انقطع ضجيج المبتهجين. بطل فرح العود. لا يشربون خمرا بالغناء. يكون المسكر مرّا لشاربيه. دمرت قرية الخراب. أغلق كل بيت عن الدخول. صراخ على الخمر فى الأزقة. غَرَبَ كل فرح. انتفى سرور الأرض. الباقى فى المدينة خراب وضُرب الباب ردما. إنه هكذا يكون فى وسط الأرض بين الشعوب كنفاضة زيتونة كالخصاصة إذ انتهى القطاف.

هم يرفعون أصواتهم ويترنمون. لأجل عظمة الرب يصوتون من البحر. لذلك فى المشارق مجدوا الرب. فى جزائر البحر مجدوا اسم الرب إله إسرائيل.

من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة ؛ مجدا للبار. فقلت: يا تلفى يا تلفى. ويل لى.

الناهبون نهبوا. الناهبون نهبوا نهبا. عليك رعب وحفرة وفخ يا ساكن الأرض. ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط فى الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ. لأن ميازيب من العُلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت. انسحقت الأرض انسحاقا. تشققت الأرض تشققا. تزعزعت الأرض تزعزعا. ترنحت الأرض ترنحا كالسكران وتدلدلت كالعرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولاتعود تقوم.

ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء فى العلاء وملوك الأرض على الأرض. ويجمعون جمعا كأسارى فى سجن ويغلق عليهم فى حبس. ثم بعد أيام كثيرةيتعهدون. ويخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك فى جبل صهيون فى أورشليم. وقدام شيوخه مجد.

يا رب أنت إلهى أعظمك. أحمد أسمك لأنك صنعت عجباً. مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق. لأنك جعلت مدينة رُجْمة. قرية حصينة ردماً. قصر أعاجم أن لا تكون مدينة. لا يبنى إلى الأبد. لذلك يكرمك شعب قوى وتخاف منك قرية أمم عتاة. لأنك كنت حصنا للمسكين. حصنا للبائس فى ضيقه. ملجأ من السيل. ظلا من الحر إذ كانت نفخة العتاة كسيل على حائط. كحر فى يبس تخفض ضجيج الأعاجم. كحر بظل غيم يذل غناء العتاة.

ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب فى هذا الجبل وليمة سمائن. وليمة خمر على دردى سمائن ممخة. دردى مصفى. ويفنى فى هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذى على كل الشعوب والغطاء المغطى به على كل الأمم. يبلع الموت إلى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض؛ لأن الرب قد تكلم.

ويقال فى ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا انتظرناه؛ فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه. لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل ويداس مؤاب فى مكانه كما يداس التبن فى ماء المزبلة. فيبسط يديه فيه كما يبسط السابح ليسبح فيضع كبرياءه مع مكايد يديه.

وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب » [إش ٢٤ ـ ٢٥]

إلى أن قال:

« قد جثا[١] بيل. انحنى نبو. صارت تماثيلهما على الحيوانات والبهائم. محمولاتكم محملة حملا للمعيى. قد انحنت جثت معا. لم تقدر أن تنجّى الحمل وهى نفسها قد

(١) إش ٤٦ : ١ ـ

مضت فى السبى.

اسمعوا لى يا بيت يعقوب وكل بقية بيت إسرائيل المحملين على من البطن المحمولين من الرحم. وإلى الشيخوخة أنا هو. وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجى. بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه ؟

الذين يفرغون الذهب من الكيس، والفضة بالميزان يزنون. يستأجرون صائغا ليصنعها. إلها يخرون ويسجدون. يرفعونه على الكتف. يحملونه ويضعونه فى مكانه ليقف. من موضعه لا يبرح. يزعق أحد إليه فلا يجيب. من شدته لا يخلصه.

اذكروا هذا وكونوا رجالا. رددوه فى قلوبكم أيها العصاة. أذكروا الأوَّليات منذ القديم لأنى أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلى. مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يفعل. قائلا: رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى. داع من المشرق الكاسر. من أرض بعيدة رجل مشورتى. قد تكلمت فأجريه. قضيت فأفعله.

«اسمعوا لى يا أشداء القلوب البعيدين عن البر. قد قربت برى. لا يبعد وخلاصى لا يتأخر. وأجعل فى صهيون خلاصاً. لإسرائيل جلالى » [إش ٤٦ ـ]

ثانياً: الرسالة الثانية:

ختم بولس رسالته هذه بتهديد شديد اللهجة للذين يرفضون آراءه. فقال: « فقد كتبت إليكم بذلك وأنا غائب ؛ لئلا أستعمل الشدة، وأنا حاضر، لما أولانى الرب من سلطان ؛ للبنيان، لا للهدم » [٢ كو ١٣: ١٠]

الاقتباس الأول:

يقول بولس: « فإننا نحن الأحياء نسلم فى كل حين إلى الموت. من أجل يسوع ؛ لتظهر فى أجسادنا الفانية ؛ حياة يسوع أيضا. فالموت يعمل فينا، والحياة تعمل فيكم. ولما كان لنا من روح الإيمان، ما كتب فيه: « آمنت، ولذلك تكلمت » فنحن نؤمن، ولذلك نتكلم » [٢ كو ١: ١١ ـ ١٣]

يريد أن يقول: إننا نعانى شدائد ونحن نبلغ الرسالة. وعبر عن الشدائد بالموت بجامع الألم فى كل. وأنتم لا تعانون شدائد، بل تحبون الحياة « فالموت يعمل فينا، والحياة تعمل فيكم »

نص التوراة:

« آمنت، ولذلك تكلمت » [مز ١١٦: ١٠]

البيان:

المزمور المئة والسادس عشر هو من مزامير النبى الأمى الآتى إلى العالم. وقد استدل به المسيح عيسى عليه السلام على مجيء محمد ﷺ فى إنجيل بَرنابا. وبولس يعلم ذلك. وفى ذلك المزمور يقول النبى بظهر الغيب: « أسلك قدام الرب فى أرض الأحياء. آمنت لذلك تكلمت » أى أنا أسير أمام الله كما سار إبراهيم عليه السلام وموسى والنبيون من بعده فى بلاد الله. وذلك لأننى آمنت كما آمن النبيون. ولأنى آمنت ؛ تكلمت عن الله بما أمرنى أن أتكلم به. ثم قال النبى: « أنا تذللت » وتواضعت لله، وطلبت منه أن يخلصنى من أعدائى، وينصرنى عليهم « تذللت، فخلصنى » ولما خلصنى « ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لى ؟ » ثم تكلم عن شعبه الآتى فى مقابل شعب بنى إسرائيل الماضى، وقال عن شعبه: « أوفى نذورى للرب، مقابل كل شعبه » ثم اعترف بعبوديته لله فقال: « أنا عبدك، ابن أمتك » وفى أى مكان يوفى النذور؟ « فى ديار بيت الرب » وبيت الرب المقدس من عهد نوح ومن عهد إبراهيم وإسماعيل، هو «الكعبة البيت الحرام » ولم تكن « أورشليم » مقدسة، ولم تكن « نابلس » مقدسة، وهذا هو نص المزمور:

« أحببتُ لأن الرب يسمع صوتى تضرعاتى. لأنه أمال أذنه إلى. فأدعوه مدة حياتى. اكتنفتنى حبال الموت أصابتنى شدائد الهاوية. كابدت ضيقا وحزنا. وباسم الرب دعوت. آه يا رب نج نفسى. الرب حنان وصديق وإلهنا رحيم. الرب حافظ البسطاء. تذللت فخلصنى. ارجعى يا نفسى إلى راحتك لأن الرب قد أحسن إليك. لأنك أنقذت نفسى من الموت وعينى من الدمعة ورجلى من الزلق. أسلك قدام الرب فى أرض الأحياء.

آمنت ؛لذلك تكلمت. أنا تذللت جدا. أنا قلت فى حيرتى: كل إنسان كاذب. ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لى ؟ كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو. أوفى نذورى للرب ؛ مقابل كل شعبه.

عزيز فى عينى الرب موت أتقيائه. آه يا رب. لأنى عبدك. أنا عبدك ابن أمتك. حللت قيودى. فلك أذبح ذبيحة حمد وباسم الرب أدعو. أوفى نذورى للرب مقابل شعبه فى ديار بيت الرب. فى وسطك يا أوشليم. هللويا » [مز ١١٦]

وقال النبى بظهر الغيب: « عزيز فى عينى الرب موت أتقيائه » ؟ فما معناها ؟ وفى ترجمة: « ثمين فى نظر الرب، موت الطاهرين» [مز ١١٦: ١٥]

والمعنى: إنه يوجد فرق كبير بين موت الشهداء فى سبيل الله، وبين موت الكافرين. فإن الشهيد والكافر مشتركان فى الموت. فكل منهما فارق الحياة الدنيا. لكن الشهادة أدت

إلى موت. وهذا الموت يعقبه حياة طيبة فى جنة الله فى الدار الآخرة. وهذا الموت ثمين جدا. ولا يقدر بمال. لأنه تسبب فى حياة طيبة. أما موت الكافرين؛ فإن سعره رخيص، لأنه أدى إلى حياة سيئة. أدى إلى النار، وبئس القرار. وكذلك الرجل التقى ؛ فإنه بتقواه؛ يبيع جسده لله بثمن مرتفع. والرجل الشقى؛ فإنه بشقاوته؛ يبيع جسده للشيطان بثمن بخس.

وعيسى عليه السلام يحث أتباعه على الانطلاق إلى مدن بنى إسرائيل والأمم ليقولوا لهم: « قد اقترب ملكوت السموات » وبين لهم أنهم سيساقون إلى ولاة وملوك من أجله، شهادة لهم، وللأمم، وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ولده. ويقوم الأولاد على والديهم، ويقتلونهم، ويكونون مبغضين من الجميع، من أجل اسمى. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى ؛ فهذا يخلص [متى ١٠]

والذى يشترى الموت بالشهادة. هو يشتريه بثمن ثمين. ولا تقدّر نفاسته. وذلك لأن زوجة واحدة من الحور العين ؛ إذا قدر له أن يشترى مثلها فى الدنيا ؛ فلن يقدر على دفع ثمن لها. فما بالك بسائر النعم ؟

يقول عيسى عليه السلام: إن رجلا مثل هذا تربح تجارته. فقد جاء فى إنجيل بَرنابا: « وجاء فى اليوم التالى ستة وثلاثون تلميذا، من تلاميذ يسوع. مثنى مثنى. ومكث فى دمشق ينتظر الباقين. وحزن كل منهم ؛ لأنهم عرفوا أن يسوع سينصرف من العالم. لذلك فتح فاه، وقال: إن من يسير دون أن يعلم إلى أين يذهب ؛ لهو تعيس، وأتعسُ منه: من هو قادر، ويعرف كيف يبلغ نُزلا حسنا، ومع ذلك يريد أن يمكث في الطريق القذرة، والمطر، وخطر اللصوص. قولوا لى: أيها الأخوة هل هذا العالم وطننا ؟ لا. ألبتة ؛ فإن الإنسان الأول طُرد من العالم منفيا. فهو يكابد في عقوبة خطئه. أيمكن أن يوجد منفى، لا يبالى بالعودة إلى وطنه الغنى، وقد وجد نفسه فى الفاقة ؟ حقا. إن العقل لينكر ذلك. ولكن الاختبار يثبته بالبرهان ؛ لأن محبى العالم لا يفكرون فى الموت، بل عندما يكلمهم عنه أحد ؛ لا يصغون إلى كلامه.

صدقونى أيها القوم أنى جئت إلى العالم بامتياز. لم يعط إلى بشر، حتى أنه لم يعط لرسول الله ؛ لأن إلهنا لم يخلق الإنسان ليبقيه فى العالم، بل ليضعه فى الجنة. ومن المحقق: أن من لا أمل له أن ينال شيئاً من الرومانيين ؛ لأنهم من شريعة غريبة عنه ؛ لا يريد أن يترك وطنه، وكل ما عنده، ويذهب ليتوطن رومية، على أن لا يعود، ويكون ميله إلى ذلك أثقل جدا إذا هو أغَاظَ قيصر. فالحق أقول لكم: إنه هكذا يكون. وسليمان نبى

الله يصرخ معى: « ما أمّر ذكراك أيها الموت للذين يتنعمون فى ثرواتهم » إنى لا أقول هذا، لأن عليّ أن أموت الآن وإنى عالم بأن سأحيا[1] إلى نحو منتهى العالم، ولكنى أكلمكم بهذا؛ لكى تتعلموا كيف تموتون.

لعمر الله إذا أسئ عمل شئ. ولو مرة ؛ دلّ على أنه لا بد من التمرن عليه إذا أُريد إتقانه. أرأيتم كيف تتمرن الجنود فى زمن السِّلم بعضهم مع بعض ؟ كأنهم يتحاربون ؟ كيف يُتاح لمن يتعلم كيف يحسن الموت أن يموت ميتة صالحة. قال النبي داود: « ثمين في نظر الرب موت الطاهرين » أتدرون لماذا ؟ إنى أُفيدكم: إنه لما كانت الأشياء النادرة ثمينة. وكان موت الذين يحسنون الموت نادرا. كان ثمينا، في نظر الله خالقنا. فمن المؤكد: أنه متى شرع المرء فى أمر؛ لا يريد أن ينجزه فقط، ولكنه يكدح حتي يكون لغرضه نتيجة حسنة.

يا لك من رجل شقى، يفضل سراويلاته على نفسه ؛ لأنه عندما يفصّل القماش، يقيسه جيدا قبل تفصيله، ومتي فصّله ؛ خاطه باعتناء، أما حياته التى ولدت لتموت - إذ لا يموت إلا من يولد - فلماذا لا يقيسها الإنسان بالموت ؟ أرأيتم البناءين كيف لا يضعون حجرا، إلا والأساس نصب عيونهم، فيقيسونه ليروا إذا كان مستقيما لكى لا يسقط الجدار؟ ياله من رجل تعيس ؛ لأن بنيان حياته سيتهدم شرّ تهدم ؛ لأنه لا ينظر إلى أساس الموت.

قولوا لى: كيف يولد الإنسان متى ولد ؟ حقا إنه يولد عريانا، وأى جدوى له متى وسِّد ميتا تحت الثرى ؟ ليس سوى خرقة يلف بها، وهذا هو الجزاء الذى يعطيه إياه العالم. فإذا كان يجب فى كل عمل أن تكون الوسيلة على نسبة إلى البداية والنهاية ؛ ليمكن إيصال العمل إلى نهاية حسنة. فما عسى أن تكون نهاية الإنسان، الذى يشتهى الثروة العالمية ؟ إنه ليموت كما يقول داود النبي نبى الله: « إن الخاطئ ليموتن شر ميتة »

إذا حاول خياط أن يدخل جذوعا فى سَمّ إبرة، بدلا من خيط، فما يكون مصير عمله ؟ إنه ليحاول عبثا، وجيرانه يزدرون به. فالإنسان لا يرى أنه فاعل هذا على الدوام. وهو يجمع الخيرات الأرضية ؛ لأن الموت هو الإبرة التى لا يمكن إدخال جذوع الخيرات الأرضية فى سمها. ومع ذلك فهو بجنونه يحاول على الدوام أن يفلح فى عمله. ولكن عبثا.

ومن لا يصدق كلامى هذا ؛ فليتفرس فى القبور ؛ لأنه هناك يجد الحق. فمتى أراد أن يبرز فى الحكمة على من سواه، فى خوف الله ؛ فليطالع كتاب القبر. لأنه هناك يجد التعليم الحقيقى لخلاصه. فإنه متى رأى أن جسد الإنسان يحفظ ليكون طعاما للديدان،

---

(١) يظل إنجيله بيد أتباعه إلى نحو منتهى دهر الملك والنبوة في بنى إسرائيل. وانتشاره يحل محله فى بيان دعوته. فكأنه حى

تعلم أن يحذر العالم والجسد والحسّ .

قولوا لى: إذا كان هناك طريق على حال يكون إذا سار معها المرء فى الوسط، سار آمنا. فإذا سار علي الجانبين شج رأسه. فماذا تقولون إذا رأيتم الناس يختصمون ويتبلرزون ليكونوا أقرب إلى الجانب ويقتلوا أنفسهم ؟ ما أشد ما يكون عجبكم. حقا إنكم تقولون: إنهم لمعتوهون ومجانين، وإنهم إذا لم يكونوا مجانين، فإنما هم بائسون. أجاب التلاميذ: إن ذلك لصحيح. حينئذ بكى يسوع، وقال: إن عشاق العالم إنما هم لكذلك. لأنهم لو عاشوا بحسب العقل الذى اتخذ موضعا متوسطا فى الإنسان ؛ لاتبعوا شريعة الله، وخلصوا من الموت الأبدى. ولكنهم جنُّوا، وأصبحوا أعداء عتاة لأنفسهم ؛ لأنهم يتبعون الجسد والعالم، مجتهدين في أن يعيش كل منهم أشد غطرسة وفجورا من الآخر» [بر ١٣٩ : ١٢ ـ]

الاقتباس الثانى:

يقول بولس: « إن الله قادر على أن يفيض عليكم مختلف النعم. فيكون لكم كل حين، فى كل شىء، ما يكفى مؤونتكم كلها، ويفضل عنكم لكل عمل صالح. على ما ورد فى الكتاب: « إنه وزع وأعطى المساكين. فبرّه دائم للأبد » [٢ كو ٩ : ٨ ـ ٩]

نص التوراة:

« فرق أعطى المساكين. بره قائم إلى الأبد » [مز ١١٢ : ٩]

البيان:

نص التوراة هو نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم. والأوصاف عليه وعلى أتباعه إلى الأبد. وبولس يصرف المعنى إلى المحسنين من النصارى.

ونص النبوءة يتكلم عن جيل جديد آت، فى مقابل جيل قديم مضى. ذلك قوله: « جيل المستقيمين يبارك » ـ « نور أشرق فى الظلمة للمستقيمين » ثم قال عن المسيَّا: إن أعداءه كثيرون وسيتآمرون عليه. ذلك قوله: « الشرير يرى ؛ فيغضب » وقال: إن الله سينصره، وسيقيم له مجدا وسلطانا إلى الأبد. ذلك قوله: « قرنه ينتصب بالمجد» ـ « شهوة الشرير تبيد »

وهذا هو نص المزمور المئة والثانى عشر:

« هللويا. طوبى للرجل المتقى الرب المسرور جدا بوصاياه. نسله يكون قويا فى الأرض. جيل المستقيمين يبارك. رغد وغنى فى بيته. وبره قائم إلى الأبد. نور أشرق فى الظلمة للمستقيمين. هو حنان ورحيم وصديق.

سعيد هو الرجل الذى يترأف ويقرض. يدبر أموره بالحق. لأنه لا يتزعزع إلى الدهر. الصديق يكون لذكر أبدى. لا يخشى من خبر سوء. قلبه ثابت متكلا على الرب. قلبه ممكن فلا يخاف حتى يرى بمضايقيه. فرق أعطى المساكين. بره قائم إلى الأبد. قرنه ينتصب بالمجد. الشرير يرى فيغضب. يحرق أسنانه ويذوب. شهوة الشرير تبيد » [مز ١١٢]

الاقتباسات
في
رسالة بولُس إلي أهل غَلاَطية

« وقال[1] الرب لأبرام: انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك، إلى الأرض التى أريك، وأنا أجعلك أمة كبيرة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأُبارك مباركيك، وألعنُ لاعنيك، ويتباركُ فيك جميع عشائر الأرض » [تك ١٢: ١ ـ ٣]

«ولما كان أبرامُ ابن تسعٍ وتسعين سنة ؛ تراءى له الرب، وقال له: أنا الله القدير ؛ فسر أمامى وكن كاملا. سأجعلُ عهـدى بينى وبينك، وسأكثرك جدا جدا » [تك ١٧: ١ ـ ٢]

« وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتُك لا تُسّمها ساراى، بل سمها سارة، وأنا أُباركها وأرزقك منها ابنا، وأبار كها؛فتصير أمما، وملوكُ شعوب منها يخرجون » [تك ١٧: ١٥ ـ ١٦]

« وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه. وهاءنذا أباركه وأنميه، وأكثره. جدا جدا. ويلد اثنى عشر رئيسا، وأجعله أمة عظمية » [تك ١٧: ٢٠]

والمعنى: أن إبراهيم النبى ـ عليه السلام ـ يسير أمام الله فى البلاد، ليدعو الناس إلى عبادته، وليمحو عبادة الأوثان. وإذا فتح بلدا من البلاد، يُقيم على أهلها ملوكا من نسله. ومثله يسير نسل إسحق أمام الله، من حين ظهور نبى، يصطفيه الله من نسله. ويسير نسلُ إسماعيل أمام الله،من حين ظهور نبى، يصطفيه الله من نسله. ومن سَبْى بابل يدّعى اليهود: أن من يسير أمام الله إلى الأبد: هم نسل إسحق وحده. وأن النبى الذى قال موسى عليه السلام إنه سيأتى من بعده من إخوتهم. هذا النبى سيكون من نسل إسحق وأن بركة إسماعيل تدل على مُلك له على قبائل البدو فى صحراء العرب، ولا تدل على نبوة، كنبوة موسى، وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ليُبطل هذا الادعاء، بتفسير نبوءات التوراة تفسيرا حسنا، ينطبق على محمد ﷺ ولم يرسله الله لإبطال شريعة موسى. وقد قام المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ بدعوته خير قيام، وفسر النبوءات تفسيرا حسنا. وقال: إن موسى أخبر عن نبى، سيأتى من بعده. من وسط إخوتكم [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢] وأنا أُبشركم بمجيئه من بعدى. فالإنجيل: هو البشرى بالخبر المكتوب فى توراة موسى، عن

---

(١) النصوص من ترجمة دار المشرق .

النبى الأمى الآتى.

أ ـ أما عن أن المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ لم يبطل شريعة موسى ؛ فلقوله: « ما جئت لأنقض الناموس »

ب ـ وأما عن تبشيره بالنبى الأمى الآتى فلقوله: « اقترب ملكوت السموات » الذى أخبر دانيال عن قيامه فى الأرض بعد مملكة الروم. ولقوله: إن النبى الآتى سيد داود [١]. ولقوله: « إنه مكتوب فى الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله » وما أشبه ذلك.

وقد آمن به كثيرون من اليهود على ما دعا إليه. وهو أنهم يدخلون فى دين محمد إذا جاء، ويتركون شريعة موسى. وكان علماء بنى إسرائيل فى الزمان السابق على سبى بابل يجاهدون فى سبيل الله تحت إمرة ملوكهم ، الذين كانوا يُعدِّون لأُمم الكفر ما استطاعوا من قوة، وكان جهادهم من بعد السبى تحت الغيرة على شريعة موسى. كلٌ على قدر طاقته، منفردا، أو مع جماعة من أمثاله.

والذين آمنوا بدعوة عيسى ـ عليه السلام ـ انطلقوا مثنى وفرادى وجماعات، تحت الغيرة على شريعة موسى ـ عليه السلام ـ فإنها تُلزمهم بما ألزمهم به عيسى ـ عليه السلام ـ ودعوا أ ـ الوثنيين إلى الدخول فى دين موسى، وإذا ظهر النبى الأمى الآتى مثله، يدخلون فى دينه ب ـ ودعوا اليهود إلى ترك شريعة موسى إذا ظهر النبى الأمى الآتى على مثاله. وأن يعملوا بشريعة هذا النبى .

أما اليهودى فإنه إذْ يقتنع بكلام عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه يُغيِّر فكرا خاطئا بفكر صحيح. وأعماله هى هى ؛ لم يغير منها شيئا.

وأما الوثنى فإنه لدخوله فى دين جديد، يكون ملتزما بتغيير عاداته إلى ما تُصرح به شريعة موسى؛ فيقطع لحم غرلته، ويحفظ السبت، فلا يعمل فيه عملا ما من أعمال المعيشة، ولا يأكل لحم الخنزير، ولا مما ذُبح على النُّصُب. وهكذا يلتزم بالفرائض والأحكام كلها.

ويحكى سفر أعمال الرسل: أن الحواريين من بعد عيسى ـ عليه السلام ـ قد انطلقوا إلى اليهود والأمم بشريعة موسى، وفسروها لهم تفسيرا حسنا. هو نفسه تفسير عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الزمان الذى اتفق فيه أشرار اليهود وأهل الروم على وقف نمو التفسير الصحيح للدين، الذى يقوم به الحواريون. خشية أن يأتى النبى المبشر به، فيقبل عليه الناس، ويمنعوا الخير عن اليهود، وأهل الروم. إذ أهل الروم أيامئذ هم سادة الأمم.

---

(١) معنى سيد داود: هو أنه لا يظهر، وبركة بنى إسرائيل قائمة. ويظهر ليزيلها ، ويعلن بركة إسماعيل أبيه .

وكان من رؤساء اليهود بُولس. وهو رجل قام بما ادعاه اليهود عن النبى المنتظر فى بابل. مع فارق غير كبير. وهو أنهم تركوا نصوص النبوءات، لتدل على محمد فى نظر العلماء، ولا تدل عليه فى نظر الأميين، وهو قد ألف الرسائل فى تفسيرها لتدل على يسوع المسيح. فهو واليهود قد اتفقوا على إنكار صاحبها. وهم تركوا النصوص بلا تفسير، وهو قد فسرها على غير ما هى له. وقد نصره اليهود وساعدوه على أنه يُثبِّت معهم أمرا. هو اللغو فى شأن النبى الآتى.

وقد بين بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية:

أن صراعا شديدا قد دار بين طائفتين من العلماء: طائفة تدعو اليهود والأمم إلى شريعة موسى، إلى أن يأتى النبى المبشر به. وطائفة تدعوهم إلى نبذ شريعة موسى، وأن النبى المبشر به هو يسوع المسيح. وتوسط يعقوب بين الطائفتين. فأمر بأخذ البعض وترك البعض. وقد أشار إلى هذا الصراع لوقا المنسوب إليه سفر الأعمال. فقد قال فى الأصحاح الخامس عشر: « وانحدر قوم من اليهودية، وجعلوا يُعلّمون الإخوة: أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلُصوا. فلما حصل لبولُس وبَرْنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم ؛ رتّبوا أن يصعد بولس وبرنابا، وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ، إلى أورشليم من أجل هذه المسألة.

فهؤلاء بعدما شيعتهم الكنيسة، اجتازوا فى فينيقية، والسامرة، يخبرونهم برجوع الأمم، وكانوا يُسّببون سرورا عظيما، لجميع الأخوة.

ولما حضروا إلى أورشليم، قبلتهم الكنيسة والرسلُ والمشايخ ؛ فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم. ولكن قام أُناس،من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفَرِّيسيين(١)، وقالوا: إنه ينبغى أن يختتنوا، ويُوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى.

فاجتمع الرسلُ والمشايخ ؛ لينظروا فى هذا الأمر. فبعدما حصلت مباحثة كثيرة، قام بطرس، وقال لهم: أيها الرجال الأخوة أنتم تعلمون: أنه منذ أيام قديمة، اختار الله بيننا أنه بفمى يسمعُ الأمم كلمة الإنجيل، ويؤمنون. والله العارف القلوب شهد لهم. مُعطيا لهم الروح القدس، كما لنا أيضا. ولم يُميز بيننا وبينهم بشىء. إذ طهر بالإيمان قلوبهم. فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير، على عنق التلاميذ، لم يستطع آباؤنا، ولا نحن أن نحمله ؟ لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص، كما أولئك أيضا.

---

(١) اقرأ: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتالميذه، قائلا: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه. وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون» [متى ٢٣: ١ ـ]

فسكت الجمور كلُّه. وكانوا يسمعون بَرْنابا وبُولُس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم.

وبعدما سكتا، أجاب يعقوب قائلا: أيها الرجال الإخوة ؛ اسمعونى: سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولا الأمم ليأخذ منهم شعبا على اسمه. وهذا توافقه أقوال الأنبياء، كما هو مكتوب: « سأرجع بعد هذا، وأبنى أيضا خيمة داود الساقطة، وأبنى أيضا رَدْمها، وأقيمها ثانية ؛ لكى يطلب الباقون من الناس الربَّ، وجميع الأمم الذى دعى اسمى عليهم. يقول الرب الصانع هذا كله » معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله.

لذلك أنا أرى أن لا يُثقل على الراجعين إلى الله من الأمم، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم. لأن موسى منذ أجيال قديمة، له فى كل مدينة من يكْرِز به. إذ يقرأ فى المجامع كل سبت.

حينئذ رأى الرسلُ والمشايخ. مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم ؛ فيرسلوهما إلى أنطاكية، مع بولس، وبرنابا يهوذا، الملقب بَرْسابا، وسيلا. رجلين متقدمين فى الإخوة... الخ » [أع ١٥ : ١ ـ]

يتبين مما رواه الكاتب:

١ ـ أن بطرس رأى ترك العمل بشريعة موسى.

٢ ـ وأن علماء بنى إسرائيل الذين آمنوا بعيسى ـ عليه السلام ـ رأوا العمل بشريعة موسى.

٣ ـ وأن يعقوب توسط بين الكل، بأخذ البعض من الشريعة. وترك البعض. وحجته فى ذلك: أن كتاب موسى يُقرأ فى كل يوم سبت فى مجامع المؤمنين به، وأن الناس يعلمون مما يتلى عليهم: أن العمل به واجب إلى أن يأتى النبى الموعود به. واقتبس يعقوب من سفر عاموس ما يدل على أن الوثنيين سيدخلون فى دين الله. وهو: «فى ذلك اليوم أقيم كوخ داود، الذى سقط، وأسدُّ ثُلَمه، وأقيم أنقاضه، وأعيد بناءه، كما كان فى الأيام القديمة ؛ لكى يرثوا بقية أدوم، وجميع الأمم التى أطلق اسمى عليها. يقول الرب الصانع هذا » [عا ٩ : ١١ ـ ١٢] والاقتباس فى غير محله. وذلك لأن الوثنيين كانوا فى دين موسى، من عهد موسى، وكانوا يُسمون بالدخلاء ولأن العهد بدوام الملك فى داود، قد أُنهى من قبل الله بقوله فى سفر الأمثال: « ارتكاب الشر قبيحة عند الملوك ؛ لأنه لا يُثبت العرش » [أم ١٥ : ١٢] وقال الله عن يهوياكين: «هكذا قال الرب: سجلوا هذا الإنسان عقيما، رجلا لم ينجح فى أيامه، فلن ينجح من ذريته أحد، فى الجلوس على عرش داود،

والتسلط فى يهوذا بعد » [إر ٢٢: ٣٠] ويسوع المسيح من نسله ـ حب النسب الكاذب له فى إنجيل متى ـ فكيف يكون ملكا على آل داود ؟ واليهود من سبى بابل يفعلون الشر. [متى ٧: ١١] فإنهم قد استباحوا أكل الربا من الأممى. وهذا من الشرور القبيحة التى لا تُناسب السير أمام الله. إذْ كيف يهدونهم، وهم يأكلونهم ؟

وقد وجه بولس رسالته إلى أهل غلاطية ؛ ليحثهم على نبذ شريعة موسى، بقوله: « لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسح إذاً مات بلا سبب » [غلا ٢: ٢١]

ثم قال بولس: أنا أبشر بإنجيل، وغيرى يبشرون بإنجيل آخر. وأوحى إلى العلماء: أن إنجيله كاذب ومزور، بقوله: إننى وأنا سائر فى الطريق إلى دمشق، بعد موت يسوع المسيح ببضع سنين، ظهر لى يسوع من بين الأموات، وسلمنى إنجيلا، ليس على سنَّة البشر، لأكرز به. كيف يظهر له « يسوع » وهو منفرد، من بعد موته، ويعطيه كلاما غير الذى أعطاه للحواريين من قبل موته، يطوف به فى جميع البلاد ؟ إذاً تكون كرازة النصارى عن واحد. هو بولس والتوراة[1] تمنعهم من قبول شهادة الواحد، وكذلك يمنعهم الإنجيل. فكيف بواحد مشكوك فى شهادته تقوم ديانة ؟ وقد كان المسيح يستشهد بالتوراة على ما يقول. لتشهد له التوراة. أى أنه مع المعجزات التى شهدت له، شهدت له التوراة أيضا. وهذا أحسن من حال بولس الذى أشهد الله على ما فى قلبه، وهو ألدّ الخصام.

استمع إليه يقول: « فأعلمكم ـ أيها الأخوة ـ بأن البشارة التى بشرت بها، ليست على سنَّة البشر ؛ لأنى ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان، بل بوحى من يسوع المسيح » [غلا ١: ١١ ـ ١٢] وهل يوحى له المسيح يسوع وهو ميت؟ إن هذا لشئ عجيب.

وما أكتبه إليكم؛ فالله شاهد على أنى لا أكذب فيه» [غلا ١: ٢٠] وفى ترجمة: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به: أنه ليس بحسب إنسان ؛ لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته. بل بإعلان يسوع المسيح » ـ « والذى أكتب به إليكم هو ذا قدام الله أنى لست أكذب فيه»[2]

إنه يصرح بأن إنجيله هو غير الإنجيل الذى أملاه المسيح على الحواريين، ودونوه فى كتبهم، وطافوا معه به فى البلاد. ومن يشهد له فى دعواه هذه ؟ ومن رآه والمسيح يكلمه وحده ؟ ولماذا اختاره من بين الناس ؟ ولماذا قال عن بطرس إنه رأس الحواريين ؟ انظر إلى

---

(١) فى التوراة: «على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود؛ يقوم الأمر» [تث ١٩: ١٥].

(٢) وفى الإنجيل: «أن شهادة رجلين: حق» [يو ٨:١٧] ايضا: تث ١٧ :٦ ومتى ١٨: ١٦ و٢ كو ١٣: ١ وعب ١٠: ٢٨.

قول التوراة: « لا يقوم شاهد واحد على أحد، فى أى إثم، وأى خطيئة يرتكبها ولكن بقول شاهدين أو ثلاثة شهود، تقوم القضية » [تث ١٩: ١٥] وانظر إلى قول الإنجيل: « لكى يُحكم فى كل قضية، بناء على كلام شاهدين أوثلاثة » [مت ٨: ١٦] وانظر إلى بولس فى قوله إنه تلقى الإنجيل الصحيح من المسيح نفسه، عيانا جهارا من بعد موته ببضع سنين، ولم يأت بشاهد واحد على قوله. وانظر إلى النصارى الذين يقبلون قوله بلا بينة. وقل لنفسك بعد هذا كله: أيصح هذا من عقلاء يعملون لمعاشهم ومعادهم ؟

وغرض بولس من إنجيله هذا: هو أن يبين للناس أن النبى الآتى إلى العالم على مثال موسى هو يسوع لا محمد بن عبد الله. وذكر نبوءات من التوراة هى عن النبى الآتى، وطبقها على يسوع. ذكرها فى رسائله. والنص الذى أذكره الآن يوضح ذلك، مع الاقتباسات التى بعده:

النص:

« نحن نعلم: أن الإنسان لا يُبرر بالعمل بأحكام الشريعة، بل بالإيمان بيسوع المسيح. ونحن أيضا آمنا بالمسيح يسوع، لكى نُبرر بالإيمان، بالمسيح، لا بالعمل بأحكام الشريعة ؛ فإنه لا يُبرر أحد من البشر بأحكام الشريعة » [غلا ٢: ١٦]

انظر إليه فى تصريحه بإلغاء التوراة. واسأل نفسك هل هو على حق فى هذا الإلغاء أم لا ؟ إنه ليس على حق.

أ ـ لأن الناس من عهد موسى ـ عليه السلام ـ إلى يسوع المسيح كانوا يعملون بالتوراة. ومنهم المقلّ، ومنهم المكثر ويسوع المسيح نفسه عمل الفِصح وكان مختتنا حسب الناموس، وقال للأبرص الذى شفاه بإذن الله: قدم القربان الذى أمر به موسى، شهادة لهم [متى ٨: ٤]

ب ـ ولأن الفريسيين الذين آمنوا بالمسيح كانوا يوصون الناس بأن يختتنوا حسب ناموس موسى [أع ١٥: ١]

ج ـ ولأن المسيح نفسه قال: إننى ما جئت لأنقض الناموس [متى ٥: ١٧]

د ـ ولأن يعقوب رد على بولس وقال له: إن الإيمان بلا أعمال هو مثل جسد ميت، لا روح فيه. يقول يعقوب: « فمن حفظ الشريعة كلها، وزلّ فى أمر واحد منها، أخطأ بها جميعا ؛ لأن الذى قال: لا تزن، قال أيضا: لا تقتل. فإذا لم تزن ولكنك قتلت، كنت مخالفا للشريعة » [يع ٢: ١٠ ـ ١١]

وقال: « أما بُرر أبونا إبراهيم بالأعمال. إذ قرب ابنه إسحق[1] على المذبح ؟» [يع ٢: ٢١]

ولماذا قال بولس بإلغاء الأحكام الفقهية من على الناس ؟

لأن المسيح لم يأت بأحكام فقهية مخالفة لأحكام موسى. وموسى قال: إن النبى الآتى سيأتى بأحكام. وإذ هو يجعل المسيح ؛ النبى الآتى، وهو لم يأت بما يخالف. قال: إن الأعمال لا فائدة منها، وذلك لكى يقنع الناس بأن يسوع المسيح هو النبى الآتى.

الاقتباسات

الاقتباس الأول:

« هكذا: « آمن إبراهيم بالله، فحسب له ذلك برا » [تك ١٥: ٦] فاعلموا إذا: أن أبناء إبراهيم إنما هم أهل الإيمان، ورأى الكتاب من قبل: أن الله سيُبرر الوثنيين بالإيمان؛ فبشَّر إبراهيـم من قبل، قال له: « تبـارك فيك جميع الأمم » [حبقوق ٢: ٤] لذلك فالمباركون مع إبراهيم المؤمن، إنما هم أهل الإيمان » [غلا ٣: ٦: ٩]

قال بولس: إن الله رضى عن إبراهيم؛ لإيمان صدر منه، لا لأعمال عملها. وأن الأمم تبارك فى إبراهيم بالإيمان، لا بأعمال الشريعة.

والرد عليه:

أن إبراهيم آمن بالله. وعمل بشريعته. فرضى الله عنه لإيمانه وأعماله معا. والأمم تتبارك فيه بعملهم بالشريعة التى يبلغها لهم نسله. وهذا واضح من رد يعقوب على بولس. فإنه قال: « ورُبَّ قائل يقول: أنت لك الإيمان، وأنا لى الأعمال ؛ فأرنى إيمانك من غير أعمال ؛ أُرك أنا إيمانى بأعمالى. أنت تؤمن بأن الله أحد. فقد أحسنت. والشياطين هى أيضا تؤمن به، وترتعد. أتريد أن تعلم أيها الأبله: أن الإيمان من غير أعمال ؛شىء عقيم ؟أما بُرر أبونا إبراهيم بالأعمال. إذ قرب ابنه إسحق على المذبح؟ ترى: أن الإيمان ساهم فى أعماله، وأنه بالأعمال، اكتمل الإيمان. فتمت الآية التى ورد فيها: « إن إبراهيم آمن بالله، فحسب له ذلك برا، ودعى خليل الله »[2] [يع ٢: ١٨ ـ ٢٣]

قال بولس: « آمن إبراهيم بالله، فحسب له ذلك برا » [تك ١٥: ٦]

وقال يعقوب: « إن إبراهيم آمن بالله، فحسب له ذلك برا، ودُعى خليل الله » [تك

---

(١) بين عيسى عليه السلام أن الذبيح هو إسماعيل.

(٢) ودعى خليل الله : ليست فى التوراة العبرانية.

١٥ : ٦] فالاقتباس من التوراة بينهما واحد. وأحدهما فسره بالإيمان فقط، والآخر فسره بالإيمان والأعمال. فمن منهما الذى على الحق ؟ إنه هو يعقوب. لأن قول القائل: آمنت بموسى. معناه: التزمت بشريعته. وقول القائل: آمنت بمحمد. معناه: التزمت بشريعته. وقوله: آمنت بالله. معناه: التزمت بشريعته. وهكذا قال يشوع بن سيراخ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: « إبراهيم كان أبا عظيما ؛ لأمم كثيرة، ولم يوجد نظيره فى المجد، حفظ شريعة العلى، وقطع عهدا معه » [سى ٤٤: ١٩ ـ ٢٠]

الاقتباس الثانى:

« فإن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعا فى حكم اللعنة. فقد ورد فى الكتاب: «ملعون من لا يُثابر على العمل بجميع ما كتب فى سفر الشريعة » [تث ٢٧: ٦] أما أن الشريعة لا تبرر أحدا عند الله ؛ فذاك أمر واضح ؛ لأن « البار بالإيمان يحيا » [حب ٢: ٤] على حين أن الشريعة ليست من الإيمان، بل « من عمل بهذه الأحكام يحيا بها » [لا ١٨: ٥] إن المسيح افتدانا من لعنة الشريعة، إذ صار لعنة لأجلنا. فقد ورد فى الكتاب: « ملعون من علق على الخشبة » [تث ٢١: ٢٣] ذلك كيما تصير بركة إبراهيم إلى الوثنيين، فى المسيح يسوع، فننال بالإيمان الروحَ، الموعود به » [غلا ٣ ١٠ ـ ١٤]

البيان:

إن بولس يفسر النصوص تفسيرا ملتويا. فإن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعا فى حكم اللعنة ؛ إذا أهملوها ولم يعملوا بها. ولكن إذا لم يُهملوها وعملوا بها ؛ فإنهم فى حكم الرِّضى، لا فى حكم اللعنة. أكان موسى تحت حكم اللعنة وهو يعمل بالشريعة ؟ أنت سفيه يا بولس. فإن موسى لما عمل بالشريعة، وقاتل فى سبيلها. لم يكن تحت حكم اللعنة، بل كان مرضيا عنه من الله والناس. فقد قال يشوع بن سيراخ: « وأقام منه » أى من يعقوب « رجل رحمة. قد نال حظوة فى عينى كل بشر. موسى الذى أحبه الله والناس، وكان ذكره مباركا ؛ فآتاه مجدا كمجد القديسين، وجعله عظيما يرهبه الأعداء. بكلامه أوقف الآيات، ومجَّده، أمام الملوك. أعطاه وصايا من أجل شعبه، وأراه شيئا من مجده. بالأمانة والوداعة قدّسه، ومن بين جميع البشر اختاره. أسمعه صوته، وأدخله فى الغمام المظلم. أعطاه الوصايا وجها لوجه. شريعة حياة وعلم ؛ ليعلم يعقوب العهد، وإسرائيل أحكامه » [سى ٤٤: ١ ـ ٥]

وقوله لأن البار بالإيمان ؛ يحيا. هو تحريف لآية فى سفر النبى حبقُّوق ؛ فإن حبقوق يتكلم عن رؤيا ويقول: « أكتب الرؤيا، وانقشها على الألواح حتى يُسرع فى قراءتها ؛

فإنها أيضا رؤيا للميقات. [دا ٨: ١٩ و٢٦ و ١٠: ١٤ و١١: ٢٧ و٣٥] تصبو إلى أجلها ولا تكذب. إن أبطأت فانتظرها؛ فإنها ستأتى إتيانا، ولا تتأخر. النفس غير المستقيمة، غير أمينة، أما البار، فبأمانته يحيا» [حب ٢: ٢ ـ ٤] وغرضه: هو الإيمان بصدق الرؤيا في مواعيدها. فلماذا يقول بولس: إن المراد بها الإيمان بالله وحده ؟

وقال بولس: إن المسيح ملعون؛ لأنه قتل وعُلق على الصليب، والتوراة تقول: إن المعلق ملعون. وقوله باطل. لأن المسيح لم يُقتل ولم يعلق على خشبة الصلب. ولأن المعلق الملعون هوالمقترف إثما، لا المجاهد فى سبيل الله.

وغرضه من شتم المسيح وسبه: هو التقرب إلى اليهود الملاعين. وذلك لأنهم فى حرج من كلام يسوع المسيح عن أن النبى الآتى ليس منهم. وهم ما كانوا يريدون أن يجهر بهذا القول. وبولس قد تقرب إليهم، بقوله مثل قولهم. فإن معنى كلامه لليهود هو: أنتم بزعمكم أن النبى الآتى سيكون منكم ؛ تنكرون النبوة فى آل إسماعيل، وأنتم تعتقدون أنه لن يأتى منكم إلى أن تقوم القيامة. وعلى هذا ؛ فإنكم لا تنتظرون أحدا. فلو أنكم قلتم: إنه هو يسوع، يكون كقولكم: إنه سيأتى منا، فى جعل النبوة فيكم. فقولوا معى: إنه هو يسوع. لأنكم به أوْ لا به، لا تنتظرون أحدا.

واليهود إذا جاء النبى المنتظر، ورفضوا شريعته، فإنهم يكونون قائمين على شريعة مرفوضة. هى شريعة موسى، التى سينسخها النبى المنتظر. وإقامتهم على شريعة مرفوضة منهم بالكبر والحسد، هو مثل إلغائهم لها علنا. وهذا هو ما عناه بولس من تصريحه بإلغاء ناموس موسى، وجعل التبرير بالإيمان، لا بالأعمال مع الإيمان. فإن اليهود الذين هو منهم، لن يقبلوا النبى المنتظر. وإقامة التوراة لا تتم إلا بالإيمان به، فلماذا الأعمال إذاً وهم لن يدخلوا فى دينه ؟ ومن أجل ذلك صرح بإلغاء الشرائع من على الأمم حتى يتحدوا مع اليهود ضد أتباع النبى الآتى بشريعة، لن يدخل اليهود فيها.

الاقتباس الثالث:

« أيها الأخوة. إنى أتكلم بحسب العرف البشرى: إن وصية صحيحة أثبتها إنسان، لا يستطيع أحد أن يبطلها، أو يزيد عليها. فمواعد الله قد وجهت إلى إبراهيم « وإلى نسله » [تك ١٢: ٧ و١٣: ١٥ و ١٧: ٨] ولم يقل: « وإلى أنساله »كما لو كان الكلام على كثيرين، بل هناك نسل واحد « وإلى نسلك » أى المسيح.

فأقول: إن وصية أثبتها الله فيما مضى، لا تنقضها شريعة، جاءت بعد أربعمائة وثلاثين سنة [خر ١٢: ٤٠ ـ ٤١] فتبطل الموعد. فإذا كان الميراث يُحصل عليه بالشريعة؛ فإنه

لا يحصل عليه بالوعد. أما إبراهيم فبموجب وعد، أنعم الله عليه » [غلا ٣: ١٥ ـ ١٨]

لاحظ :

أ ـ و « إلى نسله » ـ و« إلى أنساله » تجد المعنى واحدا. وبولس يقول: إن نسله يدل على واحد. ويقول: إن الله وعد إبراهيم بمباركة الأمم به، وهو يسير بينهم أمام الله. والبركة ليست فى إسماعيل. بل فى إسحق. والبركة ليست فى إسحق من عهد موسى صاحب الشريعة، بل فى إسحق من عهد يسوع المسيح. أى أن بركة إبراهيم فى الأمم يحملها يسوع وحده، لأنه هو المعنى بها. ذلك قوله. وإنه لكلام واضح البطلان. لأن يسوع المسيح ـ على رأى بولس ـ لم تسر دعوته فى الأمم بهدم أوثان، وقتال أمم، وإقرار خلق طيب. كما سار إبراهيم. بل سار على تثليث تجسد، وتثليث تعدد ـ على رأى النصارى فيه ـ وهذا يشبه عبادة الأوثان التى لم يقرها إبراهيم.

فعلى قولهم كلهم فيه ؛ لا يمكن أن يكون وارثا لإبراهيم فى البركة. بل لا يكون هو الوارث.

ب ـ قوله إن الشريعة جاءت بعد إبراهيم بأربعمائة وثلاثين سنة. هذا فى التوراة اليونانية. أى أنه من إبراهيم إلى يعقوب ٢١٥ سنة ومن يعقوب إلى موسى ٢١٥ سنة. يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: « هذا الرقم ٥ رقم الكتاب المقدس اليونانى [خر ١٢: ٤٠ ـ ٤١] أما فى النص العبرى ؛ فيجب إضافة مدى إقامة الآباء فى كنعان » أ. هـ.

ج ـ إن الموعد بمباركة الأمم فى نسل إبراهيم لم يكن بمعزل عن الشريعة ـ كما يدعى ـ بل كان للعمل بالشريعة. فإبراهيم جاهد مع الله، وحطم الأوثان. وهو يعلم أن قومه سيغضبون عليه. وهذا حب فى الله. وجاد بابنه قربانا فى سبيل الله. وبنى مساجد لعبادة الله، وحارب الوثنيين، وختن أولاد بيته، وتغرب فى البلاد لتعريف الناس بالله رب العالمين، وَفقا لشريعة نوح التى كان عليها. وإذا كان الموعد بلا مقابل من إبراهيم. فلماذا فُضل على غيره ؟ وفى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم: ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم، ربه بكلمات؛ فأتمهن. قال: إنى جاعلك للناس إماما. قال: ومن ذريتى. قال: لا ينال عهدى**[(١)] **الظالمين** ﴾ والإتمام: هو العمل. والظالم لنفسه من ذريته، هم بنو إسرائيل أى أن الظلم ههنا: هو ظلمهم لبنى إسماعيل، بأخذ عهده، ووضعه على إسحق وفى هذا المعنى قال يعقوب فى رسالته: « فإذا عملتم بالشريعة السامية، التى نص عليها الكتاب. وهى « أحبب

---

(١) يشير بالعهد إلى العهد المذكور فى قوله : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك » [تك ١٧] فإنه قد ناله إسماعيل ، رلم ينله اليهود الظالمون لإسماعيل

قريبك حبك لنفسك » تحسنون عملا. وأما إذا راعيتم الأشخاص فترتكبون خطيئة، وتثبت الشريعة عليكم: أنكم من المخالفين » ثم قال: «أما برر أبونا إبراهيم بالأعمال؟.... الخ» [يع ٢: ٨ -]

الاقتباس الرابع:

العَهْــــدَان

«قولوا[1] لى. أنتم الذين يريدون أن يكونوا فى حكم الشريعة. أما تسمعون الشريعة؟ فقد ورد فى الكتاب: أن إبراهيم رزق ابنين. أحدهما من الأمة، والآخر من الحرة. أما الذى من الأمة ؛ فقد وُلد بحكم الجسد. وأما الذى من الحرة ؛ فقد ولد بفضل الموعد. وفى ذلك رمز؛ لأن هاتين المرأتين هما العهدان: أحدهما من طور سيناء، يلد للعبودية. وهو هاجر؛ لأن سيناء جبل فى ديار العرب. وهاجر تقابل أورشليم هذا الدهر. فهى فى العبودية مع أولادها.

أما أورشليم العليا؛ فحرة. وهى أمُّنا. فقد ورد فى الكتاب: « إفرحى أيتها العاقر التى لم تلد. اهتفى وارفعى الصوت أيتها التى لم تتمخض: إن أولاد المهجورة أكثر عددا من أولاد ذات البعل » [إش ٥٤: ١]

فأنتم أيها الأخوة أولاد الموعد، على مثال إسحق. وكما كان المولود بحكم الجسد يضطهد المولود. بحكم الروح، فى ذلك الحين. فمثل هذا يجرى اليوم. ولكن ماذا يقول الكتاب ؟ يقول: « اطرد الأمة وابنها ؛ فإن ابن الأمة لن يرث مع ابن الحرة» [تك ٢١: ١٠]

فلسنا نحن إذاً أيها الإخوة أولاد أمة، بل أولاد الحرة. إن المسيح قد حررنا تحريرا ؛ فاثبتوا إذاً، ولا تدعوا أحدا يعود بكم إلى نير العبودية » [غلا ٤: ٢١ -]

البيان:

أولا: انظر إلى قول بولُس: « إن إبراهيم رزق ابنين » وهو لم يرزق بابنين بل بثمانية. ستة منهم من « قطورة » وهى حرة، مثل «سارة» وأسماؤهم: زِمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحا . ويقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: من قطورة تنحدر شعوب جزيرة العرب. ومنهم بنو مدين [خر ٢: ١٥] وبــــنو سبأ [امل ١٠: ١ - ١٠ وبنو ددان [إش ٢١: ١٣] - فلماذا تكلم عن اثنين وهم ثمانية ؟

ثانيا: انظر إلى قوله: « لأن هاتين المرأتين هما العهدان » هاجر وسارة، لا قطورة.

---

(١) راجع كتاب العهدان نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة - أحمد حجازى السقا.

لماذا قال عن هاجر وسارة إنهما هما العهدان ؟

ثالثا: لماذا عقد مقارنة بين ديار هاجر وديار سارة ؟

ارجع إلى نص العهد بين الله تعالى وبين إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالسير أمام الله فى الأرض، لنشر دينه. تجد أن العهد فى إسماعيل وإسحق من بعد إبراهيم. وهذا يعترف به بولس ولا ينكره ؛ لقوله: « **لأن هاتين المرأتين هما العهدان** ».

فإن الله تعالى قال لإبراهيم: « أنا الله القدير ؛ فسر أمامى، وكن كاملا ؛ سأجعل عهدى بينى وبينك » [تك ١٧: ١ ـ ٢] وهذا العهد للسير أمام الله فى الأرض؛ من أجل محو عبادة الأوثان، وعبادة الله وحده. والسير: هو الدعوة إلى الله. لقوله: « وسار نوح مع الله » [تك ٦: ٩] « الرب الذى سرت أمامه » [تك ٢٤: ٤] « فتسير الأمم فى نورك » [إش ٦٠: ٣] « أسير أمام الله فى نور الأحياء » [مز ٥٦: ١٤]

وقال إرمياء: إن علماء بنى إسرائيل كلهم لم يسيروا أمام الله « ساروا وراء الباطل » [إر ٢: ٥] « ولا ساروا فى شريعتك » [إر٣٢ : ٢٣] وفى الإنجيل عن عيسى عليه السلام: «كان يسير فى مدينة وقرية يكرز بملكوت الله،ومعه الاثنا عشر » [لوقا ٨: ١]

والسير أمام الله من بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ يكون فى نسل إسماعيل ونسل إسحق ـ عليهما السلام ـ ويبدأ نسل إسحٰق أولا؛ فيفتح البلاد، ويهدم بيوت الأوثان، ويعلم مكارم الأخلاق. وتكون الإمامة والرئاسة لهم على كل بنى إبراهيم، وأهل البلاد التى يفتحونها.

ثم من بعد زمان طويل يقوم نسل إسماعيل. بفتح البلاد، وهدم بيوت الأوثان، ويعلم مكارم الأخلاق،وتكون الإمامة والرئاسة لهم على كل بنى إبراهيم، وأهل البلاد التى يفتحونها.وعبر عن هذا المعنى داود بقوله عن النبى الآتي منهم بأنه سيده. ولو كان هو من اليهود ؛ فإنه يكون مساويا لداود في السيادة ـ حسب معنى البركة ـ وما كان يقول عنه إنه سيده [مز ١١٠]

فالعهد بين الله وبين إبراهيم ؛ هو لله وحده، وليس للشيطان الرجيم.

ونص العهد عن المرأتين: هو « ١٥ وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك . لا تسمها ساراى. بل سمّها سارة ١٦وأنا أباركها وأرزقك منها ابنا، وأباركها ؛ فتصير أمما، وملوك شعوب منها يخرجون ١٧ فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال فى قلبه: ألابن مئة سنة يولد ولد. أم سارة وهى ابنة تسعين سنة تلد؟ ١٨ فقال إبراهيم لله: لو أن إسماعيل

يحيا أمام وجهك ١٩ فقال الله: بل سارة امرأتك ستلد لك ابنا، وسمه إسحق، وأقيم عهدى معه، عهدا أبديا ؛ لأكون له إلها، ولنسله من بعده ٢٠ وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه. وهاءنذا أباركه وأنميه وأكثره جدا جدا. ويلد اثنى عشر رئيسا، وأجعله أمة عظيمة ٢١ غير أن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة، فى مثل هذا الوقت، من السنة المقبلة » [تك ١٧]

إن اسم ساراى معناه: أميرة قوم. وسارة معناها: أميرة أقوام. وإبراهيم معناه: الأب الرفيع المقام. وإسماعيل معناه: سمع الله. وإسحق معناه: الله ضحك وتبسم. وهذا النص يبين تقسيم بركة إبراهيم فى ولدين اثنين من أولاده الثمانية. هما: إسحق وإسماعيل. والبركة مفسرة فى النص بأمم كثيرة من النسل وملوك على الشعوب والأمم من النسل المبارك فيه، إذا كانوا سائرين أمام الله بشريعته بين الناس.

وذلك واضح من قوله: «سر أمامى وكن كاملا » ومن قوله إذا سرت أمامى بالكمال. أى بالقدوة الصالحة. فإنى أجعلك أمما، وأجعل منك ملوكا على الشعوب. فالعهد ههنا هو: للسير أمام الله فى الأرض بشريعته. وهو مقسوم بين إسحق وإسماعيل. وذلك لوجود نص على بركة لإسماعيل.

وكاتب التوراة قال: أ ـ إن العهد الدائم [1] بالنبوة فى نسل إسحق إلى يوم القيامة ب ـ وأن السير أمام الله بالشريعة. ليس فى كل الأمم والشعوب، بل فى بنى إسرائيل من دون الناس. ثم حرف التوراة من شريعة عامة، إلى أن يأتى زمان بركة إسماعيل، إلى شريعة خاصة من زمان بابل، وتدوم إلى يوم القيامة. والسّير لا يُناسبه الخصوص.

وهل كان سير إبراهيم أمام الله فى ما تناسل منه فقط ؟ ألم يكن سيره فى الأمم هو وإسحق ويعقوب والنبيون ؟ فإبراهيم يقول لعبده: « الرب الذى سرت أمامه، يرسل ملاكه معك وينجح طريقك » [تك ٢٤: ٤٠]

والله يقول لإسحق عن بركته: «لا تنزل إلى مصر، بل أقم فى الأرض التى أعينها لك. إنزل هذه الأرض، وأنا أكون معك وأباركك؛ لأنى لك ولنسلك سأعطى هذه البلاد كلها، وأفى بالقسم الذى أقسمته لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء. وأعطى نسلك هذه البلاد كلها، وتتبارك بنسلك أمم الأرض كلها. من أجل أن إبراهيم أصغى إلى

(١) المسيح عيسى عليه السلام قال : إن هذا العهد الدائم فى إسماعيل ؛ لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد .

صوتى، وحفظ أوامرى ووصاياى وفرائضى وشرائعى» [تك ٢٦: ٢ ـ ٥]

« فبنى هناك مذبحا، ودعا باسم الرب، ونصب خيمته هناك » [تك ٢٦: ٢٥]

والله يقول ليعقوب حامل بركة إسحق فى الأمم: « أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. إن الأرض التى أنت نائم عليها. لك أعطيها ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض. فتنتشر غربا وشرقا وشمالا وجنوبا، ويتبارك بك وبنسلك جميع عشائر الأرض » [تك ٢٨: ١٣ ـ ١٤]

« وأقام هناك مذبحا، ودعاه باسم إيل، إله إسرائيل » [تك ٣٣: ٢٠] « وجاء يعقوب إلى لوز التى فى أرض كنعان. وهى بيت إيل. هو وجميع القوم الذين معه، وبنى هناك مذبحا، ودعا المكان إله بيت إيل » [تك ٣٥: ٦ ـ ٧]

وقد دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة فاتحين. للسير فيها أمام الله بشريعة موسى. فقد قال داود لجالوت: « أنت تأتينى بالسيف والرمح والمزراق، وأنا آتيك باسم رب القوات، إله صفوف إسرائيل، الذى أنت عيرته. فى هذا اليوم يسلمك الرب إلى يدى، فأقتلك، وأفصل رأسك عنك، وأجعل اليوم جثث جيش الفلسطينيين لطيور السماء ووحوش الأرض ؛ حتى تعلم الأرض كلها: أن لإسرائيل إلها. وتعلم هذه الجماعةكلها: أن ليس بالسيف والرمح يخلص الرب ؛ لأن للرب القتال. وهو يسلمكم إلى أيدينا » [١ صم ١٧: ٤٥ ـ ٤٧]

وأمر موسى بنى إسرائيل بتحطيم معابد أوثان الأمم، وكسر أصنامهم. وذلك لايتم إلا بجيوش يعدونها لفتح البلاد. بها يغلبون الأمم، وبها يحطمون معابد أوثانهم، ويكسرون أصنامهم. وإنهم إذا فعلوا ذلك ـ وهم به مكلفون ـ يكونون سائرين أمام الله فى بلاد الأمم. ففى سفر التثنية: « وإذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها ؛ لترثها، وطرد من أمامك أمما كثيرة. . . تدمرون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتحطمون أوتادهم المقدسة، وتحرقون تماثيلهم بالنار » [تث ٧: ١ ـ]

وقال زكريا: إن الأمم عرفت الله عن طريق سير بنى إسرائيل فيهم بشريعة موسى: «ويكون أن جميع الذين أبقى عليهم من جميع الأمم، الزاحفة إلى أورشليم. يصعدون سنة بعد سنة ؛ ليسجدوا للملك، رب القوات، وليعيّدوا عيد الأكواخ، ويكون أن جميع الذين لا يصعدون من عشائر الأرض إلى أورشليم؛ ليسجدوا للملك، رب القوات. لا ينزل عليهم مطر » [زك ١٤: ١٦ ـ ١٧] وعيد الأكواخ [خر ٢٣: ١٤] لو كان لليهود فقط،

ما كانت الأمم تأتى إلى أورشليم من أجله.

وعلى ما قدمنا. فإن النبيين والمرسلين، وإبراهيم وإسحق ويعقوب ساروا أمام الله، ليس فى نسل إبراهيم فقط، بل فى الأمم، وبنوا المذابح ـ أى المساجد ـ لعبادة الله وحده، ودعوا باسم الرب السرمدى إله العالمين.

ومحرف العهد جعل الله ربا لبنى إسرائيل فقط، وجعل شريعة موسى لبنى إسرائيل فقط، وقال: إن بركة إسماعيل ليس فيها عهد بنبوة، والنبى الآتى سيكون من بنى إسرائيل. والنصوص تكذبه. لأن الله لو كان يريد العهد إلى الأبد فى إسحق لكان قد حرم إسماعيل من البركة كما حرم الأولاد الستة لقطورة. وما كان يجعل العهد مشروطا بالاستقامة. وذلك لأن شرطه بالاستقامة معناه إعطاء العهد لغيرهم فى حال المخالفة. ولمن يعطيه فى حال المخالفة ؟ يعطيه للنسل المبارك فيه.

أعد قراءة نص العهدين. وفيه يقول إبراهيم لله: « لو أن إسماعيل يحيا أمام وجهك » ـ « ليت إسماعيل يعيش أمامك » أى يسير أمامك نسلُه فى جميع البلاد، لدعوة الناس إلى عبادتك. فهل قال الله لإبراهيم: إنه لن يسير أمامى ؟ لم يقل هكذا. وإنما قال: « وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه » أنه يسير أمامى لدعوة الناس إلى عبادتى. بشريعة.

والدليل من النص على أن الكاتب كاذب فى جعله العهد بالنبوة فى إسحق وحده: قوله: « لأكون له إلها، ولنسله من بعده » هل الله لليهود فقط أم لجميع الناس؟

إن الله لجميع الناس. ففى التوراة وفى الإنجيل: «وفاديك هو قدوس إسرائيل، يدعى إله الأرض كلها » [إش ٥٤: ٥]

وقال إبراهيم: « إن الرب إله السماء وإله الأرض. الذى أخذنى من بيت أبى، ومن مسقط رأسى. . الخ » [تك ٢٤: ٧]

« الإله الذى خلق العالم » [اع ١٧: ٢٤] « فكيف يدين الله العالم؟ » [رو ٣: ٦]

« إن العالمين أتقنت بكلمة الله » [عب ١١: ٣] « الرب يرأف بالجميع ومراحمه على كل أعماله » [مز ١٤٥: ٩] « فإنه خلق كل شىء لكى يكون. له حياة حقيقية دائمة » [حك ١: ١٤]

«ولكن بانى الكل هو الله » [عب ٣:٤] « وغرس إبراهيم طرفاءة، فى بئر سبع، ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدى » [تك ٢١: ٣٣] ولو كان العهد دائما فى نسل إسحق، لما جعله الله مشروطا بالعدل فى أبنائه. وقال أنبياؤهم: إنهم خانوا عهده «فخدعوه بأفواههم، وكذبوا عليه بألسنتهم. أما قلوبهم فلم تكن معه، ولا آمنوا بعهده» [مزمور ٧٨: ٣٦ - ٣٧] «كالعُقاب ينقض الويل على بيت الرب، إلى فمك بوقا. فإنهم نقضوا عهدى، وعصوا شريعتى» [هوشع ٨: ١] « تدنست الأرض تحت سكانها ؛ لأنهم تعدوا الشرائع، ونقضو الحكم، ونكثوا العهد الأبدى » [إش ٢٤: ٥] والعهد مشروط فى هذا النص: «والآن، إن سمعتم سمعا لصوتى، وحفظتم عهدى ؛ فإنكم تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب، لأن الأرض كلها لى، وأنتم تكونون لى مملكة من الكهنة وأمة مقدسة » [خر ١٩: ٥ - ٦]

وهذا العهد لو لم يكن مشروطا. فإنه يبقى إلى نهاية بركة إسحق، وبدء بركة إسماعيل. لأن الله بارك فى إسماعيل، كما بارك فى إسحق. فكيف وقد نقضه اليهود بتحريف التوراة فى بابل ؟ إنهم من قبل سبى بابل ساروا أمام الله بشريعة موسى، فى جميع أمم الأرض. وهذا وفاء منهم بالعهد. ومن سبى بابل لم يسيروا فى الأمم. وهذا نكث منهم بالعهد.

فقول بولس عن هاجر وسارة إنهما عهدان. هو قولٌ صحيح، فإن الأولاد الستة لقطورة محرومون من البركة وهم مكلفون بالسير مع إسحق، تبعاً له، فى أيام بركته. ومكلفون بالسير مع إسماعيل؛ تبعا له، فى أيام بركته.

ولكن بولس يقول: إن بركة إسماعيل ليس فيها مُلك، وليس فيها نبوة. وهو بقوله هذا يخالف اليهود فى قولهم إن بركة إسماعيل فيها ملك على أرض العرب، وليس فيها نبوة. لقوله: « يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه »

يقول بولس: إن نسل إسماعيل فى طور سيناء يلد للعبودية ولا يلد للملك. فإنهم واقعون تحت مُلك بنى إسرائيل من زمان موسى ؛ يريد أن يقول: إن بركة إسحق لما ظهرت أولا من زمان موسى، تبعهم تحت رئاستهم كل نسل إبراهيم. فإسماعيل للعبودية الآن. لأن بركته لم تبدأ بعد. إذ النبى الآتى منه ؛لم يظهر بعد. وقوله على هذا المعنى صحيح. وهذا هو قصده. لكن قوله « طور سيناء » يقصد به التمويه على أرض فاران التى هى أرض « مكة المكرمة » فإن إسماعيل يسكن فيها أمام جميع إخوته.

وتأمل قوله: «وهاجر تُقابل أورشليم هذا الدهر » أى فى هذا الدهر - دهر بركة إسحق - تجد نسل إسماعيل، هو المقابل لنسل إسحق. إسماعيل الساكن فى «مكة»

يقابل إسحق الساكن فى «أورشليم» وهو بهذا يعلّمك: أن التنافس قائم بين الولدين، اللذين باركهما الله.

ثم قال عن أورشليم: إنها فى العبودية مع أولادها. وقوله هذا ما معناه ؟ إنه إن عنى به وقوع اليهود تحت الرومان - وقد كانوا واقعين تحت أيديهم فى عهده - فقوله صحيح. ولكنه لا يعنى به هذا المعنى. وإنما يعنى به: أن اليهود لعملهم بالشريعة يكونون مستعبدين لها. وإذا طرحوها وراء ظهورهم يكونون أحرارا. يقول الدكتور غبريال رزق الله فى شرحه للرسالة إلى أهل غلاطية: « مستعبدين للخوف من نار جبل سيناء، التى تمثل أحكام الناموس الصارمة، وعبوديته القاسية »

وقال بولس: إن أورشليم العليا هى حرة. والمعنى عنده: أ - أن أورشليم من موسى صاحب الشريعة - وقد دخلها طالوت وداود على شريعته - كانت تحت الشريعة، مُستعبدة بها. ب - وأن أورشليم من يسوع المسيح، إلى يوم القيامة؛ حرة. أى ليست تحت الناموس. ويوم أن كانت تحت الناموس كانت سفلى. ويوم أن تحررت من الناموس صارت عليا. هذا هو المعنى عنده. وهو باطل ؛ لأن يسوع المسيح لم يحرر الناس من الناموس؛ فإنه قد قال: « ما جئت لأنقض الناموس » فأورشليم هى أورشليم واقعة تحت الشريعة. والنبى الآتى لن يحررها من الشريعة، ولكنه سيضع الإصر والأغلال، ويخفف الشريعة، بشريعة.

واستدل بولس على أن يسوع المسيح هو النبى الآتى كموسى بدليلين:

الدليل الأول: نبوءة من سِفر إشعياء. والدليل الثانى: نبوءة من توراة موسى.

والدليل الأول قد استدل به عيسى - عليه السلام - على مجىء محمد ﷺ من بعده. كما فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا. وهذا يدل على أن من الأدلة التى استدل بها عيسى عليه السلام على محمد ﷺ أدلة قد علمها بولس، واجتهد فى تطبيقها على عيسى عليه السلام ليمنع النبوة من آل إسماعيل المبارك فيه.

ولما اصطدم بصفة الملك فى النبى الآتى. احتال عليها بملك فى عالم الأحلام. وحيلته باطلة بتصريح المسيح عليه السلام بأنه ليس ملكا. وبأن التوراة حرمت الملك على نسل يهوياقيم، ملك يهوذا، وفى إنجيل متى أن يسوع من يهوياقيم، من جهة يوسف خطيب مريم، وعلى قوله - وإنه لباطل - لا يكون يسوع المسيح هو النبى الآتى، إذ لم يكن ملكا، ولا ينبغى له أن يكون ملكا على شعب إسرائيل.

وسنتكلم عن الدليلين فى بيان:

نُبوءة العاقر التى لم تلد

أولا: نص النبوءة من سفر إشعياء:

« ترنّمى أيتها العاقر التى لم تلد، أشيدى بالترنُّم أيتها التى لم تمخض ؛ لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل. قال الرب. أوسعى مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكى. أطيلى أطنابك، وشددى أوتادك ؛ لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمما، ويعمر مدنا خربة. لا تخافى لأنك لا تخزين، ولا تخجلى لأنك لا تستحين. فإنك تنسين خزى صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد.

لأن بعلك هو صانعك. رب الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل. إله كل الأرض يُدعى ؛ لأنه كامرأة مهجورة، ومحزونة الروح دعاك الرب ، وكزوجة الصبًا إذا رذلت. قال إلهك. لحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة ؛ سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة، وبإحسان أبدى أرحمك. قال وليك الرب ؛ لأنه كمياه نوح، هذه لى. كما حلفت: أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض، هكذا حلفت: أن لا أغضب عليك، ولا أزجرك ؛ فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع. أما إحسانى فلا يزول عنك، وعهد سلامى لا يتزعزع. قال راحمك الرب.

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية. هأنذا أبنى بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق ؛ أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتا، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة، **وكل بنيك تلاميذ الرب**، وسلام بنيك كثيرا.

بالبر تثبّتين، بعيدة عن الظلم؛ فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى. من اجتمع عليك؛ فإليك يسقط. ها أنذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار، ويخرج آلة لعمله. وأنا خلقت المهلك؛ ليخرب.

كل آلة صورت ضدك ؛ لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء؛ تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرهم من عندى. يقول الرب » [إش ٥٤]

لاحظ قبل شرح نبوءة « ترنَّمى أيتها العاقر. . » أنها نبوءة عن أمة « العبد المتألم» الآتى إلى العالم خلفا للنبى موسى. صاحب التوراة. وهى جزء من نبوءة العبد المتألم. وإذا ثبت أن العبد المتألم هو محمد رسول الله ﷺ يثبت: أن المراد بالعاقر مكان مولده. وإذا ثبت أنه يسوع المسيح، يثبت: أن الكنيسة بالملك الروحى

هى المرادة بالعاقر. وإذا ثبت أنه نبى إلى هذا اليوم لم يأت ـ كما يقول اليهود ـ يثبت: أن العاقر رمز لأمة بنى إسرائيل. فهى نبوءة لا تكون ملزمة فى الحجية إلا مع النص[1] كله.

والنص كله لا يكون حجة إلا بوضع النصوص عن العهدين قبله. عهد إسماعيل، وعهد إسحق ـ عليهما السلام ـ

ويقول النصارى: إن أمة بنى إسرائيل مرموز لها بالعاقر فى زمانين اثنين: الزمن الأول: من موسى إلى عيسى. ويسمى زمن مملكة أورشليم الأرضية. والزمن الآخر: من عيسى إلى يوم الدين. ويسمى زمن مملكة أورشليم الروحية. وفى الزمن الأول. حصل لليهود فترتين. الفترة الأول: كانوا فيها سادة على الأمم ـ خاصة أيام داود وسليمان ـ والفترة الثانية: كانوا فيها مغلوبين من الأمم. من بابل وفارس واليونان والرومان. وإشعياء وهو فى بابل مع المغلوبين يشبه المسبيين بالعاقر، ويعدهم بالنصر والرجوع إلى أورشليم. ثم يطبق النصارى نبوءة العاقر على يسوع المسيح بقولهم: إنه بعد الرجوع من السبى، ترنم اليهود وفرحوا. وهذا شىء ظاهر على الأرض. ولكن الترنم الحقيقى والفرح هو فى مجىء يسوع، وتأسيسه ملكا روحيا على قلوب أتباعه، يشبه ولاء التلميذ لمعلمه. ويقولون: إن الغرض الحقيقى من قول إشعياء: هو أن النبى يدعو شعبه ـ وهم اليهود ـ وهم فى حالة الذل. إلى أن يترنموا ويفرحوا بمواعيد الله. ويقبلوها أ ـ بالإيمان ب ـ قبلما ينالوها.

يقول مفسرو السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم: « شبه النبى شعب الله المسبيين بامرأة عاقر ؛ لأنهم لم يزدادوا، بل قلوا عددا. فما أبعد أورشليم فى زمان السبى عن أورشليم فى زمان داود وسليمان. والوعد: هو أن المستوحشة ـ أى أورشليم ـ فى حالة الذل، تصير أحسن من ذات البعل ـ أى أورشليم ـ فى حالتها الأولى. الذين رجعوا من السبى كانوا قليلين. أى نحو ٤٢٠٠٠ [عز ٢: ٦٤] ولكن ببركة الرب صاروا فى زمان « المسيح » نحو ثلاثة ملايين.

وتم الوعد روحيا أيضا ؛ لأن الكنيسة المسيحية، المرموز إليها بـ « أورشليم »

---

(١) كما نقل يوحنا في الأصحاح السادس تطبيق عيسى عليه السلام لنبوءة العاقر ، على « مكة المكرمة » نقل بَرنابا ، فى الفصل السابع والستين بعد المئة ؛ تطبيق عيسى عليه السلام لنبوءة العبد المتألم على محمد ﷺ ونبوءة العبد المتألم في الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء ، ونبوءة العاقر فى الأصحاح ٥٤ من سفر إشعياء.. فهما نص واحد . ونص كلامه : « فلما رأى إشعياء نبي الله هذا ، صرخ قائلا : « حقا . إنك لإله محتجب » ويقول عن رسول الله كيف خلقه الله : « أما جيله فمن يصفه ؟ » ويقول عن عمل الله : « من كان مشيره عنده ؟ » . . . الخ .

ازدادت، وامتدت فى كل الأرض.

والنبى يدعو شعب الله - وهم فى حالة الذل - إلى أن يترنموا، ويفرحوا بمواعيده، ويقبلوها بالإيمان، قبل ما ينالوها » أ. هـ

يريدون أن يقولوا: إن أورشليم من بعد سبى بابل، ستصير أحسن من أورشليم من قبل السبى. وحالتها الحسنة تمت من زمان يسوع أ - بكثرة عدد اليهود فى أيامه ب - وبانتشار ملكوته الروحى بين الأمم. وقولهم هذا باطل. فإن اليهود خلصوا من ذل إلى ذل. خلصوا من ذل أهل بابل، إلى ذل أهل فارس، إلى ذُلّ أهل اليونان، إلى ذل أهل الروم، إلى دخولهم فى ملك بنى إسماعيل بالجزية. ولم يرثوا أمما من بعد السبى، ولم يعمروا مدنا خربة. ويؤكد بطلانه: استدلال المسيح نفسه بالنص على أمة محمد ﷺ فى قوله « كُتب فى أسفار الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦ : ٤٦]

وعيسى - عليه السلام - لم ينسخ ناموس موسى، ولا الأنبياء. وقال لبنى إسرائيل: «إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره» [متى ٢١: ٤٣] أى أمة غير يهودية. وهو يهودى. والعاقر لا يمكن أن تكون رمزا لليهود فى عهدين. وذلك لأن لهم عهد واحد فى بركة إسحق، ولبنى إسماعيل عهد. والعاقر رمز للعهد الأخير. لأن العهد الأول كان يتلى فيه كتاب موسى. وبنو المستوحشة: هم بنو هاجر. فإن الملاك لما قابلها وبشرها بإسماعيل، قال لها عنه: « وإنه يكون إنسانا وحشيا » [تك ١٦: ١٢] والعاقر رمز لها ؛ لأنه لم يظهر من أبنائها من الأنبياء المماثلين لموسى صاحب الشريعة إلا محمد ﷺ ويشهد التاريخ: بأنه لما ظهر ملك بنى إسماعيل - عليه السلام - من محمد ﷺ ورث بنو إسماعيل - الكرام - أمما، وعمروا مدنا خربة. وتشهد التوراة بأن إسماعيل مبارك فيه. ويشهد الإنجيل بانتقال الملكوت من اليهود إلى أمة أخرى. فالرمز بالعاقر ينطبق على بنى إسماعيل. بشهادات. هذا عددها. ولا ينطبق على اليهود من زمان يسوع المسيح، ولا من بعد سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م.

وبيان الآيات:

قوله: « أوسعى مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكى. أطيلى أطنابك، وشددى أوتادك » سكن بنو إسرائيل الخيام فى أول تاريخهم، وبقى هذا الاسم بعدما بنوا بيوتا، وسكنوها. فيكون لفظ « خيمة » بمعنى: مسكن.

وقوله: أوسعى مكان خيمتك » المراد بهذا: هو التحريض على الإيمان بمواعيد الله، والاستعداد لقبوله: لقول عيسى - عليه السلام -: « كما آمنت ؛ ليكن لك » [مت ٨: ١٣]

قوله: « لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمما، ويعمر مدنا خربة » أى إلى كل الجهات. ويقول النصارى: « وهذا نبوءة بامتداد الكنيسة. فالأمم تصير لها، وخرب الأرض تعمر بواسطتها. إذ الكنيسة النصرانية، وارثة للكنيسة اليهودية. وانضمام الأمم إلى الكنيسة النصرانية، هو امتداد لأورشليم الروحية «والمدن الخربة » هى مدن يهوذا وإسرائيل، التى عمرت عند الرجوع من السبى البابلى، ثم مدن الأمم التى هى خربة بالخطية، تعمر بتجديدها الروحى » هذا هو قولهم.

وهو باطل. لأن الأمم فى دين موسى من عهد موسى، ويجيئون إلى أورشليم من قبل السبى ومن بعده، فما هو المعنى من مجىء الأمم إلى أورشليم. وهم فيها ؟ ثم إن يسوع المسيح لم ينقض ناموس موسى، فعهده واليهود هو عهد واحد. وإشعياء يتكلم عن عهدين، وبولس فسر قوله بعهدين. وتفسيرهم المدن الخربة أ ـ بمدن يهوذا ـ أى مـدن العبرانيين ـ ومدن إسرائيل ـ أى مدن السامـريين ـ ب ـ ومدن العالم: تفسير باطل ؛ لأنه يتحدث عن مدن خربة، تعمر بدين جديد، يحل محل الدين المنسوخ، وتقوم به أمة، مرموز لها بالعاقر. ودين موسى هو فى الأمم الخربة: من قبل السبى. وقد جعله اليهود دينا خاصا لهم من بعد السبى، فكيف تعمر به المدن الخربة ؟ وكيف يسير النصارى به فى الأمم. وهم شيعة من شيع اليهود ؟

وقوله: « لا تخافى » الإشارة به إلى أن الله سينجز وعده ؛ فلا تخافى من أنه لا ينجزه. و« خزى صباك » ما هو صبا اليهود فى أورشليم ؟ يقولون: إنه عبودية اليهود فى أرض مصر. وبعد العهد فى طور سيناء، لم يعد لليهود صبا، لأنهم صاروا حاملين للشريعة. وعلى قولهم هذا، يكون صبا بنى إسماعيل هو من حين بدء بركة إسحق على يد موسى، وسيرهم أمام الله تحت يده. إلى أن نزلت عليهم الشريعة فى مكة المكرمة.

ويقولون وعار ترمل اليهود هو سبيهم إلى بابل. فصاروا كامرأة مهجورة أو مطلقة، لسبب خطيتها. ويقولون: والوعد: هو أنهم سينسون الخزى والعار بفرحهم وقت الرجوع من السبى. وقولهم باطل. لأن رجوعهم من بابل هو مثل بقائهم فى بابل. فإنهم ظلوا تحت الجزية إلى هذا اليوم.

وقوله: « لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه. ووليك قدوس إسرائيل. إله كل الأرض يدعى » يقول مفسرو النصارى: شبه الكنيسة بامرأة، والرب ببعلها. والمعنى: أن الكنيسة له، واسمه عليها ؛ فهو يعتنى بها، ويثبتها ويثمرها ويحامى عنها ويحبها. وإذا تركت الكنيسة محبتها الأولى، وسارت وراء المعلمين الكذبة، تكون خطيتها كخطية زانية. هذا هو قولهم. والنص لايتكلم عن كنيسة النصارى. وإنما يتكلم

عن أمة غير يهودية، مشار إليها بالعاقر. أى التى لم يرسل فيها رسول من بنيها. وكنيسة النصارى ليست عاقرا. فإنها فى البدء على كتاب موسى والنبيين من بعده. ثم سارت وراء المعلمين الكذبة.

وقوله: « لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح، دعاك الرب. وكزوجة الصبا، إذا رذلت. قال إلهك » يقول المفسرون: إن الرب قد أخذ أورشليم، ثم رفضها بسبب خطاياها، ثم دعاها أيضا. وشبهها بزوجة الصبا أى التى أحبهاقديما، وأحبها دون غيرها ؛ فلا يقدر أن ينساها، ولو رذلت. هذا هو قولهم. ومعناه: أن الله أعطى أورشليم شريعة ؛ لتسير أمامه بها - هى شريعة موسى - ثم رفض الله اليهود، ثم دعاهم. وهذا باطل ؛لأنه لما أعطى أورشليم شريعة - هى شريعة موسى - ورفضها بوقوعها فى السبى، لم يعطها إلى هذا اليوم شريعة.

وفى زمان بركة إسحق فى الأمم، كان بنو إسماعيل أولاد هاجر - رضى الله عنها - عاطلين عن الشريعة. وإذ هو يرفض اليهود؛ فإنه فى حالة رفضهم، يدعو أمة أخرى غيرها. تقوم بالسير أمامه.

وقوله: « لحيظة تركتك. وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة. وبإحسان أبدى أرحمك. قال وليك »

الترك ههنا قليل، وليس للتأديب لأنه ليس من سبب له. وأما المراحم فإنها إلى الأبد دائمة بدوام الشريعة فيها. فتكون مدة التأديب «لحيظة» بالنسبة إلى الأبدية. وحجب الوجه لحظة. والإحسان أبدى. وليس المراد من حجب الوجه: أنه كان فى حالة غضب على الأمة المرموز لها بالعاقر. وإنما المراد: التعبير بالمألوف فى دنيا الناس وحياتهم؛فإنه لما تركها بلا شريعة، مدة وجود الشريعة فى بنى إسحق؛كان ظاهر حالها أنها كمهجورة ومغضوب عليها. فلذلك عبر بما يظهر من ظاهر الحال. وعبر بالغيمة دلالة على أن الترك وقتى ومحدد بمدة. وأما الشمس - أى رحمة الله - فإلى الأبد.

وقوله: « لأنه كمياه نوح ؛ هذه لى. كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك، ولا أزجرك، فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع. أما أحسانى فلا يزول عنك. وعهدى سلامى لا يتزعزع. قال راحمك الرب»

المراد بهذه: الضيقات التى حلت بأولاد هاجر - رضى الله عنها - بسبب أنهم ساروا مع الله تحت رئاسة بنى إسرائيل. إذ بركتهم بدأت أولا. وكانوا رؤساء على كل جنس إبراهيم والأمم الدخلاء. وقد حلت بهم ضيقات وهم مرءوسون، فإن بنى إسرائيل قد تخلوا عن دعوتهم من أيام سبى بابل. وحصل بينهم وبين العرب عداء بعد الرجوع من السبى ؛ لما أرادوا بناء الهيكل، وحصل عداء بين العرب بعضهم مع

بعض، ووصف الضيقات بأنها كثيرة وعظيمة، كما كان الطوفان كثيرا وعظيما. وغاية الله من هذه الضيقات: تمحيص قلوب بنى إسماعيل ؛ليتأهلوا لحمل الرسالة الإلهية الجديدة لجميع الأمم. وقد تعهد الله تعالى لأمة بنى إسماعيل أن لا يهلكهم. كما تعهد لنوح ـ عليه السلام ـ بأنه لن يهلك العالم مرة أخرى بطوفان الماء. وأكد على العهد بأنه لو فرض جدلا زوال الجبال؛ فإن عهد الله لن يزول. وبأنه لو قلنا: إن السلام من الناس. غايته: إحسان بعضهم إلى بعض. فإن الناس يتغيرون ويزولون. وأما الله فلأنه سرمدى وأبدى وغير متغير ؛ سيظل سلامه إلى يوم القيامة. وقد أشار الله في القرآن إلى هذا المعنى، فى قوله: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم[1] وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾

ويقول المفسرون: إن الله تعهد لليهود بأنه سيرجعهم من سبى بابل إلى أورشليم، ولن يكون لهم سبى ثان مثل سبى بابل. هذا هو قولهم. وإنه لباطل. لأن اليهود لما رجعوا من سبى بابل وفارس ؛ رجعوا إلى سبى اليونان، ثم إلى سبى الرومان، ثم إلى سبى العرب.

وقوله: «أيتها الذليلة المضطربة غيرالمتعزية. هاءنذا أبنى بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتا، وأبوابك حجارة بهرمانية. وكل تخومك حجارة كريمة »

الإثمد: حجر يكتحل به [٢ مل ٩: ٣٠] سريع التفتت، وإذا تفتّت كان لفتاته لمعان. والمدينة ـ مع ملاحظة: أن التشبيهات كلها كناية عن المجد الآتى ـ مبنية من حجارة كريمة، والإثمد مكان الطين، فالحجارة الكريمة تكون مثل عيون النساء المكحلة. والياقوت الأزرق: يدل اللون الأزرق على علامة الطهارة والقداسة [خر ٢٤: ١] والياقوت حجر صلب ورزين وصاف وشفاف ومختلف الألوان. أحمر وأصفر وأخضر وأزرق. والبهرمانية: حجارة لامعة مثل الماس. تخوم: أى أسوارك. ومعنى هذه التشبيهات كلها: الجمال والمجد والقوة والطهارة. ويقول المفسرون: كانت الكنيسة الذليلة مشبهة بامرأة مطلقة، ثم رجعت إلى زوجها. وهنا شبهت بمدينة عمرت ثانية. والرد عليهم: إنه لو كانت الكنيسة مرفوضة، ثم رجعت ؛ لكان معنى ذلك: أن ترجع بكتاب جديد مخالف لكتاب موسى. وأن يتغير حالها من سبى الأمم لها، إلى ملكها على الأمم. وهذا لا تدل النصوص عليه. لا نصوص الكتب، ولا نصوص التاريخ. فالحق: أن الأمة التى هى من هاجر. أبعدها الله عن النبوة والملك،

(١) ﴿ وأنت فيهم ﴾ أى يعملون بكتابك من بعد موتك. ويستغفرون الله من ذنوبهم من بعد موتك.

ريثما تنتهى مدة البركة فى آل إسحق. ثم إنه اصطفاها وأسلم إليها قيادة الأمم.

وقوله: « وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا » له شبيه عند إرمياء ٣١: ٣٤ وداود ١١٩: ١٦٥ ـ وهو مزمور لعن فيه داود الذين كفروا من بنى إسرائيل ـ والبركة الموعود بها: هى السلام، وأن كل إنسان فى عهد النبى الأمى الآتى، سيكون فى إقامة الدين؛ إماما بمفرده. عوضا عن اللاويين والهارونيين الذين كانوا قائمين به فى أيام بركة موسى ـ عليه السلام ـ نيابة عن جميع الناس. إذ أنه كان من حقهم الدرس والإفتاء وإمامة الناس، وإقامة الشعائر. أما فى دين الإسلام. فإن إقامة الدين تصح من كل فرد. إذ ليس هو فى قبيلة دون قبيلة، أوفئة دون فئة. يقول داود عليه السلام فى مزمور من مزامير المسيا: « سلام وافر لمحبى شريعتك، وليس لهم حجر عثار » [مز ١١٩: ١٦٥] وقال إرمياء عن عهد المسيا الآتى: « ها إنها تأتى أيام ـ يقول الرب ـ أقطع فيها مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا، عهدا جديدا، لا كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أخذت بأيديهم ؛ لأخرجهم من أرض مصر ؛ لأنهم نقضوا عهدى، مع أنى كنت سيدهم. يقول الرب. ولكن هذا العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب هو أنى أجعل شريعتى فى بواطنهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها. وهم يكونون لى شعبا. ولا يعلم بعد كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه. قائلا: اعرف الرب ؛ لأن جميعهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم. يقول الرب. لأنى سأغفر إثمهم، ولن أذكر خطيئتهم من بعد » [إر ٣١: ٣١ ـ ٣٤]

انظر إلى قول إرمياء عن الأمة الآتية: « أجعل شريعتى فى بواطنهم، وأكتبها على قلوبهم » ـ والله لم يغير شريعة موسى على يد نبى منهم ـ تجده مثل قول حزقيال: « وأعطيكم قلبا جديدا. وأجعل فى أحشائكم روحا جديدا. وأنزع من لحمكم قلب الحجر، وأعطيكم قلبا من لحم. وأجعل روحى فى أحشائكم، وأجعلكم تسيرون على فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها » [حز ٣٦: ٢٦ ـ ٢٧] يقول المفسرون: ستمتاز الأزمنة المشيحية بفيض غير مألوف للروح [زك ٤: ٦ و ٦: ٨] على جميع الناس ؛ ليمنحهم مواهب خاصة [عد ١١: ٣٩ ويؤ ٣: ١] ولكن الروح سيكون لكل واحد، على وجه خفى. مبدأ تجدد باطنى، يمكنه من حفظ الشريعة الإلهية بأمانة [خر ١١: ١٩ و ٣٦: ٢٦ ـ ٢٧ و ٣٧: ١٤ ومز ٥١: ١٢ وإش ٣٢: ١٥ ـ ١٩ وزك ١٢: ١٠ فيكون مبدأ العهد الجديد [إر ٣١: ٣١] ويخرج، كالماء المخصب، ثمار بر وقداسة [إش ٤٤: ٣] تضمن للناس حظوة الله وحمايته [حز ٣٩: ٢٤ و ٢٩] سيتم فيض الروح هذا، عن المشيح فى عمله الخلاصى [إش ١١: ١ ـ ٣ و ٤٢: ١ و ٦١: ١] أ. هـ

والعمل الخلاصى: هو تخليص المؤمنين به من أمم الكفر بالحرب والقتال. انظر إلى قول المفسرين: إن هذا كله سيتم فى عهد « المشيح » أى المسيا الآتى إلى العالم. وإذ هو واضح من الأناجيل: أن المسيا الآتى ليس هو عيسى عليه السلام. فإنه لا حق للنصارى فى قولهم بأن العهد الجديد هو عهدهم. وكيف يكون هو عهدهم وهم طائفة من بنى إسرائيل ؟ ولا يحق للنصارى أن يقولوا: إن نبوءة العاقر هى نبوءة عن عهد يسوع المسيح، وكنيسته. فالعهد الجديد هو عهد القرآن في مقابل العهد القديم وهو عهد التوراة.

وقوله: « بالبر تثبتين، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنوا منك »

إن هذا يدل على أن المراد بالعاقر: بنو هاجر ـ رضى الله عنها ـ ومن معهم من المسلمين أتباع محمد ﷺ وذلك لأن كتاب موسى يصف اليهود فى حالة نزع الملك والنبوة منهم بقوله: « السيف من خارج، يثكلهم، والرعب فى داخل المخادع، يصيبهم. الفتى والعذراء. والرضيع والشائب » [تث ٣٢: ٢٥] ويبين أنه سينزع الملك والنبوة منهم، ويعزّ بهما أمة أخرى، فى قوله: « هم أغارونى بمن ليس إلها، وأغضبونى بأباطيلهم. وأنا أغيرهم بمن ليسوا شعبا، وبأمة حمقاء أغضبهم » [تث ٣٢: ٢١] وفى ترجمة أخرى: « بأمة غبية أغيظهم » والأمة الأخرى لا يمكن أن تكون غير بنى إسماعيل ؛ لأن لهم بركة.

وقوله: «ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى. من اجتمع عليك، فإليك يسقط. ها أنذا قد خلقت الحدّاد، الذى ينفخ الفحم فى النار، ويخرج آلة لعمله، وأنا خلقت المهلك؛ ليخرب. كل آلةٍ صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرهم من عندى يقول الرب»

وقوله: اجتماعا ليس من عندى: إشارة إلى تآمر الملوك والرؤساء على الرب، وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. وقد تآمر اليهود والنصارى وغيرهم على بنى إسماعيل، فى بدء ظهور بركتهم، وفى استمرارها على يد محمد ﷺ وحاربهم بنو إسماعيل، وحطموهم بقضيب من حديد.

ومعنى فإليك يسقط: أن أعداءهم سيخضعون لهم، وينضمون إليهم. وهذا المعنى قد طبقه داود وعيسى بن مريم على بنى إسماعيل فى بدء ظهور بركتهم،

واستمرارها. فإن المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فى مثل الكرامين الأردياء، قال لعلماء بنى إسرائيل: « إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره » وأخذ رمز الحجر من المزمور المئة والثامن عشر. وهو « الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا. وهو عجيب فى أعيننا » وطبقه على بنى إسماعيل، المحتقرين فى أعين اليهود المتكبرين الملاعين. فقال: « ومن سقط على هذا الحجر يترضض،ومن سقط هو عليه يسحقه » أى من قصدهم بسوء ؛ هلك، وهم إذا قصدوا قوما ؛ غلبوهم.

ومعنى هذا هو ميراث عبيد الرب: الميراث هو كل البركات المذكورة ؛ كالسلام والبر والأمان، والابتعاد عن الظلم. وهذا الميراث لبنى إسماعيل ؛ لقول داود عن النبى الأمى الآتى منهم: « أسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك » ولا يدل على ميراث لبنى إسرائيل ؛ لأنهم وارثون من زمان موسى ـ عليه السلام ـ

ومعنى عبيد الرب: هو أن الأصحاح السابق هو أصحاح: « عبد الرب المتألم » أى المسيا الرئيس. وعبيد الرب: هم جميع الذين يتمثلون بعبده، ويحفظون كلامه.

ومعنى كل لسان يقوم عليك: أن المفسدين فى الأرض من اليهود وغيرهم سيخترعون مفاسد للغو فى بركة إسماعيل، والتشويش على أنهم أهل الله. وأن علماء المسلمين سيغلبونهم فى الحجاج، ويردون لغوهم عن الدين، ويبعدون تشويشهم عنه. وقد قال داود فى هذا المعنى: « لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار رحمة الله هى كل يوم. لسانك يخترع مفاسد، كموسى مسنونة، يعمل بالغش. أحببت الشر أكثر من الخير. الكذب أكثر من التكلم بالصدق. سِلاه. أحببت كل كلام مهلك، ولسان غش. أيضا: يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء. سلاه. فيرى الصديقون ويخافون، وعليه يضحكون. هو ذا الإنسان الذى لم يجعل الله، حصنه، بل اتكل على كثرة غناه، واعتز بفساده. أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله. توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد. أحمدك إلى الدهر. لأنك فعلت، وأنتظر اسمك؛ فإنه صالح قدام أتقيائك» [مز ٥٢]

ثانيا: تطبيق المسيح لنبوءة العاقر على محمد ﷺ:

لما قدم[1] عيسى ـ عليه السلام ـ المائدة السماوية لبنى إسرائيل وأكلوا منها وشبعوا، قال لهم: « اعملوا. لا للطعام البائد، بل للطعام الباقى، للحياة الأبدية، الذى يعطيكم ابن الإنسان ؛ لأن هذا. الله الآب قد ختمه »

يريد أن يبين لهم: أن لا يهتموا بطعام الجسد، الذى يفنى، بل يهتموا بطعام الروح. وهو الشريعة التى سيقدمها النبى الآتى إلى العالم، الملقب من دانيال بلقب «ابن الإنسان »

« فقالوا له: ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله: أن تؤمنوا بالذى هو أرسله. فقالوا له: فأية آية تصنع ؛ لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية. كما هو مكتوب: « أنه أعطاهم خبزا من السماء ؛ ليأكلوا » [مز ٢٨: ٢٤]

فقال لهم يسوع: الحق. الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء، الواهب حياة للعالم. فقالوا له: يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إلىّ فلا يجوع، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا. ولكنى قلت لكم: إنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون.

كل ما يعطينى الآب ؛ فإلى يُقبل. ومن يُقبل إلىّ لا أخرجه خارجا؛ لأنى قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتى، بل مشيئة الذى أرسلنى.

وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل ما أعطانى، لا أتلف منه شيئا، بل **أقيمه فى اليوم الأخير.** لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن[2]،

---

(١) كما نقل يوحنا فى الأصحاح السادس تطبيق عيسى عليه السلام لنبوءة العاقر على مكة المكرمة ، نقل برنابا في الفصل السابع والستين بعد المئة تطبيق عيسى عليه السلام لنبوءة العبد المتألم على محمد ﷺ . ونبوءة العبد المتألم فى الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء ونبوءة العاقر في الأصحاح ٥٤ من سفر إشعياء ، فهما نص واحد . ونص كلامه: «فلما رأى إشعياء نبى الله هذا، صرخ قائلا: « حقا . إنك لإله محتجب » ويقول عن رسول الله كيف خلقه الله: «أما جيله فمن يصفه » ؟ ويقول عن عمل الله : « من كان مشيره » ؟ . . الخ ونصه: «من قاس روح الرب، ومن مشيرة؛ يعلّمه. من استشارة؛ فأفهمه؟. . . [إ ش ٤٠: ١٣ ـ]والأصحاح كله فى نبوءة كلمة الرب. وغرض المشيح: تطبيق النبوءة على محمد.

(٢) يعنى بالابن : الابن المذكور في المزمور الثانى .وهو محمد ﷺ

ويؤمن به ؛ تكون له حياة أبدية **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**.

فكان اليهود يتذمرون عليه. لأنه قال: أنا هو الخبز الذى نزل من السماء. وقالوا: أليس هذا هو يسوع بن يوسف، الذى نحن عارفون بأبيه وأمه ؟ فكيف يقول هذا: إنى نزلت من السماء ؟ فأجاب يسوع، وقال لهم: لا تتذمروا فيما بينكم. لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**. إنه مكتوب فى الأنبياء: « ويكون الجميع متعلمين من الله » فكل من سمع من الآب، وتعلم، يقبل إلىّ » [يوحنا ٦: ٢٧ ـ ٤٥]

يعني: أن كلامه عن النبي الذى يبشّر به، سيخلّص الذين يريدون الإيمان به، في يوم ظهوره، من هلاكهم في الحرب على يد أصحابه. هذه الحرب التى ستكون فى اليوم الأخير لبركة إسحق، واليوم الأول لبركة إسماعيل.

البيـــان:

يروى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا خبر المائدة السماوية ويقـول بعدها: «فلما رأى الناس الآية التى أتى بها يسوع، قالوا: حقا. هذا هو النبى الآتى إلى العالم. وعلم يسوع أنهم يهمّون باختطافه؛ ليقيموه ملكا ؛ فانصرف، وعاد وحده إلى الجبل »

يقول المفسرون: «من ميزات الآية: أن تؤدى إلى تفسير لعمل يسوع وشخصه: يرون فيه نبى الأزمنة الأخيرة [يو ١: ٢١]

ذلك النبى الذى يرسله الله إلى العالم، ليتزعم حركة تحرير قومى، ويقيم سلطان إسرائيل. ولذلك هموا بإعلانه ملكا» أ. هـ.

يريدون أن يقولوا: إن من أوصاف النبى الأمى الآتى إلى العالم: كونه ملكا. وهذا صحيح ؛ لقول موسى فى أوصافه: «له تسمعون فى كل ما يكلمكم به» وقد نفى عيسى عن نفسه هذا الوصف برفضه للملك، وبانصرافه إلى الجبل منفردا ؛ ليبين لهم أنه ليس هو النبى الأمى الآتى إلى العالم.

وقوله عليه السلام: إنه سيقيم من يؤمن به فى اليوم الأخير. معناه: أن كلامه المدون عنه سينوب عن شخصه. وما هو المراد باليوم الأخير ؟

ليس المراد به انتظار القيامة. بل المراد به: انتهاء بركة إسحق فى الأمم. أى اليوم الأخير فى ملك بنى إسرائيل ونبوتهم، على يد النبى الآتى من بنى إسماعيل. الذى يعبرون عنه بيوم المَسيّا. فإن يعقوب عليه السلام قال لبنيه: «اجتمعوا لأنبئكم بما يُصيبكم فى آخر الأيام» ثم تحدث عن نزع الملك منهم فى مجىء «شيلُون». وبولس قال: «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه» [عب ١: ١ - ٢] وتكلم موسى فى النشيد عن بنى إسرائيل بأنهم سيزيغون ويصيبهم الشر «فى آخر الأيام»

يقول الدكتور غبريال رزق الله: «والإشارة فى ذلك: إلى مستقبل الأيام، ويغلب أنه المستقبل البعيد. على أن التعبير قد صار اصطلاحا فنيا، يشار به إلى زمن مَسيا، كما جاء فى إش ٢: ٢ ومى ٤: ١ «ويكون فى آخر الأيام: أن جبل بيت الرب، يكون ثابتا فى رأس الجبال» إلخ [هو ٣: ٥] «بعد ذلك يعود بنو إسرائيل، ويطلبون الرب إلههم، وداود ملكهم، ويفزعون إلى الرب، وإلى جوده فى آخر الأيام» وفى تصور اليهودى: هو زمن يوافق ظهور المسيا... إلخ»[1].

ولما تذمّر علماء بنى إسرائيل من قوله: إن النبى الأمى الآتى. الملقب من داود فى المزمور الثانى بلقب «الابن» سيأتى من بعدى. ولن يكون من بنى إسرائيل، بل من بنى إسماعيل المبارك فيه؛ احتج عليهم بما فى سفر إشعياء وهو: «ترنّمى أيتها العاقر التى لم تلد.. الخ» واكتفى بقوله: «وسيكونون كلهم تلامذة الله» لبيان أن أتباع النبى الآتى، سيحلون محل الكهنة الهارونيين فى إقامة شعائر الدين. وكل فرد من أتباعه، يقدر على إقامة شعائر الدين بنفسه.

انظر إلى قوله: «كُتب فى أسفار الأنبياء: وسيكونون كلهم تلامذة الله» وفى ترجمة أخرى: «إنه مكتوب فى الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله» وهو من إشعياء ٥٤: ١٣ ونصه فى إشعياء: «وجميع بنيك يكونون تلامذة الرب، وسلام بنيك يكون عظيما»

وقول إشعياء: «ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد... إلخ» هو من ضمن حديث طويل أورده إشعياء عن «العبد المتألم» والحديث كله طبقه المسيح عيسى عليه السلام على محمد ﷺ وقد بيناه فى موضعه»

---

(١) ص ٢٥ شرح الرسالة إلى العبرانيين - غبريال.

ثالثاً: تطبيق بولس لنبوءة العاقر على يسوع المسيح:

يقول: «قولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس: ألستم تسمعون الناموس؟ فإنه مكتوب: أنه كان لإبراهيم ابنان. واحد من الجارية، والآخر من الحرة. لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد، وأما الذى من الحرة؛ فبالموعد. وكل ذلك رمز؛ لأن هاتين هما العهدان. أحدهما من جبل سيناء في العربية. ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة؛ فإنها مستعبدة مع بنيها. وأما أورشليم العليا، التى هى أمُّنا جميعا، فهى حرة. لأنه مكتوب: «افرحى أيتها العاقر التى لم تلد، اهتفى واصرخى أيتها التى لم تتمخض. فإن أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج» وأما نحن أيها الأخوة، فنظير إسحق أولاد الموعد، ولكن كما كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح. هكذا الآن أيضا. لكن ماذا يقول الكتاب؟» «اطرد الجارية وابنها؛ لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة» إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية، بل أولاد الحرة»

معنى الكلام:

تحت الناموس: المراد به: تحت العهد الذى عاهد الله به بنى إسرائيل أن يعملوا بالشريعة.

ألستم تسمعون الناس؟.: المراد به ناموس موسى. مجموع السفار الخمسة.

وغرضه: إلغاء الشريعة.

ولد حسب الجسد: أى بالتناسل البشرى الطبيعى لا بوعد مثل إسحق ـ كما يقول المفسرون ـ

جبل سيناء الوالد للعبودية: معناه ـ عند المفسرين ـ: أن الله لما طلب من موسى أن يجمع له بنو إسرائيل ناحية سيناء، المسمى بجبل الطور، أو حوريب؛ نزلت نار من السماء، وحدث رعد برق؛ فخاف بنو إسرائيل خوفا عظيما، وتلقوا الشريعة تحت هذا المنظر المرعب المخيف. فمن يعمل بالشريعة ـ على رأى بولس ـ يكون خاضعا لها، وعبدا لها. وجبل سيناء هو الذى ولَّد العبودية وأوجدها.

فهى حرة: معناه ـ عند المفسرين ـ: حرة من قيود الشريعة من بعد ظهور يسوع المسيح. ويقول الدكتور غبريال رزق الله تحت عبارة «لأن هاجر جبل سيناء فى

العربية»: ما نصه: «يوجد فى هذا التعبير شىء من الغموض» أ.هـ.

وسبب الغموض: هو أن هاجر جبل فاران فى بلاد العرب، لا جبل سيناء. فجبل سيناء لشريعة موسى. أى لنسل سارة. وجبل فاران لشريعة محمد. أى لنسل هاجر. ولكن بولس ألغز المعنى؛ فصار غامضا.

أولاد الموعد: أى أن ملاك الله قال: «أنا آتى نحو هذا الوقت، ويكون لسارة ابن» [تك ١٨: ١٠ ـ ١٤ رو ٩:٩] وكان هذا بعد ولادة إسماعيل من هاجر. هذا هو قول المفسرين. وهم يعلمون من نصوص التوراة: **أن إسماعيل جاء بموعد**. ولكنهم لا يبينون.

أ ـ انظر إلى قوله: «وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك لا تدعو اسمها سارى، بل اسمها سارة، وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا» [تك ١٧: ١٥ ـ ١٦] انظر إلى قوله «أيضا» تجد أن ابن سارة بموعد، وأن ابن هاجر بموعد. قد كان ظاهرا قبل موعد إسحق بن سارة. وقد حذفت كلمة «أيضا» من ترجمة دار المشرق. وهى مثبتة فى ترجمة البروتستانت.

ب ـ انظر إلى قوله: «لنسلك أعطى هذه الأرض» [تك ١٢: ٦] وبعدها تكلم عن مولد إسماعيل وأدخله فى نسل إبراهيم بموعد على النحو التالى:

أولا: قال: إن سارة الحرة أعطت جاريتها لإبراهيم زوجة. ويقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: «كان شرع ما بين النهرين يمنح الزوجة العاقر، الحق بأن تقدم لزوجها خادمة. كزوجة له. وأن تعترف بأن الأولاد المولودين من هذا الزواج؛ هم أولادها. وسيجرى هذا الأمر على «راحيل» [تك ٣٠: ١ـ ٦] وعلى «ليئة» [تك ٣٠: ـ ١٣]

هذا هو قولهم بنصه. ومعناه: أن إسماعيل كما هو ابن لهاجر، هو ابن لسارة أيضا. فيكون إسماعيل مساويا لإسحق من جهة أبيه، ومن جهة أمه. فلماذا يفرق بولس بين الولدين؟

وهذا هو النص على راحيل: «ولما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب، غارت من أختها، وقالت ليعقوب: هب لى بنين، وإلا فإنى أموت. فغضب يعقوب على راحيل، وقال: ألعلى أنا مكان الله، الذى منع عنك ثمرة البطن؟ قالت: هذه خادمتى بلهة. أدخل عليها؛ فتلد على ركبتى، ويبنى بيتى أنا أيضا منها، فأعطته خادمتها بلْهة

امرأة. فدخل عليها يعقوب، فحملت بلهة وولدت ليعقوب ابنا، فقالت راحيل: قد حكم الله لى، واستجابنى؛ فرزقنى ابنا، ولذلك سمته دانا» [تك ٣٠: ١ ـ ٦] إن راحيل وهى الأم الطبيعية ليوسف وبنياميين فقط؛ صارت أما أيضاً لولدى أمتها «بلهة» وهما: دان ونفتالى وصرحت بقولها: «رزقنى ابنا» وتساوى ولديها الاثنين بولدى جاريتها.

و«ليئة» أيضا أخت راحيل وامرأة يعقوب. أعطت أمتها «زلفة» ليعقوب وأنجب منها ولدين هما: جاد وأشير. وتساويا مع أولاد ليئة الذين هم: رأوبين ـ شمعون ـ لاوى ـ يهوذا ـ يساكر ـ زبولون ـ دينة.

فالذكور الاثنى عشر والأنثى دينة. كلهم متساوون فى الأب والأم. مع اختلاف الأمهات. وإسماعيل وإسحق. هما متساويان فى الأب والأم، مع اختلاف الأمَّين: هاجر وسارة.

ثانيا: قال ملاك الرب لهاجر من قبل أن تلد إسماعيل: «ها أنت حامل، وستلدين ابنا، وتسمينه إسماعيل» إلخ. وهذا موعد. لأنه كان قبل الولادة، كما كان لسارة مثله موعدا من قبل الولادة.

ثالثا: قسم الله الموعد بين الولدين من قبل ولادة إسحق. فقال: إننى سأبارك فى سارة، وسأبارك فى هاجر. ذلك قوله: «ساراى امرأتك.. إلخ».

رابعا: وبعد ولادة إسحق، طلبت سارة طرد هاجر وابنها. وعللت الطرد بأنه لا يرث ابن الجارية مع ابنها. ورفض الله طلبها بعدم الإرث. لأنه قد سبقت كلمته ببركته فى قوله: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» وهو لا يرجع فى كلامه. والتعليل بعدم الإرث هو من وضع المحرف. وذلك لأن إسماعيل وإن كان ابناً لهاجر، هو أيضا ابن لسارة، بحسب الشريعة. كما أن «دان» و «نفتالى» اللذين ولدتهما «بلهة» هما ابنان لراحيل، وتساويا مع الأسباط فى كل الحقوق. وكما أن «جاد» و «أشير» اللذين ولدتهما «زلفة» هما ابنان لليئة، وتساويا مع الأسباط فى كل الحقوق. ولهذا رفض. طلبها بعدم الإرث فى قوله: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» لأنه ابن لها، مع ما سبق من قوله: إنه بارك فى إسماعيل. ولاراد لقوله.

خامسا: وبعدما رحلت هاجر بإسماعيل إلى فاران وعدها الله بقوله: «قومى فخذى الصبى، وشدى عليه يدك؛ فإنى جاعله أمة عظيمة» [تك ٢١: ١٨] ومن هذا يعلم:

١ ـ أن إسماعيل مساوى لإسحق فى الإرث.

٢ ـ وأن إسماعيل جاء بموعد، كما جاء إسحق بموعد.

سادساً:

أ ـ اقرأ هذا النص: «وكبر الولد وفطم، وأقام إبراهيم مأدبة عظيمة، فى يوم فطام إسحق. ورأت سارة ابن هاجر المصرية، الذى ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحق[1]. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الخادمة، وابنها؛ فإن ابن هذه الجارية لن يرث مع ابنى إسحق. فساء هذا الكلام جدا فى عينى إبراهيم بشأن ابنه.

فقال الله لإبراهيم: لا يسؤ فى عينيك أمر الصبى، وأمر خادمتك. مهما قالت لك سارة؛ فاسمع لقولها؛ لأنه بإسحق يكون لك نسل باسمك. وأما ابن الخادمة؛ فهو أيضا أجعله أمة عظيمة؛ لأنه نسلك» [تك ٢١: ٨ ـ ١٣].

ب ـ واقرأ هذا النص: «وكان بعد هذه الأحداث. أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم. قال: هاءنذا. قال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه، إسحق، وامض إلى أرض الموريّا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال، الذى أريك، فبكر إبراهيم فى الصباح، وشد على حماره، وأخذ معه اثنين من خدمه، وإسحق ابنه، وشقق حطبا للمحرقة، وقام ومضى إلى المكان الذى أراه الله إياه. . . إلخ» [تك ٢٢: ١]

تأمل فى هذين النصين. واسأل نفسك: هل الذبيح إسحق أم إسماعيل؟ وهل العهد فى إسحق فقط، أم فى إسماعيل فقط؟ أم فى إسماعيل وإسحق؟

يدعى اليهود والنصارى: أن العهد فى إسحق وحده، وينوب عن نسله نسل بنى إسرائيل، إلى يوم القيامة، مع أنهم لا يسيرون أمام الله من أيام بابل. فلو فرضنا أن الذبيح إسحق، وفرضنا أنه قد ذبح. فكيف يكون حال العهد، والموعود به قد مات؟ إنه على هذا الفرض يكون الله قد ناقض قوله؛ إذ وعده بجعل العهد أبديا فى إسحق، ثم أمره بذبحه؛ هما أمران ضدان، لا يخرجان من فم الله ـ تعالى ـ

(١) مع ابنها إسحق: فى النص اليونانى واللاتينى.

وأحدهما يكون كاذبا ـ والله ليس كمثله شيء ـ فعلى أهل الكتاب أن يقبلوا: إما دوام العهد فى إسحق، وإما إنكار أنه الذبيح.

ودوام العهد فى إسحق باطل:

أ ـ لأن إسماعيل تعين ابنا لسارة، من قبل أن تلده هاجر. والابن وارث. شاء المورث أم لم يشأ. فقولها بعد أكثر من خمس عشرة سنة من ولادته: إن ابن هاجر لا يرث مع ابنى. هو قول باطل. لأنه لها هو ابن، وهو وارث. فرغبتها فى أن لا يرث هو مخالفة للشريعة، ورغبتها فى أن لا يرث. هو أيضا منها مناقضة لوعد الله الذى سمعته. وهو أن الله بارك فيه من قبل ولادة إسحق.

ب ـ ولأن إسحق لو ذبح. وهو معين للسير أمام الله إلى قيام القيامة؛ لكان الله قد أخلف وعده. وهذا باطل. فعلى هذا يلزم أن يكون الذبيح إسماعيل. ويلزم أن يكون الوعد من الله ببركته، كان من بعد الأمر بذبحه، ونجاته، وأن يكون الوعد بابن لسارة وبالبركة فيه؛ كان بعد ولادة إسماعيل بسنين طويلة.

وهذا مستفاد من التوراة ذاتها.

أ ـ فى النص على بشارة الملائكة لسارة.

ب ـ وفى النص على ذبح الابن الوحيد. وتكملته هى:

«وقام ومضى إلى المكان الذى أراه الله إياه. وفى اليوم الثالث، رفع إبراهيم عينيه، فرأى المكان من بعيد. فقال إبراهيم لخادميه: امكثا أنتما ههنا مع الحمار، وأنا والصبى نمضى إلى هناك، فنسجد[1] ونعود إليكما، وأخذ إبراهيم حطب المحرقة، وجعله على إسحق ابنه. وأخذ بيده النار والسكين، وذهبا كلاهما معا. فكلم إسحق إبراهيم، أباه، قال: يا أبت. قال: هاءنذا يا بنى. قال: هذه النار والحطب. فأين الحمل للمحرقة؟ فقال إبراهيم: الله يرى لنفسه الحمل للمحرقة يا بنى. ومضيا كلاهما معا. فلما وصلا إلى المكان الذى أراه الله إياه، بنى إبراهيم هناك المذبح، ورتب الحطب، وربط إسحق ابنه، وجله على المذبح فوق الحطب. ومد إبراهيم يده، فأخذ السكين؛ ليذبح ابنه.

(١) السجود يدل على مكان الكعبة.

وهو بلغتهم: الحج، فيكون إبراهيم ذاهبا بإسماعيل فى أيام النحر ليذبحه أمام الحجاج. وهم قد رأوا جبريل الذى جاء بالكبش عوضًا عن إسماعيل، فصار النحر منسكا أمام الناس من ذلك الحين.

فناداه ملاك الرب من السماء، قائلا: إبراهيم. إبراهيم. قال: هاءنذا قال: لا تمد يدك إلى الصبى ولا تفعل به شيئا؛ فإنى الآن عرفت أنك متق لله. فلم تمسك عنى ابنك وحيدك. فرفع إبراهيم عينيه، ونظر؛ فإذا بكبش واحد عالق بقرنيه فى دَغَل، فعمد إبراهيم إلى الكبش وأخذه وأصعده محرقة بدل ابنه.

وسمى إبراهيم ذلك المكان: الرب يرى. ولذلك يقال اليوم: فى الجبل الرب يرى. ونادى ملاك الرب إبراهيم، ثانية من السماء، وقال: بنفسى حلفت. يقول الرب: بما أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك عنى ابنك وحيدك؛ لأباركنك وأكثرن نسلك كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطىء البحر، ويرث نسلك مدن أعدائه، ويتبارك بنسلك جميع أمم الأرض؛ لأنك سمعت لقولى» [تك ٢٢: ٣ ـ ١٨]

إن هذا النص يبين:

أ ـ أن الله امتحن إيمان إبراهيم. ب ـ أن إبراهيم نجح فى امتحان الإيمان.

ج ـ أن الله ـ تعالى ـ بعدما رأى أن إبراهيم قد أتم الكلمات. قال له: ﴿إنى جاعلك للناس إماما﴾ أى «أبا لجمهور من الأمم» ـ «ويتبارك بنسلك جميع أمم الأرض»

د ـ ومنح الله إبراهيم عهد بالبركة فى إسماعيل.

هـ ـ ثم بعد ذلك وعده بالبركة، فى إسحق. وهذا مذكور فى القرآن الكريم على الترتيب المتقدم. وهو:

١ ـ ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات؛ فأتمهن. قال: إنى جاعلك للناس إماما. قال: ومن ذريتى. قال: لا ينال عهدى الظالمين. وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا. واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل: أن طهرا بيتى للطائفين، والعاكفين. والركع السجود. وإذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا بلدا آمنا، وارزق أهله من الثمرات، من آمن منهم بالله واليوم الآخر. قال: ومن كفر. فأمتعه قليلا. ثم أضطره إلى عذاب النار، وبئس المصير. وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت. وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك. وأرنا مناسكنا وتب علينا. إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم، يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم. إنك أنت العزيز الحكيم﴾

فإبراهيم لما نجح فى امتحان الإيمان، عقد الله بينه وبين إبراهيم عهدا. هو أن يسير أمامه. وطلب السير فى ذريته. فلفت الله نظره إلى أن السير أمامه، معناه: دعوة الناس إلى معرفته. وإقامة العدل بينهم بالشريعة التى سينزلها لمصلحتهم. وهذا لا يسير به ظالم، بل عادل. وبعدما أتم بناء الكعبة البيت الحرام؛ طلب من الله أن يرسل رسولا من ذرية إسماعيل، الساكنين حول الكعبة؛ لحمل بركة إسماعيل فى الأمم. واستجاب الله له.

ب ـ وفى سورة الصافات: أن الله بشر إبراهيم ﴿بغلام حليم﴾ ثم أمره بذبحه، ثم بارك فيه.

ج ـ وفى سورة هود: أن الله بشر إبراهيم بغلام من سارة. وهو إسحق. ومن وراء إسحق يعقوب. أى يقوم بنو يعقوب الذى هو إسرائيل بالسير أمام الله فى البلاد، بعد موت إسحق. فيكون نسل يعقوب هم الوارثون لبركة إسحق.

ثم قال: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ فيكون إسحق مباركا، كما أن إسماعيل من قبله مبارك. وهذا هو معنى قول الله تعالى عن الذبيح إسماعيل ﴿وباركنا عليه﴾ ثم قال عن أخيه: ﴿وعلى إسحق، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ والبركة ـ عندهم ـ تفسّر بالملك والنبوة.

د ـ وفى سورة الذاريات؛ كما فى سورة هود، إلا أنه وصف إسحق ﴿**بغلام عليم**﴾

ولو كان العهد أبديا فى إسحق. وذبح بالفعل، لكان هذا خلف للموعد فى يعقوب، **من أجل ذلك قال المفسر «ويسلى»: إن القول بالعهد فى إسحق وذبحه هو لغز رهيب**. ونقل عن «فم الذهب» قوله: «إن الله بدا فى هذا الأمر، وكأنه يناقض الله. وكأنى بالإيمان يعارض الإيمان. وكأنى بالوصية تقف فى وجه الوصية»(١) أ ـ هـ.

هذا عن النص على الذبح للابن الوحيد وبركته.

وأما عن النص على بشارة الملائكة لسارة:

فإنه بعد عشر سنين من بعد هجرة إبراهيم عليه السلام من أرض آبائه إلى أرض

(١) ص ١٣٠ تفسير الرسالة إلى العبرانيين تفسير جون ويسلى ـ تعريب الدكتور عزت زكى سنة ١٩٨٦ مطبعة النيل المسيحية بالقاهرة.

فلسطين. أعطت سارة لرجلها إبراهيم؛ جاريتها هاجر؛ لعله أن ينجب منها لها أولادا فأنجب منها إسماعيل. فصار إسماعيل وحيدا لإبراهيم، ووحيدا لهاجر، ووحيدا لسارة. وكان إبراهيم له من العمر ست وثمانون عاما. وهجرته كانت فى ست وسبعين.

وفى سن التاسعة والتسعين لإبراهيم، أرسل الله الملائكة لإهلاك قرى قوم لوط ـ عليه السلام ـ ولتبشير إبراهيم بإسحق. فلما دخلوا بيت إبراهيم «أسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة، وقال: هلمى بثلاثة أصواع من السميذ الناعم؛ فاعجنيها، واصنعيها فطائر، وبادر إبراهيم إلى البقر، فأخذ عجلا رخصا طيباً، وسلمه إلى الخادم، فأسرع فى إعداده، ثم أخذ لبنا وحليبا والعجل الذى أعده، وجعل ذلك بين أيديهم، وهو واقف بالقرب منهم تحت الشجرة؛ فأكلوا[1].

ثم قالوا له: أين سارة امرأتك؟ قال: هى فى الخيمة. قال: سأعود إليك فى مثل هذا الوقت، ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة تتسمع عند باب الخيمة، الذى وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين فى السن، وقد انقطع عن سارة ما يجرى للنساء. فضحكت سارة فى نفسها، قائلة: أبعد هرمى أعرف اللذة، وسيدى قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: ما بال سارة قد ضحكت قائلة: أحقا ألد وقد شخت؟ هل من أمر يعجز الرب؟ فى مثل هذا الوقت أعود إليك، ويكون لسارة ابن» [تك ١٨: ١٧ ـ ١٤]

«وافتقد الرب سارة كما قال: وصنع الرب إلى سارة، كما قال. فحملت سارة، وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته، فى الوقت الذى وعد الله به. فسمى إبراهيم ابنه المولود له، الذى ولدته سارة: إسحق. وختن إبراهيم إسحق ابنه. وهو ابن ثمانية أيام. بحسب ما أمره الله به. وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه. وقالت سارة: جعل الله لى ما يضحك. فكل من سمع بذلك يضحك بشأنى. وقالت: من كان يقول لإبراهيم: إن سارة سترضع البنين. فقد ولدت ابنا لشيخوخته.

وكبر الولد وفطم. وأقام إبراهيم مأدبة عظيمة فى يوم فطام إسحق» [تك ٢١: ١]

---

(١) فى القرآن: انهم لم يأكلوا. . وما فى القرآن هو الصحيح؛ لما جاء فى التوراة عن المن والسلوى وهو «أكل الإنسان خبز الملائكة» أى لهم طعام هو تسبيح. وهو طعام غير مرئى. فيكون ما فى الأرض لا يصلح طعاما لهم.

يتبين من هذا النص: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنجب إسحق وهو فى سن المائة،

لكن انظر فى رفع إبراهيم وإسماعيل للكعبة فى مكة المكرمة، هل كان قبل ولادة إسحق، أم كان بعد ولادة إسحق؟ وهل دمار قرى قوم لوط، كان قبل الرفع. أم بعده؟

إن ولادة إسحق كانت بعد دمار قرى قوم لوط بنص التوراة والقرآن. ففى القرآن الكريم: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى. قالوا: سلاما. قال: سلام. فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه؛ نكرهم وأوجس منهم خيفة. قالوا: لا تخف. إنا أرسلنا إلى قوم لوط. وامرأته قائمة؛ فضحكت. فبشرناها بإسحق. ومن وراء إسحق يعقوب. قالت: يا ويلتى أألد وأنا عجوز. وهذا بعلى شيخا؟ إن هذا لشىء عجيب. قالوا: أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد. فلما ذهب عن إبراهيم الروع، وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط. إن إبراهيم لحليم أواه منيب. يا إبراهيم أعرض عن هذا. إنه قد جاء أمر ربك. وإنهم آتيهم عذاب غير مردود. ولما جاءت رسلنا لوطا؛ سىء بهم، وضاق بهم ذرعا، وقال: هذا يوم عصيب﴾

ولما كان إسماعيل وقت ولادة إسحق، قد بلغ سن السعى على المعاش، والبحث عن الرزق، ولما كان إسحق قد ولد، فى وقت دمار قريتى «سدوم» و «عمورة» ولما كان الذبيح هو الابن الوحيد للثلاثة؛ فإن إقدام إبراهيم على ذبح ابنه فى البيت الحرام يكون قبل ولادة إسحق بقليل. ومن المحتمل أنهما رفعا القواعد من البيت سنة الذبح ثم انطلق إبراهيم بأهله إلى أرض كنعان. تاركا إسماعيل وأمه بجوار الكعبة. فبشرته الملائكة بإسحق، بعد الانطلاق وتم تدمير القريتين من قبل ولادته. ولم يكن إسماعيل رضيعا حال تركه مع أمه. إلا إذا قلنا بمرتين. مرة فى صغره ومرة فى كبره. كما جاء فى التوراة، وفى كتب التفاسير، لا القرآن الكريم.

ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعى، قال: يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك؛ فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما، وتله للجبين، وناديناه: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. إنا كذلك نجزى المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه فى الآخرين. سلام على إبراهيم.

كذلك نجزى المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين. وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين، وباركنا عليه، وعلى إسحق. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾

*****

ولنرجع إلى نص التوراة عن يوم فطام إسحق.

يقول الكاتب: «وأقام إبراهيم مأدبة عظيمة فى يوم فطام إسحق. ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحق. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الخادمة وابنها، فإن ابن هذه الجارية لن يرث مع ابنى إسحق. فساء هذا الكلام جدا فى عينى إبراهيم بشأن ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يسوء فى عينيك أمر الصبى، وأمر خادمتك. مهما قالت لك سارة، فاسمع لقولها؛ لأنه بإسحق يكون لك نسل باسمك. وأما ابن الخادمة فهو أيضا أجعله أمة عظيمة؛ لأنه نسلك. فبكر إبراهيم فى الصباح، وأخذ خبزا وقربة ماء فأعطاهما هاجر، وجعل الولد على كتفها، وصرفها. فمضت وتاهت فى برية بئر سبع. ونفذ الماء من القربة، فطرحت الولد تحت بعض الشيح، ومضت فجلست تجاهه على بعد رمية قوس. لأنها قالت: لا رأيت موت الولد. فجلست تجاهه، ورفعت صوتها وبكت. وسمع الله صوت الصبى، فنادى ملاك الرب هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر؟ لا تخافى؛ فإن الله قد سمع صوت الصبى حيث هو. قومى فخذى الصبى، وشدى عليه يدك؛ فإنى جاعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها، فرأت بئر ماء، فمضت، وملأت القربة ماء، وسقت الصبى وكان الله مع الصبى، حتى كبر، فأقام بالبرية، وكان راميا بالقوس، وقام ببرية فاران، واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر»

يظهر من هذا النص: أنه بعد فطام إسحق، وكبره ولعبه مع إسماعيل. أمرت سارة بطرد إسماعيل. هو وأمه من أرض فلسطين إلى أرض مكة. وأن إسماعيل كان صبيا على كتف أمه. كيف هذا وإسماعيل أكبر من إسحق بأربع عشرة سنة؟ أيكون رضيعا بعد فطام إسحق؟ إن هذا لشىء عجيب. أى منطق هذا؟ رن هذا ت ناقض.

وإن القرآن الكريم لم يصرح بوجود إسماعيل فى «مكة» وهو رضيع. وصرح بأنه كان موجودا فيها فى سن السعى على المعاش. وكلام التوراة غير سوى، وغير معقول. وذلك لأن الأم لا تضع على كتفها ولدا فى سن السعى على المعاش، وتتيه معه فى الصحاري والقفار. وكلام المفسرين منقول من كتب أهل الكتاب. وهم للمسلمين أعداء، من قبل ظهور محمد بزمان طويل، وبالتحديد من حين تحريف

التوراة فى بابل. فالحق الذى لا مرية فيه: هو الاعتراف بوجود إسماعيل فى «مكة» من سن السعى فقط. وأن إبراهيم انطلق به. وكانت الكعبة آيلة للسقوط. فبناها هو وإسماعيل. ثم إن إبراهيم؛ قال الله تعالى: ﴿رب اجعل هذا البلد﴾ أى مكة ﴿آمنا. واجنبنى وبنى﴾ يعنى نفسه وبنى إسماعيل فقط. أى ﴿وبنى﴾ من هذا الذى رفع القواعد معى ﴿وابعث فيهم رسولا﴾ والقرينة الدالة على التخصيص: هو أنه لم يكن له ولد غيره. ﴿أن نعبد الأصنام﴾ وهذا يدل على أن سيره أمام الله فى الأرض كان لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس. فمن تبعنى فإنه منى، ومن عصانى فإنك غفور رحيم. ربنا إنى أسكنت من ذريتى﴾ يعنى نسل إسماعيل ﴿بواد غير ذى زرع، عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة. فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات؛ لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء. الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربى لسميع الدعاء، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى﴾ يعنى دعاة إلى الله من ذريته ﴿ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾

وهذا المنطق الحق يعرف من التوراة إذا ضممنا أ ـ [تك ٢١ ١٤ ـ ٢٠] إلى ب ـ [تك ١٦] هكذا:

أ ـ نص التكوين ١٦.

«وأما ساراى امرأة أبرام. فلم تلد له. وكانت لها خادمة مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراى لأبرام: هو ذا قد حبسنى الرب عن الولادة. فادخل على خادمتى، لعل بيتى يبُنى منها. فسمع أبرام لقول ساراى فأخذت ساراى امرأته هاجر المصرية خادمتها فأعطتها لأبرام زوجها لتكون له زوجة. فدخل على هاجر، فحملت. فلما رأت أنها قد حملت؛ هانت سيدتها فى عينيها. فقالت ساراى لأبرام: ظلمى عليك. إنى وضعت خادمتى فى حضنك، فلما رأت أنها قد حملت؛ هنت فى عينيها؛ ليحكم الرب بينى وبينك. فقال أبرام لساراى: هذه خادمتك فى يدك؛ فاصنعى بها ما يحسن فى عينيك؛ فأذلتها ساراى. فهربت من وجهها.

فوجدها ملاك الرب عند عين ماء فى البرية، عين الماء التى فى طريق شور. فقال: يا هاجر خادمة ساراى. من أين جئت؟ وإلى أين تذهبين؟ قالت: إنى هاربة

من وجه ساراى سيدتى. فقال لها ملاك الرب: ارجعى إلى سيدتك، وتذللى تحت يديها، وقال لها ملاك الرب: لأكثرن نسلك تكثيرا لا يحصى لكثرته. وقال لها ملاك الرب: ها أنت حامل وستلدين ابنا وتسمينه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع صوت شقائك، ويكون حمارا وحشيا بشريا. يده على الجميع، ويد الجميع عليه، وفى وجه جميع إخوته يسكن.

فأطلقت على الرب مخاطبها، اسم: أنت الله الرائى. لأنها قالت: أما رأيت ههنا رائى؟ لذلك سميت البئر: بئر الحى الرائى. وهى بين قادش وبارد.

وولدت هاجر لأبرام ابنا، فسمى أبرام ابنه الذى ولدته هاجر: إسماعيل. وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة، حين ولدت هاجر إسماعيل لأبرام» [تك ١٦]

ب ـ نص التكوين ٢١:

«فبكر إبراهيم فى الصباح، وأخذ خبزا وقربة ماء، فأعطاهما هاجر، وجعل الولد على كتفها وصرفها. فمضت وتاهت فى برية بئر سبع، ونفذ الماء من القربة، فطرحت الولد تحت بعض الشيح، ومضت فجلست تجاهه على بعد رمية قوس؛ لأنها قالت: لا رأيت موت الولد، فجلست تجاهه، ورفعت صوتها، وبكت. وسمع الله صوت الصبى، فنادى ملاك الرب هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر؟ لا تخافى. فإن الله قد سمع صوت الصبى حيث هو. قومى فخذى الصبى، وشدى عليه يدك؛ فإنى جاعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فرأت بئر ماء، فمضت، وملأت القربة ماء، وسقت الصبى. وكان الله مع الصبى حتى كبر، فأقام بالبرية، وكان راميا بالقوس. وأقام ببرية فاران، واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر» [تك ٢١: ٨ ـ ٢١]

البيـــان:

إن نص التكوين ١٦ يثبت مذلة هاجر وهربها من وجه سارة من قبل أن تلد إسماعيل. وهذا خطأ قد وقع فيه الكاتب. لأن حمل هاجر هو لصالح سارة. إذ هو برغبتها، وهو أيضا: لها. وهى أخت إبراهيم وزوجته. فلماذا تذلها وهى لم تنجب بعد؟ إنها قالت: «لعل بيتى يُبنى منها» فكيف تذلها وهى لها بانية بيت؟ وبعد رجوعها من الهرب ـ إن صحت الرواية ـ ولدت إسماعيل.

ونص التكوين ٢١ يثبت أنها بعد الولادة وحال الرضع، تاهت بقربة الماء فى الصحراء ورفعت صوتها وبكت. والنصان يثبتان بقعة واحدة جرت فيها تلك الوقائع

وهى بئر سبع. وقد خلط وشوش عامدا متعمدا. وكذلك فى سرد الوقائع، وليس فى وقائع إسماعيل وأمه فحسب، بل أيضا فى روايته على إبراهيم وأبيمالك فى بئر سبع [تك ٢١: ٢٢] فإنه ذكر الفلسطينيين فى [تك ٢١: ٣٢، ٣٤]. وذكرهم له هو فى غير أوانه(١). كما فى [يشوع ١٣: ٢].

الاقتباس الخامس:

«وأقول: اسلكوا سبيل الروح؛ فلا تقضوا شهوة الجسد؛ لأن الجسد يشتهى ما يخالف الروح. والروح يشتهى ما يخالف الجسد. كلاهما يقاوم الآخر، حتى إنكم تعملون ما لا تريدون. ولكن إذا كان الروح يقودكم؛ فلستم فى حكم الشريعة.

وأما أعمال الجسد فإنها ظاهرة. وهى: الدعارة والزنى والفجور، وعبادة الأوثان والسحر. والعداوات والخصام والحسد والسخط والمنازعات والشقاق والتشيع والحسد والسكر والقصف. وما أشبه.

وأنبهكم كما نبهتكم من قبل: على أن الذين يعملون مثل هذه الأعمال لا يرثون ملكوت الله. أما ثمر الروح: فهو المحبة والفرح والسلام والصبر واللطف وكرم الأخلاق والإيمان والوداعة والعفاف. وهذه الأشياء ما من شريعة تتعرض لها.

إن الذين هم للمسيح يسوع، قد صلبوا الجسد، وما فيه من أهواء شهوات» [غلا ٥: ١٦-٢٤]

البيـــان:

الروح والجسد. يقاوم أحدهما الآخر. وأعمال الجسد هى: زنى وعهر وعبادة أوثان ونفاق وخصام وغيرة وسخط، وسكر وتكبر. وما أشبه ذلك، وأعمال الروح هى: المحبة والفرح والسلام والأناة واللطف والصلاح والإيمان والعفة والتواضع. وما أشبه ذلك.

---

(١) يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق على قول يشوع: «جميع نواح الفلسطينيين» [يش ١٣: ٢]: «بحسب تث ٢: ٢٣وعا ٩: ٧ وإر ٤٧: ٤ أصل الفلسطينيين من «كفتور» والراجح: أنها «كريت» لا آسية الصغرى. على كل حال لم تكن كفتور سوى مرحلة فى تنقلهم، ويبقى أصلهم غامضا. كانوا ينتمون إلى «شعوب البحر» التى تدفقت إلى أبواب «مصر» حيث صدها «رعمبس الثالث» فى أوائل القرن الثانى عشر ق.م انهزامهم أقام الفلسطينيون فى ساحل فلسطين، ومن هنا اسمهم أما ذكرهم فى تك ٢١: ٣٢و ٢٦: ١-٨ وخر ١٣ ١٣: ٧ فهو استباق» أ هـ.

هذا هو قولهم: وقولهم: إن أصلهم غامض. قول باطل، وذلك لأن الطوفان لما تم فى عهد نوح وبقى المؤمنون الذين استقرت بهم السفينة فى مكة المكرمة. ارتحل المؤمنون من «مكة» شرقا وشمالا وجنوبا وغربا فأصل الفلسطينيين من مكة بعد الطوفان.

والمؤلف يقول: إن دين موسى ـ عليه السلام ـ مكون من أ ـ عقيدة ب ـ وشريعة. والشريعة مكونة من أ ـ أخلاق ب ـ وتكاليف شرعية. والأخلاق مثل المحبة والسلام. والتكاليف الشرعية مثل لا تأكل لحم الجمل، ولا لحم الخنزير. وما أشبه. ويقول: إنى أسقط التكاليف الشرعية من دين موسى، ولا أسقط الأخلاق. لأن كل الشرائع لا تسقط المحبة والفرح والسلام التى هى الأخلاق الحميدة، ولكنها تسقط التحريم والتحليل لأشياء يحبها الجسد. ثم نهى بولس عن العداوات والخصام والحسد. وقال: « إن الذين يعملون مثل هذا الأعمال لا يرثون ملكوت الله » فما هو الملكوت الذى سيرثوه لو عملوا خيرا، وقالوا للناس حسنا ؟ يقول المفسرون لكلامه: إنه هو الملكوت الذى رآه دانيال فى حلم الليل. وقال فيه: « وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام ؛ فقربوه قدامه، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى، ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض » [دا ٧: ١٣ ـ ١٤ اقرأ: دا ٤: ١ ـ ٣ و ٦: ٢٥ ـ ٢٧ و ٩: ٢٤] وقال الدكتور غبريال: إن من تعظيم اليهود لله: أنهم كانوا يكتبون كلمة « السموات » بدل كلمة « الله » ـ الذى اسمه « يَهْوَه »

وهدف بولس من قوله: هو أن اليهود لن يدخلوا فى ملكوت الله ـ الذى هو ملكوت المسيا ـ إلا إذا تواضعوا لله وتركوا التكبر والحسد، وصاروا مثل الأطفال فى الوداعة والبراءة واللين والرحمة. وهو نفسه المأثور عن عيسى ـ عليه السلام ـ ولكن عيسى فسر الملكوت بأنه للنبى الأمى الآتى من بعده، وبولس فسره بأنه ملكوت عيسى نفسه.

ومن كلام عيسى عليه السلام: « دعوا الأولاد يأتون إلىّ، ولا تمنعوهم ؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » [متى ١٩: ١٤]

« الحق أقول لكم: « إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات. وأقول لكم أيضا: إن مرور جمل من ثقب إبرة، أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » [متى ١٩: ٢٣ ـ ٢٤]

«الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد؛ فهو الأعظم فى ملكوت السموات » [متى ١٨: ٣ ـ ٤]

« فمن يرفع نفسه ؛ يتضع، ومن يضع نفسه ؛ يرتفع » [متى ٢٣: ١٢]

« فلما كان قد غسل أرجلهم، وأخذ ثيابه، واتكأ أيضا. قال لهم: أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلما وسيدا. وحسنا تقولون ؛ لأنى أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ؛ فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض ؛ لأنى أعطيتكم مثالا، حتى كما صنعت أنا بكم، تصنعون أنتم أيضا. الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده. ولا رسول أعظم من مرسله. إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه. لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب: «الذى يأكل معى الخبز، رفع على عقبه» أقول لكم الآن، قبل أن يكون، حتى متى كان ؛ تؤمنون: أنى أنا هو. الحق الحق أقول لكم: الذى يقبل من أرسله؛ يقبلنى. والذى يقبلنى، يقبل الذى أرسلنى » [يو ١٣: ١٢ - ٢٠]

يريد أن يقول: إننى أحثكم على التواضع وأحث الذين يؤمنون بى بكلامكم عليه. حتى متى كان مجىء محمد رسول الله تؤمنون به، لأننى أنا وهو ندعوان إلى الله. فمن قبله فكأن قد قبلنى. ونفس المعنى مذكور فى آخر حديث له مع الحواريين، فإنه وهو يتكلم عن فتح المسلمين لأورشليم قال: « انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمى، قائلين: إنى أنا هو، ويضلون كثيرين. فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب، فلا ترتاعوا. لأنها لابد أن تكون. ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة. . . الخ » [مرقس ١٣]

و«بُولُس» إذا ثبّت الأخلاق، وهدّ التكاليف الشرعية. فإنه يكون هادًّا للأخلاق أيضاً. وذلك لأن التكاليف الشرعية هي وسيلة لغاية. هي حسن الأخلاق. فقتل القاتل هو حكم شرعي. وهو وسيلة لغاية هي حفظ النظام. وهو لا يُحفظ إلا بحسن الخلق. ورجم الزاني هو حكم شرعي. وهو وسيلة لحفظ الأنساب والبعد عن الشهوات. وهكذا. فإذا منع هو من التكاليف الشرعية ؛ فإنه بالمنع يهد الأخلاق. ويقوض أركان المجتمع. كما هو حاصل الآن في البلاد التي رفضت الالتزام بالشريعة.

الاقتباسات
فى
رسالة بولس إلي تيموثاوس

ذكر بولس ـ أو الكاتب على لسانه ـ أن علماء من بنى إسرائيل، آمنوا بما قاله عيسى ـ عليه السلام ـ على وجهه الصحيح، وعلّموا به. ومما علموا به: وجوب العمل بكتاب موسى. لأن يسوع لم يعلن نسخه. وأن علماء من مذهب الغنوصيين قد قالوا: إن القيامة قد أتت[1]. ثم قال عن مذهبه هو ـ الذين يدين النصارى به إلى هذا اليوم ـ: « غير أن الأساس الراسخ، الذى وضعه الله ؛ يبقى ثابتا. وقد ختم بختم هذا الكلام: « إن الرب يعرف الذين لـه »[2] و « ليتجنب الإثم من يذكر اسم الرب »[3] [٢ تيمو ٢: ١٩]

فقد اقتبس على صحة مذهبه نصا من سفر إشعياء. هو يدل على محمد رسول الله ﷺ وطبقه على معتقده. وهو أن النبى الآتى يكون من بنى إسرائيل. وهو المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ

والنص فى سفر إشعياء له نظير فى سفر المزامير وهو: « افتحوا الأبواب، ولتدخل الأمة البارة الحافظة للأمانة. إن عزمها لثابت: إنك ترعاها بالسلام السلام ؛ لأنها عليك توكلت. توكلوا على الرب للأبد. فإن الرب هو صخرة الدهور. لقد خفض الساكنين فى علاء، حط المدينة المنيعة، حطها إلى الأرض، وألصقها بالتراب. فتدوسها الأقدام. قدما البائس وخطى الضعفاء.

سبيل البار استقامة. تشق للبار طريقا مستقيمة، فى سبيل أحكامك يارب انتظرناك. إلى اسمك وذكرك؛ اشتياق النفس. نفسى فى الليل اشتاقتك، وروحى فى داخلى تبتكر إليك ؛ لأنه حين تكون أحكامك فى الأرض، يتعلم البرّ سكانُ المسكونة. إن أُعفى عن الشرير من دون أن يتعلم البر، صنع الإثم فى أرض الاستقامة، ولم ير جلال الموت.

---

(١) حرف بولس قولهم . فإنهم قد قالوا : إن دهر بركة إسحق انقضى ، وأقبل الدهر الآتى وهو بركة إسماعيل
(٢) العدد ١٦ : ٥ و ٢٦ « يُعلم الرب من هو له » ـ « تباعدوا عن خيم الناس الأشرار »
(٣) إشعياء ٢٦ : ١٣ بتصرف .

أيها الرب. يدك مرتفعة، وهم لا يرون. فليروا غيرتك على الشعب، وليخزوا، ولتلتهم النار أعداءك. يا رب. إنك تجُعل السلام لنا. لأن كل أعمالنا أنت تعملها لنا. أيها الرب إلهنا. تسلط علينا أرباب سواك، لكن اسمك وحدك سنذكر.

الأموات لا يحيون، والأشباح لا يقومون، فإنك قد عاقبتهم ودمرتهم، وأبدت كل ذكر لهم. لكنك أنميت الأمة يا رب. أنميت الأمة وتمجدت » [إش ٢٦: ٢ ـ ١٥]

البيان:

فى هذا النص أمتان: أمة بارة، وأمة شريرة. والأمة البارة ستدخل فى ملكوت الله، والأمة الشريرة ستخرج من ملكوت الله. الأمة البارة ستعلوا، والأمة الشريرة ستنخفض. الأمة البارة يرعاها الله بالسلام، والأمة الشريرة تدوسها الأقدام. والأمة البارة الحافظة للأمانة، سيُنميها الرب وسيعظمها. وإشعياء يقول: « افتحوا الأبواب، ولتدخل الأمة البارة » وهى أمة « العبد المتألم » الذى تحدث عنه طويلا، ورمز بالعاقر إلى مكان خروجه. وقال فى أوصافه: « هو ذا عبدى يُوَفّق، يتعالى ويرتفع ويتسامى جدا. . . الخ »

ونبوءة العبد المتألم شلت «بولُس» وحيرته وبعد تفكير مضنى، قال: إن المسيح يسوع «إذ كان فى صورة الله، لم تحسب خُسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد، صائرا فى شِبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وَضع نفسه، وأطاع حتى الموت. موت الصليسب. لذلك رفَّعه الله أيضا، وأعطاه اسما فوق كل اسم؛ لكى تجثو باسمِ يسوع كل رُكبة ممن فى السماء، ومَنْ على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترفَ كلٌ لسان: أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» [قيلبى ٢: ٥ ـ ١١]

ولماذا يقول بموته؟ يقول لرفع الخطايا. ونسى أن فى التوراة تصريح من الأنبياء بأن آدم قد تاب، وأن الله قد قبل توبته فلماذا القول بخطايا، ورفع خطايا؟ [حكمة ١٠: ١ ـ ٢] «هى التى حفظت أول من جُبل أبا للعالم، لما خلق وحده، وأنقذته من زلته، وأتته قوة ليتسلط على الجيمع».

الاقتباسات
فى
الرسالة إلى العبرانيين

بدأ الكاتب رسالته إلى العبرانيين بقوله : إن النبى الآتى على مثال موسىٰ، الملقب من داود النبى، مجازا لا طبيعة بلقب « ابن الله » فى المزمور الثانى هو «يسوع المسيح » ويجب على بنى إسرائيل قبوله، لا على أنه نبى من أنبيائهم، أو عالم من علمائهم بل على أنه « النبى » المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر، من سفر التثنية. وشرع فى ذكر نبوءات من نبوءات التوراة عن « النبى الآتى » وطبقها على المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ كما فعل بولس فى الرسالة إلى أهل روما، وكما فعل محرفو الأناجيل. وذكر نبوءات هم ذكروها، وذكر نبوءات هم لم يذكروها. وهأنذا أذكر نصوص كلامه، ومواضع اقتباساته. والله المستعان، وعليه التكلان:

الاقتباس الأول:

قال الكاتب: « إن الله بعدما كلم الآباء قديما بالأنبياء، مرات كثيرة، بوجوه كثيرة ؛ كلمنا فى آخر الأيام هذه، بابن، جعله وارثا، لكل شىء، وبه أنشأ العالمين. هو شعاع مجده، وصورة جوهره، يحفظ كل شىء بقوة كلمته، وبعدما قام بالتطهير من الخطايا ؛ جلس عن يمين ذى الجلال، فى العلى ؛ فكان أعظم من الملائكة، بمقدار ما للاسم، الذى ورثه، من فضل، على أسمائهم »[1] [عب ١: ١ ـ]

---

(١) فى شرح الرسالة إلى العبرانيين للدكتور غبريال رزق الله :

أ ـ الآباء : من موسى إلى زمان يسوع المسيح ، والأبناء من زمان يسوع إلى يوم القيامة . هذا هو قول الشارح والصحيح : أن الآباء من موسى إلى زمان الابن الوارث وهو محمد ﷺ والأبناء هم المكلمون من الله بواسطة الابن الوارث إلى يوم القيامة . لأن يسوع المسيح لم ينسخ شريعة موسى ـ عليه السلام ـ

ب ـ قديما : التوراة هى العهد القديم . وهى كلمة الله قديما .والقِدم يشمل المدة من إعطاء الناموس على يد موسى إلى يسوع المسيح . والصحيح : إلى محمد ﷺ لأنه هو الناسخ لشريعة موسى

ج ـ فى هذه الأيام الأخيرة : هى أيام ظهور المسيا المنتظر . هذا هو قول الشارح ، ويفسره بيسوع المسيح . والصحيح أنه هو محمد ﷺ =

= د ـ بأنواع : أى أن كلمة الله فى العهد القديم لم تعلن دفعة واحدة وإنما على دفعات بواسطة أنبياء كثيرين أما الطرق فهى طرق اتصال الله بالأنبياء ، كما بالأحلام أو بالرؤى أو بالوحى أو بالمناداة بالصوت العلنى أو بالملائكة .

هـ ـ الذى به أيضاً عمل العالمين : يقول الشارح : إن المسيا كلمة الله : لأن الفكر اليهودى يعبر بكلمة الله عن : فعل ـ قال ـ افتكر ـ ذَهب . وما شاكل ذلك . ولأن الله وعد بمجئ المسيا ، والوعد قديم ـ والوعد كلمة ـ صار اليهود يُطلقون على المسيا : أنه كلمة الله القديمة . بل إن شريعة موسى نفسها يقولون : إنها كلمة الرب ، وموسى نفسه كلمة الرب ، ويقول الشارح : إن بولس فى قوله : « به عمل العالمين » أراد أن يعرف اليهود أن يسوع هو « كلمة الله » المسيا ، الذى به كل شئ كان . لأن الله لما تكلم عنه قديما للآباء ، بتعظيم وبتبجيل، قالوا : إن الله قد خلق العالم من أجله . وهكذا كل ما تكون فيه فائدة ، يُعبر عنه بأنه موجود من البدء .فعن الحكمة جاء فى أمثال سليمان : « الرب قنانى أول طريقه،من قبل أعماله منذ القدم . منذ الأزل مُسحت ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض . . الخ » [أم ٨ : ٢٢ ـ] وقول الشارح صحيح . فإن كلمة الله جاءت فى التوراة وفى الإنجيل بمثل ما قال . وخطؤه هو فى جعل كلمة الله ـ التي هي يسوع في نظره ـ إله مع الله . أو هى الله متجسدا . هذا خطؤه . ففى المزامير : « أنقطعت كلمته إلى دور فدور ؟ » [مز ٧٧ : ٨] « بيع يوسف عبدا آذوا بالقيد رجليه . فى الحديد دخلت نفسه ، إلى وقت مجئ كلمته » [مز ١٠٥ : ١٧ ـ ١٨] « لم يؤمنوا بكلمته ، بل تمرمروا فى خيامهم،لم يسمعوا لصوت الرب » [مز ١٠٦ : ٢٤ ـ ٢٥] « أرسل كلمته فشفاهم » [مز ١٠٧ : ٢٠] « فأحينى حسب كلمتك » [مز ١١٩ : ٢٥] « لأنك قد عظّمت كلمتك » [مز ١٣٨ : ٢] « يُرسل كلمته فى الأرض سريعا جدا . يجُرى قوله . الذى يُعطى الثلج كالصوف . ويذرى الصقيع كالرماد ، يُلقى جمده كفُتات. قدام برده من يقف ؟ يُرسل كلمته فيذيبها ، يهبّ بريحه فتسيل المياه. يخبر يعقوب بكلمته ، وإسرائيل بفرائضه وأحكامه . لم يصنع هكذا بإحدى الأمم ، وأحكامه لم يعرفوها » [مز ١٤٧ : ١٥ ـ ٢٠] وفى المزامير عن الله تعالى : « قال : فكان . هو أمر ؛ فصار » [مز ٣٣ : ٩] . .

وفى سفر الأعمال : « فقبلوا الكلمة بكل نشاط » [أع ١٧ : ١١] ويقول بولس: « اكرز بالكلمة » [٢ تى ٤ : ٢] وقال يعقوب : « فاقبلوا بوداعة الكلمة » وقال بطرس : « وعندنا الكلمة النبوية » [٢ بط ١ : ٩]

ومن هذا تعلم : أن كلمة الله تعنى: أمره ، وشريعته ولا تعنى إلها مع الله، ولا تعنى الله ذاته . فداود يصرح بأن الله يُرسل كلمته، أى يعطى أوامره. ويقول : يخبر بنى يعقوب بكلمته ـ التى هى التوراة ـ على لسان موسى. وعيسى المسيح عليه السلام كلمه الله على هذا المعنى أى أراد الله خلقه فخلقه ، ومحمد ﷺ كلمة الله أى أراد الله خلقه، فخلقه. ومن عادة اليهود أن يعبروا عن الشئ المخبر به سلفا بأنه قديم، ومولود ، ومنذ الأزل كما قالوا عن الحكمة فى سفر الأمثال . وقالوا عن المسيا كما قالوا عن الحكمة . ونقل يوحنا قولهم عن المسيا فى بدء إنجيله ، فقال : « فى البدء كان الكلمة » أى المسيا ، كما كانت الحكمة فى البدء « والكلمة كانت عند الله» لأن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو «وكانت الكلمة الله » أى: الله والكلمة هدفهما واحد وهو دعوة الناس إلى البعد عن الشيطان الرجيم . وقد نقلنا عن اليهود كلاما كثيرا في أن المسيا مخلوق من البدء فى كتابنا المسيا المنتظر .

و ـ والمقصود بالعالمين : دهور العالم فى تتابعها ودوامها . وهى أشياء خفية . فما مضى قد كتب في كتب عند الله ، وما هو آت غير معروف ، والحاضر يمر ، وليس من يلاحظ ، ويقول الشارح : إن الكلمة يُعبر بها عن العالم بالنسبة لكيانه ودوامه .

البيـــان:

يريد أن يقول: إن الله تعالى كلم آباء اليهود وأجدادهم عن مجيء « النبى الأمى الآتى إلى العالم » وعن وصاياه وعن شرائعه، بواسطة أنبيائه ورسله، كموسى وداود وإشعياء وإرمياء. وهؤلاء الأنبياء والرسل قد دونوا كلام الله فى كتب لمن يأتى من بعدهم. وفى زماننا هذا. وهو آخر أيام بركة إسحق بن إبراهيم فى الأمم. كلمنا عن طريق « ابنه» الذى أنبأ عنه النبى داود، فى المزمور الثانى. وهو « المسيا »

فمن هو هذا الابن ؟ يقول المحرف: إنه يسوع المسيح. والحق: أنه ليس هو يسوع المسيح. وذلك لأن موسى قال عن النبى الأمى الآتى إلى العالم: إنه مثلى. وقال: ولن يقوم من بنى إسرائيل نبى مثلى. ويسوع المسيح من بنى إسرائيل ؛ فلا يمكن أن يكون هو « الابن » والأوصاف التى ذكرها داود عن « الابن » لا تنطبق على « يسوع المسيح » وهى أنه ملك ومحارب ومنتصر، وصاحب شريعة من لسانه الذى هو لسان كاتب ماهر.

ويقول المحرف: إن أتباع الابن، سيرثون الأرض من بعد أهلها ؛ لنشر الدين فيها. وهذا صحيح ؛ لقوله: « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك » ولكن تفسيره الابن بيسوع المسيح هو تفسير باطل. وذلك لأن الله وعد إبراهيم بأن يرث نسله باب أعدائه. ووعده بأن يرث الأرض من بعده أ ـ نسل إسحق ب ـ ونسل إسماعيل. وقد ورث إسحق، من أيام موسى صاحب الشريعة. ولا بد من أن يرث إسماعيل،من أيام « الابن » الذى هو محمد رسول الله ﷺ وإلا يرث ؛ فإن بركة إسماعيل لا تتحقق فى الأمم. وهى بركة منصوص عليها. والله لا يخلف وعده.

والدليل على أن إسماعيل وارث:

١ ـ قول إشعياء فى نبوءة « العبد المتألم » عن مكة المكرمة: « ويرث نسلك الأمم، ويعمر المدن الخربة » [إش ٥٤: ٣] « هذا ميراث عبيد الرب » [إش ٥٤:١٧]

٢ ـ قال الله لإبراهيم: « من يخرج من أحشائك ؛ هو يرثك » [تك ١٥: ١٤] وإسماعيل من أحشائه. إذ هو ابنه البكر.

٣ ـ قالت سارة لما ولدت « إسحق » وهى تعلم أن إسماعيل وارث لإبراهيم فى الملك والنبوة: « ابن هذه الجارية لن يرث مع ابنى إسحق » [تك ٢١: ١٠] ورد الله بقوله: لا. هو وارث. فقد قال لإبراهيم: « بإسحق يكون لك نسل باسمك، وأما

ابن الخادمة، فهو أيضا أجعله أمة عظيمة ؛ لأنه نسلك » [تك ٢١: ١٢ ـ ١٣]

٤ ـ قال داود فى سفر الزبور، عن المسيا الآتى إلى العالم: « فإن الأشرار يستأصلون، وأما الذين يرجون الرب، فالأرض يرثون. الشرير عما قليل ؛ لا يكون. تبحث عن مكانه. فلا يكون. أما الوضعاء، فالأرض يرثون، وبسلام وفير ينعمون » [مز ٣٧: ٩ ـ ١١]

٥ ـ وقال داود أيضا عن المسيا: « اللهم خلصنى؛ فإن المياه قد بلغت حلقى » ثم قال: « وذرية عبيده يرثونها، ومحبو اسمه، فيها يسكنون » [مز ٦٩]

ولا يمكن أن يكون المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ هو الآتى ؛ ليرث مع أتباعه الأرض. وذلك لأن بنى إسرائيل من قبله وارثون، ويتلون كتاب موسى فى الأرض. فمن زمان موسى ـ عليه السلام ـ وبنو إسرائيل يسيرون أمام الله، ويفتحون البلاد، ويحكمون أهلها بشريعة موسى. وقد فتحوا أرض «مصر» بعد غرق فرعون، وحكموا أهلها بالتوراة، وبنوا فيها المساجد، وعمروها بالعباد والنساك والصالحين. وفتحوا «اليمن» فى عهد النبى سليمان ـ عليه السلام ـ وفتحوا «فلسطين» فى عهد النبى داود ـ عليه السلام ـ وورثوا أراضى الأمم، لنشر الدين فيها. وبالوراثة الدينية تحققت بركة إسحق فيهم. ثم لما حان وقت ظهور بركة إسماعيل ـ عليه السلام ـ أرسل الله إليهم المسيح عيسى بن مريم، ليخبرهم بظهور بركته فى شخص محمد ﷺ هذا الذى وصفه موسى بالنبى الأمى، ووصفه داود بابن الله، ووصفه دانيآل بابن الإنسان،ووصفه إشعياء بالعبد المتألم.

وقد بين الله تعالى فى القرآن الكريم: ١ ـ أن بنى إسرائيل ورثوا الأرض من بعد أهلها ٢ ـ وأن بنى إسماعيل سيرثون الأرض من بعدهم. وبين أن ١ ـ لإسحق بركة ٢ ـ ولإسماعيل بركة. والبركة هى الملك والنبوة. وبين أن ١ ـ شريعة موسى كانت نورا وهدى للناس ٢ ـ وأن شريعة محمد قد نسختها، وألغت أحكامها. وصارت هى النور والهدى للناس. وذلك كله فى أكثر من آية.

ففى سورة الدخان: ﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم: أن أدوا إلى عباد الله ؛ إنى لكم رسول أمين. وأن لا تعلوا على الله ؛ إنى آتيكم بسلطان مبين. وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون. وإن لم تؤمنوا لى ؛ فاعتزلون. فدعا ربه: أن هؤلاء قوم مجرمون، فأسر بعبادى ليلا ؛ إنكم متبعون، واترك البحر رهوا ؛ إنهم جند مغرقون. كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة

كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾

وفى سورة الشعراء: ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون، وكنوز ومقام كريم. كذلك وأورثناها بنى إسرائيل ﴾

فموسى عليه السلام يطلب من فرعون طلبين:

الطلب الأول:

أن يسمح بخروج بنى إسرائيل من مصر، إلى أرض سيناء، ليرثوا أرض غربة إبراهيم، ومنها ينطلقون إلى وراثة الأمم، ليس لاستعباد الأمم والشعوب، بل لنشر دين الله ومحو عبادة الأصنام. فقد قال الله لإبراهيم عن أرض غربته: « وأعطيك الأرض التى أنت نازل فيها، لك ولنسلك من بعدك. كل أرض كنعان ملكا مؤبدا، وأكون لهم إلها » [تك ١٧: ٨] وقد ورثها من بعده نسل إسحق وإسماعيل. وما يزال بنو إسماعيل فيها إلى هذا اليوم.

والطلب الآخر:

أن يسمح فرعون لأهل مصر كلهم بأن يعبدوا إله موسى. وهو الله رب العالمين. وأن يعبده فرعون معهم. ويستعدوا لقبول الشريعة التى سينزلها الله على موسى، ويعملوا بها. ذلك قوله: ﴿ وأن لا تعلوا على الله ﴾ وقوله لبنى إسرائيل فى التوراة عن أمم الكفر: إذا أسلمهم الرب لك، فحاربهم بقوة. و « لا تقطع معهم عهدا، ولا ترأف بهم، ولا تصاهرهم، ولا تعط ابنتك لابنه، ولا تأخذ ابنته لابنك؛ لأنه يبعد ابنك عن السير ورائى، فيعبد آلهة أخرى، فيغضب الرب عليكم، ويبيدك سريعا، بل اصنعوا بهم هكذا: تدمرون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتحطمون أوتادهم المقدسة، وتحرقون تماثيلهم بالنار، لأنك شعب مقدس للرب إلهك، إياك اختار الرب إلهك، لتكون له شعبا خاصا، من جميع الشعوب، التى على وجه الأرض » [تث ٧: ٢ ـ ٦]

وقد خرج موسى ببنى إسرائيل من « مصر » وعقب هلاك الجيش المصرى فى البحر الأحمر مباشرة، دخل كل المصريين فى دين موسى. وترك موسى معهم من بنى إسرائيل من يفقههم فى الدين، ويعودهم على مكارم الأخلاق. ولما أنزلت التوراة فى طور سيناء، أرسل إليهم بنسخة منها، مع أئمة من بنى هارون أخيه. فتقبلها

المصريون بقبول حسن، وعملوا بها حينا من الدهر.

وهذا هو معنى وراثة الأرض، فى قوله تعالى: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم فى الأرض. ونرى فرعـــون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحـــذرون ﴾ وفى قولـــه تعـــالى: ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه: أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا، واجعلوا بيوتكم قبلة، وأقيموا الصلاة، وبشر المؤمنين ﴾

وظل الدين فى « مصر » على شريعة موسى، إلى اليوم الذى قبل أهل الروم فيه تحريفه، على ما هو اليوم مدون فى الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل، ورسائل الحواريين. ومن ذلك اليوم صارت النصرانية دينا عالميا، لمن يقبله. وقسرا على «أهل مصر » وأهل البلاد الخاضعين للروم. إلى الزمان الذى دخل فيه « عمرو بن العاص» ـ رضى الله عنه ـ أرض « مصر » ليعلن ابتداء وراثة نسل إسماعيل لها، وانتهاء وراثة نسل إسحق. وما يزال بنو إسماعيل إلى هذا الزمان ورثة، وستبقى وراثتهم لها بالشريعة، إلى نهاية الزمان، وقيام القيامة. وذلك لأن محمدا خاتم النبيين، كما فى التوراة، وفى الإنجيل، وفى القرآن.

ومن حين نشر النصرانية بقوة أهل الروم كان فى « مصر » نصارى، ويهود.

وكل يعبد الله على ما عنده. إلى أن جاء الإسلام. فتحول الكثيرون من الطائفتين إليه.

ونعود إلى قول الكاتب للرسالة إلى العبرانيين عن « الابن » الذى هو « النبى الآتى »: « بابن جعله وارثا لكل شيء » ونبين وراثته فنقول:

إن وراثة « الابن » كوراثة موسى. بلا فرق. هى وراثة شريعة. شريعة يعطيها الله، لموسى، صاحب البركة فى نسل إسحق، وشريعة يعطيها الله لمحمد، صاحب البركة فى نسل إسماعيل. شريعة تجعل النسل بها وارث للأمم، ورئيس على الأمم. وهذا المعنى قد قاله الكاتب. فقد قال: « كما كان شأن موسى فى بيته أجمع » [عب ٣: ٢]

والكاتب يجعل « الابن » فى بنى إسرائيل، بقوله إنه هو يسوع. وهو مخطىء فى هذا ؛لأن بنى إسرائيل ورثة من زمان موسى. فما معنى أن يرثوا الآن. وهم

ورثة ؟ إنه لا معنى لوراثتهم، إذ هم بالفعل من قديم الأيام ورثة. ووراثة الابن فى بنى إسماعيل، لها معنى. لأن إسماعيل لم يكن إلى مجىء « الابن » وارث. ولابد أن يرث ؛ لأنه هو مبارك فيه من الله، ولأنه هو من نسل إبراهيم، إذ هو بكره. وإن لم يرث من بدء نبى فى نسله. فمتى يرث ؟ وكيف يرث ؟

وقد عقد هو مقارنة بين موسى وبين الابن ـ الذى هو فى زعمه يسوع ـ وخلع على يسوع ألقاب الكرامة التى وضعها الأنبياء على الابن. فقال: « لذلك. أيها الأخوة القديسون المشتركون فى دعوة سماوية. تأملوا رسول شهادتنا، وعظيم كهنتنا يسوع ؛ فهو مؤتمن للذى أقامه، كما كان شأن موسى فى بيته أجمع. فإن المجد الذى كان أهلا له، يفوق مجد موسى، بمقدار ما لبانى البيت من فضل على البيت. فكل بيت له بان. وبانى كل شىء هو الله. وقد كان موسى مؤتمنا فى بيته أجمع ؛ لكونه قيما. يشهد على ما سوف يقال. أما المسيح فهو مؤتمن على بيته، لكونه ابنا. ونحن بيته. إن احتفظنا بالثقة وفخر الرجاء » [عب ٣: ١ ـ ٦]

ولماذا عقد مقارنة بين موسى، وبين النبى الآتى ؟

ليثبت المماثلة بينهما. ثم يطبقها على يسوع المسيح. فيكون قد سرق نبوءة موسى من الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، وطبقها على المسيح يسوع. وهل كان ليسوع مجد هو مفسر بملك على الأمم والشعوب؟ وهل ماثل يسوع موسى فى الملك والرئاسة، والحروب والانتصار على الأعداء، والمعجزات ؟ وهل يسوع نبى أمى، جعل الله كلامه فى فمه؟ أما قول الكاتب عن الابن: «وبه أنشأ العالمين »(١) فإن المراد

---

(١) يُقسم اليهود دوام العالم خمسة أقسام :

١ ـ العالَم الغابر ؛ العالم الذى دعاه بطرس : « العالم الكائن » أى « منذ القديم » وهو الذي هلك بالطوفان [٢ بط ٣ : ٥ ـ ٦]

٢ ـ العالم الحاضر . هذا الدهر . هو حال الأشياء فى زمان شريعة اليهود .

٣ ـ عالم الدهر الآتى . وهو زمان مجئ المسيًا [عب ٦ : ٥ و ٢ : ٥] ويسمى : العالم العتيد .

٤ ـ عالم قيامة الأموات .

٥ ـ عالم الأبد . أى الحياة الأبدية .

ويقسم اليهود أمكنة العالم إلى أربعة أمكنة :

١ ـ العالم السفلى ، وهو الأرض والهواء ، في مناطقه العديدة .

٢ ـ العالم الملائكى . وهو عالم الأرواح الخادمة .

٣ ـ عالم الأجرام السماوية .

٤ ـ العالم العلوى ، وهو عالم الأرواح المنطلقة .

به، كالمراد من الحكمة ؛ مبالغة فى عظم شأنه. فإنه قد صور الحكمة. وهى شىء معنوى، بصورة مجسمة، على طريق الاستعارة المكنية.

ويعبر بنو إسرائيل عن حكمة الله بكلمة الله. ففى سفر الأمثال تخيل الكاتب أن الحكمة ـ وهى العلم ووضع الشىء فى موضعه ـ لو كانت إنسانا ينطق، لقالت: «الرب خلقنى أول طرقه، قبل أعماله. منذ البدء، من الأزل أقمت. من الأول، من قبل أن كانت الأرض. ولدت. حين لم تكن الغمار والينابيع الغزيرة المياه، قبل أن غرست الجبال، وقبل التلال ولدت. إذ لم يكن قد صنع الأرض والحقول، وأول عناصر العالم، حين ثبت السموات كنت هناك، وحين رسم الدائرة على وجه الغمر، حين جمد الغيوم، فى العلاء، وحبس ينابيع الغمر، حين وضع للبحر حده. فالمياه لا تتعدى أمره. وحين رسم أسس الأرض. وكنت عنده طفلا. وكنت فى نعيم يوما فيوما. ألعب أمامه فى كل حين، ألعب على وجه أرضه. ونعيمى مع بنى البشر. فاسمعوا لى الآن أيها البنون» [امثال ٨: ٢٢ ـ ٣٢] ثم قال: «الحكمة بنت بيتها، ونحتت أعمدتها السبعة » ثم سرد حِكَما فقال: «من أدب الساخر، لحقه العار، ومن وبخ الشرير أدركه خزيه. . . الخ»

وفى سفر الحكمة يدعو إلى الإلهام الإلهى، فيقول: «ليهب لى الله أن أتكلم بحسب رغبته، وأن أجرى فى خاطرى ما يليق بما نلته من المواهب ؛ فإنه هو دليل الحكمة، ومرشد الحكماء، وفى يده نحن، وأقوالنا » ـ «فعرفت كل ما خفى، وكل ما ظهر ؛ لأن مهندسة كل شىء علمتنى. وهى الحكمة » [حك ٧: ١٥ ـ]

وفى الإنجيل شبه الحكمة بإنسان، وحذف الإنسان، ورمز إليه بشىء من لوازمه، وهو القول. فقال: « ولذلك قالت حكمة الله: سأرسل إليهم الأنبياء والرسل » [لو ١١: ٤٩] ونسب متى القول إلى الله، فقال: « من أجل ذلك هاءنذا، أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة » [متى ٢٣: ٣٤]

وكان اليهود يطلقون على « النبى الآتى » لقب « كلمة الله » أى نفذت مشيئة الله بإرساله، وأخبر بمشيئته، بكلمة صدرت منه. فلذلك سمى كلمة الله فى سفر إشعياء « وأما كلمة الرب إلهنا ؛ فتثبت إلى الأبد» وعن هذا قال يوحنا: «فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله. والكلمة هو الله. كان فى البدء لدى الله. به كان كل شىء، وبدونه ما كان شىء مما كان » [يو ١: ١ ـ ٣] فكلمة الرب فى إشعياء، هى

نفسها الكلمة عند يوحنا. والمراد بها: النبى محمد ﷺ

والمعنى: «فى البدء كان الكلمة» وهو «النبى الآتى» محمد ﷺ وتحدث عن «الكلمة» كما تحدث عن «الحكمة» للمبالغة فى عظم الشأن، وقوة الفائدة. والله تعالى يعبر عن أى شىء يخلقه بأنه:

أ ـ خلقه بـ « كلمته » وكلماته لا نهاية لها، ومخلوقاته لا تعد ولا تحصى. ففى مزمور ٣٣: ٦، ٩ و ١٤٧: ١٥ ـ ١٨ وإشعياء ٤٠: ٢٦ و ٤٨: ٣ وحكمة ٩: ١ وتكوين ١: ٣ يبين: أن الله خلق العالم بكلمة منه. وأنه نبه عن النبى الآتى من قبل مجيئه. والتنبيه هو كلمة منه.

ب ـ خلق العالم بـ « حكمته » فالحكمة مرادفة للكلمة. وذلك مبين فى الأمثال ٨: ٢٧ ـ ٣٠ والحكمة ٧: ١٢ و ٨: ٤ و ٩: ٩.

وعلماء أهل الكتاب كلهم يقولون: إن من ألقاب «المسيا المنتظر» لقب «كلمة الله» ولكن اليهود يقولون: إن المسيا لم يأت بعد، والنصارى يقولون: إنه هو يسوع. ونحن المسلمين نقول: إنه هو محمد رسول الله. فقول يوحنا: « فى البدء كان الكلمة » على ما فى تفاسيرهم يكون هو محمد ﷺ وذلك لأن الكلمة لقب من ألقاب المسيا. وقول يوحنا: «والكلمة كان لدى الله» وفى ترجمة «عند الله » هو على معنى: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ وعلى معنى ما فى التوراة: « قد اقتنيت رجلا من عند الرب » [تك ٤: ١] « حقى عند الرب » [إش ٤٩: ٤]

وقول يوحنا: « والكلمة هو الله » معناه: أن الله ورسوله فى الدعوة سواء. فمن أطاع الرسول كمن أطاع الله، ومن يطع الله، كمن أطاع الرسول. وهذا هو معنى قول عيسى عليه السلام: « أنا والآب واحد » [يو ١٠: ٣٠] فى الدعوة والهدف.

وقول يوحنا: « كان فى البدء لدى الله. . الخ » هو كالكلام عن «الحكمة»

ونعود إلى نص الرسالة. ونقول: قوله: «كلمنا فى آخر الأيام هذه، بابن، جعله وارثا لكل شىء، وبه أنشأ العالمين. هو شعاع مجده، وصورة جوهره، يحفظ كل شىء بقوة كلمته »

١ ـ آخر الأيام: هو نهاية بركة إسحق فى الأمم. ويعبر عنه أهل الكتاب بأنه يوم ظهور المسيا الرئيس.

٢ ـ « وبه أنشأ العالمين » معناه الحرفى الظاهر هو: أن الله خلق العالمين، بواسطة الابن. والمعنى الحقيقى الصحيح: هو أنه تعبير مبالغ فيه للدلالة على أهمية إرسال الابن. ويدلك على ذلك:

أ ـ أن الكاتب نفسه قال: إن الابن مخلوق من الله، ولم يخلق به الله شيئا.

يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: « واتخذ أتباع « آريوس » مما ورد فى عب ٢: ٣ دليلا ليؤكدوا: أن الكلمة خليقة، فنجم عن ذلك: أن الرسالة لم تقرأ فى الكنائس، فى آخر القرن الرابع. ولا حظ « هيرونيموس » من عنده: أن الرومانيين لم ينسبوا الرسالة ـ أى الرسالة إلى العبرانيين ـ إلى القديس بولس »[1] أ. هـ وقالوا: إن مارتن لوثر » فى مدة السنتين ١٥١٧ ـ ١٥١٨م شرح الرسالة، ولاحظ أن الجملة فى عب ٢: ٣ التى تدل على أن الكاتب جعل نفسه فى عداد الذين تقبلوا الإنجيل عن يد التلاميذ. هى حجة قوية جدا على أن الرسالة ليست لبولس ؛ فإن ما قاله فى رسالته إلى أهل غلاطية يختلف تماما عما فى هذه الرسالة. ولما قدم « لوثر » ترجمته للعهد الجديد بعد بضع سنوات ؛ قال: إن الرسالة ليست من عمل بولس، ولا من عمل أى رسول آخر. أ. هـ

وقال هؤلاء: إن المفسرين الكاثوليك فى العصر الحديث يفهمون النسبة إلى بولس بالمعنى الواسع. فإن واحدا من أكثرهم علما يرى أن « أبلُّس » هو الذى ألف الرسالة بعد استشهاد بولس. أ. هـ

وقال الدكتور غبريال رزق الله: « لم يذكر اسم كاتب الرسالة فيها، وقد تبلبلت أفكار العلماء والآباء من جهته »[2]

والنص هو: « ١: لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا ؛ لئلا نفوته ٢: لأنه إن كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة، وكل تعد ومعصية، نال مجازاة عادلة ٣ فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا ٤ شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس، حسب إرادته » [عب ٢: ١ ـ ٤]

ب ـ وأن التعبير عن الحكمة يشبه التعبير عن الابن. فقد جاء: أن صاحب

---

(١) ٢ ص ٦٨٥ موضوع المدخل للرسالة إلى العبرانيين. (٢) ص ١١ شرح الرسالة إلى العبرانيين.

المزامير يقول: « بكلمة الرب صنعت السموات، وبروح فمه صنع كل جيشها » [مز ٣٣: ٦]

وقال صاحب الأمثال عن الحكمة: « فهى المطلعة على علم الله، والمتخيرة لأعماله » [أم ٨: ٤ و ٨: ٢٧ ـ ٣٠]

ج ـ نفى موسى عليه السلام المثل عن الله فى قوله: « لا مثل لله » [تث ٣٣: ٢٦] فتكون الكلمة غير مجسدة.

٣ ـ قوله: « هو شعاع مجده، وصورة جوهره » هذا يشبه وصف الحكمة على أنها شيء مجسد. وما هى بجسد. وذلك للمبالغة فى الأهمية. ففى سفر الحكمة: «فإنها نفحة من قدرة الله، وانبعاث خالص من مجد القدير، فلذلك لا يتسرب إليها شيء نجس ؛ لأنها انعكاس للنور الأزلى، ومرآة صافية لعمل الله، وصورة لصلاحه. تقدر على كل شيء، وهى وحدها. وتجدد كل شيء، وهى ثابتة فى ذاتها. وعلى مر الأجيال، تجتاز إلى نفس قديسة، فتنشيء أصدقاء لله، وأنبياء ؛ لأن الله لا يحب إلا من يساكن الحكمة ؛ فإنها أبهى من الشمس وأسمى من كل مجموعة نجوم. وإذا قيست بالنور ظهر تفوقها » [حك ٧: ٢٥]

ثم قال عن الحكمة: إنها زوجة مثالية لسليمان ـ عليه السلام ـ قال على لسان سليمان: « وهى التى أحببتها، والتمستها منذ حداثتى، وسعيت أن أتخذها لى عروسا، وصرت لجمالها عاشقا »

٤ ـ قوله: « يحفظ كل شيء بقوة كلمته » أى: أن الله تعالى هو الذى يحفظ، بقدرته كل شيء وفى ترجمة البروتستانت: « وحامِلٌ كلَّ الأشياء بكلمة قدرته » لاحظ « قوة الكلمة » ـ « كلمة القدرة » والنص اليونانى « بكلام قوته » ولاحظ: أن القوة الإلهية لا تحتاج إلى جهد فى حفظ العالم، بل كلمة واحدة تكفى؛ لقول داود ـ عليه السلام ـ: « فلتخش الرب الأرض كلها، وليهبه جميع سكان الدنيا. إنه قال فكان، وأمر فوُجد » [مز ٣٣: ٨ ـ ٩]

٥ ـ قوله: « وبعدما قام بالتطهير من الخطايا، جلس عن يمين ذى الجلال فى العلى » يريد به الكاتب: أن يبين أن المزمور المئة والعاشر ـ وهو مزمور من مزامير المسيا ـ ينطبق على يسوع المسيح، على معنى أنه بعد قتله وصلبه لخلاص العالم من

الخطيئة، قام من القبور، وجلس عن يمين الله. وذلك لأن المزمور يقول عنه: « قال الرب لسيدى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » وتفسيره باطل لأن النص كناية عن الانتصار. ولأن نفي المثلية عن الله يستلزم نفي الجسمية عنه، ونفي المكانية عنه. ولأن المزمور لم يحدد أن الجلوس يكون بعد القيامة من الأموات وإذا قام ـ فرضا ـ وجلس ـ والله لا مثل له، وهو فى كل مكان ـ فكيف يجعل أعداءه تحت قدميه ؟ هل يصعدون إليه فى السماء ؛فيضع قدميه عليهم، أم ينزل هو؛ ليجمعهم فى مكان واحد، ويضع قدميه عليهم؟ وباقى الكلام فى النص كيف يكون معناه ؟ فإنه قال: « فى الطريق، من الوادى يشرب. فلذلك يرفع رأسه » من أى واد، ومن أى طريق يشرب وهو قد جلس بجوار الله ؟وقوله « حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » موافق فى المعنى لما فى يشوع ١٠ : ٢٤ ودانيآل ٧: ١٤ وما فيهما لا يدل على المعنى الظاهرى. وهو وضع القدمين على أجسام الأعداء، وإنما يدل على المعنى الكنائى، وهو أن الله سينصره على أعدائه. ففى دانيال: « وأوتى سلطانا ومجدا وملكا » وهل حصل يسوع المسيح على سلطان ومجد وملك ؟

وتدل صفة الانتصار انتصار على الأعداء، فى الحروب. ولكن النصارى جعلوا الانتصار، انتصارا على الأموات، وذلك لأن المسيح لم يحارب ولم ينتصر ولم يفتح بلادا ولم يملك على أهلها. وهم جعلوه انتصارا على الأموات ؛ ليطبقوا نبوءة المزمور المئة والعاشر عليه، وبذلك يبعدونها عن محمد ﷺ

٦ ـ قوله: « فكان أعظم من الملائكة بمقدار ما للاسم الذى ورثه، من فضل، على أسمائهم » يعبر «الاسم» عن كرامة الشخص ومكانته بالنظر إلى الآخرين. وأراد الكاتب أن يحدد المكانة التى نالها الابن، باعتبار أنه رحمة للعالمين، بالشريعة الآتى بها إليهم من الله ؛ فشبهه بالملائكة النورانيين، فى الطهر والصلاح ؛ لأنهم فى نظر الناس أصلح الكائنات لتخليص البشر من أعدائهم.

٧ ـ «الابن الوارث» يقول أصحاب ترجمة دار المشرق: «فى هذا الابن، تبلغ مواعد الآباء إنجازها الأخير، إنه السليل المميز للآباء [تك ١٥: ٣ ـ ٤ وسى ٤٤ : ٢١ وروم ٤: ١٣ وداود مزمور ٢: ٨ الذى وعد بالملك الشامل. راجع دا ٢: ٤٤ و٧: ١٤ » هذا كلامهم بنصه.

وتأمل قولهم تجد: أن هذا النبى الآتى، هو آت بالخير كله، وتجد أنه هو الذى به

تتم المواعيد، ولا نبى من بعده. والنصوص التى استدلوا بها على « الابن » هى:

١ ـ « وقال أبرام: إنك لم ترزقنى نسلا. فهو ذا ربيب بيتى، يرثنى. فإذا بكلمة الرب إليه قائلا: لن يرثك هذا، بل من يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء، وأحص الكواكب إن استطعت أن تحصيها. وقال له: هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسب له ذلك برا » [تك ١٥: ٣ ـ ٦]

يدل هذا النص على أن « الابن » تتم به مواعيد الله مع إبراهيم بإرث الأرض.

٢ ـ قال يشوع بن سيراخ: « إبراهيم كان أبا عظيما، لأمم كثيرة، ولم يوجد نظيره فى المجد، حفظ شريعة العلى، وقطع عهدا معه، فى جسده قطع هذا الوعد، وعند الامتحان وجد أمينا؛ فلذلك أثبت له الرب بقسم: أن ستبارك الأمم فى نسله، وأن يكثره كتراب الأرض، ويعلى شأن ذريته كالنجوم ويورثهم من البحر إلى البحر » [سى ٤٤: ١٩ ـ ٢١] وتم هذا الوعد مع المؤمنين بالابن.

٣ ـ قال داود فى المزمور الثانى عن ميراث الابن: « سلنى. فأعطيك الأمم ميراثا، وأقاصى الأرض ملكا »

٤ ـ قال دانيال عن الابن صاحب ملكوت السموات: « وفى أيام هؤلاء الملوك يُقيم إله السموات مملكة لا تنقض للأبد. وملكه لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتفنى جميع تلك الممالك. وهى تثبت للأبد » [دا ٢: ٤٤]

٥ ـ وقال دانيال عن الابن: « وكنت أنظر فى رؤياى ليلا، فإذا بمثل ابن إنسان. آت على غمام السماء، فبلغ إلى قديم الأيام، وقرب إلى أمامه. وأوتى سلطانا ومجدا وملكا. فجميع الشعوب والأمم والألسنة؛ يعبدونه، وسلطانه؛ سلطان أبدى لا يزول، وملكه لا ينقرض » [دا ٧ : ١٣ ـ ١٤]

يقول المعلقون: « إن اللفظة الآرامية الأصلية « بار ناشا» مثل اللفظة العبرية «ابن أدَم » ترادف أولا كلمة « إنسان » وقد قال داود: «ما الإنسان حتى تذكره ، وابن آدم حتى تفتقده؟» [مز ٨ : ٥] ويخاطب الله النبى فى سفر حزقيال بهذا الاسم. ولقد أضفى اليهود القدماء على هذه العبارة معنى شخصيا (راجع أخنوخ وعزرا الرابع) وابن الإنسان هو رئيس الشعب وممثله ومثاله »

وتلك النصوص التى أشاروا إليها برموزها ، وذكرناها بنصها ؛ لتدل على أن

«الابن» وارث لإبراهيم، وبه تتم المواعيد ؛ قد سبق أن بينا ـ نقلا عن عيسى عليه السلام ـ أنها تدل على محمد رسول الله ﷺ فإنه قال لبنى إسرائيل: إنه قد اقترب ملكوت السموات. وما عنى بالملكوت نفسه. وقال المعمدان: إن الذى لا يؤمن بالابن سيمكث عليه غضب الله [يو ٣: ٣٥ ـ ٣٦]

وروى بَرنابا: أن أول خطبة لعيسى ـ عليه السلام ـ طبق فيها نبوءة « الابن » على محمد ﷺ وهى: «تبارك اسم الله القدوس الذى من جوده ورحمته، أراد، فخلق خلائقه ؛ ليمجدوه. تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء، قبل كل الأشياء ؛ ليرسله لخلاص العالم، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » تبارك اسم الله القدوس الذى خلق الملائكة؛ ليخدموه. وتبارك الله الذى قاصّ وخذل الشيطان وأتباعه، الذين لم يسجدوا لمن أحب الله أن يسجد له. تبارك اسم الله القدوس الذى خلق الإنسان من طين الأرض، وجعله قيما على أعماله. تبارك اسم الله القدوس الذى طرد الإنسان من الفردوس؛ لأنه عصا أوامره الطاهرة. تبارك اسم الله القدوس، الذى برحمته نظر بإشفاق إلى دموع آدم وحواء، أبوى الجنس البشرى، تبارك اسم الله القدوس الذى قاصّ بعدل قايين، قاتل أخيه، وأرسل الطوفان على الأرض، وأحرق ثلاث مدن شريرة، وضرب مصر، وأغرق فرعون فى البحر الأحمر، وبدد شمل أعداء شعبه، وأدب الكفرة وقاص غير التائبين. تبارك اسم الله القدوس الذى برحمته أشفق على خلائقه ؛ فأرسل إليهم أنبياءه، ليسيروا فى الحق والبر أمامه، الذى أنقذ عبيده من كل شر، وأعطاهم هذه الأرض، كما وعد أبانا إبراهيم وابنه إلى الأبد. ثم أعطانا ناموسه الطاهر، على يد عبده موسى ؛ لكى لا يغشنا الشيطان، ورفعنا فوق جميع الشعوب. ولكن أيها الأخوة. ماذا نفعل اليوم؛ لكى لا نجازى على خطايانا؟» [بر ١٢: ٦ ـ ١٧]

فى هذه الخطبة القيمة. يذكر عيسى ـ عليه السلام ـ «نور جميع القديسين والأنبياء» ويستدل على مجيئه من بعده بقول داود عنه: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » المترجم الآن: «قال لى: أنت ابنى، أنا اليوم ولدتك» وفى نهاية الخطبة يذكر مواعيد الله للآباء. وأن ابن إبراهيم. وهو إسماعيل. داخل فيها.

فكاتب الرسالة إلى العبرانيين. خالف المواعيد، وخالف داود، وخالف بن سيراخ، وخالف دانيال، وخالف المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وقال: إن «الابن » هو يسوع. مع علمه بأن يسوع لم يكن له ملك، فإنه قد قال لأصحابه:

«أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»

الاقتباس الثانى:

بعدما ذكر الكاتب: أن «الابن» هو المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ شرع فى البرهان عليه بنصوص من الكتاب المقدس:

البرهان[1] الأول: اقتباس من المزمور الثانى

والبرهان الثانى: اقتباس من صموئيل الثانى.

والبرهان الثالث: اقتباس من نشيد موسى.

والبرهان الرابع: اقتباس من المزمور المئة والرابع

والبرهان الخامس: اقتباس من المزمور الخامس والأربعين

والبرهان السادس: اقتباس من المزمور المئة والثانى

والبرهان السابع: اقتباس من المزمور المئة والعاشر

النص:

«فلمن من الملائكة قال الله يوما: «أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك» وقال أيضا: «إنى سأكون له أبا، وهو يكون لى ابنا» ويقول عند إدخال البكر إلى العالم: «ولتسجد له جميع ملائكة الله» وفى الملائكة يقول: «جعل من ملائكته أرواحا، ومن خدمه لهيب نار» وفى الابن يقول: «إن عرشك أللهم لأبد الدهور، وصولجان الاستقامة صولجان ملكك. أحببت البر، وأبغضت الإثم. لذلك أللهم مسحك إلهك بزيت الابتهاج دون أصحابك» وقال أيضا: «رب أنت فى البدء أسست الأرض، والسموات صنع يديك. هى تزول وأنت تبقى، وكلها كالثوب تبلى، وطى الرداء تطويها، وكالثوب تتبدل. وأنت أنت، وسنوك لا تنتهى» فلمن من الملائكة قال الله يوما: «اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك» أما هم كلهم أرواح مكلفون بالخدمة يرسلون من أجل الذين سيرثون الخلاص؟» [عب ١: ٥ ـ ١٤]

هذا هو النص. وفيه اقتباسات كثيرة من التوراة للبرهنة على أن النبى الأمى الآتى إلى العالم، الملقب بلقب «ابن الله» من داود، وبلقب «ابن الإنسان» من دانيال هو المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ والحق: أنه هو محمد ﷺ. وبيان ذلك:

البرهان الأول: من المزمور الثانى. وهو معروف. والمراد بالولادة: الخلق. لأن التوراة تصرح بأن الله ليس كمثله شىء[2].

---

(١) البرهان: هو اقتباس.

(٢) **من نصوص التوراة على أن خالق العالم هو الله رب العالمين:**
ـ «وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شئ؛ ظهر لى فى لوز، فى أرض كنعان وباركنى. وقال لى: ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأعطى نسلك هذه الأرض، من بعدك ملكا =

البرهان الثاني: قول الله عن داود عليه السلام: « إنى سأكون له أبا، وهو يكون لى ابنا » فى الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثانى، والسابع عشر من سفر الأخبار الأول. والغرض من ذكره ههنا: هو بيان أن الابن الآتى ليس ابنا طبيعيا لله، بل هو ابن بمعنى المنتسب إلى الله، لا إلى إله آخر. فإن داود ابن الله، والله أبوه. بالمعنى المجازى، لا بالمعنى الطبيعى. وأيضا: بيان أن الله أعطى عهدا لداود ببقاء الملك فى ذريته إلى حين بدء بركة إسماعيل، وانتهاء بركة إسحق.

البرهان الثالث: قوله: « ويقول عند إدخال البِكْر إلى العالم: « ولتسجد له جميع ملائكة الله » ما المراد بالبِكر ؟

تذكَّر نشيد موسى عن « الأمة الغبية» التى ستأتى عوضا عن أمة بنى إسرائيل.

= أبديا » [تك ٤٨ : ٣ـ ٤]

ـ « وبارك يوسف . وقال : الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحق . الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم » [تك ٤٨ : ١٥]

ـ « وقال إسرائيل ليوسف : « ها أنا أموت ، ولكن الله سيكون معكم ، ويردكم إلى أرض آبائكم » [تك ٤٨ : ٢١] « وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه ، إله آبائكم إله إبراهيم ، وإله إسحق ، وإله يعقوب ؛ أرسلنى إليكم » [خر ٣ : ١٥]

ـ « وملكى صادق ، ملك شاليم ، أخرج خبزا وخمرا ، وكان كاهنا لله العلى ، وباركه . وقال : مبارك أبرام من الله العلى ، مالك السموات والأرض ، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك » [تك ١٤ : ١٨ ـ ٢٠]

ـ وإسماعيل عليه السلام جد المسلمين هو ابن إبراهيم عليه السلام ، وهو مولود بوعد من الله. ذلك قوله : « وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى ، فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون إنسان وحشيا. يده على كل واحد ، ويدكل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن » [تك ١٦ : ١١ ـ ١٢] .

ـ وطلب إبراهيم من الله تعالى أن يحيا نسل إسماعيل ابنه فى طاعة الله . أى يقوم هو ونسله بالسير أمام الله لدعوة الناس إلى عبادته . وقبل الله دعاءه ، وإسماعيل بالعبرانية معناها : سمع الله . ذلك قوله : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » [تك ١٧ : ١٨ ـ ٢٠]

ـ « ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافى ؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به ؛لأنى سأجعله أمة عظيمة » [تك ٢١ : ١٧ ـ ١٨]

ـ « وقال إبراهيم لعبده ، كبير بيته ، المستولى على كل ما كان له : ضع يدك تحت فخذى ؛ فأستحلفك بالرب إله السماء ، وإله الأرض ، أن لا تأخذ زوجة لابنى ، من بنات الكنعانيين ، الذين أنا ساكن بينهم ، بل إلى أرضى ، وإلى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى إسحق » [تك ٢٤ : ٢ ـ ٤]

تلك نصوص من التوراة تدل على أن رب العالمين هو « الله » وأنه هو رب إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب . الذين ساروا أمام الله ، لدعوة الأمم إلى دينه . ومحمد ﷺ السائر أمام الله هو ومن اتبعه من بنى إسماعيل والأمم يدعون إلى أن رب العالمين هو « الله » وأنه هو وحده مالك السماء والأرض . وصرح محمد ﷺ بأنه هو النبى الأمى المماثل لموسى ، المكتوب عنه فى التوراة وفى الإنجيل [الأعراف ١٥٧]

وتذكر قوله عن النبى الآتى فى هذا النشيد: « تهللى معه أيتها السموات، واسجدوا له يا جميع الآلهة. تهللى أيتها الأمم مع شعبه، ولتعلن قوته ملائكة الله جميعا» عمن يتكلم صاحب هذا النشيد ؟ إنه يتكلم عن « النبى الأمى الآتى» من الأمة الغبية ـ فى نظر اليهود ـ ويقول: تهللى معه ـ أى مع هذا النبى ـ أيتها السموات. واسجدوا له ـ أى أقبلوا شريعته ـ يا جميع سادة أهل الأرض. وتهللى أيتها الأمم مع المختارين من شعبه. ولتعلن قوة هذا النبى الأمى الآتى ملائكة الله، بنصره على أعدائه.

ولماذا عبر عن النبى الأمى الآتى بالابن البكر لله؟ لأن أمته ـ وهى نسل إسماعيل ـ هى المعادلة لأمة بنى إسرائيل ـ حاملة البركة فى نسل إسحق ـ وعبرت التوراة عن إسرائيل بأنه الابن البكر لله. فقد قال الله لموسى: «تقول لفرعون: كذا قال الرب: إسرائيل هو ابنى البكر. قلت لك: أطلق ابنى ليعبدنى، وإن أبيت أن تطلقه؛ فهاءنذا قاتل ابنك البكر» [خر ٤: ٢٢ ـ ٢٣] وعبرت التوراة عن داود بأنه الابن البكر لله؛ لأنه المؤسس لبنى إسرائيل ملكا فى فلسطين. ففى المزمور التاسع والثمانين: «يدعونى قائلا: أنت أبى وإلهى وصخرة خلاصى. وأنا أجعله بكرا، فوق ملوك الأرض، عليها» [مز ٨٩: ٢٧ ـ ٢٨]

فقوله عن محمد ﷺ: إنه البكر الذى ستسجد له جميع ملائكة الله أى تكون معه لنصرته على أعدائه، هو كقوله عن إسرائيل وداود فى أمة بنى إسرائيل.

وذلك لأن إسماعيل بكر أبيه وبكر هاجر وبكر سارة وهو يتكلم عن الآتى؛ بالبكر؛ لأنه هو النائب عن إسماعيل. ثم لغا بولس فى البكر بقوله: إنه هو يسوع المسيح.

واعلم: أن النصارى مضطربون فى إدخال البكر مستقبلا إلى العالم، من بعد عيسى عليه السلام فإن عيسى عليه السلام لما أدخل إلى العالم هو ويوحنا المعمدان، دعوا معا إلى اقتراب زمان الابن. والكاتب يقول: إن الابن البكر لم يدخل بعد. وعلى قوله لا يكون عيسى هو الابن البكر. ولذلك اضطر النصارى إلى القول بأن يسوع سوف يدخل مرة أخرى إلى العالم فى مجيئه الثانى. وعند إدخاله مرة ثانية يكون ملكا فى أورشليم السماوية بعد انتهاء الحياة الدنيا. وقولهم مردود بنشيد موسى. فإن موسى يتحدث عن واحد سوف يأتى من أمة غبية، لا عن واحد من أمة كانت قائمة بالدين من عهد موسى.

ومن اضطرابهم أيضا: أنهم قالوا: إن « له » فى النص. فى قوله: « ولتسجد له

جميع ملائكة الله » تعود إلى الله. وقولهم هو؛ لأن يسوع لم يكن ملكا ولا محاربا ولا منتصرا. والكاتب يؤكد أن «له» تعود إلى الابن البكر، الآتى من الأمة الغبية الأمية. وفى مخطوطات قمران، نص عبرانى، عُثر عليه ؛ يؤيد النص اليونانى. الذى هو: «ولتسجد له جميع ملائكة الله» وفى ترجمة البروتستنت لا يوجد هذا النص. وهو: «تهللوا أيها الأمم شعبه. لأنه ينتقم بدم عبيده ويرد نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه، عن شعبه» ولاحظ «الأمم مع شعبه» فى ترجمة، و«الأمم شعبه» فى ترجمة أخرى. والأمم مع شعبه معناه: أن ملكوت الله الآتى سيكون فى شعب، الأمم؛ وأن المختارين من شعب اليهود، سيكونون مع الأمم والشعب فى الدين الجديد. وهذا الخلاف مذكور أيضاً فى ترجمة الآية الخامسة من الأصحاح التاسع والأربعين من سفر إشعياء.

البرهان الرابع: « وفى الملائكة يقول: «جعل من ملائكته أرواحا، ومن خدمه لهيب نار» وفى ترجمة البروتستنت: «الصانع ملائكته رياحا، وخدامه لهيب نار» وهو مقتبس من المزمور المئة والرابع، من: «الجاعل من الرياح رسله، ومن لهيب النار خدامه» وفى ترجمة البروتستنت: «الصانع ملائكته رياحا، وخدامه نارا ملتهبة» لاحظ الفرق بين «أرواحا» و«رياحا» فنص المزمور «الرياح» فى الترجمتين. ونص الرسالة «أرواحا» فى ترجمة، و«رياحا» فى ترجمة. ومعلوم أن الروح وهو النفس. غير الريح الذى هو الهواء.

ويقول المعلقون: «فى العبرية. اللفظ نفسه يعنى «الروح» و«الريح» فالملائكة والظواهر الطبيعية متصلة اتصالا وثيقا. أما النص اليونانى - وهو «أرواح» - فإنه أكثر تمييزا. هذا وإن فكرة جعْل الشىء فى خدمة الله، باقية فى النصين» والمعلقون قد فات عليهم: أن الكلمة على الحقيقة «ريح» وعلى المجاز «روح» فالنص العبرى هو على الحقيقة، والنص اليونانى هو على المجاز. ويتضح ذلك من الكملة العبرانية: «رواًه» فهى على الحقيقة «الريح والهواء» وترجمها النصارى بالروح، فى بدء سفر التكوين.

والغرض من الاقتباس: هو أن الله تعالى جعل من الملائكة النورانيين ملائكة تحرس النبى الآتى وتنصره على أعدائه. إما بذر التراب فى عيونهم، وإما بريح يثيرونها على خيامهم، وإما بإلقاء الرعب فى قلوبهم. أو بوسائل يرونها صالحة للنصر. منها الظهور الشخصى. كما ظهر جبريل فى صورة رجل لمريم رضى الله عنها

البرهان الخامس: « وفى الابن يقول: « إن عرشك اللهم لأبد الدهور، وصولجان

الاستقامة صولجان ملكك، أحببت البر، وأبغضت الإثم. لذلك أللهم مسحك إلهك بزيت الابتهاج دون أصحابك»

إنه يستدل على مجيء الابن بالمزمور الخامس والأربعين. و «إن عرشك أللهم لأبد الدهور» عبارة تنصيب، ينادى الملك بلقب «إيلوهيم»: «إله» وهذا اللقب يبلغ فى إطلاقه على «المسيح» كمالا فريدا. كما يقول المفسرون.

وكل المسلمين متفقون على أن المزمور الخامس والأربعين نبوءة عن محمد ﷺ فيكون هو «ابن الله» المشار إليه فى المزمور الثانى. وأهل الكتاب كلهم يقولون: إنه نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم ويلقبونه بلقب «الملك المشيح» أو «الملك المَسِيّا»

ونصه[1]: « جاش قلبى بطيِّب الكلام. لأحدثن الملك بأعمالى. لسانى قلم كاتب رشيق. إنك أجمل بنى آدم، والظرف على شفتيك، انسكب. فلذلك باركك الله للأبد. تقلد سيفك على جنبك أيها الجبار. بالجلال والبهاء، سر، واركب. فى سبيل الحق والدعة والبر. اشدد قوسك. يجعل يمناك مخيفة. نبالك مسنونة، وشعوب تحتك يسقطون، وأعداء الملك تنخلع قلوبهم. عرشك يا الله أبد الدهور. وصولجان ملكك صولجان استقامة.

أحببت البر، وأبغضت الشر. لذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج دون أصحابك. ثيابك كلها مرّ وعود وصبر. من قصور العاج تطربك الأوتار. من بين كرائمك بنات الملوك، قامت ملكة عن يمينك بذهب أوفير[2]. اسمعى يابنت، وانظرى وأميلى أذنك. إنسى شعبك وبيت أبيك. فيصبو الملك إلى حسنك. إنه سيدك؛ فاسجدى له. وبنت صور، وأغنياء الشعب يستعطفون بالهدايا وجهك. بنت الملك لباسها من نسائج الذهب. تزف إلى الملك، إلى الداخل. وفى إثرها عذارى، وصائفها يُحضرن إليك. يزففن بفرح وابتهاج، ويدخلن إلى قصر الملك. يكون بنوك عوضا من آبائك. تقيمهم رؤساء على الأرض كلها. سأذكر اسمك من جيل إلى جيل؛ لذلك تحمدك الشعوب أبد الدهور » [مز ٤٥]

يقول المعلقون على هذا المزمور:

التقليد اليهودى والنصرانى يطلق هذا المزمور على عرس « الملك المشيح » ويقول النصارى: إن إسرائيل صورة الكنيسة.

---

(١) من ترجمة دار المشرق

(٢) مدينة على خليج العقبة.

وقولهم باطل ؛ فإنه لن يكون من بنى إسرائيل. والرمز بعرسه هو إلى تمجده وتعظمه فى الأمم، بدخول دينه فيهم، ودخولهم فى دينه. ويشير بقوله: «من بين كرائمك بنات الملوك » إلى اهتداء الأمم الوثنية إلى الله، وانضمامهم إلى خدمته، مع المؤمنين به من بنى إسرائيل. ويشير بقوله: « إنسى شعبك وبيت أبيك » إلى أنه يجب على الأمم الوثنيين وشعب إسرائيل أن ينسوا كل ما يتعلق بالعالم الوثنى، وشريعة موسى أيضا من عادات وتقاليد. ويشير بقوله: « وبنت صور وأغنياء الشعب. . » إلى إكرام الشعوب الوثنية الموعود به، عند حلول أيام « المشيح » وأشار بلسانى قلم كاتب رشيق، إلى أنه نبى أمى، لا يقرأ ولا يكتب. وأشار بقوله: « تقلد سيفك» إلى أنه سيحارب من أجل الحق والدين، وأشار بقوله: «شعوب تحتك يسقطون» إلى انتصاره على الأمم والشعوب وقوله: «عرشك يا الله أبد الدهور» معناه: أن شريعة الله ستظل إلى الأبد. وقوله « تقيمهم رؤساء على الأرض كلها » هو تفسير لبركة إسماعيل فى الأمم.

فقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: إنه يشير إلى النبى الآتى ؛ هو قول صحيح. وقوله إن النبى الآتى هو يسوع المسيح، هو قول باطل. لأن الأوصاف لا تنطبق عليه. فضلا عن أنه من بنى إسرائيل، ولايقوم نبى فى إسرائيل، مثل موسى.

البرهان السادس: وقال أيضا: « رب أنت فى البدء أسست الأرض، والسموات صنع يديك. هى تزول وأنت تبقى، وكلها كالثوب تبلى، وطى الرداء تطويها، وكالثوب تتبدل، وأنت أنت، وسنوك لا تنتهى »

هذا الاقتباس من المزمور المئة والثانى. وبدؤه: « يارب استمع صلاتى، وليبلغ إليك صراخى » وهو يبين آلام المسيا من إعراض الناس عن دعوته. بعبارات مجازية. منها: « طوال النهار عيرنى أعدائى، وفى حنقهم على، يلعنوننى » وفى اليونانية والسريانية: « الذين كانوا يمدحوننى » وفى العبرية: « الذين يقسمون بى » ثم يقول: عن جيل « المسيا » لا عن جيل بنى إسرائيل: « فليكتب هذا للجيل الآتى، ويسبح الرب شعب سيخلق » وبنو إسرائيل هم الجيل الحاضر، وبنو إسماعيل ؛ هم الجيل الآتى، الذى سيخلقه الرب فى حينه، عوضا عن بنى إسرائيل. ثم يتحدث عن النصرة والمعونة فيقول: « الرب من علو قدسه ؛ تطلع. ومن السماء إلى الأرض ؛ نظر، ليسمع تنهد الأسير، ويطلق سراح أبناء الموت »

ثم قال عن الجيل الآتى: « بنو عبيدك يسكنون، وذريتهم تبقى أمامك »

ويقول النصارى: إن هذا المزمور يدل على يسوع المسيح ؛ لأنه نال فى أعقاب

آلامه ؛ سيادة العالم. يعنون: أنه تألم بالقتل والصلب، ثم ارتفع من بعد القتل إلى السماء، وارتفاعه يدل على انتصاره على العالم. وهذا هو ما يعنونه بآلام المسيا وانتصاره. وهم قد قالوا بقتله وصلبه ؛ لبيان تألمه. وقالوا بارتفاعه إلى السماء، لبيان انتصاره. وذلك منهم حيلة طريفة ؛ ليقنعوا العالم بأنه هو المسيا المنتظر. وإذا تمكن الأعداء من إنسان ؛ فأى فائدة من النصر ؟

نص المزمور ١٠٢ من ترجمة البروتستانت:

« يا رب استمع صلاتى، وليدخل إليك صراخى. لا تحجب وجهك عنى، فى يوم ضيقى. أمل إلىّ أذنك فى يوم أدعوك. استجب لى سريعا. لأن أيامى قد فنيت فى دخان، وعظامى مثل وقيد قد يبست. ملفوح كالعشب، ويابس قلبى، حتى سهوت عن أكل خبزى. من صوت تنهدى، لصق عظمى بلحمى. أشبهتُ قوق البريّة. صرتُ مثل بومة الخرب. سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح. اليوم كله عيرنى أعدائى. الحنقون علىّ ؛ حلفوا علىّ ؛. إنى قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابى بدموع ؛ بسبب غضبك وسخطك ؛ لأنك حملتنى وطرحتنى. أيامى كظل مائل وأنا مثل العشب يبستُ.

أمّا أنت يا رب، فإلى الدهر جالس، وذكرك إلى دور فدور. أنتِ تقوم وترحم صهيون ؛ لأنه وقتُ الرأفة ؛ لأنه جاء الميعاد ؛ لأن عبيدك قد سرُّوا بحجارتها، وحنّوا إلى ترابها. فتخشى الأمم اسم الرب، وكل ملوك الأرض مجدك. إذا بنى الرب صهيون ؛ يُرى بمجده. التفت إلى صلاة المضطر، ولم يرذل دعاءهم. يُكتب هذا للدور الآخر. وشعب سوف يُخلق ؛ يُسبح الرب. لأنه أشرف من علو قدسه. الربُّ من السماء، إلى الأرض نظر ؛ ليسمع أنين الأسير، ليطلق بنى الموت. لكى يحدّث فى صهيون باسم الرب، وبتسبيحه فى أورشليم. عند اجتماع الشعوب معا، والممالك لعبادة الرب.

ضعَّفَ فى الطريق قوتى، قصَّرَ أيامى. أقول: يا إلهى لا تقبضنى فى نصف أيامى. إلى دهر الدهور سنوك. من قدم أسّستَ الأرض، والسمواتُ هى عملُ يديك. هى تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيرهن ؛ فتتغير. وأنت هو، وسنوك ؛ لن تنتهى. أبناء عبيدك يسكنون، وذريتهم تثبتُ أمامك » [مز ١٠٢]

البرهان السابع:

«فلمن من الملائكة قال الله يوما: « اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك» أما هم كلهم أرواح مكلفون بالخدمة، يرسلون من أجل الذين سيرثون الخلاص»

إنه يستدل بالمزمور المئة والعاشر، على أن يسوع المسيح، هو النبى الأمى الآتى إلى العالم. وهذا المزمور نفسه قد استدل به عيسى ـ عليه السلام ـ على أن النبى الأمى الآتى سيكون من بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ لا من بنى داود ـ عليه السلام ـ ففى إنجيل متى: «وبينما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع: ما رأيكم فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود ربا بوحى من الروح. فيقول: « قال الرب لربى: اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك » فإذا كان داود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه ؟ » [متى ٢٢: ٤١ ـ ٤٥]

وقد نقلنا نص متى من ترجمة دار المشرق. ونص المزمور فيها هو: «قال الرب لسيدى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك. . الخ» فلماذا لم يترجموا نص متى بسيدى، وترجموه بربى؟ أليس هذا تمويه وخداع؟ إن النص العبرى هو « قال يهوه لأدوناى » أى قال الله لسيدى. فمن هو سيد داود؟

وقول الكاتب عن الملائكة: إنهم أرواح مكلفون بالخدمة، وأن الله سيرسلهم، نصرة من أجل الذين سيرثون الأرض من بعد أهلها ـ وهم أمة محمد ﷺ ـ ليخلصوا العالم من الكفر والضلال، قد حرف فيه الكاتب الخلاص من خلاص من الأعداء بواسطة نصرة الملائكة، إلى خلاص من الخطايا. وإنه إذا كان الخلاص خلاصا من الخطايا، فما هى الفائدة التى تعود على الوارثين من نصرة الملائكة ؟

الاقتباس الثالث:

لما قال الكاتب قبلا: إنه عند دخول الابن البِكر الوحيد ـ الذى هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ـ فى العالم، سيخضع الله له ولأصحابه جميع ملائكة الله، من أجل نصرته على أعدائه. والملائكة ستنصره. إما بإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء، وإما بإثارة رياح عاصفة، وإما بتثبيت قلوب المؤمنين. وإما بوسائل أخرى.

لما قال الكاتب هذا. ورأى أن يسوع المسيح ـ الذى يريد أن يجعله هو الابن ـ لم يدخل العالم بجند وسلطان، ولم يحارب ولم ينتصر على أعدائه، ولم يؤسس مملكة لن تنقرض أبدا ؛ أراد أن يبتدع معنى يشوش به على نبوءة « الأمة الأمية » المذكورة فى « نشيد موسى » فقال: إننا لم نر يسوع حال دخوله فى العالم، لم تكن الملائكة مخضعة له. فكيف يكون هو البكر الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى ؟ إن من نبوءات البِكر: أن يقوم مثل موسى صاحب الشريعة لنصرة نسل إبراهيم على أمم الكفر، ويسوع لم يقم بنصرة نسل إبراهيم على أمم الكفر ؛ فكيف يكون هو الابن البكر ؟ ولا يصح أن يقال: إن المراد بالبكر عموم بنى آدم. وذلك لأن بنى آدم فيهم

الخير والشرير. ومن هم بنو آدم حتى يذكرهم الله بنصره ؟ إنه يذكر الأخيار، ولا يذكر الأشرار.

هذا هو الاعتراض الذى أبداه وأظهره. والتاريخ يؤيده، والنبوءات تيشهد بصحته، فإن البكر الذى قام ـ طبقا لأسابيع دانيآل ـ ونصر نسل إبراهيم على أمم الكفر بالحرب، وأخضعت له الملائكة ؛ هو محمد ﷺ وقد أجاب على الاعتراض بقوله: إنه فى زمان مجىء الابن، ستكون الملائكة، ليست لكل بنى آدم، بل للابن وأصحابه، كما نصـــر الله موسى، وأصحابه. لأنه عن كل بـنى آدم يقول: « فمن هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده، وتَنْقُصه عن الملائكة. وبمجد وبهاء تكلله، تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شىء تحت قدميه. الغنم والبقر جميعا، وبهائم البر أيضا. وطيور السماء، وسمك البحر، السالك فى سبل المياه » [مز ٨: ٤ ـ ٨]

وقد قارن بين أ ـ خضوع الملائكة للبكر ب ـ وخضوع جميع ما فى السموات وما فى الأرض لبنى آدم كلهم. فقال: إن الله سخر ما فى السموات وما فى الأرض لبنى آدم. ولكنه يجعل ملائكته لنصرة الأخيار على الأشرار. لا لنصرة كل بنى آدم على الغنم والبقر والبهائم والطيور والسمك. وملائكة الله ستنصر البِكر، حال دخوله إلى العالم، على أمم الكفر.

وبعدما استدل على أن الملائكة ستنصر الابن وأصحابه. قال: حيث إننا لا نرى كل شىء مخضعا الآن ؛ فالكفر قائم، والشيطان يعمل ؛ فإنه يكون واحد فقط. هو الذى حصل له الخضوع. وهو يسوع.

وكيف حصل له الخضوع ؟ يقول: حصل بموته على الصليب، وانتصاره على الموت. فصار بالموت والانتصار؛ مبدأ خلاص من الخطايا، لكل من يؤمن به. وبذلك يكون قول موسى: « ولتسجد له جميع ملائكة الله » منطبقا على يسوع المسيح وحده، من دون الناس. وهو قد حصل له وحده. ثم كل من يؤمن به، سينال الخلاص من الخطيئة، تبعا له ؛ لأنه أخ ليسوع المسيح فى الإيمان به، لا فى النسب.

واستدل الكاتب على أخوة الإيمان بالمزمور الثانى والعشرين، وبصموئيل الثانى وبإشعياء. على معنى: أن المتوكل على الله ليس منتصرا منفردا، بل يبقى متحدا بالذين عُهد إليه بأمرهم.

ونص كلامه هو: « فإنه لم يُخضع للملائكة العالم المقبل، الذى عليه نتكلم. فقد شهد بعضهم فى مكان من الكتاب. قال: « ما الإنسان فتذكره ؟ وما ابن الإنسان

فتنظر إليه ؟ حططته قليلا دون الملائكة، وكللته بالمجد والكرامة، وأخضعت كل شىء تحت قدميه » فإذا أخضع له كل شىء، فإنه لم يدع شيئا غير خاضع له. على أننا لا نرى الآن كل شىء مُخضعا له، ولكن ذاك الذى حُطّ قليلا دون الملائكة. أعنى يسوع. نشاهده مكللا بالمجد والكرامة ؛ لأنه عانى الموت. وهكذا بنعمة الله، ذاق الموت من أجل كل إنسان.

فذاك الذى من أجله كل شىء، وبه كل شىء. وقد أراد أن يقود إلى المجد كثيرا من الأبناء ؛ كان يحسن به أن يجعل مُبدىء خلاصهم، مكملا بالآلام. لأن كلا من المقدس، والمقدسين، له أصل واحد. ولذلك لا يستحيى أن يدعوهم إخوة. حيث يقول: «سأبشر باسمك إخوتى، وفى وسط الجماعة أسبحك» ويقول أيضا: «سأجعل اتكالى عليه » وأيضا: « هاءنذا والأبناء الذين وهبهم لى الله »

فلما كان الأبناءُ شركاء فى الدم واللحم، شاركهم هو أيضا فيهما مشاركة تامة؛ ليكسر بموته شوكة ذاك الذى له القدرة على الموت. أى إبليس. ويحرر الذين ظلوا طوال حياتهم، فى العبودية، مخافة الموت. فإنه كما لا يخفى عليكم: لم يقم لنصرة الملائكة، بل قام لنصرة نسل إبراهيم. فحق عليه: أن يكون مشابها لإخوته فى كل شىء ؛ ليكون عظيم كهنة، رحيما مؤتمنا عند الله ؛ فيكفر خطايا الشعب. ولأنه قد ابتلى هو نفسه بالآلام ؛ فهو قادر على إغاثة المبتلين » [عب ٢: ٥ ـ ١٨]

يريد أن يقول[1]: إن العالم المقبل هو عالم النبوة والملك، الآتى مع النبى المنتظر، وهو عالم « الابن » الذى سيخضع له الله الملائكة لنصرته. وقال: إن النبى الآتى هو يسوع، ونصرته هى بموته على الصليب لا فى حرب أمم الكفر، وتخليص المؤمنين

---

(١) يقول شارح الرسالة إلى العبرانيين :

العالم العتيد أو العالم المقبل هو زمان النصارى فى الدعوة إلى الله ، لأن الأيام الأخيرة فى كلام بولس [عب ١ : ٢] هى زمان انقضاء نظام الكنيسة اليهودية فى رتبة العهد القديم . زمان انقضاء الدهور الذى عنده ظهر « المسيح » والعالم العتيد ، يسمى أيضاً « الدهر الآتى » ويسميه اليهود « ها عو لام هيًّا »

هذا هو كلامه. وواضح منه : أنه فَصَل بين عهدين . العهد الأولى من موسى إلى « المسيح الرئيس » والعهد الآخر : هو عهد « المسيح الرئيس » إلى يوم القيامة . وتأمل فى قول بولس : « فإنه لملائكة لم يخضع العالم العتيد ، الذى نتكلم عنه » تجده يُصرح بأنه أخضع الملائكة للعالم السابق ، من موسى إلى يسوع المسيح فى نظره والحق أنه من موسي إلي محمد ويسوع لم يحارب أعداءه ، ولم يطلب مُلكا . فيكون نشيد موسى غير منطبق عليه ، وشارح الرسالة يُضلل فى هذا المعنى بقوله : إننا لا نرى الكل مُخْضعا للإنسان ؛ لأن الوحوش الكاسرة ، والعواصف والصواعق ما تزال غير خاضعة للإنسان إذْ هى تفتك به لكنْ يسوع وحده ، هو الذى أُخضع له الكل بمعنى أنه مشى على الماء ، وشفى المرضى ، وأحيا الموتى ، ثم وقع تحت الموت ، وانتصر على الأموات.

به، منهم. وإخضاع الله الملائكة للابن ؛ ليس لكل المؤمنين به، بل لواحد فقط. وهو يسوع.

والرد عليه:

أولا: لماذا تسجد جميع ملائكة الله للمسيا، البكر الآتى من الأمة الأمية، التى سيغيظ الله بها بنى إسرائيل ؟ أليس لتنصره هو ومن معه من أصحابه على أعدائه ؟ وهل يكون النصر بالارتفاع بعد القتل ؟ ألم يقل داود عن المسيا: « وإلى الموت لم يسلمنى » ؟ ألم يقل موسى نفسه: إنه لا يقتل ؟ وكيف يكون البِكر من بنى إسرائيل، وموسى منع قيام نبى مثله من بنى إسرائيل ؟

ثانيا: قوله: إن الله لم يخضع الملائكة للعالم المقبل. يريد به: أن البكر الذى هو عيسى - فى نظره - هو مسيا العالم المقبل، أى نبى الجيل الآتى أصحاب ملكوت السموات. وأنه لما جاء، لم يخضع له الله الملائكة. لأنه لم يكن ملكا، ولم يطلب من الله أن يرد الملك إلى إسرائيل على يديه. هذا هو ما يريد قوله. واستدل عليه بأن بنى آدم لهوانهم على الله لم يرسل ملائكة لنصرة يسوع. واستدل على هوانهم بقول صاحب المزامير: « ما الإنسان فتذكره ؟ »

والرد عليه:

هو أن الله لم يخضع الملائكة ليسوع. لأن يسوع ليس هو المسيا - الابن البكر - ولسوف يخضعهم للبكر الآتى من بعد موت الكاتب بقرنين من الزمان. فإنه من يسوع إلى القرن الرابع، لم يخضع للملائكة العالم المقبل الذى يتكلم عليه. لأن يسوع ليس هو البكر، حتى يخضعهم له. وإذا جاء الذى هو له الملك. وهو نبى الإسلام محمد ﷺ بعد الكاتب بقرنين من الزمان. فإن التاريخ سيشهد أنه أخضع الملائكة لنصرته.

وقد شهد القرآن الكريم بأن الملائكة أُخضعت لمحمد ﷺ ولم يشهد الإنجيل[1] بأن الملائكة أخضعت لعيسى عليه السلام فإنه فى القرآن الكريم: ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة: أنى معكم. فثبتوا الذين آمنوا. سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ؛ فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفال ١٢]

وفى القرآن الكريم: ﴿ ولقد نصركم الله ببدر، وأنتم أذلة. فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة

---

(١) قول متى: «وإذا ملائكة قد جاءت، وصارت تخدمه» قد بينا الغرض منه فى كتابنا إنجيل يعقوب - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

منزلين ؟ بلى. إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا. يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. وما جعله الله إلا بشرى لكم، ولتطمئن قلوبكم به. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران ١٢٣ ـ ١٢٦]

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ؛ اذكروا نعمة الله عليكم ؛ إذ جاءتكم جنود، فأرسلنا عليهم ريحا، وجنودا لم تروها. وكان الله بما تعملون بصيرا. إذ جاءوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم. وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر. وتظنـون بالله الظنـون. هنالك ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾ [الأحزاب ٩ ـ ١١]

والمزمور الذى احتج به على هوان بنى آدم. هو حجة عليه، وليس بحجة له. وذلك لأنه مزمور من مزامير المَسِيّا. وهو الثامن. وقد احتج به عيسى ـ عليه السلام ـ كما روى متى في ٢١ والغرض منه: هو أن المسيا يقول فيه لله تعالى: من أنا حتى أستحق منك هذا الإكرام؟ ومثل ذلك فى المعنى: مثل قائد المئة الذى قال لعيسى عليه السلام: « إن خادمى ملقى على الفراش، فى بيتى مقعدا، يعانى أشد الآلام. فقال له: أأذهب أنا لأشفيه[1] ؟ فأجاب قائد المئة: يا رب لست أهلا ؛ لأن تدخل تحت سقفى، ولكن يكفى أن تقول كلمة ؛ فيبرأ خادمى » [متى ٨: ٥ ـ ٨]

فقول القائد: إنه ليس أهلا لأن يكرمه يسوع ويرفع من شأنه، بدخوله بيته. ليس معناه: أن قائد المئة هين على الله، أو هين على يسوع. وإنما معناه: أنه إكرام فوق العادة.

والمزمور يبين أن الله سيرفع من شأن المسيا، ويعظم ملكه، ويسكت أعداءه. فكأنه يقول لله: إن هذا إكرام لى فوق العادة. وقد استدل به عيسى ـ عليه السلام ـ فى نظر كاتب إنجيل متى، على المسيا الآتى. ففى الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى: « فقال لهم يسوع: نعم. أما قرأتم قط: « على ألسنة الصغار والرضع ؛ أعددت لنفسك تسبيحا » ثم تركهم وخرج من المدينة إلى بيت عنيا ؛ فبات فيها » والمحرف حور المعنى لينطبق المزمور على يسوع.

وهو والمزمور الثامن عشر بعد المئة، جعلوهما زورا، فى دخول المسيح أورشليم وهتاف اليهود له بقولهم: « أوصنا » ويقول المعلقون عليه: « استشهاد بمزمور ٨: ٣ إن هذا المزمور جزء من « النبوءات المشيحية » المستعملة فى الكنيسة القديمة »

ثالثا: وقول الكاتب: «سأبشر باسمك إخوتك» يريد به تطبيق المزمور الثانى

---

(١) فى ترجمة اخرى : إنى ذاهب لأشفيه .

والعشرين، ويسمى بمزمور «البار المضطهد » على يسوع، ليقول: إنه هو «المسيا الرئيس » وبدؤه: « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ هيهات أن تخلصنى كلمات زفيرى »

وفيه: « وأنت يا رب لا تتباعد. يا قوتى أسرع إلى نصرتى » ـ « سأبشر إخوتى باسمك، وفى وسط الجماعة أسبحك. يا أتقياء الرب سبحوه، ويا ذرية يعقوب كافة مجدوه، ويا ذرية إسرائيل كافة اخشوه ؛ فإنه لم يزدر بؤس البائس، ولم يستقبحه. ولا حجب عنه وجهه، وإذا صرخ إليه ؛ كان سميعا.

من لدنك تسبيحى فى الجماعة العظيمة. سأوفى بنذورى أمام أتقيائه، سيأكل الوضعاء ويشبعون. ويسبح الرب ملتمسوه، لتحيا قلوبكم للأبد. جميع أقاصى الأرض تتذكر. وإلى الرب تتوب. وجميع عشائر الأمم. أمامه[1] تسجد ؛ لأن الملك للرب. وهو يسود الأمم. له وحده، يسجد جميع عظماء الأرض. وأمامه يجثو جميع الهابطين. إلى التراب. له تحيا نفسى، وإياه تعبد ذريتى. يخبرون بالرب الجيل الذى سيأتى، ويبشرون ببره الشعب الذى سيولد ؛ لأنه قد صنع صنيعا » أ. هـ

وهذا المزمور قد اقتبس منه محرفو الأناجيل ؛ ليظهروا ـ كذبا ـ أن يسوع هو المسيا الرئيس. والمزمور لا يدل عليه. وإنما يدل على محمد ﷺ فمحمد من نسل إسماعيل. ونسله إخوة لنسل بنى إسحق. وجيله هو الجيل الآتى. وشعبه هو الشعب الذى سيولد ؛ لأن إسرائيل شعب مولود ـ أى مخلوق ـ من أيام النبى. موسى. ومحمد أمامه تجثو الأمم، وتسجد له عظماء الأرض، والمتواضعون أيضا. وهم فى ملكه سيأكلون ويشبعون. ومحمد تألم من أعدائه، وطلب من الله أن ينصره، فنصره. لقوله: « وإذا صرخ إليه ؛ كان سميعا »

رابعا: قول الكاتب: «سأجعل اتكالى عليه » يقول المعلقون: مقتبس من ٢ صم ٢٢: ٣ وهى صرخة الثقة المنتصرة التى يطلقها المتكل على الله. وترد أيضا فى إش ٨: ١٧ ترد فى ثنايا نص طويل عن « المسيا » الآتى. يبشر فيه إشعياء بـ «يوم الرب» ويبشر فى الوقت نفسه بمُلك هادىء، يحققه ولد من سلالة ملكية. وهو «عمّانوئيل » الوارد ذكره فى إشعياء ٧: ١٤ وستتحقق هذه النبوءة بظهور المسيح فى الجَليل [متى ٤: ١٣: ١٦] وتدل عبارة جليل الأمم ؛ على الجليل. ويقولون: إن الولد المتحدر من أصل ملكى، يكون حكيما كسليمان، وشجاعا وتقيا كداود، وصاحب فضائل كبرى، كموسى والآباء [إش ١١: ٢] هذا تعليقهم. وهو يحتاج إلى شرح طويل. والتأمل فى النص يبطل تأويلهم له. فالنص يبين زمانين. الزمان الأول: فيه

---

(١) بحسب النص العبرى « أمامك » و « أمامه » حسب الترجمات القديمة .

ذلّ لبنى إسرائيل على يد أعدائهم من أهل بابل. والزمان الثانى: سيمجد فيه طريق البحر، عبر [1] الأردن، جليل الأمم، والزمان الثانى، سيولد فيه ولد، تصير الرئاسة على كتفه. والزمان الأول فيه مرشدون كذبة ومعلمون كذبة. ولذلك سيقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب. والزمان الثانى ستكون فيه شريعة إلهية، عوضا عن الشريعة التى كانت فى الزمان الأول، والتى سيغُلَق عليها إلى الأبد. وعند ظهور النبى الآتى ستهيج الشعوب عليه، وستنكسر. واليهود أيضا، سيكون النبى الآتى فتنة لهم وصخرة عثرة؛ لأنه ليس من جنسهم. وسيكون معه أولاد زمناء يقومون بأمره، والأمة الغبية التى كان عليها ضيق. وهى العاقر التى كانت خاضعة لبنى إسحق - إذ بركتهم بدأت أولا وفيها أن ستخضع لهم شعوب وأمم - سيشرق عليها نور، وستعظم جدا. فى يوم ظهور النبى الأمى، الذى ستكون الرئاسة على كتفه. ويملك علي بيت إسماعيل، ويملك علي بيت داود أيضا إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية.

النص: «هيجوا أيها الشعوب، وانكسروا، وأصغى يا جميع أقاصى الأرض. احتزموا وانكسروا. تشاوروا مشورة؛ فتبطل. تكلموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا. فإنه هكذا قال لى الرب بشدة اليد، وأنذرنى: أن لا أسلك في طريق هذا الشعب قائلا: لا تقولوا فتنة لكل ما يقول له هذا الشعب: فتنة. ولا تخافوا خوفه، ولا ترهبوا. قدسوا رب الجنود. فهو خوفكم وهو رهبتكم. ويكون مقدسا وحجر صدمة، وصخرة عثرة لبيتى إسرائيل، وفخا وشركا لسكان أورشلم. فيعثر بها كثيرون، ويسقطون، فينكسرون ويعلقون؛ فيلقطون. صُرّ الشهادة. اختم الشريعة بتلاميذى.

فأصطبرُ للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب، وأنتظره، ها أنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب، آيات وعجائب فى إسرائيل، من عند رب الجنود، الساكن فى جبل صهيون.

وإذا قالوا لكم: اطلبوا إلى أصحاب التوابع والعرافين المشقشقين والهامسين. ألا يسأل شعب إلهه؟ أيسأل الموتى لأجل الأحياء؟ إلى الشريعة وإلى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول؛ فليس لهم فجر. فيعبرون فيها مضايقين وجائعين، ويكون

---

(١) قال إشعياء: «من ذا الآتى من أدوم من بصرة، هذا البهى» [راجع شرح نبوءة البعد المتألم]

حينما يجوعون أنهم يحنقون ويسبون ملكهم وإلههم، ويلتفتون إلى فوق وينظرون إلى الأرض. وإذا شدة وظلمة. قتام الضيق، وإلى الظلام هم مطرودون ولكن لا يكون ظلام للتى عليها ضيق. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون، وأرض نفتالى؛ يكرم الأخير، طريق البحر، عبر الأردن، جليل الأمم. الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما. الجالسون فى أرض ظلال الموت، أشرق عليهم نور. أكثرت الأمة، عظمت لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح فى الحصاد، كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة.

لأن نير ثقله، وعصا كتفه، وقضيب مسخره، كسرتهن، كما فى يوم مديان. لأن كل سلاح المتسلح في الوغى، وكل رداء مدحرج فى الدماء يكون للحريق مأكلا للنار؛ لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة علي كتفه. ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام؛ لنمو رياسته. وللسلام لا نهاية على كرسى داود، وعلى مملكته؛ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا. أرسل الرب قولا فى يعقوب؛ فوقع فى إسرائيل. فيعرف الشعب كله.

أفرايم، وسكان السامرة القائلون بكبرياء، وبعظمة قلب: قد هبط اللبن، فنبنى بحجارة منحوتة. قُطع الجميز، فنستخلفه بأرز. فيرفع الرب أخصام رصين عليه، ويهيج أعداءه. الأراميين من قدام، والفلسطينيين من وراء، فيأكلون إسرائيل بكل الفم، مع كل هذا، لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد.

والشعب لم يرجع إلى ضاربه، ولم يطلب رب الجنود. فيقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب، النخل والأسل، فى يوم واحد. الشيخ والمعتبر؛ هو الرأس. والنبى الذى يعلم بالكذب؛ هو الذنب. وصار مرشدو هذا الشعب مضلين، ومرشدوه مبتلعين. لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه، ولا يرحم يتاماه وأرامله، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر. وكل فم متكلم بالحماقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد» [إشعياء٨و٩]

ويقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: إن قوله: « وإذا قالوا لكم: اطلبوا إلى

أصحاب التوابع. . . آية ١٩ و ٢٠ فى غير مكانهما، وفيهما غموض» هذا هو قولهم. ومن الجائز أنهما فى مكانهما؛ ليدلل بهما النبى إشعياء على أن موسى نهى عن السماع من السحرة والمنجمين وأصحاب التوابع والعرافين، وعقب النهى مباشرة أوصى بالسماع من كلام النبى الآتى مثله؛ ليقيم الدين. وهو ههنا يتحدث عن شريعة سيُغلق عليها، فى مجىء شريعة، مع المنتظر للرب، والمتوكل عليه.

ويقول هؤلاء المعلقون: إن الآيات ٢١و٢٢ أصحاح ٨ هم جزء من قول فى غير مكانه، فالمقصود: هو وصف رجل يمر بالبلاد المدمرة، ويعبر عن ضيقه. وقولهم بالمفرد باطل. وذلك لأنه يتحدث عن أمتين: أمة عاصية تسب الله حين نزعه الملك منها. وأمة مختارة لن يكون لها ليل، كناية عن أنها ستسير في نور الشريعة إلى الأبد. وهذا هو النص من ترجمتهم: «ويعبر في الأرض مظلوما جائعا. وفى جوعه يستشيط غضبا، ويلعن ملكه وإلهه، ويلتفت إلى فوق، وينظر إلى الأرض. فإذا الشدة والظلمة، وليل الضيق، وديجور الانحلال. فليس ليل للتى كانت في الضيق»

إنهم يترجمون بالمفرد؛ للغو في النص. والبروتستانت، يترجمون بالجمع. وهذه هى ترجمتهم: «سيعبرون فيها مضايقين، وجاذعين، ويكون حينما يجوعون أنهم يحنقون ويسبون ملكهم وإلههم، ويلتفتون إلى فوق، وينظرون إلى الأرض. وإذا شدة وظلمة. قتام الضيق، وإلى الظلام هم مطردون. ولكن لا يكون ظلام للتى عليها الضيق»

والتى عليها الضيق في الزمان الأول: هى أمة بنى إسماعيل. وهى المرموز إليها بالعاقر من أشعياء نفسه، وهى التى وصف النبى الآتى منها بالعبد المتألم. فلماذا يترجمون بالمفرد؟ ومحرف إنجيل متى قد لغا فى هذه النبوءة، كما لغا كاتب الرسالة إلي العبرانيين.

فقد قال: «وبلغ يسوع خبر اعتقال يوحنا؛ فلجأ إلى الجليل. ثم ترك الناصرة، وجاء كفر ناحوم، على شاطىء البحر، فى بلاد زبولون، ونفتالى؛ فسكن فيها؛ ليتم ما قيل على لسان النبى إشعياء: « أرض زبولون وأرض نفتالى طريق البحر، عبر الأردن، جليل الأمم. الشعب المقيم فى الظلمة أبصر نورا عظيما، والمقيمون فى بقعة

الموت وظلاله أشرق عليهم النور» وبدأ يسوع من ذلك الحين، ينادى فيقول: توبوا. قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٢ - ١٧] شاطىء البحر: يراد به بحيرة طبرية [لو ٥: ١ و٨: ٢٢] يُحدد عادة موقع كفر ناحوم: إلى شمال البحيرة الغربى «تل حوم» فى أيامنا.

ويقول المعلقون: إن متى يستشهد [بإشعياء ٨: ٢٣ و١٩: ١] مع بعض التعديلات فى النص على أن يسوع هو الذى سينير أرض اليهود السامريين. وقد أنارها بدعوته فيها إلى اقتراب ملكوت السموات. هذا هو قولهم. وإنهم يعنون به: أنه هو «المسيا الرئيس» الذى سيخلص العالم، وينيرهم بكلامه.

وقول متى: إنه نادى باقتراب ملكوت السموات في تلك البقعة، يدل على أنه ليس هو صاحب الملكوت. وهذا يكفى في إظهار تحريف المحرفين للنص. وقد علمنا من نص إشعياء ذاته: أنه يتحدث عن أمتين وزمانين، وملك سيأتى؛ ليقيم مملكة لا تنقرض أبدا وقد جاء فى النسب الذى وضعوه لعيسى عليه السلام إنه من نسل «يهوياقيم» وكتبوا: أنه لن يكون منه ملك على عرش داود. وكيف يكون هو. وقد منع موسى قيام المماثل له من بنى إسرائيل؟

خامساً: قول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: « وأيضاً: هاءنذا والأبناء الذين وهبهم لى الله» مقتبس من [إشعياء ٨: ١٨] وهو: أن المسيا يقول: «إنى أنتظر الرب، الحاجب وجهه عن بيت يعقوب، وأتوكل عليه. هاءنذا والأبناء ، الذين أعطانيهم الرب. آيات وعلامات فى إسرائيل» أى أن إخضاع الله الملائكة لن يكون لنصرة البِكْر فقط، بل لنصرة أصحابه وأتباعه إلي يوم الدين.

الاقتباس الرابع:

فى صحراء سيناء في منطقة تسمى مسةً» ومنطقة تسمى «مريبة» أرسل موسى عليه السلام رجالا ليتجسسوا أرض فلسطين، من أجل فتحها. ولما رجع المرسلون، قالوا لموسى وبنى إسرائيل: إن أهل فلسطين جبارون ولا نقدر عليهم. إلا كالب بن يُوفنَّا، ويشوع بن نون. فإنهما قالا لهم: ﴿ادخلوا عليهم الباب. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ وتذمر بنو إسرائيل وتمردوا على

الدخول. فحلف الله أن يجعلهم تائهين أربعين سنة في الصحراء حتى يفنى المتمردون والمتذمرون؛ فيدخل أرض فلسطين من بعدهم جيل؛ لم يتذمر ولم يتمرد. وقد دخلوا الأرض في عهد النبيان الكريمان طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ وصارت «أورشليم» عاصمة ملك لهم. ومكان راحة لهم.

وهذا الأمر مذكور في سفر العدد.

وقال داود فى سفر المزامير: إن «أورشليم» صارت مدينة راحة ومكان راحة لبنى إسرائيل، حاملى بركة إسحق فى الأمم. والنبى الآتى. سيكون له مكان راحة، ومدينة راحة. وحذر بنى إسرائيل من الامتناع عن الدخول فى دينه؛ لئلا يصيبهم مثل ما أصاب المتذمرون والمتمردون على موسى. فإن المتذمرين والمتمردين، عوقبوا بالموت فى القفر، ولم يدخلوا. ومن يمتنع عن الدخول فى دين النبى الآتى، سيعاقب بالموت، ولن يدخل مكان راحته.

نص المزمور٩٥:

«هلموا نهلل للرب. نهتف لصخرة خلاصنا. نبادر إلي وجهه بالشكران، ونهتف له بالأناشيد؛ فإن الرب إله عظيم، وعلى جميع الآلهة ملك عظيم.

هو الذى بيده أعماق الأرض، وله قمم الجبال. له البحر، وهو صنعه، ويداه جبلتا اليبس. هلموا نسجد. ونركع له. نجثوا أمام الرب، صانعنا؛ فإنه هو إلهنا. ونحن شعب مرعاه، وغنم يده. اليوم إذا سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم، كما فى مريبة، وكما فى يوم مسَّة ، فى البرية. حيث آباؤكم امتحنونى، واختبرونى، وكانوا يرون أعمالى. أربعين سنة، سئمت ذلك الجيل، وقلت: هم شعب ضلَّت قلوبهم، ولم يعرفوا سبلى؛ حتى أقسمت فى غضبى: أن لن يدخلوا في راحتى» [مزمور٩٥]

انظر إلي قوله عن النبى الآتى، الذى سيهتفون له، ويشكرون الله على إرساله إليهم: «اليوم إذا سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم» يريد به: اليوم الذى سيظهر فيه النبى الآتى. من بعد عصر داود ـ عليه السلام ـ

وكاتب الرسالة إلي العبرانيين: اقتبس هذا المزمور، وطبقه علي «يسوع المسيح» وفسر اليوم بيوم ظهور «المسيا الرئيس» وفسر مكان الراحة تفسيرا روحيا. بمعنى أن

«أورشليم» التى كانت عاصمة ملك أرضى، ستصير عاصمة ملك روحى فى السموات، بعد انتهاء الحياة الدنيا؛ بخيرها وشرها. وقال: كما أن الله استراح في يوم السبت، سيستريح المؤمنون بيسوع فى الجنة، فى الدار الآخرة، فى «أورشليم» السماوية. وحذر بنى إسرائيل من رفض «يسوع» على أنه هو المسيح الموعود به؛ لئلا يهلكوا. وفات على هذا الكاتب: أن الخلاص خلاص من الأعداء بالحرب. والمسيح يسوع لم يحارب، ولم يخلص أحدا من أمم الكفر بالحرب. وقال: «أعطوا ما لقيصر، وما لله؛ لله»

نص كلام الكاتب:

«لذلك كما يقول الروح القدس [1]: « اليوم إذا سمعتم صوته؛ فلا تقسّوا قلوبكم، كما حدث عند السخط، يوم التجربة فى البرية، حيث جربنى آباؤكم، واختبرونى؛ فرأوا أعمالى [2]، مدة أربعين سنة، لذلك استشطت غضبا، على ذاك الجيل، وقلت: قلوبهم في الضلال أبدا، ولم يعرفوا هم سبلى. فأقسمتُ فى غضبى: أن لن يدخلوا راحتى» [3]

إحذروا أيها الأخوة. أن يكون لأحدكم قلب شرير، ترده قلة إيمانه عن الله الحى [4]. ولكن ليشدد بعضكم بعضا كل يوم، ما دام إعلان هذا اليوم؛ لئلا يقسو أحدكم بخديعة من الخطيئة. فقد صرنا شركاء المسيح، إذا احتفظنا بالثقة التى كنا عليها فى البدء، ثابتة إلي النهاية، فلا ندعها تتزعزع. ما دام يقال: «أليوم إذا سمعتم صوته؛ فلا تقسوا قلوبكم، كما حدث عند السخط» فمن هم الذين أسخطوه بعد ما سمعوه. أما هم جميع الذين خرجوا من مصر، عن يد موسى؟ فعلى من استشاط

---

(١) يقول الروح القدس فى المزمور ٩٥.

(٢) عبارة النص العبرى فى المزمور الخامس والتسعين، تدل على أنهم رأوا أعمال الله في مصر. وهى معجزات موسى عليه السلام وعبارة الكاتب تفيد أنهم رأوا العقاب فى مدة الأربعين سنة فقط.

(٣) مزمور ٩٥: ٧ ـ ١١ فى الجملة اليونانية لا ترد كلمة «يُرى» وهو تعبير إضمارى لعبارة «العن»: «هكذا يصنع الله إن..» [صم ١٤: ٤٤]

(٤) الله الحى [عد ١٤: ٩ و١١ تث١: ٢٨ و٣٢ مزمور١٠٦: ٢٤ وهذا يناقض قول النصارى: إن المسيح هو الله لأنهم يزعمون أنه قد مات على الصليب.

غضبا أربعين سنة؟ أليس على الذين خطئوا، فسقطت جثتهم فى البرية؟ ولمن أقسم أن لن يدخلوا راحته؟ أليس للذين عصوه؟ونرى أنهم لم يستطيعوا الدخول،لقلة إيمانهم.

فلنخش إذاً أن يثبت على أحدكم: أنه متأخر، ما دام هناك موعد للدخول فى راحته. فقد بشرنا به نحن أيضا، كما بُشِّر به أولئك. ولكنهم لم ينتفعوا بالكلمة التى سمعوها؛ لأنهم لم يتحدوا فى الإيمان بالذين كانوا يسمعون. فإننا نحن المؤمنين ندخل الراحة، على ما قال: «فأقسمت فى غضبى: أن لن يدخلوا راحتى» أجل. إن أعماله قد تمت منذ إنشاء العالم. فقد قال فى مكان من الكتاب فى شأن اليوم السابع:

«واستراح الله فى اليوم السابع من جميع أعماله» وقال أيضا فى المكان نفسه: «لن يدخلوا راحتى»

ولما ثبت أن بعضهم يدخلونها، والذين بشروا بها أولا؛ لم يدخلوا بسبب عصيانهم؛ فإن الله عاد إلى توقيت يوم، هوس «أليوم» في قوله بلسان داود، بعد زمن طويل، ما تقدم ذكره: « أليوم إذا سمعتم صوته؛ فلا تقسوا قلوبكم فلو كان يشوع قد أراحهم، لما ذكر الله بعد ذلك يوما آخر، فبقيت إذاً لشعب الله راحة السبت؛ لأن من دخل راحته، يستريح هو أيضا من أعماله، كما استراح الله من أعماله.

فلنبادر إلى الدخول في تلك الراحة؛ لئلا يسقط أحد؛ لأتباعه هذا المثال، من العصيان» [عب:٧ـ]

والرد عليه: قد سبق.

الاقتباس الخامس:

قلنا: إن بولس جعل الإيمان بيسوع، على أنه مصلوب عن الخطايا، كافيا فى دخول الجنة، وقلنا: إن الأعمال الصالحة عنده شرط كمال، لا شرط صحة. وقلنا: إنه قسم الأعمال إلى قسمين. القسم الأول. أعمال الأخلاق. والقسم الثانى: أعمال الشريعة. وهو يثبت أعمال الأخلاق. فقد نهى عن الكذب والزنا والقتل والظلم، وحث على الصدق والعفة والتسامح والعدل. وقال: إن الأعمال الصالحة ـ التى هى أعمال الأخلاق عنده ـ ترقى المؤمن بيسوع درجات فى الجنة، وتميزه من غيره. أما

الأعمال بالشريعة التى أنزلها الله على موسى وفيها تحريم وتحليل. فهو يرفعها عن المؤمنين بيسوع. فلا حرمة للسبت عنده، ولا تحريم للخنزير، ولا للميتة. وما شابه ذلك.

وكاتب الرسالة إلي العبرانيين، حذر اليهود من رفض الإيمان بـ«يسوع المسيح» على أنه «المسيح الرئيس» وقال في نهاية تحذيره. «لأن من دخل راحته، يستريح هو أيضا من أعماله، كما استراح الله من أعماله» أى أنه يلغى الأعمال الفقهية من على النصارى. وهو كاذب. وذلك لأن عيسى ـ عليه السلام ـ قال لبنى إسرائيل: « لا تظنوا أنى جئت لأبطل الشريعة، أو الأنبياء، حتى يتم كل شىء، أو تزول السماء والأرض. فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا، وعلم الناس أن يفعلوا مثله؛ عدَّ الصغير فى ملكوت السموات، وأما الذى يعمل بها، ويعلمها؛ فذاك يعد كبيرا، فى ملكوت السموات [متى ٥: ١٧ ـ ١٩]

هذا نص ترجمة دار المشرق. ويعقلون عليه بقولهم:

«أكمل، أو أتم» من معانى الفعل اليونانى أ ـ «يحقق » أو ب ـ «ملأ» والمعنى المقصود هنا: هو المعنى. الثانى: وهو أن يسوع يريد أن يبلغ بها إلى كمالها؛ فيعيد إلى الشريعة معناها الحقيقى، فيجعلها تدرك كمالها الجذرى، وتستعيد بساطتها الأصلية» وقولهم صحيح؛ لأن يسوع المسيح جاء لإصلاح الشريعة، لا للزيادة عليها. ومن إصلاحها: الإيمان بالنبى الآتى؛ فإنه أصلح معانى النبوءات عنه. وإذا أتى، وآمن به بنو إسرائيل؛ فإنهم يكونون مكملين للناموس. إذ الحكم بالإيمان به؛ لم يعملوا به. وبقولهم قال كثيرون من المفسرين ومنهم «متى هنرى» فى تفسيره للإنجيل.

وقالوا: إن قوله «لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة، حتى يتم كل شىء» المراد به: وجوب عدم إهمال أى أمر من أمور الشريعة. وقوله: «حتى يتم كل شىء» قالوا: إنها عبارة يصنعب فهمها. والمراد بها: أن الشريعة ستبقى لها كل سلطتها إلي نهاية العالم. وقولهم صحيح. لأن المراد بنهاية العالم: هو نهاية بركة إسحق فى الأمم، أى نهاية عالم الملك والنبوة فى بنى إسرائيل، حاملى بركة إسحق ـ عليه السلام ـ وهو المعبر عنه في النص بانتهاء ملكوت، وباقتراب ملكوت.

وبعد ما ألغى الكاتب فقه الشريعة؛ شرع فى عقد مقارنة بين هارون وبين يسوع.

لأن هارون ـ عليه السلام ـ هو الحبر [(١)] الأعظم فى بنى إسرائيل. وهو الحافظ للشريعة، والقائم عليها، والمفسر لها، والمستنبط منها. ويسوع ـ فى نظر الكاتب الكاذب ـ قد نسخها، ونقض فقهها، وأزال رسومها. وهو كاذب؛ لأن عيسى عليه السلام قال ما نصه: « إن الكتبة والفريسيين، علي كرسى موسى، جالسون؛ فافعلوا ما يقولون لكم، واحفظوه» [متى ٢٣: ٢ ـ٣]

النص:

«فإن كل عظيم كهنة [(١)]؛ يؤخذ من بين الناس، ويقام من أجل الناس؛ فى صلتهم بالله؛ ليقرب قرابين، وذبائح كفارة للخطايا، وبوسعه أن يرفق بالجهال الضالين؛ لأنه هو نفسه متسربل بالضعف. فعليه من أجل ذلك الضعف: أن يقرب كفارة لخطاياه، كما يقرب كفارة لخطايا الشعب. وما من أحد يتولى بنفسه هذا المقام، بل من دعاه الله، كما دعا هارون. وكذلك المسيح لم ينتحل المجد؛ فيجعل نفسه عظيم كهنة، بل تلقى هذا المجد من الذى قال له: «أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك» وقال له فى مكان آخر: «أنت كاهن للأبد، على رتبة ملكى صادق» وهو الذى فى

---

(١) لقب «رئيس الكهنة» لقب عند النصارى. وهو عند اليهود «الكاهن الأعظم» وترجمته العبرانية «هكوهين هجادول» وقد ترجم فى [لا٢١: ١٠] «الكاهن الأعظم بين إخوته» وسمى «الكاهن الممسوح» وترجمته العبرانية: «هكوهين هما شيح» ويسمى فى [٢ أى ١٩: ١١] بـ«الكاهن الرأس» وترجمته: «هكوهين هاروش» وكان هارون النبى أخى موسى ـ عليهما السلام ـ أول رئيس كهنة فى النظام اللاوى، وفى عائلته انحصرت الرتبة الكهنونية اللاوية، حيث «أفرز هارون لتقديسه قدس أقداس هو وبنوه إلى الأبد» أى لحين انتهاء بركة إسحق فى الأمم «ليوقد أمام الرب» ويخدمه ويبارك باسمه إلي الأبد» أى لحين انتهاء بركة إسحق [١ أى ٢٣: ١٣]

وكان أولاد هارون: ناداب ـ أبيهو ـ ألعازار ـ إيثامار كهنة معه [خر ٢٨: ١] وناداب وأبيهو؛ أكلتهما النار اللاهوتية [لا ١٠] ولذلك بعد موت هارون، آلت رئاسة الكهنوت إلى «ألعازار» أكبر ابنيه الباقيين [عد ٢: ٢٥ ـ٢٩] وانحصرت فيه وفى بيته [أى ٦: ١ ـ١٥] وبيت «إيثامار» الابن الأصغر لم يحرم من هذا النصيب [مل ١و٢ ـ أى ٦: ٤ ـ ١٥، ٥٣] وكان «صادوق» من بيت ألعازار، يخدم فى مرتفعات جبعون، أمام مسكن الرب، وكان أبياثار من بيت إيبياثار، يخدم أمام تابوت العهد في أورشليم وعند نهاية ملك داود، أظهر التعداد، الذى عمله: أن لبنى العازار، رءوس رجال، أكثر من بنى إيثامار، فقسمهم حسب وكالتهم فى الخدمة الكهنونية إلى أربع وعشرين فرقة، لبنى ألعازا: ستة عشر لبيت آبائهم، ولبنى إيبياثار ثمانية لبيت آبائهم [١ أى٢٤: ١ ـ١٩] والفرقة الثامنة من بنى ألعازار: هى فرقة أبيًا التى كان منها زكريا النبى عليه السلام ١ أى ٢٤: ١٠ مع لو ١: ٥ ـ ١٠] وأليصابات امرأته كانت من بنات هارون. ومريم العذراء كانت قريبة لها. فيكون يسوع المسيح من نسل هارون النبى عليه السلام من جهة أمه رضى الله عنها..

أيام حياته البشرية، رفع الدعاء والابتهال بصراخ شديد، ودموع ذوارف إلى الذى بوسعه أن يخلصه من الموت، فاستجيب لتقواه. وتعلم الطاعة. وهو الابن. بما عانى من الألم.

ولما بُلغ به إلى الكمال؛ صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى؛ لأن الله أعلنه عظيم كهنة، على رتبة ملكى صادق» [عب ٥ :١ ـ ١٠]

البيان:

اقتبس الكاتب مزمورين من مزامير النبى الآتى إلي العالم، الملقب بلقب «المسيا» أو «المسيح» ـ بالسين المهملة، وبالشين المعجمة ـ ووضعهما على يسوع، وزعم: أنه هو «ابن الله» المكتوب عنه فى المزمور الثانى، وقد بينا أن المزمورين يدلان على محمد ﷺ وهما المزمور الثانى، والمزمور المئة والعاشر. فيكون الرافع لأفعال هرون، بأفعال غيرها ـ هى أخف منها ـ هو: محمد ﷺ فيكون ـ على كلامه ـ هو الناسخ لشريعة موسى.

الاقتباس السادس:

أ ـ موسى صاحب التوراة ب ـ هرون الكاهن الأعظم. جـ ـ مَلكى صادقَ. كاهن أورشليم. فى زمان النبى إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثلاثة أسماء. ولكل اسم منهم صفة متميزة، يريد كاتب الرسالة إلي العبرانيين، أن يجعلهم في المسيح يسوع ليختم به النبوات إلي يوم الدين.

أ ـ أما موسى صاحب التوراة، فإنه قال: إن النبى الأمى، الذى سيخلفنى من بعدى. هو مثلى.

ب ـ وأما هرون أخى موسى. فإن موسى عهد إليه هو ونسله بأمور الشريعة كلها.

ويكون الكاهن الأعظم من ذريته. وهو الذى يقدم الذبائح لله من أجل التكفير عن آثام بنى إسرائيل، وهو الذى يؤم الناس ويفتيهم ويشرح لهم أصول الدين.

جـ ـ وأما «ملكى صادق» فإنه كان فى زمان إبراهيم ـ عليه السلام ـ إماما فى

الدين. وقد قابله إبراهيم وأعطاه عشر الغنائم التى غنمها في جهاده مع الله. وحيث قد دفع له إبراهيم عشور الغنائم فإنه يكون أعلى رتبة من الهارونيين الأئمة وأعلى رتبة من سائر اللاويين، مقيمى الشعائر الدينية. ولاوى نفسه من قبل أن يولد؛ قد دفع العشور لملكى صادق. على اعتبار أن إبراهيم جده، قد دفع له، فيكون كل نسل إبراهيم، المعاصرين له، والآتين على طول الزمان. قد دفعوا تحت اسم أبيهم. وعلى هذا الاعتبار يكون ملكى صادق كاهن إلي الأبد، ويكون كل نسل إبراهيم واقعين تحت اسمه إلى الأبد.

وفى سفر التكوين: « وعند رجوع إبراهيم، بعد أن كسر كَدُرْ لا عُومر، والملوك الذين معه؛ خرج ملك سدوم. لملاقاته، إلى وادى شوى - وهو وادى الملك - وأخرج ملكى صادق، ملك شليم، خبزا وخمرا؛ لأنه كان كاهنا لله العلى. وبارك أبرام، وقال: على أبرام بركة الله العلى، خالق السموات والأرض، وتبارك الله العلى، الذى أسلم أعداءك إلى يديك. وأعطاه أبرام العشر، من كل شيء» [تك ١٤:١٧ - ٢٠]

وفى سفر الزبور: أن داود عليه السلام شبه النبى الأمى الآتى بأنه مثل «ملكى صادق» في أن دينه، سيبقى إلى الأبد، وفى أن جميع بنى إسرائيل سيخضعون له كما خضع إبراهيم بالعشور لملكى صادق.. وقال: إنه سيده. أى أن بنى إسرائيل، ونسله، سيخضعون لشريعته. وذلك فى المزمور المئة والعاشر. وبدؤه: «قال الرب لسيدى: اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك. يمدُ الرب من صهيون صولجان عزتك. فتسلط في وسط أعدائك. لك الرئاسة يوم ولدت، فى بهاء القداسة من الرحم، من الفجر ولدتك. أقسم الرب ولن يندم: إن أنت كاهن للأبد، على رتبة ملكى صادق. السيد عن يمينك يحطم الملوك يوم غضبه، يدين الأمم، ويملأها جثثا، ويحطم الرءوس فى الأرض الواسعة، فى الطريق من الوادى يشرب؛ فلذلك يرفع رأسه» [مز ١١٠]

والمسيح عيسى - عليه السلام - استشهد بهذا المزمور على مجىء محمد ﷺ الملقب بلقب المسيح عند أهل الكتاب. كما فى متى ٢٢:٤٤ و٢٧ :١١ و٢٨:١٨ واقتبس منه كاتب سفر الأعمال ٢:٣٤ - ٣٥ وكاتب الرسالة إلى رومية ٨:٣٤، وإلى

العبرانيين ١:١٣ وسفر الرؤية ١٩:١١ و١٦ وأيضا :١بطرس ٣:٢٢ وعبرانيين ١٠:١٢.

ويعتقد أهل الكتاب بأن النبى الآتى، سيكون ملكا. لأن موسى في أوصافه يقول: له تسمعون في كل ما يكلمكم به. وسيكون مقيما للدين الجديد. عوضا عن هرون الكاهن. وسيكون دينه إلي نهاية الزمان، كما كان يقال عن «ملكى صادق» وكاتب الرسالة إلى العبرانيين كتب: أن يسوع جاء كموسى ، وهرون، وملكى صادق. وقال: كما أن من أوصاف النبى الآتى في التوراة: أن يغير شريعة التوراة، لقول موسى عنه: «له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» وإذ هو كذلك. ونريد أن نجعله هو يسوع؛ فإنه يلزم أن نعترف بتغيير شريعة التوراة علي يديه «لأنه إذا تبدل الكهنوت، فلابد من تبدل الشريعة» [عب ٧:١٢]

وقال الكاتب: إن ملكى صادق الذى دامت رتبته. هى لم تدم لأنه عمل بشريعة، بل لأنه كان مؤمنا. ومعنى هذا: أن الشريعة لم تُبلغ شيئا إلى الكمال. فأى فائدة تكون منها؟ وعليه يكون الإيمان بالمسيح ربا مصلوبا كاف في البر. وقال الكاتب: «لو كان الحصول على الكمال، بالكهنوت اللاوى ـ وقد تلقى الشعب شريعة متصلة به ـ فأىُّ حاجة بعده إلى أن يقوم كاهن آخر، يكون على رتبة ملكى صادق. ولا يقال له: إنه على رتبة هرون»؟ والكاتب يضلل فى التبرير بالإيمان وحده لملكى صادق. فإنه من عهد نوح إلى عهد موسى. كان المؤمنون على شريعة نوح ـ عليه السلام ـ ومنهم ملكى صادق، وإبراهيم الخليل. اللذان كانا يسيران أمام الله، ويجاهدان عبَّاد الأوثان، ويقيمان المساجد لعبادة الإله الحى، مالك السموات والأرض. وقول الكاتب: إن الكمال الإنسانى لم يُحصل عليه بشريعة موسى. ولذلك أوحى الله بأن ينزل شريعة غيرها هو قول صحيح. ولكنه لما قال: إن النبى الآتى ليس على مثال هرون، قال منكرا من القول وزورا. وذلك لأن النبى الآتى على مثال هرون. فإن هرون كان إماما ومعلما وهاديا وفقيها على شريعة موسى، والآتى مثله. وقد جعله الله على شريعة من الأمر؛ ليتبعها ولا يتبع أهواء الذين لا يعلمون. وقوله: إنه ليس كهارون، بل مثل ملكى صادق. غرضه منه: المماثلة فى الإيمان، لا

فى العمل بالشريعة. وقد نصت التوراة على أنه كان على شريعة نوح ـ عليه السلام ـ وعلى ذلك فالنبى الآتى مماثل لهرون، وهو مماثل له. فى أن الأول أقام الدين، وفى أن الآخر يقيم الدين، ويبقى معظما إلى الأبد، لتعظيم إبراهيم له. كما عظم ملكى صادق.

وعمل الكاتب مقارنة بين موسى وهرون وملكى صادق، وبين النبى الآتى. فقال: إن أولئك القدماء جاءوا بلا قسم من الله، والنبى الآتى جاء بقسم. ومن أتى بقسم يكون أفضل، ويظل دينه إلي نهاية الزمان. وقوله: إن النبى الآتى جاء بقسم هو صحيح . وذلك لأن موسى لم يأت بقسم وقوله: إن الآتى بقسم أفضل. وهو يسوع.

ينقضـــه:

أن يسوع نفسه لم يقل: إننى أنا النبى الآتى. وسنناقش القسم وأدلته. فنقول: إن الله أقسم بأن يرسل محمدا ﷺ إلي العالم. في قوله: « أقسم الرب ولن يندم: أنك كاهن إلى الأبد» [مز ١١٠: ٤] وهل هو أقسم لإبراهيم بأن يبارك فى إسحق وفى إسماعيل؟ إنه أعطى عهدا لعموم النسل، وأعطى قسما لعموم النسل. ففى سفر التكوين: «فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهدا، قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر، إلى النهر الكبير، نهر الفرات» [تك ١٥: ١٨] وليس العهد قسما ويدخل فى العهد إسماعيل ومحمد وإسحق، وموسى وأما عن القسم. فليس من قسم مخصوص على موسى. بل قسم عام. فالقسم المخصوص هو للنبى الآتى المماثل له [مز ١١٠: ٤] وفى سفر التكوين بعد نجاة ابن إبراهيم البكر من الذبح: «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، وقال: بنفسى حلفت يقول الرب: بما أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك عنى ابنك وحيدك. لأباركنك، وأكثرن نسلك كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطىء البحر، ويرث نسلك مدن أعدائه، ويتبارك بنسلك جميع أمم الأرض؛ لأنك سمعت لقولى» [تك ٢٢: ١٥ ـ ١٨]

وإسحق داخل فى القسم. لأنه من نسل إبراهيم لقول الله له: «وأنا أكون معك وأباركك؛ لأنى لك ولنسلك سأعطى هذه البلاد كلها، وأفى بالقسم الذى أقسمته

لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطى نسلك هذه البلاد كلها وتتبارك بنسلك أمم الأرض كلها. من أجل أن إبراهيم أصغى إلى صوتى وحفظ أوامرى ووصاياى وفرائضى وشرائعى» [تك ٢٦:٣ ـ ٦] ولكن ليس من قسم مخصوص على موسى الآتى من نسله. وفى قول الله لإسحق نجد أن إبراهيم حفظ فرائض الله، وشرائع الله. فلم يقول الكاتب: إن إبراهيم تبرر بالإيمان لا بالأعمال؟

وقال الكاتب:

إن علماء بنى إسرائيل من نسل هرون، أو من اللاويين، كانوا يعيشون ويموتون. ولذلك ما كانوا قادرين على أن يشفعوا أمام الله؛ لفاسق، أما المسيح يسوع فإنه حى دائم وجالس بجوار الله على العرش. ولذلك هو قادر على أن يشفع لفاسق. بل شفع بسكب دمه على الصليب. وعذابه ثلاثة أيام في جهنم. وهو فى القبر، من قبل أن يصعد ليجلس بجوار أبيه.

والكاتب يكذب فى قوله هذا. **فإن يسوع المسيح نفسه، قد نفى الشفاعة عن نفسه وعن غيره.** ونصوص إنجيل متى تدل على ذلك. ففيه يقول عيسى عليه السلام: «أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يقولها الناس، يحاسبون عليها يوم الدينونة. لأنك تُزكى بكلامك، وبكلامك يحكم عليك» [متى ١٢:٣٦ ـ ٣٧] وقال: «ليس من يقول لى: يارب. يارب. يدخل ملكوت السموات ، بل من يعمل بمشيئة أبى الذى فى السموات. فسوف يقول لى كثير من الناس فى ذلك اليوم: يارب يارب. أما باسمك تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا الشياطين؟ وباسمك أتينا بالمعجزات الكثيرة؟ فأقول لهم علانية: ما عرفتكم قط. إليكم عنى أيها الأئمة» [متى ٧:٢١ ـ ٢٣]

ونص كلام الكاتب هو:

«فلما وعد الله إبراهيم، لم يكن له أعظم من نفسه ليقسم به، فأقسم بنفسه قال:

«لأباركنك وأكثرنك» فهكذا صبر إبراهيم فنال الموعد. والناس يقسمون بمن هو أعظم منهم، واليمين ضمان لهم. ينهى كل خلاف. وكذلك الله، لما أراد أن يدل ورثة الموعد على ثبات عزمه دلالة مؤكدة، تعهد بيمين. وشاء بهذين الأمرين.

الثابتين، ويستحيل أن يكذب الله فيهما، أن نتشدد تشددا قويا نحن الذين التجأوا إلى التمسك بالرجاء المعروض علينا. وهو لنا مثل مرساة للنفس أمينة متينة تخترق الحجاب إلى حيث دخل يسوع من أجلنا سابقا لنا وصار عظيم كهنة للأبد على رتبة ملكى صادق. فإن ملكى صادق هذا هو ملك شليم وكاهن الله تعالى، خرج لملاقاة إبراهيم عند رجوعه، بعد ما كسر الملوك، وباركه، وله أدّى إبراهيم العشر من كل شيء. وتفسير اسمه أوّلا ملك البر، ثم ملك شليم، أى ملك السلام. وليس له أب ولا أم ولا نسب وليس لأيامه بداية ولا لحياته نهاية، وهو علي مثال ابن الله ويبقى كاهنا أبد الدهور. فانظروا ما أعظم هذا الذى أدّى له إبراهيم عشر خيار الغنائم، مع أنه رئيس الآباء. إن الذين يقبلون الكهنوت من بنى لاوى تأمرهم الشريعة بأن يأخذوا العشر من الشعب.

أى من إخوانهم، مع أنهم خرجوا هم أيضا من صلب إبراهيم. أما الذى ليس له نسب بينهم، فقد أخذ العشر من إبراهيم وبارك ذاك الذى كانت له المواعد. ومما لا خلاف فيه: أن الأصغر شأنا يتلقى البركة من الأكبر شأنا. ثم إن الذين يأخذون العشر ههنا بشر مائتون، وأما هناك فإنه الذى يشهد له بأنه حى. فيجوز القول إن لاوى نفسه، وهو الذى يأخذ العشر، قد أدى العشر في شخص إبراهيم. لأنه كان فى صلب أبيه يوم خرج ملكى صادق لملاقاته.

فلو كان الحصول على الكمال بالكهنوت اللاوى، وقد تلقى الشعب شريعة متصلة به، فأى حاجة بعده إلى أن يقوم كاهن آخر يكون على رتبة ملكى صادق ولا يقال له إنه على رتبة هارون؟ لأنه إذا تبدل الكهنوت، فلا بد من تبدل الشريعة. وذلك أن الذى يقال هذا فيه ينتمى إلى سبط آخر لم يقم أحد منه بخدمة المذبح. فمن المعروف أن ربنا خرج من يهوذا، ومن سبط لم يذكره موسى فى كلامه على الكهنة

ومما يزيد الأمر وضوحا: أن يقام كاهن غيره على مثال ملكى صادق. لم يصر كاهنا بحسب شريعة وصية بشرية، بل بحسب قوة حياة ليس لها زوال، لأن الشهادة التى أديت له هى: « أنت كاهن للأبد على رتبة ملكى صادق » وهكذا نسخت الوصية السابقة لضُعفها وقلة فائدتها، فالشريعة لم تُبلغ شيئا إلى الكمال، وأُدخل رجاء أفضل نتقرب به إلى الله.

وبقدر ماحدث ذلك بلا يمين ـ فإن أولئك صاروا كهنة بلا يمين، وأما هذا فبيمين من الذى قال له: « أقسم[1] الرب، ولن يندم، أنك كاهن للأبد » ـ صار يسوع كفيل عهد أفضل.

أولئك الكهنة كان يصير منهم عدد كثير ؛ لأن الموت يحول دون بقائهم، وأما هذا فلأنه لا يزول، له كهنوت فريد. فهو لذلك قادر على أن يخلص الذين يتقربون به إلى الله خلاصا تاما لأنه حى دائما أبدا ليشفع لهم.

فهذا هو عظيم الكهنة الذى يلائمنا، قدوس برىء نقى ومنفصل عن الخاطئين، جعل أعلى من السموات، لا حاجة به إلى أن يقرب كعظماء الكهنة كل يوم ذبائح لخطاياه أولا، ثم لخطايا الشعب، لأنه فعل ذلك مرة واحدة، حين قرب نفسه. إن الشريعة تقيم أناسا ضعفاء عظماء كهنة، أما كلام اليمين الآتى بعد الشريعة فيقيم ابنا جعل كاملا للأبد » أ. هـ

الاقتباس السابع:

يقول الكاتب: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إننى سأعرض عليك فى جبل طور سيناء خيمة كبيرة، تصنع لى على مثالها خيمة. وتضع فيها تابوتا. فيه العهد. وفيه الألواح. وإذا أردت مخاطبتك ؛ أجتمع بك هناك، وأخاطبك من فوق الكفارة، من بين الكروبين، اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل [خر ٢٥]

وقال لموسى: خذ عجلا من البقر،وكبشين تامين وخبز فطير وأقراص حلوى فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت، من سميذ الحنطة، واذبح العجل أمام خيمة الاجتماع، وليضع هارون وبنوه ثقل أيديهم على رأس العجل. ورش دمه على المذبح من كل جهة. وأحرق الكبش كله على المذبح. ثم خذ الكبش الآخر واذبحه وخذ من دمه واجعل منه على شحمة أذن هارون اليمنى، وعلى شحمات آذان بنيه اليمنى، وعلى أباهيم أيديهم اليمنى، وعلى أباهيم أرجلهم اليمنى. ورش الدم على المذبح من كل جهة [خر ٢٩]

ويقول الكاتب: إن شريعة موسى كانت عبادة صور. أما شريعة المسيح فهى

(١) فى القرآن الكريم عن محمد ﷺ. ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾.

عبادة بالروح والحق. ولذلك صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله ؛ ليبطل الطقوس فى شريعة موسى.

وإذا علمت قوله هذا؛ فاعلم: أن المزمور المئة والعاشر ما يزال غصّة فى حلقه، وشوكة فى جنبه[1]. وذلك لأن المزمور يتحدث عن سيد لداود، يحطم أعداءه، ويقيم مملكة لن تنقرض أبدا. وهو يريد أن يطبقه على يسوع، الذى ما حطم عدوا ولا ملك على فِتر أو شبر من الأرض. فماذا فعل ؟ قال: إن يسوع عظيم كهنة، كما كان هرون عظيم كهنة. ولكن هرون كان يقرب القرابين فى الأرض وفقا للشريعة. وإذ هو قد صعد إلى السموات. فإنه يكون قد استبدل خيمة الاجتماع بالخيمة السماوية التى أظهرها له الله فى طور سيناء، وعملها على مثالها. وإذ صار فى الخيمة السماوية ؛ فإن الذبائح تكون قد ألغيت، وبالتالى تكون شريعة موسى قد زالت. واستدل على نسخ الشريعة بقول إرمياء: « ها إنها أيام تأتى يقول الرب، أقطع فيها لبيت إسرائيل ولبيت يهوذا، عهدا جديدا » والمراد ببيت إسرائيل: اليهود السامريون. والمراد ببيت يهوذا: اليهود العبرانيون.

النص :

« ورأس الكلام فى هذا الحديث: أن لنا عظيم كهنة هذا هو شأنه: جلس عن يمين عرش الجلال فى السموات، خادما للقدس، والخيمة الحقيقية التى نصبها الرب لا الإنسان. فإن كل عظيم كهنة يقام ليقرب القرابين والذبائح، ولذلك فلا بد له أيضا أن يكون لديه شيء يقربه. فلو كان يسوع فى الأرض لما جعل كاهنا، لأن هناك من يقرب القرابين وفقا للشريعة. غير أن عبادة هؤلاء ؛ عبادة صورة وظل للحقائق السماوية. وذلك ما أُوحى إلى موسى حين هم بأن ينصب الخيمة، فقد قيل له: «انظر واعمل كل شيء على الطراز الذى عُرِض عليك على الجبل » أ. هـ

الرد عليه:

لو أن الكاتب حسن الخلق، لا يكذب ولا يغش. لما أخفى على الناس قول موسى عن النبى الآتى على مثاله. وفيه: « سأقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم.

---

(١) ومثله مثل الغُراب المتكبر ، والهزال ظاهر على جسده . الذى سأله الغربان المتواضعون : من أين أتيت ؟ فأجاب : إنى آت من جبل القشطة والزبد والجبن واللبن . وقد أكلت كثيرا . ورد عليه غراب بقوله : لو كان كلامك صحيحاً ؛ لظهرت القشطة على منقارك الأسود .

مثلك. وأجعل كلامى فى فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. وأى رجل لم يسمع كلامى الذى يتكلم به باسمى ؛ فإنى أحاسبه عليه » [تث ١٨ : ١٨ ـ ١٩] فالآتى المماثل لموسى. سيأتى بشريعة تحل محل شريعة موسى. وإلا فلماذا يأتى ؟ والمسيح عيسى لم يحل شريعة محل شريعة موسى ؛ فلا يكون هو. ولا يكون هو صاحب العهد الجديد. فالعهد القديم لموسى، والعهد الجديد للنبى الآتى على مثاله. وفيه أن الجميع يكونون متعلمين من الله، كما قال إرمياء وإشعياء. والنص على العهد الجديد فيه شريعة، والمسيح عيسى لم يأت بشريعة؛ فإنه قد أقر التوراة ولم ينسخها. وهذا مستفاد من قول إرمياء: « إنى لأجعل شريعتى فى ضمائرهم »

الاقتباس الثامن:

عمل الكاتب مقارنة بين شريعة موسى. وبين النبى الآتى. وسمى شريعة موسى بالعهد القديم، وسمى شريعة النبى الآتى بالعهد الجديد. وقال: إن الشريعة الجديدة ستكون ناسخة للشريعة القديمة. فقد قال: « فإنه إذ يقول عهدا جديدا. فقد جعل العهد الأول قديما. وكل شىء قدم وشاخ ؛ يصبح قريبا من الفناء » وكلامه صحيح فى المقارنة، وفى إثبات أن الشرائع يجوز نسخها. ولكنه يجعل النبى الآتى ؛ يسوع المسيح. وهذا خطأ ؛ لأن يسوع المسيح لم ينقل عنه ناقل: أنه نسخ شريعة موسى. فضلا عن أنه من بنى إسرائيل. ولن يقوم فى بنى إسرائيل مثل موسى. فصاحب العهد الجديد ـ على كلامهم ـ هو محمد ﷺ وأصحاب العهد الجديد ـ على كلامهم ـ هم المسلمون.

النص:

« فإن المسيح قد نال اليوم خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل من الذى قبله لأنه مبنى على مواعد أفضل. فلو كان العهد الأول لا غبار عليه، لما كان هناك داع إلى عهد آخر. فإن الله يلومهم بقوله: « ها[1] إنها أيام تأتى، يقول الرب. أقطع فيها لبيت إسرائيل ولبيت يهوذا عهدا جديدا. لا كالعهد الذى جعلته لآبائهم يوم أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا على عهدى. فأهملتهم أنا أيضا، يقول الرب.

(١) النص المقتبس هنا من سفر إرمياء ٣١: ٣١ ـ ٣٤.

وهذا هو العهد الذى أعاهد عليه بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: إنى لأجعل شريعتى فى ضمائرهم وأكتبها فى قلوبهم. فأكون لهم إلها وهم يكونون لى شعبا. فلا أحد يُعَلِّم بعد ذلك ابن وطنه، ولا أحد يعلم أخاه فيقول له: اعرف الرب؛ لأنهم سيعرفوننى كلهم من صغيرهم إلى كبيرهم فأصفح عن آثامهم ولن أذكر خطاياهم بعد ذلك »

فإنه، إذ يقول « عهدا جديدا » فقد جعل العهد الأول قديما، وكل شىء قدم وشاخ ؛يصبح قريبا من الفناء » أ. هـ

الاقتباس التاسع:

ذكر الكاتب نص التوراة عن الخيمة، والمنارة والقدس والمائدة وتابوت العهد. وقال: « إنها أحكام بشرية، فُرضت إلى وقت الإصلاح » ثم قال: « أما المسيح فقد جاء عظيم كهنة للخيرات المستقبلة » وقال: إنه إذا كانت المغفرة لا تتم إلا بإراقة دم تيوس وكباش. فإن صعود المسيح إلى السماء ما كان يتم إلا بذبح نفسه « وكما أنه كتب على الناس: أن يموتوا مرة واحدة[1]، وبعد ذاك يوم الدينونة، فكذلك المسيح قرب مرة واحدة ؛ ليزيل خطايا جماعة الناس »

النص:

« فالعهد الأول أيضا كانت له أحكام العبادة والقدس الأرضى. فقد نصبت خيمة هى الخيمة الأولى، وكانت فيها المنارة والمائدة والخبز المقدس، ويقال لها القدس. وكان وراء الحجاب الثانى ؛ الخيمة التى يقال لها قدس الأقداس، وفيها الموقد الذهبى للبخور وتابوت العهد. وكله مغشى بالذهب، وفيه وعاء ذهبى يحتوى المنّ وعصا هارون التى أورقت ولوحى العهد. ومن فوقه كروبا المجد يظللان غطاء الكفارة. وليس هنا مقام تفصيل الكلام على جميع ذلك.

ذاك كله على هذا الترتيب، فالكهنة يدخلون الخيمة الأولى كل حين ويقومون بشعائر العبادة. وأما الخيمة الأخرى فإن عظيم الكهنةوحده يدخلها مرة فى السنة، ولا يدخلها بلا دم، الدم الذى يقربه عن مجاهله ومجاهل شعبه. وبذلك يشير الروح القدس إلى أن طريق القدس لم يكشف عنه ما دامت الخيمة الأولى. وهذا رمز إلى

---

(١) هذا النص ينفى عذاب القبر ونعيمه ـ راجع كتابنا حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب .

الوقت الحاضر، ففيه تقرب قرابين وذبائح ليس بوسعها أن تجعل من يقوم بالشعائر كاملا من جهة الضمير. فهى تقتصر على المآكل والمشارب ومختلف الوضوء، إنها أحكام بشرية فرضت إلى وقت الإصلاح.

أما المسيح فقد جاء عظيم كهنة للخيرات المستقبلة. ومن خلال خيمة أكبر وأفضل لم تصنعها الأيدى، أى أنها ليست من هذه الخليقة، دخل القدس مرة واحدة، لا بدم التيوس والعجول، بل بدمه، فحصل على فداء أبدى. فإذا كان دم التيوس والثيران ورش رماد العجلة يقدسان المنجسين لتطهر أجسادهم، فما أولى دم المسيح، الذى قرب نفسه إلى الله بروح أزلى قربانا لا عيب فيه، أن يطهر ضمائرنا من الأعمال الميتة لنعبد الله الحى !

لذلك هو وسيط لعهد جديد، لوصية جديدة، حتى إذا مات فداء للمعاصى المرتكبة فى العهد الأول، نال المدعوون الميراث الأبدى الموعود، لأنه حيث تكون الوصية فلابد أن يثبت موت الموصى. فالوصية لا تصح إلا بعد الموت، لأنه لم يعمل بها ما دام الموصى حيا. وعلى ذلك فإن العهد الأول لم يبرم بغير دم، فإن موسى، بعدما تلا على مسامع الشعب جميع الوصايا كما هى فى الشريعة، أخذ دم العجول والتيوس، مع ماء وصوف قرمزى وزوفى، ورشه على السفر عينه وعلى الشعب كله. وقال: « هوذا دم العهد الذى عهد الله فيه إليكم » (١)

والخيمة وجميع أدوات العبادة رشها كذلك بالدم. هذا ويكاد بالدم يطهر كل شيء بحسب الشريعة، وما من مغفرة بغير إراقة دم. فإذا كانت صور الأمور السماوية لابد من تطهيرها على هذا النحو، فلابد من تطهير الأمور السماوية نفسها بذبائح أفضل، لأن المسيح لم يدخل قدسا صنعته الأيدى رسما للقدس الحقيقى، بل دخل السماء عينها ليمثل الآن أمام وجه الله من أجلنا، لا ليقرب نفسه مرارا كثيرة كما يدخل عظيم الكهنة القدس كل سنة بدم غير دمه. ولو كان ذلك، لكان عليه أن يتألم مرارا كثيرة منذ إنشاء العالم، فى حين أنه لم يظهر إلا مرة واحدة فى نهاية العالم ليزيل الخطيئة بذبيحة نفسه. وكما أنه كتب على الناس أن يموتوا مرة واحدة، وبعد ذاك يوم الدينونة، فكذلك المسيح قرب مرة واحدة ليزيل خطايا جماعة الناس. وسيظهر ثانية، بمعزل عن الخطيئة، للذين ينتظرونه للخلاص » أ.هـ

---

(١) الاقتباس : من الخروج ٢٤ : ٨ .

الاقتباس الثالث عشر:

أخذ الكاتب نص المزمور الأربعين الذى هو لمحمد ﷺ وطبقه على يسوع المسيح. على معنى: أن ذبح يسوع كان منبئا عنه من قبل، وعلى معنى: أن الذبائح التى تمت عن الخطايا مع كل الذين التزموا بشريعة موسى، لم تزل الخطايا من العالم.

والرد عليه:

أن المزمور لا يدل على ذلك. لأن كل معانيه تدور حول آلام المسيـا، وانتصاره على أعدائه، وأنه سيأتى بشريعة. إلى العـالم. وبدؤه: « رجوت الرب رجاء، فحنا علىَّ، وسمع صراخى » وفيه يقول المسيا: « وأصعدنى من هاوية الهلاك، ومن طين الأوحال، وأقام على الصخر؛ قدمى، وثبت خطواتى، وجعل فى فمى نشيدا جديدا، تسبحة لإلهنا » يريد أن يقول: أن الله نصرنى على أعدائى وأعزنى بعزته، وجعل فى فمى نشيدا جديدا. أى شريعة جديدة، أنزلها على قلبى لأنى أمى لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرى ما الكتاب ولا الإيمان. كما قال عنه موسى: « وأجعل كلامى فى فمه » ويقول المسيا لله: « ما أكثر ما صنعت أيها الرب إلهى. لنا عجائبك وتدابيرك، فما لك من مثيل. فلو أردت أن أخبر بها وأتحدث ؛ لكانت أكثر من أن تحصى. ذبيحة وتقدمة لم تشأ، لكنك فتحت لى أذنىَّ. ولم تطلب محرقة وذبيحة خطية. حينئذ قلُت: هاءنذا آت. فقد كُتب علىَّ فى طىِّ الكتاب: هو أى أن أعمل بمشيئتك يا ألله. شريعتك فى صميم أحشائى. قد بشرتُ بالبر فى الجماعة العظيمة، ولم أحبس شفتى يارب. وأنت العليم. فى صميم قلبى ؛لم أكتم برّك، بل تحدثوا بأمانتك وخلاصك »

وأظهر آلامه بقوله: « شرور لا عدد لها، أحاطت بى » وطلب من الله أن ينصره فقال: « ارتض يارب، وأنقذنى. أسرع يارب إلى نصرتى » وبين سبب طلبه النصر فى قوله: « ليسرّ بك، ويفرح جميع الذين يلتمسونك، وليقل دوما محبو خلاصك: تعظم الرب. وأنا بائس مسكين. السيد يهتم بى. أنت نصرتى فلا تبطىء يا إلهى » وأظهر أن الله نصره فى قوله: « فحنا علىَّ، وسمع صراخى »

فهل هذه الأوصاف تنطبق على يسوع المسيح ؟ بالتأكيد: لا. ويقول المسيا: هاءنذا آت. لأن الله وعد الناس على لسان موسى: إننى أنا آت إليهم. لا من تلقاء نفسى. بل من الله. وأنا آت لأعمل بمشيئة الله، وأبلغ شريعته، وأعمل بها. ولسوف

أبلغها بكل أمانة، ولن أحبس شفتى عن النطق بها، فقد كتب الله على فى طى الكتاب أن أكون هكذا كما يريد هو.

وقوله: « لكنك فتحت أذنى » معناها: أن الله يطلع المؤمن على مشيئته، كما فى إشعياء ٥٠: ٥ وهناك قراءة يونانية تقول: « صنعت لى جسدا » وكاتب الرسالة إلى العبرانيين اختار القراءة اليونانية فقال: « ولكنك أعددت لى جسدا » بدل « أُذنين » فى النص العبرى.

ويقول الكاتب: إن الذبائح التى يقدمها الخطاة بحسب شريعة موسى. لا تطهرهم تطهيرا كاملا، ولا تقطع دابر الخطيئة من العالم، بدليل أنها تقدم فى الأعياد السنوية، وأيام السبوت. واستمرارها يدل على تذكر الخطايا. وقال: إن قول المسيا لله: ذبائح وقرابين لا تريد منى. معناه: أن المسيا آت لإبطال الذبائح والقرابين. ويسوع قد أبطل الذبائح والقرابين بالقربان الذى قربه به جسده على الصليب[1]. وقول الكاتب: إن المسيا آت ليبطل العبادة الأولى، وليقيم العبادة الأخرى. هو قول صحيح. وقوله: إن المسيا هو يسوع وقد أبطلها بسكب دمه ؛ هو قول باطل، وغير صحيح. يسوع ليس هو المسيا، فالمَسِيّا حسب كلام موسى وإرمياء وكلام المزمور سيأتى بشريعة عوضا عن شريعة موسى، ومن كلام إرمياء: « أجعل شريعتى فى قلوبهم » وأنه لن يقتل بيد أعدائه.

---

(١) تنصُّ التوراة على عدم المحاباة ؛ لئلا يضيع الحق . ففي سفر التثنية : « وأوصيتُ قضاتكم فى ذلك الوقت ، وقلتُ : اسمعوا ما بين إخوتكم ، واحكموا بالبر ، بين الرجل وأخيه ، ونزيله . لا تُحابوا وجه أحد فى الحكم ، واسمعوا للصغير ، سماعكم للكبير ، ولا تهابوا وجه إنسان ؛ فإن الحكم هو الله» [تث ١ : ١٦ ـ ١٧] وفى سفر اللاويين : « لا تجوروا فى الحكم ، ولا تحُاب وجه الفقير ، ولا تكرم وجه العظيم ، بل بالعدل تحكم لقريبك » [أح ١٩ : ١٥] وفى سفر التثنية : « لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ، ورب الأرباب ، الإله العظيم الجبار ، الرهيب ، الذى لا يحابى الوجوه ، ولا يقبل رشوة . منصف اليتيم والأرملة ، ومحب النزيل ، يعُطيه طعاما وكسوة » [تث ١٠ : ١٧ ـ ١٨] وعيسى ـ عليه السلام ـ كان لا يقبل المحاباة؛ فإن علماء من بنى إسرائيل قالوا له : « يا معلم . نحن نعلم أنك على صواب في كلامك وتعليمك . لا تحابى أحدا ، بل تعلم سبيل الله بالحق» [لو ٢٠ : ٢١]
[انظ أيضاً : أع ١٠ : ٣٤ مزمور ٨٢ : ٢ وسى، ٤ : ٢٧ و ٣٥ :١٣ و ٤٢ : ١ وملا ٢ :٩ وغلا ٢ : ٦ رو ٢ : ١١ قول ٣ : ٢٥ أف ٦ : ٩ يع ٢ : ١ ٢ أخ ١٩ :٧ أى ٣٤ : ١٩ حك ٦ : ٧ ـ ٨ وابط ١ : ١٧] وهذا كله يمنع من شفاعة يسوع المسيح فى المذنبين ، بموته عنهم على الصليب ودخوله جهنم ، وهو في القبر لمدة ثلاثة أيام . هذا كله يمنع من ذلك .

وهذا هو النَّص :

« ولما كانت الشريعة تشتمل على ظل الخيرات المستقبلة، لا على تجسيد الحقائق، فهى عاجزة أبد الدهور، بتلك الذبائح التى تقرب كل سنة على مر الدهور، أن تجعل الذين يتقربون بها كاملين. ولولا ذلك لكف عن تقريبها، لأن الذين يقومون بشعائر العبادة، إذا تمت لهم الطهارة مرة واحدة، لم يبق فى ضميرهم شىء من الخطيئة، فى حين أن تلك الذبائح ذكرى للخطايا كل سنة، لأن دم الثيران والتيوس لا يمكنه أن يزيل الخطايا. لذلك قال المسيح عند دخوله العالم: « لم تشأ ذبيحة ولا قربانا ولكنك أعددت لى جسدا. لم ترتض المحرقات ولا الذبائح عن الخطايا. فقلت حينئذ (وقد كان الكلام علىَّ فى طىٍّ الكتاب): هاءنذا آت، أللهم لأعمل بمشيئتك » فقد قال أولا: « ذبائح وقرابين ومحرقات وذبائح كفارة للخطايا لم تشأها ولم ترتضها » (مع أنها تقرب كما تقضى الشريعة). ثم قال: « هاءنذا آت لأعمل بمشيئتك » فقد أبطل العبادة الأولى ليقيم العبادة الأخرى. وبتلك المشيئة، صرنا مقدسين بالقربان الذى قرب فيه جسد يسوع المسيح مرة واحدة.

وإن كل كاهن يقف كل يوم فيقوم بشعائر العبادة ويقرب الذبائح نفسها مراراً كثيرة، ولا يمكنها أبدًا أن تمحو الخطايا. أما هو فقد قرب ذبيحة واحدة كفارة للخطايا، ثم جلس عن يمين الله للأبد، منتظرا بعد ذلك«أن يجعل أعداءه موطئا لقدميه» لأنه بقربان واحد جعل المقدسين كاملين أبد الدهور. وذلك ما يشهد به لنا الروح القدس أيضا. فبعد أن قال: « هوذا العهد الذى أعاهدهم إياه بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل شريعتى فى قلوبهم، وأكتبها فى ضمائرهم ولن أذكر خطاياهم وآثامهم » فحيث يكون غفران الخطايا والآثام، لا يبقى من قربان من أجل الخطيئة » أ. هـ

الاقتباس الرابع عشر:

بعدما فرغ الكاتب من غرضه. وهو جعل يسوع المسيح « المسيح الرئيس » كتب فى تهديد من لا يقبل رأيه هذا الكلام:

« فإنه إذا خطئنا عمدا، بعدما حصلنا على معرفة الحق، فلا تبقى هناك ذبيحة كفارة للخطايا، بل انتظار رهيب للدينونة ونار مستعرة تلتهم العصاة. من خالف شريعة موسى قتل من غير رحمة « بناء على قول شاهدين أو ثلاثة »(أ) فأىَّ عقاب أشد من ذلك العقاب يستحق، كما ترون، من داس ابن الله، وعدّ دم العهد الذى

قدس به نجسا واستهان بروح النعمة ؟ فنحن نعرف ذاك الذى قال: « لى الانتقام وأنا الذى يجـازى »(ب) وقال أيضـا: « إن الرب سيدين شعبه »(ج) ما أرهـب الوقوع فى يد الله الحى » أ هـ

الاقتباسات: أ ـ عد ٣٥: ٣٠ وتث ١٧ : ٦. ب وج ـ تث ٣٢: ٣٥ ـ ٣٦

الاقتباس الخامس عشر:

وفى نهاية الرسالة. عمل الكاتب مقارنة بين العهدين. عهد موسى، وعهد النبى الآتى على مثاله ـ الذى هو يسوع فى نظره ـ وقال: « إنكم لم تقتربوا من شىء ملموس: نار مستعرة وعتمة وظلام وإعصار. ونفخ فى البوق. صوت كلام. طلب سامعوه ألا يزادوا منه لفظة. لأنهم لم يطيقوا تحمل هذا الأمر: «حتى الوحش، لو مس الجبل، فليرجم» كان المنظر رهيبا[1] حتى إن موسى قال: «أنا مرعوب مرتعد »[2] أما أنتم فقد اقتربتم من جبل صهيون، ومدينة الله الحى، أورشليم السماوية، ومن ربوات الملائكة فى حفلة عيد، من جماعة الأبكار المكتوبة أسماؤهم فى السموات، من إله ديان للخلق أجمعين، ومن أرواح الأبرار الذين بلغوا الكمال، من يسوع وسيط عهد جديد، من دم يرش، كلامه أبلغ من كلام دم هابيل. فاحذروا أن تُعرضوا عن سماع ذاك الذى يكلمكم. فإذا كان الذين أعرضوا عن الذى أنذرهم فى الأرض. لم يفلتوا من العقاب، فكم بالأحرى لا نُفلت نحن إذا تولينا عن الذى يكلمنا من السماء؟ إن الذى زعزع صوته الأرض حينذاك قد وعدنا الآن فقال: «أزلزل مرة أخرى، لا الأرض وحدها، بل السماء أيضا »[3] فالقول: «مرة أخرى» يشير إلى زوال الأشياء المزعزعة لأنها مخلوقة لتبقى الأشياء التى لا تزعزع، فنحن وقد حصلنا على ملكوت لا يتزعزع فلنتمسك بهذه النعمة ونعبد بها الله عبادة يرضى عنها، بتقوى وورع ؛ فإن إلهنا نار آكلة »[4] أ. هـ

البيــان:

إنه قارن بين عهدين:

العهد الأول: عهد موسى. والعهد الثانى: عهد النبى الأمى الآتى. وقال: إن

---

(١) عن هذا جاء في القرآن الكريم : ﴿ فلما أخذتهم الرجفة ﴾ وبعد ذلك نص على ﴿ النبى الأمى ﴾ .

(٢) تث ٩ : ١٩ .

(٣) حجاي ٢ : ٦ .

(٤) خروج ٢٤ : ١٧ وتثنية ٤ : ٢٤ .

الآتى لن يأتى من جبال فاران، بل سيأتى من « أورشليم » وكيف يأتى من «أورشليم » و « أورشليم » لها مجد وملك من أيام داود عليه السلام؟ أجاب بقوله: إن « أورشليم » من زمان داود إلى زمان مجىء المسيح يسوع، فى آخر الزمان. لها ملك يأتى ويزول، شأن بقية البلاد والممالك. ومن مجىء المسيح يسوع فى آخر الزمان، سيكون لها ملك روحى. وستكون سماوية وليست أرضية. فإن الأرض ستتبدل، والسموات ستتبدل. ولو أن اليهود السامريين سألوه: ولماذا لا يكون المجد الآتى فى « نابلس » ؟ فإنه لن يقدر على الرد عليهم. لأن المسيح يسوع صرح بنزع بركة إسحاق من الفريقين، بقوله: « إنه تأتى ساعة. لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم تسجدون للآب » وبقوله: « إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره »

وهدد وتوعد من لايقبل يسوع، على أنه النبى الآتى. بقوله: « فاحذروا أن تعرضوا عن سماع ذاك الذى يكلمكم »

وقال: إننا إذا آمنا بيسوع على أنه هو « النبى الآتى » فقد حصلنا على ملكوت لا يتزعزع. يريد أن يطبق نبوءات دانيال عن ملكوت ابن الإنسان، على المسيح يسوع.

وقال: « فلنتمسك بهذه النعمة، ونعبد بها الله، عبادة يرضى عنها. بتقوى وورع ؛ فإن إلهنا نار آكلة »

اقتبس « فإن إلهنا نار آكلة » من التوراة [خر ٢٤: ١٧ وتث ٤: ٢٤] وهى كناية عن أنه شديد العقاب. ولنسأله عن عبادة الله وعن عبادتهم ليسوع الميسح. فإن نص كلامه هو عن عبادة « الله » لا عن عبادة يسوع المسيح. وهذا يدل عن أن التثليث لم يكن من قبل كتابة الكاتب للرسالة.

الاقتباسات
فى
رسالتى بطرس الأولى والثانية

أولا: الرسالة الأولى لبطرس:

الاقتباس الأول:

قال بطرس: « أطعتم الحق، فطهرتم نفوسكم، كيما نُحب بعضكم بعضا حبا أخويا، بلا رياء ؛ فليحب بعضكم بعضا، حبا ثابتا بقلب طاهر. فإنكم وُلدتم ولادة ثانية. لا من زرع فاسد، بل من زرع غير فاسد. من كلمة الله الحية الباقية. لأن « كل بشر كالعشب، وكل مجد له كزهر العشب: العشب ييبس، والزهر يسقط. وأما كلمة الله فتبقى للأبد » هذه هى الكلمة التى بُشرتم بها » [١ بط ١: ٢٢ ـ ٢٥]

موضع الاقتباس:

من الأصحاح الأربعين من سفر إشعياء. وهو: « عزُّوا. عَزوا شعبى. يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم. ونادوها بأن قد تمَّ تجنُّدها، وكُفِّر إثمها، ونالت من يد الرب ضعفين عن جميع خطاياها. صوت مناد فى البرية: أعدوا طريق الرب، واجعلوا سبل إلهنا فى الصحراء قويمة. كل واد يرتفع، وكل جبل وتل ينخفض، والمنعرج يقوم، ووعر الطريق يصير سهلا، ويتجلى مجد الرب، ويعاينه كل بشر ؛ لأن فم الرب قد تكلم. صوت قائل: ناد. فقال: ماذا أنادى ؟ كل بشر عشب، وكل جماله كزهر البرية. العشب ييبس، وزهره يذوى. إذا هب فيه روح الرب. إن الشعب عشب حقا. العشب ييبس، وزهره يذوى. وأما كلمة إلهنا فتبقى للأبد.

إصعدى إلى جبل عال يا مبشرة صهيون. إرفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. إرفعيه ولا تخافى. قولى لمدن يهوذا: هو ذا إلهكم. هو ذا السيد الرب يأتى بقوة، وذراعه تُمدُّه بالسلطان. هو ذا جزاؤه معه، وأجرته قدامه، يرعى قطيعه كالراعى، يجمع الحملان بذراعه، ويحملها فى حضنه، ويسوق المرضعات رويدا » [إش ٤٠: ١ ـ ١١]

البيـــان:

إن إشعياء يتكلم عن مجئ نبى، يعزى بنى إسرائيل فى ضياع نبوتهم على يديه. ويقــول: إن جهاد أورشليــم مع الله ؛ سينتهــى على يديـه، ذلك قوله: « ونادوها بأن جهادها قد كمل » وفى ترجمة: « ونادوها بأن قد تم تجندها » وقد قال عيسى عليه السلام: أنا معزيكم يا بنى إسرائيل. وسيأتى من بعدى معزى آخر غيرى. ذلك قوله: « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب لكم من الآب فيعطيكم معزيا آخر » ـ « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب. . الخ » وبين أن « المعزى الآخر » لن يكون من نسل داود. لأنه قال إنه سيده، والابن لا يكون سيدا لأبيه. وإذْ ثابت أن لإسماعيل بركة، فإن المعزى الآخر الذى سيجاهد مع الله، يكون من ذريته.

وقوله: « أعدوا طريق الرب، واجعلوا سُبُل إلهنا فى الصحراء قويمة » قال أصحاب الأناجيل: إن يوحنا المعمدان كان يمهد الطريق لمجىء النبى الآتى، وقال بَرنابا: إن عيسى نفسه كان يمهد الطريق لمجىء النبى الآتى. وقوله « ويتجلى مجد الرب » يريد به نصرة النبى الآتى على أعدائه. والله تكلم بهذا الوعد. وكلمته تبقى إلى الأبد. وقوله « هوَ ذا السيد الرب يأتى بقوة » معناه: نصر الله لنبيه إذا ما أظهره ليبلغ رسالته. وقولـه « جزاؤه معه » كنـاية عن استغنائه عن النـاس. وقوله « يرعى قطيعه » كناية عن شفقته بالمؤمنين به، وأنه بهم رءوف رحيم.

وبطرس يطبق النبوءة على يسوع وأُمته. ويسوع من اليهود، ولم يحارب ولم ينتصر.

الاقتباس الثانى:

يقول بطرس: « اقتربوا منه، فهو الحجر الحى، الذى رذله الناس، فاختاره الله، وكان عنده كريما، وأنتم أيضا شأنَ الحجارة الحية، تبنون بيتا روحيا ؛ فتكونون جماعة كهنوتية مقدسة، كيما تُقربوا ذبائح روحية يقبلها الله عن يد يسوع المسيح. فقد ورد فى الكتاب: « هاءنذا أضع فى صهيون حجرا للزاوية، مختارا كريما ؛ فمن اتكل عليه لا يُخزى »

فالكرامة لكم أيها المؤمنون. أما غير المؤمنين ؛ فإن الحجر الذى رذله البناءون؛

هو الذى صار رأسا للزاوية، وحجر صدم، وصخرة عثار. إنهم يعثرون لأنهم لا يؤمنون بكلمة الله » [١ بط ١: ٤ ـ ٨]

مواضع الاقتباسات:

١ ـ « هاءنذا أضع فى صهيون حجرا للزاوية. . . » [إشعياء ٢٨: ١٦]

٢ ـ « الحجر الذى رذله البناءون. . » [مزمور ١١٨: ٢٢ متى ٢١: ٤٢ وما يوازيه من مرقس ولوقا]

٣ ـ « حجر صدم وصخرة عثار » [إشعياء ٨: ١٤]

وقد سبق البيان فى رسالة بولس إلى أهل أفسوس وغيرها.

الاقتباس الثالث:

« فقد تألم المسيح أيضا من أجلكم، وترك لكم مثالا ؛ لتقتفوا آثاره. إنه لم يرتكب خطيئة، ولم يوجد فى فمه غش. شُتم ولم يردّ على الشتيمة بمثلها. تألّم ولم يهدد أحدا، بل أسلم أمره إلى من يحكم بالعدل. وهو الذى حمل خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن خطايانا، فنحيا للبر. وهو الذى بجراحه شُفيتم » [١ بط ٢: ٢١ ـ ٢٤]

موضع الاقتباس:

هو الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء. وهو من نبوءة العبد المتألم. وقد بيناها.

الاقتباس الرابع:

« وآخر الأمر: كونوا متفقين فى الرأى مشفقين بعضكم على بعض، متحابين كالإخوة، رحماء متواضعين لا تردوا الشر بالشر، والشتيمة بالشتيمة، بل باركوا؛ لأنكم لهذا دُعيتم ؛ لترثوا البركة لأن[1] من شاء أن يحب الحياة، ويرى أياما سعيدة؛ وجب عليه أن يكف لسانه عن الشر، وشفتيه عن كلام الغش. ويبتعد عن الشر، ويعمل الخير، ويطلب السلام ويتبعه ؛ لأن الرب يراعى بعينه الأبرار، ويصغى سمعه

---

(١) فى ترجمة البروتستانت : « لأن من أراد أن يحب الحياة ، يرى أياما صالحة ، فليكفف لسانه عن الشر ، وشفتيه ان تتكلما بالمكر. ليعرض عن الشر ، ويصنع الخير ليطلب السلام ويجدّ فى اثره ؛لأن عينى الرب على الأبرار ، وأذنيه إلى طلبتهم ، ولكن وجه الرب ضد فاعلى الشر »

إلى دعائهم. ولكن الرب ينظر بوجه مغضب إلى الذين يعملون السيئات » [١ بط ٣: ٨ ـ ١٢]

موضع الاقتباس: المزمور الرابع والثلاثين ١٣ ـ ١٧

وهو مزمور يهدُّ كلام النصارى فى غفـران الخطايا بـدم المسيح. لقوله فيه: «وجه الرب على صانعى الشر، ليمحو من الأرض ذكرهم » ولقول بطرس: « ولكن الرب ينظر بوجه مغضب إلى الذين يعملون السيئات » وهو مزمور من مزامير المسيا المنتظر، موضوع على الطريقة الأبجدية. وفيه يتحدث المَسِيّا عن أنه محب لذكر الله على الدوام، وأن أعداءه آذوه، والله أنقذه منهم. وأن عبيد الله الآتين معه عوضا عن اليهود الأشرار، سيفتدى الله نفوسهم ويحفظهم من الشيطان الرجيم.

ونصه من ترجمة البروتستانت:

« أبارك الرب فى كل حين. دائما تسبيحه فى فمى. بالرب تفتخر نفسى. يسمع الودعاء فيفرحون. عظموا الرب معى، ولنعل اسمه معا. طلبت إلى الرب، فاستجاب لى. ومن كل مخاوفى أنقذنى. نظروا إليه، واستناروا، ووجوههم لم تخجل. هذا المسكين صرخ، والرب إستمعه، ومن كل ضيقاته خلَّصه. ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم. ذوقوا، وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه. اتقوا الرب يا قديسيه، لأنه ليس عوز لمتقيه. الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شىء من الخير .

هلم أيها البنون استمعوا إلىّ ، فأعلمكم مخافة الرب . من هو الإنسان الذى يَهْوَى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيرا . صن لسانك عن الشر ، وشفتيك عن التكلم بالغش . حد عن الشر واصنع الخير . اطلب السلامة ، واسع وراءها . عينا الرب نحو الصديقين ، وأذناه إلى صراخهم . وجه الرب ضد عاملى الشر ، ليقطع من الأرض ذكرهم . أولئك صرخوا والرب سمع ، ومن كل شدائدهم أنقذهم . قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ، ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هى بلايا الصِّديق ، ومن جميعها ينجيه الرب . **يحفظ جميع عظامه ، واحد منها لا ينكسر .** الشر يميت الشرير ، ومبغضو الصديق يعاقبون . الرب فادى نفوس عبيده ، وكل من اتكل عليه لا يعاقب » [مزمور ٣٤]

وقد سبق بيان اقتباس منه.

الاقتباس الخامس:

« فتواضعوا تحت يد الله القادرة، ليرفعكم فى حينه. وألقوا عليه جميع همكم ؛ فإنه يعنى بكم. كونوا قنوعين ساهرين. إن إبليس خصمكم، كالأسد الزائر، يرود فى طلب فريسة له، فقاوموه راسخين فى الإيمان » [١ بط ٥: ٦ - ٩]

موضع الاقتباس:

يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: إن الآية ٢٣ من المزمور ٥٥ ونصها: «ألق على الرب حملك. وهو يعولك، ولا يدع البار، يتزعزع للأبد » وهى ٢٢ فى ترجمة البروتستانت ونصها: « ألق على الرب همك، فهو يعولك. لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد » هى التى اقتبسها بطرس فى قوله: « وألقوا عليه جميع همكم؛ فإنه يعنى بكم »

والآية من المزمور الخامس والخمسين. وهو كله نبوءة عن النبى الآتى. وغرض بطرس: هو تطبيقه على أمة النصارى بقوله لهم: ألقوا همومكم على الله ليحسن إليكم.

والمزمور يبين: أن الذين سيلقون الهموم ؛ هم شعب النبى الآتى، لا أمة النصارى؛ فإنهم هم واليهود مرفوضون من أمام الله. لأن اليهود والنصارى أمة واحدة، والنصارى طائفة من اليهود. لقوله فى القرآن الكريم: ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾

ونص المزمور ٥٥:

« اصغ يا الله إلى صلاتى، ولا تتغاض عن تضرعى. استمع لى، واستجب لى. أتحير فى كربتى وأضطرب. من صوت العدو، من قبل ظلم الشرير. لأنهم يحيلون على إثما، وبغضب يضطهدوننى. يمخض قلبى فى داخلى، وأهوال الموت سقطت على. خوف ورعدة أتيا على، وغشينى رعب. فقلت: ليت لى جناحا. كالحمامة ؛ فأطير وأستريح. هاءنذا كنت أبعد هاربا، وأبيت فى البرية. سلاه.

كنت أُسرع فى نجاتى من الريح العاصفة، ومن النوء. أهلكْ يا رب. فرق ألسنتهم ؛ لأنى قد رأيت ظلما وخصاما فى المدينة. نهارا وليلا يحيطون بها، على

أسوارها، وإثم ومشقة فى وسطها. مفاسد فى وسطها، ولا يبرح من ساحتها ظلم وغش. لأنه ليس عدو يعيرنى فأحتمل. ليس مبغضى تعظم على، فأختبىء منه. بل أنت إنسان عديلى. إلفى وصديقى. الذى معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور. ليبغتهم الموت ؛ لينحدروا إلى الهاوية أحياء. لأن فى مساكنهم. فى وسطهم شرورا.

أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى. مساء وصباحا وظهرا ؛ أشكو وأنوح فيسمع صوتى. فدى بسلام نفسى من قتال على ؛ لأنهم بكثرة كانوا حولى. يسمع الله فيذلهم، والجالس منذ القدم. سلاه.

الذين ليس لهم تغير، ولا يخافون الله. ألقى يديه على مسالميه، نقض عهده، أنعمُ من الزبدة فمه، وقلبه قتالٌ. ألين من الزيت كلماته، وهى سيوف مسلولة.

ألق على الرب همك ؛ فهو يعولك. لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد. وأنت يا ألله تحدِّرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم. أما أنا فأتكل عليك » [مزمور ٥٥]

البيـــان:

يقول المسيا لله تعالى: إننى مضطرب من صوت أعدائى الأشرار. وأدعوك أن تحفظنى منهم، وأن تنصرنى عليهم. أهلكهم يارب. ثم بين نوع الأعداء فقال: إنهم منافقون. يظهرون المودة، ويخفـون الشر. وإنهم من أقربائى من جنس إبراهيم، من ذرية إسحق. وكنت معهم أذهب إلى بيت الله. وهم الآن يرفضوننى مجانا، بلا سبب. لأنهم نقضوا عهد الله الذى أبرمه مع إبراهيم وهو « بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة ؛لأنه نسلك » وموسى كتب عنى، وأخذ العهد عليهم من قبل نزول التوراة بأن يعملوا بكل ما فى الشريعة . ومما هو فيها: « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به »

ثم صرح المزمور بأن الله سيحدرهم إلى الهارية، وسينصر المتوكلين عليه.

وهذا لا ينطبق على النصارى كما يقول بطرس. لأن النصارى شيعة من شيع اليهود، كانت صالحة إلى زمان المجمع النيقاوى، ثم عتت عن أمر ربها ورسله.

● ● ●

ثانيا: الرسالة الثانية لبطرس:

الاقتباس الأول:

« وهناك أمر لا يصح لكم أن تجهلوه أيها الأحباء. وهو: أن يومًا واحدا عند الرب بمقدار ألف سنة. وألف سنة بمقدار يوم واحد. إن الرب لا يبطىء فى إنجاز وعده. كما اتهمه بعض الناس. ولكنه يصبر عليكم ؛ لأنه لا يشاء أن يهلك أحدا، بل أن يبلغ جميع الناس إلى التوبة. سيأتى يوم الرب، كما يأتى السارق، فتزول السموات فى ذلك اليوم بدوى قاصف، وتنحل العناصر مضطرمة. وتحاكم الأرض، وما فيها من الأعمال » [٢ بط ٣: ٨ ـ ١٠] وفى ترجمة: « ولكن سيأتى كلص فى الليل يومُ الرب، الذى فيه تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض، والمصنوعات التى فيها »

موضع الاقتباس: هو المزمور التسعون. الآية الرابعة، وحبقوق ٢: ٢ ـ ٣

وهو المزمور الوحيد المنسوب إلى موسى ـ عليه السلام ـ ويوم الرب تعبير يدل على اليوم الذى يظهر فيه المسيا بملكوته. وفى حال ظهوره تكون من أتباعه حرب مدمرة لبلاد اليهود فى « فلسطين » صورها عيسى عليه السلام بصور مبالغ فيها، تدل على العنف وهول القتال. مثل زوال السموات بضجيج، واحتراق الأرض، وما عليها. وهو لا يريد ظاهر المعنى، وإنما يريد: الكناية عن شدة الفزع، وهول الحرب، وضراوة القتال. بقرينة: أنهم سيبصرون « ابن الإنسان » آتيا على سحاب السماء، كناية عن علوه وتعظمه. يقول عيسى عليه السلام: « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تُظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » [متى ٢٤: ٢٩ ـ ٣٠] وقال عيسى عليه السلام: « اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم، واعلموا هذا: أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ؛ لسهر ولم يدع بيته يُنقب. لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ؛ لأنه فى ساعة لا تظنون ؛ يأتى ابن الإنسان » [متى ٢٤: ٤٢ ـ ٤٤] وحكى مرقس بعد هذا الذى حكى شبهه متى: «هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا: أنه قريب على الأبواب » [مر ١٣: ٢٩] وحكى لوقا مثل ما حكيا، وقال: « وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى

سحابة بقوة ومجد كثير » [لو ٢١: ٢٧]

وبطرس يعلم أن « ابن الإنسان » هو لقب لمحمد رسول الله ﷺ من الأصحاح السابع من سفر دانيال. ويعلم أنه سيأتى فى نهاية السبعين أسبوعا. كما ذكر دانيال فى الأصحاح التاسع. ولكنه إذْ وضع نبوءات التوراة على يسوع المسيح، ويعلم أنها لا تدل عليه ؛ ويعلم أن يسوع لن يظهر ليؤسس ملكوت السموات ؛ احتال على النصارى بحيلة تبقى مع العلماء. وهى أن الناس إذا قلقوا وسألوا بعد نفاد الأسابيع السبعين، يُقال لهم: لا تقلقوا لأن اليوم عند الله بألف سنة. كما قال داود ـ عليه السلام ـ

ونص كلام داود هو: « تعيد الإنسان إلى الغبار، وتقول: عودوا يا بنى آدم. فإن ألف سنة فى عينيك كيوم أمس العابر، وكهجعة من الليل » [مز ٩٠: ٤] ونص حبقُّوق هو: « على محرسى أقف. وعلى مرصدى أنتصب. وأراقب لأرى ماذا يقول لى ؟ وماذا يجيب عن معاتبتى ؟ فأجابنى الرب، وقال: أكتب الرؤيا وانقشها على الألواح، حتى يسرع فى قراءتها. فإنها أيضا رؤيا الميقات، وتصبو إلى أجلها ولا تكذب. إن أبطأت ؛ فانتظرها. فإنها ستأتى إتيانا ولا تتأخر. النفس غير المستقيمة غير أمينة. أما البار فبأمانته يْحيا » [حب ٢: ١ ـ ٤] وهو يتحدث عن النبى الآتى من فاران. وهو محمد ﷺ [حب ٣: ٣]

الاقتباس الثانى:

يقول بطرس: « فإذا كانت جميع هذه الأشياء ستنحل على ذلك الوجه، فكيف يجب عليكم أن تكونوا فى قداسة السيرة والتقوى ؛ تنتظرون وتستعجلون مجىء يوم الله، الذى فيه تنحل السموات مشتعلة، وتذوب العناصر مضطرمة. غير أننا ننتظر ـ كما وعد الله ـ سماوات جديدة، وأرضا جديدة، يُقيم فيها البِّر » [٢ بط ٣: ١١ ـ ١٣]

فى هذا النص اقتباسان من سفر إشعياء:

الاقتباس الأول: « ويفنى كل جند السموات » [إش ٣٤: ٤] « الذى فيه تنحل السموات » [٢ بط ٣: ١٢] والاقتباس الثانى: « خالق سموات جديدة. . » [إش ٦٥: ١٧ و ٦٦: ٢٢] « سماوات جديدة. . » [٢ بط ٣: ١٣]

وغرض بطرس هو: أن السموات الجديدة رمز لأمة النصارى، وأن السموات

القديمة رمز لأمة اليهود. وأن انحلال السموات مشتعلة: هو كناية عن انتهاء أمة اليهود بالحرب والقتال ؛لإحلال النصارى محلهم بعد هذا القتال المدمر الشديد. وأن الذى سيقوم بالحرب هو يسوع المسيح فى مجيئه للملك الروحى فى آخر الزمان. هذا هو غرضه. والتعابير كلها كناية عن إحلال أمّة مكان أمة، بالحرب. وليست على ظاهرها تدل على زوال الحياة الدنيا، وإقبال الحياة الآخرة. والدليل على أن التعابير كناية عن إحلال أمة مكان أمة: أن إشعياء فى الأصحاح الرابع والثلاثين يتحدث عن زوال أمة، وفى الأصحاح الخامس والثلاثين يتحدث عن إقامة أمة. فيقول:

« اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيها الشعوب أصغوا. لتسمع الأرض وملؤها. المسكونة وكل نتائجها ؛ لأن للرب سخطا، على كل الأمم، وحُمُوًّا على كل جيشهم. قد حرمهم. دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تُطرح، وجيفهم؛ تصعد نتانتها، وتسيل الجبال بدمائهم، ويفنى كل جند السموات، وتلتف السموات كدرج، وكل جندها ينتثر، كانتثار الورق من الكرمة، والسِّقاط من التينة »

ثم تحدث عن خراب مدينتى أدوم، وبصرة. وقال عن صهيون: «وتتحول أنهارها زفتا، وترابها كبريتا، وتصير أرضها زفتا مشتعلا، ليلا ونهارا لا تنطفىء. إلى الأبد يصعد دخانها. من دور إلى دور تخرب، إلى أبد الآبدين لا يكون من يجتاز فيها. . . الخ » وبعد ذلك قال:

« تفرح البريــة والأرض اليـابســة،ويبتهجْ القفر ويزهر كالنرجس» ثم قال: «وتكون هناك سكة وطريق يقال لها: الطريق المقدسة. .الخ » وقد بينا: أن الطريق المقدسة هى الطرق المؤدية إلى الكعبة البيت الحرام، التى جعلها الله قياما للناس.

وأما خلق السموات الجديدة والأرض الجديدة. فهو نص من كلام النبى إشعياء عن «عبد الرب المتألم» ـ قد بيناه ـ وفيه يقول عن اليهود: «وتُخلفون اسمكم لعنة لمختارى» أى أن الشعب المختار. وهم أمة العبد المتألم. بنو إسماعيل، والمؤمنون معهم بالنبى الأمى المعظم، سيلعنون اليهود فى كل صلاة. ويقولون لله: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين** ﴾

• • •

وأما عن تقديس « صهيون » التى ستتحول أنهارها زفتا. . فإننا نقول:

تقديس جبل صهيون:

جبل صهيون جبل من جبال أرض فلسطين. وعليه بنى سليمان «هيكل» فى «أورشليم» - التى هى «القدس» - وهى مدينة كسائر المدن التى فى بلاد الله. وهيكلها كسائر المساجد التى بناها الأنبياء والعلماء فى الأرض. والتوراة لم تقدسها، ولم تقدس هيكلها. وذلك لأن موسى - عليه السلام - وهو صاحب الشريعة فى بنى إسرائيل. كان قبل داود - عليه السلام - بنحو ستمائة عام، وليس فى توراته نصوص على تقديس أورشليم والهيكل. ومن بعد سبى بابل وتحريف التوراة فيها. رأى اليهود العبرانيون تقديس أورشليم. لا لتساوى « مكة المكرمة » فى القداسة، بل لتكون هى المدينة المقدسة. ومكة تكون مدينة كسائر المدن التى فى بلاد الله. ورأوا تقديس هيكل سليمان. لا ليساوى الكعبة البيت الحرام فى القداسة، بل ليكون هو المسجد المقدس. والمسجد الحرام - إن اعترفوا به على طريقتهم - يكون مسجدا كسائر المساجد التى فى بلاد الله. وغرضهم من ذلك: هو الاستعداد لإنكار بركة إسماعيل - عليه السلام - والله تعالى أسرى بنبيه محمدا ﷺ فى ما بين النائم واليقظان من أرض الكعبة المسجد الحرام، من بيت أم هانىء - كما فى الحديث - لا من جوف الكعبة. إلى أرض المسجد الأقصى، البعيد عن مكة المكرمة، لا إلى جوف المسجد الأقصى. الذى بارك الله حوله. بالعلم والعلماء. فى زمان أُمتين. أمة بنى إسرائيل، وأمة بنى إسماعيل. فإن علماء بنى إسرائيل كانوا يعلمون الناس فيه، ومن حوله؛ شريعة موسى. وزوار أورشليم من جميع الأمم ؛ كانوا يعرفونها، ويتحدثون بها، فى بلادهم، وعلماء بنى إسرائيل كانوا ينطلقون من حوله إلى بلاد من بلاد الأمم لنشر شريعة موسى. والمسجد الأقصى الذى بنى فى الإسلام فوق هيكل سليمان. لأن الرومان كانوا قد هدموه فى سنة ١٣٢م هومثل سائر مساجد الله فى العبادة والعلم. كمسجد الأزهر، والزيتونة، ومسجد الأمويين، ومسجد ابن حنبل. التى هى عامرة بالعلم والعلماء. وكما كان المسجد الأقصى على شريعةموسى، هو الآن على شريعة محمد - عليهما السلام - والتقديس والتعظيم ليس إلا للكعبة البيت الحرام.

والحديث[1] الشريف: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى » هو حديث آحاد[2]. ويبين: أن المساجد الثلاثة

---

(١) شرح الشرقاوى على البخارى . المسمى بفتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى .

(٢) حديث الآحاد ليس حجة فى العقيدة، ويجب أن لا يكون حجة فى الشريعة. لأن العلّة متحدة في الاثنين وهى الظن فى كلام الراوى .

لها أهمية كبيرة فى نشر الإسلام. فإلى الكعبة يأتى الحجاج من جميع أنحاء العالم، وإلى المدينة « يثرب » لأنهم يحبون أن يروا آثار النبى المعظم، يأتون. وإلى المسجد الأقصى يأتى الناس من بلاد العالم، المسلم والكافر واليهودى والنصرانى، للتجارة والزيارة والتنقل من جهة إلى جهة هى « الهند » وغيرها. فالمساجد الثلاثة لها أهمية كبيرة فى نشر الإسلام.

وفى رواية: « لا ينبغى للمصلى أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة، غير المسجد الحرام، والأقصى، ومسجدى هذا » وهذه الرواية فى مسند أحمد ـ والمسند فيه وفيه ـ وهى تمنع من شد الرحال لطلب العلم. وهى ضعيفة ؛ لأن الغرض من شد الرحال أو الذهاب إلى المساجد: هو العبادة والتعارف والتفقه فى الدين. وقال الشراح فى حديث شد الرحال، عن نذر الذهاب إليهم: « وقال أبو حنيفة: لا يجب مطلقا. وقال الشافعى فى الأم: يجب فى المسجد الحرام ؛ لتعلق النسك به، بخلاف المسجدين الآخرين. وهذا هو المنصوص عليه لأصحابه. واستدل به أيضا: على أن من نذر إتيان غير هذه الثلاثة لصلاة أو غيرها ؛ لا يلزم ؛ لأنه لافضل لبعضها على بعض ؛ فتكفى صلاته فى أى مسجد كان. . . الخ »

والمسجد الأقصى ـ المسمى عند أهل الكتاب بهيكل سليمان ـ لم يبنه إبراهيم ولم يبنه إسحق. ولم يبنه يعقوب، والمؤسس له هو داود عليه السلام ـ وكل المساجد والمقابر والمبانى التى بناها إبراهيم وإسحق ويعقوب فى سيناء وفلسطين. قد هدم كل ذلك أهل الكفر، أيام عيش يعقوب وبنيه فى مصر. ولم يبق لها من أثر إلى زمان طالوت وداود ولم يعرفا لها أثر. وقد ولد موسى فى أرض مصر، وخرج ببنى يعقوب من مصر إلى سيناء ومن بعده بمئات السنين، حصلت حروب بين بنى إسرائيل وأمم الكفر. هى تدل على أن بلاد فلسطين كلها وسيناء، لم يكن فيها من مسجد يذكر اسم الله فيه. بل إنه من نكاية أهل الأرض بالداعين إلى الله، هدموا الآبار التى كانوا قد حفروها لسقى الماء. ففى الأصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين: « وزرع إسحق فى تلك الأرض، فأصاب فى تلك السنة مئة ضعف، وباركه الرب . فتعاظم الرجل، وكان يتزايد فى التعاظم حتى صار عظيما جدا. فكان له مواش من الغنم، ومواش من البقر، وعبيد كثيرون. فحسده الفلسطينيون. وجميعُ الآبار التى حفرها عبيد أبيه، في أيام إبراهيم أبيه، طمّها الفلسطينيون،

وملأوها ترابا. وقال أبيمالك لإسحق: اذهب من عندنا ؛ لأنك صرت أقوى منّا جدا. فمضى إسحق من هناك، ونزل فى وادى جرار، وأقام هناك. فعاد إسحق، ونبش آبار الماء التى حفروها فى أيام إبراهيم أبيه، وطمها الفلسطينيون بعد موت أبيه، ودعاها بأسماء، كالأسماء التى دعاها بها أبوه » [تك ٢٦: ١٢ ـ ١٨]

وإذا كانت آثار إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد هدمت من بعده فى حياة ابنه، فهل سيُبقى أمم الكفر أى مسجد فى حال غياب بنى إسرائيل عن الأرض ؟ وهل سيبقون مقبرة ؟ وهل سيبقون بيتا ؟ وإذا كانت المساجد باقية، فلماذا حاربوا موسى وبنى إسرائيل فى دعوتهم إلى الله ؟

• • •

وانظر إلى قصة بَلْعام بن بَعُور. وقد كان حيا فى زمان النبى موسى ـ عليه السلام ـ تجده يبنى مذابح ـ أى مساجد ـ ويصعد على كل مذبح عجلا وكبشا. ويقدمه قربانا. على طريق العِرافة والكهانة والسحر والتنجيم. وهذا ليس من دين الأنبياء فى شىء[1]. وقد كان قَريبا فى الزمان من إبراهيم وإسحق ويعقوب. ولم يكن قريبا فحسب، بل كان يعيش فى الأرض التى ساروا فيها أمام الله. **وفى كلامه إشارات عن محمد ﷺ** وهذا هو نص التوراة عنه، من سفر العَدد:

« فأقام إسرائيل فى أرض الأموريين. وأرسل موسى ليتجسس يعزير ؛ فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك. ثم تحولوا وصعدوا فى طريق باشان. فخرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب فى إذرعى. فقال الرب لموسى: لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه. فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن فى حشبون. فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه.

وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا فى عربات موآب من عبر أردن أريحا. ولما رأى بالاق

---

(١) التوراة تحرم العرافة والكهانة والسحر والتنجيم ،والرقى. ففي سفر التثنية : « إذا دخلت الأرض التى يُعطيك الرب إلهك إياها ؛ فلا تتعلم أن تصنع مثل قبائح تلك الأمم . لا يكن فيك من يحرِق ابنه ، أو ابنته بالنار ، ولا من يتعاطى عِرافة ، ولا منجم ، ولا متكهن ، ولا ساحر ، ولا من يشعوذ ، ولا من يستحضر الأشباح أو الأرواح ، ولا من يستشير الموتى لأن كل من يصنع ذلك هو قبيحة عند الرب ، وبسبب تلك القبائح سيطرد الرب إلهك تلك الأمم من أمامك » [تث ١٨ : ٩ ـ ١٢]

ابن صِفُّور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين. فزع موآب من الشعب جدا لأنه كثير وضجر موآب من قبل بنى إسرائيل. فقال موآب لشيوخ مديان: الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل. وكان بالاق بن صفور ملكا لموآب فى ذاك الزمان . فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور إلى فتور التى على النهر فى أرض بنى شعبه ليدعوه قائلا: هو ذا شعب قد خرج من مصر. هوذا قد غشى وجه الأرض وهو مقيم مقابلى. فالآن تعالى والعن لى هذا الشعب لأنه أعظم منى. لعله يمكننا أن نكسره فأطرده من الأرض. لأنى عرفت أن الذى تباركه مبارك والذى تلعنه ملعون. فانطلق شيوخ موآب وشيوخ مديان وحلوان العرافة فى أيديهم وأتوا إلى بلعام وكلموه بكلام بالاق. فقال لهم: بيتوا هنا ألليلة فأرد عليكم جوابا كما يكلمنى الرب. فمكث روساء موآب عند بلعام.

فأتى الله إلى بلعام وقال: من هم هؤلاء الرجال الذين عندك؟ فقال بلعام لله: بالاق بن صفور ملك مؤاب قد أرسل إلى يقول: هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشَّى وجه الأرض. تعالى الآن العن لى إياه ؛ لعلى أقدر أن أحاربه وأطرده. فقال الله لبلعام: لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك. فقام بلعام صباحا وقال لرؤساء بالاق: انطلقوا إلى أرضكم لأن الرب أبى أن يسمح لى بالذهاب معكم. فقام رؤساء موآب وأتوا إلى بالاق وقالوا: أبى بلعام أن يأتى معنا. فعاد بالاق وأرسل أيضا رؤساء أكثر وأعظم من أولئك. فأتوا إلى بلعام وقالوا له: هكذا قال بالاق بن صفور. لا تمتنع من الإِتيان إلى. لأنى أكرمك إكراما عظيما وكل ما تقول لى أفعله. فتعال الآن العن لى هذا الشعب. فأجاب بلعام وقال لعبيد بالاق: ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهى ؟ لأعمل صغيرا أو كبيرا. فالآن امكثوا هنا أنتم أيضا هذه الليلة لأعلم ماذا يعود الرب يكلمنى به. فأتى الله إلى بلعام ليلا وقال[1] له: **إن أتى الرجال ليدعوك فقم اذهب معهم. إنما تعمل الأمر الذى أكلمك به فقط. فقام بلعام صباحا وشد على أتانه وانطلق مع رؤساء موآب.**

فحمى غضب الله لأنه منطلق ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه. فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل. فضرب بلعام الأتان ليردها إلى

(١) هنا تناقض: كيف يأمره بالذهاب وكيف يحمى غضبه عليه؟

الطريق. ثم وقف ملاك الرب، فى خندق للكروم. له حائط من هنا وحائط من هناك. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط، فضربها أيضا. ثم اجتاز ملاك الرب أيضا ووقف فى مكان ضيق. حيث ليس سبيل للنكوب يمينا أو شمالا. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب، ربضت تحت بلعام فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب. ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام. ماذا صنعتُ بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات ؟ فقال بلعام: للأتان: لأنك ازدريت بى. لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك. فقالت الأتان لبلعام: ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم ؟ هل تعودت أن أفعل بك هكذا؟ فقال: لا.

ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده. فخر ساجدا على وجهه. فقال له ملاك الرب: لماذا ضربت أتانك الآن ثلاث دفعات ؟ هأنذا قد خرجت للمقاومة لأن الطريق ورطة أمامى. فأبصرتنى الأتان ومالت من قدامى الآن ثلاث دفعات. ولو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتكَ واستبقيتها. فقال بلعام لملاك الرب: أخطأت. إنى لم أعلم أنك واقف تلقائى فى الطريق. والآن إن قبح فى عينيك فإنى أرجع. فقال ملاك الرب لبلعام: اذهب مع الرجال وإنما تتكلم بالكلام الذى أكلمك به فقط. فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق.

فلما سمع بالاق أن بلعام جاء، خرج لاستقباله إلى مدينة موآب التى على تَخم أرنون الذى فى أقصى التخوم. فقال بالاق: ألم أرسل إليك لأدعوك ؟ لماذا لم تأت إلى ؟ أحقا لا أقدر أن أكرمك ؟ فقال بلعام لبالاق: هأنذا قد جئت إليك. ألعلى الآن أستطيع أن أتكلم بشىء ؟ الكلام الذى يضعه الله فى فمى. به أتكلم. فانطلق بلعام مع بالاق وأتيا إلى قرية حصوت. فذبح بالاق بقرا وغنما وأرسل إلى بلعام وإلى الرؤساء الذين معه.

وفى الصباح أخذ بالاق بلعام وأصعده إلى مرتفعات بعل. فرأى من هناك أقصى الشعب.

فقال بلعام لبالاق: ابن لى ههنا سبعة مذابح، وهيىء لى ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش. ففعل بالاق كما تكلم بلعام. وأصعد بالاق وبلعام ثورا وكبشا على كل مذبح. فقال بلعام لبالاق: قف عند محرقتك فأنطلق أنا لعل الرب يوافى للقائى. فمهما أرانى أخبرك به. ثم انطلق إلى رابية. فوافى الله بلعام. فقال له: قد رتبت

سبعة مذابح وأصعدت ثورا وكبشا على كل مذبح. فوضع الرب كلاما فى فم بلعام وقال: ارجع إلى بالاق وتكلم هكذا.

فرجع إليه وإذا هو واقف عند محرقته هو وجميع رؤساء موآب. فنطق بمثله وقال. من أرام أتى بى بالاق ملك موآب من جبال المشرق. تعال العن لى يعقوب وهلّم اشتم إسرائيل. كيف ألعن من لم يلعنه الله ؟ وكيف أشتم من لم يشتمه الرب؟ إنى من رأس الصخور أراه. ومن الآكام أبصره. هو ذا شعب يسكن وحده. وبين الشعوب لا يحسب. مَن أحصى تراب يعقوب وربُع إسرائيل بعدد ؟ لتمت نفسى موت الأبرار ولتكن آخرتى كآخرتهم[١].

فقال بالاق لبلعام: ماذا فعلت بى ؟ لتشتم أعدائى؛ أخذتك. وهوذا أنت قد باركتهم. فأجاب وقال: أما الذى يضعه الرب فى فمى أحترص أن أتكلم به ؟ فقال له بالاق: هلم معى إلى مكان آخر تراه منه. إنما ترى أقصاءه فقط وكله لا ترى. فالعنه لى من هناك. فأخذه إلى حقل صوفيم إلى رأس الفسجة وبنى سبعة مذابح وأصعد ثورا وكبشا على كل مذبح. فقال لبالاق: قف هنا عند محرقتك وأنا أوافى هناك.

فوافى الرب بلعام ووضع كلاما فى فمه وقال: ارجع إلى بالاق وتكلم هكذا. فأتى إليه وإذا هو واقف عند محرقته ورؤساء موآب معه. فقال له بالاق: ماذا تكلم به الرب ؟ فنطق بمثله وقال. قم يا بالاق واسمع. اصغ إلى يا ابن صفور. ليس الله إنسانا فيكذب. ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يفى ؟ إنى قد أمرت أن أبارك. فإنه قد بارك فلا أرده. لم يبصر إثما فى يعقوب ولا رأى تعبا فى إسرائيل. الرب إلهه معه. وهتاف مَلَك فيه. الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. إنه ليس عيافة على يعقوب ولا عرافة على إسرائيل. فى الوقت يقال عن يعقوب وعن إسرائيل: ما فعل الله ؟ هوذا شعب يقوم كلبوة، ويرتفع كأسد. لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى.

فقال بالاق لبلعام: لا تلعنه لعنة ولا تباركه بركة. فأجاب بلعام وقال لبالاق: ألم أكلمك قائلا: كل ما يتكلم به الرب فإياه أفعل؟. فقال بالاق لبلعام: هلم آخذك إلى مكان آخر. عسى أن يصلح فى عينى الله أن تلعنه لى من هناك. فأخذ بالاق بلعام إلى رأس فغور المشرف على وجه البرية. فقال بلعام لبالاق: ابنِ لى ههنا سبعة

(١) هذا نص فى إثبات يوم القيامة من توراة موسى عليه السلام.

مذابح وهيء لى ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش. ففعل بالاق كما قال بلعام وأصعد ثورا وكبشا على كل مذبح.

فلما رأى بلعام أنه يحسن فى عينى الرب أن يبارك إسرائيل، لم ينطلق كالمرَّة الأولى والثانية ؛ ليوافى فألا بل جعل نحو البرية وجهه. ورفع بلعام عينيه ورأى إسرائيل حالا حسب أسباطه. فكان عليه روح الله. فنطق بمثله وقال: وحى بَلْعام بن بَعور. وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله. الذى يرى رؤيا القدير مطروحا وهو مكشوف العينين. ما أحسن خيامك يا يعقوب. مساكنك يا إسرائيل. كأودية ممتدة. كجنات على نهر. كشجرات عود غرسها الرب. كأرزَات على مياه. يجرى ماء من دلائه. ويكون زرعه على مياه غزيرة ويتسامى. ملكه على أجاج. وترتفع مملكته. الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. يأكل أمما مضايقيه ويقضم عظامهم ويحطم سهامهم. جثم كأسد، ربض كلبوة. من يقيمه ؟ مباركك مبارك ولاعنك ملعون. فاشتعل غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه وقال بالاق لبلعام: لشتم أعدائى دعوتك وهو ذا أنت قد باركتهم الآن ثلاث دفعات ؟ فالآن اهرب إلى مكانك. قلتُ: أكرمك إكراما وهوذا الرب قد منعك عن الكرامة. فقال بلعام لبالاق: ألم أكلم أيضا رسلك الذين أرسلت إلى قائلا: ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهبا لا أقدر أن أتجاوز قول الرب ؛ لأعمل خيرا أو شرا، من نفسى ؟ الذى يتكلمه الرب ؛ إياه أتكلم. والآن هوذا أنا منطلق إلى شعبى. هلم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك فى آخر الأيام:

ثم نطق بمثله وقال. وحى بلعام بن بعور. وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلى. الذى يرى رؤيا القدير ساقطا وهو مكشوف العينين: **أراه ولكن ليس الآن. أُبصره ولكن ليس قريبا**[1]. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل ؛ فيحطم طرْفى موآب ويهلك كل بنى الوغى. ويكون أدوم ميراثا ويكون سعير أعداؤه ميراثا. ويصنع إسرائيل ببأس. ويتسلط الذى من يعقوب ويهلك الشارد من مدينة.

ثم رأى عماليق فنطق بمثله وقال: عماليق أول الشعوب. وأما آخرته فإلى الهلاك. ثم رأى القينى فنطق بمثله وقال: ليكن مسكنك متينا وعشك موضوعا فى صخرة. لكن يكون قاين للدمار. حتى متى يستأسرك أشور. ثم نطق بمثله وقال: آه

---

(١) نبوءة عن محمد ﷺ ويقول النصارى: إنها للمسيح .

من يعيش حين يفعل ذلك ؟ وتأتى سفن من ناحية كتِّيم وتخضع أشُّور وتخضع عابر فهو أيضا إلى الهلاك.

ثم قام بلعام وانطلق ورجع إلى مكانه. وبالاق أيضا ذهب فى طريقه » أ. هـ

• • •

انظر إلى قول بلعام بن بعور: « أراه وليس فى الحاضر. أبصره وليس من قريب. يخرج كوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم صدغى موآب، وجمجمة جميع بنى شيت. أدوم يكون له ميراثا، وسعير الأعداء ؛ملكا، وإسرائيل يعمل قوته. من يعقوب يخرج سيد ؛ فيهلك كل ناج من عار » [عدد ٢٤: ١٧ - ١٩]

يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: « يبدو أن هذه الكلمة توحى بالملكية الداودية، وبالمشيح » يعنون: أن نص بلعام هو نبوءة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم. وهو سيأتى من بنى إسرائيل من نسل داود. فى نظر اليهود. وأنه هو يسوع. فى نظر النصارى. والحق: أنه هو محمد ﷺ

والنص كله موضوع من كتّاب التوراة فى « بابل » ليظهروا: أن النبى الذى سيخلف موسى، سيكون من بنى إسرائيل، لا من بنى إسماعيل. والدليل على أنه موضوع: أن حمارة بلعام تكلمت. وهو ليس من الأنبياء حتى تكون له معجزة، وأن موسى منع قيام المماثل له من بنى إسرائيل.

وفى التوراة: أن الله تعالى لم يجعل لبنى إسرائيل قبلة، ولم يجعل لهم مسجدا مقدسا عن مسجد. لا المسجد الأقصى، ولا غيره.

ففى سفر إرمياء: « ولكن اذهبوا إلى مكانى، الذى فى شيلو، الذى أسكنتُ اسمى فيه أولا، وانظروا ما صنعتُ به، بسبب شر شعبى إسرائيل » [إر ٧: ١٢] وكان مسجد شيلو، مقرا لتابوت العهد. وقد دمره أهل فلسطين كما فى [١ صم ٤] وشيلو هى على بعد أربعين كيلو مترا إلى شمال أورشليم.

وفى سفر القضاة: أن بنى إسرائيل مارسوا عبادة الله فى عدة معابد « فبنى جدعون هناك مذبحا للرب، ودعاه « الرب سلام » [قض ٦: ٢٤] وكان سليمان - عليه السلام - قد ذهب إلى مدينة جبعون إلى المسجد الذى فيها، ليقرب القرابين لله «وذهب الملك إلى جبعون ؛ ليذبح هناك، لأنها هى المشرف الأعظم، وأصعد سليمان ألف محرقة على ذلك المذبح » [١ مل ٣ - ٤]

وموسى صاحب الشريعة لم يقدس مسجدا لبنى إسرائيل، لا فى أورشليم التى هى القدس، ولا فى نابلس ؛ لقوله: « فقال الرب لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: أنتم رأيتم أننى من السماء تكلمت معكم. لا تصنعوا معى آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب. مذبحا من تراب تصنع لى، وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك. غنمك وبقرك. فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا؛ آتى إليك، وأباركك. وإن صنعت لى مذبحا من حجارة، فلا تبنه منها منحوتة. إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها. ولا تصعد بدرج إلى مذبحى، كيلا تنكشف عورتك عليه » [خر ٢٠: ٢٢ - ٢٦]

انظر إلى قوله: « فى كل الأماكن » وفى ترجمة: « فى كل موضع » الذى لا يدل على تقديس مكان دون مكان. واعلم: أنه لا يحل لنبى من أنبياء بنى إسرائيل أن يخالف موسى.

ويقال كذبا: إنه كان من ضمن إصلاحات الملك يوشيًا لبنى إسرائيل ؛ إلزامهم بتعظيم مسجد واحد ؛ ليكون مثابة للناس وأمنا، يرجعون إلى علمائه، ويحجون إليه، وينحرون حوله القرابين. لأنه نزع حرمة مساجد المشارف، حيث كان الكهنة يحرقون البخور من جبع إلي بئر سبع. وقوض المذبح الذي في بيت إيل في المَشْرَف، الذي أقامه يارُبعام بن نباط، وأحرق أضرحة الأموات التي كانوا يلتمسون البركة عندها، ويتوسلون بها إلي الله « والتفت يوشيا فرأي القبور التي هناك في الجبل، فأرسل وأخذ العظام، من القبور فأحرقها علي المذبح، لينزع حرمته » وأزال يوشيا جميع بيوت المشارف التى فى مدن السامرة. ولكنه لم يطلب من اليهود الحج لأورشليم أو لنابلس، ولم يأمرهم بتعظيم أى مسجد[1]. إذ ليس من نص فى التوراة على ذلك. وكل ما فعله هو هدم معابد الأصنام، وإزالة أضرحة الموتى، وهدم القباب والقبور. ومنع التوسل إلى الله بغيره.

وكان يوشيا من قبل السبى بقليل. والذين حرفوا التوراة كتبوا: أن الله سيعين لهم مكانا فى أرض الأسباط، فى فلسطين. وهم يعلمون أنه لن يظهر فيهم كموسى ليسمعوا له. كتبوا: « بل المكان الذى يختاره الرب إلهكم من أسباطكم كلها ؛ ليجعل فيه اسمه،

---

(١) مما وضعه اليهود عن طريق أهل الحديث: «إن الله تعالى مَلَكا على بيت المقدس. ينادى كل ليلة: من أكل حراما؛ لم يُقبل مه صرف، ولا عدل» أى لاتقبل منه نافلة ولا فريضة. وفى رواية أخرى: «وأما الملك الموكل بالمسجد الأقصى. فينادي فى كل يوم: من كان طعمته حراما؛ كان عمله مضروبا به وجهه»

ويسكن فيه. إياه تلتمسون، وإلى هناك ؛ تُقبل. فتأتون إليه بمحرقاتكم ونذوركم، وتقادمكم الطوعية وأبكار بقركم وغنمكم » [تث ١٢: ٥ - ٦]

وعلى ما قدمنا يكون المسجد الأقصى مسجدا كسائر المساجد. التى يشملها قول الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله؛ أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها. أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ والمسجد المقدس والمعظم من قبل الإسلام ومن بعده؛ هو المسجد الحرام فى «مكة المكرمة» لا غير.

ولما ظهر اليهود على المسلمين فى هذا الزمان، أقدموا على حرق المسجد الأقصى الذى بناه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى سنة ١٩٦٩م وقد تصدى لهم المسلمون والنصارى، ومنعوهم من حرقه ومن هدمه. أما المسلمون فلأنه مسجد يذكر فيه اسم الله تعالى. وهدمه فساد. والله لا يحب الفساد، والله يحث على منع الفساد. وأما النصارى فلأن المسجد الأقصى إذا هدم وبنى اليهود مكانه هيكل سليمان. فإن الإنجيل يكون كاذبا. وإذا ظهر كذبه؛ تزول الديانة النصرانية من الوجود. وذلك لأن عيسى عليه السلام لما أروه أبنية الهيكل. قال: « لا يترك ههنا حجر على حجر، إلا وينقض » وقد ابتدىء فى نقضه من بعده على يد تيطوس، وإدريانوس. وبقى بلا بناء حتى فتح المسلمون القدس. فلو أن اليهود بنوه، لكان تنبؤ المسيح عيسى بهدمه باطلا. وإذا بطل تنبوءه، يكون الإنجيل كاذبا، وعندئذ تزول الديانة.

وغرضُ المسيح من نقضه: هو هدم الديانة الموسوية. على يد النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وقد هدمت. سواء بنى أو لم ين. ويدعى النصارى أنها هدمت بدين يسوع المسيح. لكن قول يسوع المسيح فى إنجيل متى وهو « ما جئت لأنقض الناموس » يبطل دعواهم.

يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق: إن عبارة: « مكان اختاره الله ليحل فيه اسمه » أو « ليحل فيه اسمه » أو « ليذكر فيه اسمه » من شأنها أن تدل على كل مكان تراءى الله فيه ؛ فأصبح بذلك صالحا (راجع إر٧: ١٢ فى أمر؛ شيلو) وهكذا فهم الشعب هذه العبارة زمنا طويـلا، فكان يمارس عبادة الرب فى عدة معابد (راجع قض ٦: ٢٤ و ٢٨ و ١٣: ١٦ و ١ مل ٣: ٤ الخ) وفى سفر تثنية الاشتراع. تدل العبارة على « أورشليم » وحدها، وستصبح وحدة المعبد إحدى الأمور الأساسية التى قام عليها إصلاح يوشيا (٢مل ٢٣)

الاقتباسات
فى
رسالة بولس إلى أهل أفسس

الاقتباس الأول :

فى سفر إشعياء نبوءة عن النبى الأمى الآتى. قرن فيها بين الأقارب والأباعد. ولقب الأباعد بالغرباء عن بنى إسرائيل. وقال: إنه فى زمان النبى الآتى سيدخل الغرباء الأباعد فى دينه، وأن الله تعالى سيأتى بهم إلى جبل قدسه «آتى بهم إلى جبل قدسى، وأُفرحهم فى بيت صلاتى، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى؛ لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب» [إش ٥٦ : ٧] وجبل قدسه: هو جبل عرفات، وبيته هو الكعبة البيت الحرام فى «مكة المكرمة» وأما عن الأقارب؛ فإنه يقول: «تأخذهم نفخة» ويقول عن النبى الآتى: «أما المتوكل علىّ فيملك الأرض، ويرث جبل قدسى» فقوله «يملك الأرض» هو دلالة على أنه هو وأتباعه سيحكمون أمما بشريعة إلهية. وقوله: «يرث جبل قدسه» دلالة على أن أرض «مكة» كلها ـ المعبر عنها بفاران[1]ـ ستكون ملكا أبديا له.

وفرق الله بين الأشرار وبين الأخيار فى ملك النبى الآتى ـ والأشرار هم بنو إسرائيل ـ فقال: «ليس سلام قال إلهى للأشرار» وقال: إن الغرباء الأباعد الذين يؤمنون به؛ سيكون لهم سلام مع شعبه «سلام سلام للبعيد وللقريب. قال الرب» وبولس قد أبعد هذه النبوءة عن محمد ﷺ بقوله: «إن جماعة اليهود وجماعة عباد الأصنام. هما جماعتان. والفاصل بينهما هو الشريعة. ولو لم تكن شريعة ما كانت تكون من فواصل بين البشر. وقد قتل المسيح وصلب ليكفر عن الخطايا، وليبين أن الفوائد من الشريعة، لم تعد مطلوبة. فقد حل السلام بين الجماعتين من حين القتل والصلب. وقوله باطل فإن النبى الآتى؛ آت ليكلم الله

---

(١) استوت سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودى فى مكة المكرمة. وهذا مستفاد من التوراة. مما جاء فيها: وهو أن الناس ارتحلوا شرقا إلى أرض العراق. ولو كان استواؤها على أراراط أو سرنديب، لجاء فيها: ارتحلوا غربا [تك ١١ : ١ـ٢] وقد يقال: إن جبل الجودى: هو من الجود والكرم، من الله، على الناس، وهم يدعونه على جبل عرفات، فيجود عليهم بالرحمة وتسمى أرض مكة؛ أرض الفوران أو الغليان؛ وذلك لأنها أرض شديدة الحرارة، من باطن الأرض، ومن ظاهرها. ولما رضى الله بإهلاك الكافرين، من قوم نوح ﴿فار التنور﴾ من باطن الأرض، بالمياه الشديدة السخونة، وعلا وارتفع جدا، وهو يغلى ويفور. فسميت بأرض فاران. من فوران المياه الشديدة السخونة واندفاعها بغزارة. أو ﴿فار التنور﴾. كناية عن شدة الغضب الإلهى.

العالم عن طريقه، وإن التوراة بينت: أن كل امرىء مرتهن بأعماله وأن النبى الآتى سيؤدب الأشرار فى معارك حربية طاحنة. فقد قال زكريا عليه السلام فى عهده: «ابتهجى جدا، يا ابنة صهيون اهتفى يابنت أورشليم. هو ذا ملكك يأتى إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار، وعلى جحش ابن أتان. وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم. وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض» [ز ك ٩: ٩ ـ ١٠]

قوله: «ويتكلم بالسلام للأمم» معناه: إقرار شريعة إلهية. من يعمل بها؛ فإنه يسلم من كل شر. وقوله: «وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض» معناه: أن هذا النبى الآتى ليس هو المسيح عيسى عليه السلام فإنه لم يملك على شبر من الأرض.

نص الإنجيل:

يقول بولس: «فاذكروا أنكم بالأمس، أنتم الوثنيون بالجسد، أنتم الذين كان أهل الختان يسمونهم أهل القلف؛ لأن جسدهم ختن بفعل الأيدى أذكروا أنكم كنتم حينئذ من دون المسيح، مفصولين من رعية إسرائيل، غُرباء عن عهود الموعد، ليس لكم رجاء ولا أمل فى هذا العالم، أما الآن، ففى المسيح يسوع، أنتم الذين كانوا بالأمس أباعد؛ قد جعُلتم أقارب بدم المسيح.

فإنه سلامنا. فقد جعل من الجماعتين جماعة واحدة، وهدم فى جسده الحاجز الذى يفصل بينهما. أى العداوة. وألغى شريعة الوصايا، وما فيها من أحكام؛ ليخلُق فى شخصه من هاتين الجماعتين، بعدما أحل السلام بينهما، إنسانا جديدا واحدا، ويصلح بينهما وبين الله، فجعلهما جسدا واحدا. بالصليب. وبه قضى على العداوة. جاء وبشركم بالسلام أنتم الذين كنتم أباعد. وبشر بالسلام الذين كانو أقارب؛ لأن لنا به جميعا سبيلا إلى الآب، فى روح واحد.

فلستم إذاً بعد اليوم غرباء، أو نزلاء، بل أنتم من أبناء وطن القديسين، ومن أهل بيت الله. بُنيتم على أساس الرسل والأنبياء، وحجر الزاوية هو: المسيح يسوع نفسه. فيه يحكم البناء كله، ويرتفع؛ ليكون هيكلا مقدسا فى الرب. وبه أنتم أيضا تُبنون معا؛ لتصيروا مسكنا لله، فى الروح» [أ ف ٢: ١١ ـ ٢٢]

والتعليقات عليه من ترجمة دار المشرق :

١ ـ إن الموعد الذى وعد به إبراهيم [تك ١٨: ١٨] والذى يستند إليه رجاء إسرائيل، أُثبت فى عهود متعاقبة. والنص هو: «وإبراهيم سيصير أمة كبيرة، ومقتدرة، وتبارك به أمم الأرض كلها»

٢ ـ كان الوثنيون بلا إله؛ لأنهم بالرغم من جميع آلهتهم لا يعرفون الإله الحى الحقيقى.

٣ ـ قيل: إن هذا الحاجز:

أ ـ هو الشريعة التى كانت بأحكامها الطقسية تحجز بين الأطهار والأنجاس.

ب ـ هو الحاجز السماوى، الذى كان يفصل تاما بين العالم الأرضى والعالم السماوى، بحسب بعض النظريات الباطنية.

٤ ـ كانت الشريعة وأحكامها الطقسية تعزل إسرائيل، فى انفرادية، لا تساهل فيها.

٥ ـ إش ٥٧: ١ يُطلق هذا النص على كرازة الرسل. وهى لا تنفصل عن كرازة يسوع نفسه [راجع الأيتين ١٣ و ١٤] هذا الاستشهاد الصريح بإشعياء، يحيُل فى الواقع إلى مجمل الأصحاحين ٥٦ و ٥٧ من إشعياء. وفيهما: إعلان لليوم الذى يأتى فيه الغرباء، وينضمون إلى إسرائيل، لخدمة الربّ فى الهيكل، حيث سيدخلون، كما يدخله اليهود.

٦ ـ إشعياء ٢٨: ١٦:

ويقولون: إن بولس استشهد بمجمل ما فى الأصحاح السادس والخمسين والسابع والخمسين ففيهما الإعلام عن اليوم الذى يأتى فيه الغرباء، وينضمون إلى بنى إسرائيل فى خدمة الرب فى الهيكل، حيث سيدخلون، كما يدخله اليهود. أ. هـ.

وكان يجب عليهم أن يقولوا: إن الغرباء عن بنى إسرائيل، هم بنو إسماعيل، ومن ينضم إلى بنى إسماعيل؛ لخدمة الرب فى الكعبة، حيث سيدخلون كما يدخلها بنو إسماعيل . وسوف نذكر نص الأصحاحين فيما بعد.

البيـــان:

أولا: قوله: إن يسوع المسيح قد ألغى شريعة الوصايا. أى التوراة. هو قول باطل. وذلك لأنه صرح بعدم نقضه للناموس فى قوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء» [مت ٥: ١٧] وهو بعدم نقضه؛ لم ينشىء ديانة جديدة مخالفة لديانة موسى. وفى

ديانة موسى نصوص على دعوة بنى إسرائيل للأمم. وهم تولوا وأعرضوا عن دعوة الأمم إلا قليلا منهم من أيام سبى بابل. وعيسى - عليه السلام - أرسله الله لبنى إسرائيل؛ ليلزمهم بالانطلاق إلى الأمم، ليعرفوهم بمحمد ﷺ ليؤمنوا به إذا جاء. فإنه قد كان مصدقا لما بين يديه من التوراة، ومبشرا برسول يأتى من بعده، اسمه أحمد [بِيركليت] وحث هو أتباعه بالسير بدعوته فى مدن بنى إسرائيل أولا، وبعدما يفرغون منها؛ ينطلقون إلى الأمم، مع من ينضم إليهم من سكان المدن. لا بديانة مستقلة عن ديانة موسى، بل بديانة موسى نفسها، مع التبشير بالنبى الأمى الآتى على مثال موسى.

ففى إنجيل متى: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرىّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون، اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ١٠: ٥ - ٧] فقد أوصاهم «بالحرى» إلى مدن بنى إسرائيل العبرانيين. ليكرزوا باقتراب «ملكوت السموات» الآتى بعد مملكة الروم. وهو ملكوت محمد ﷺ وفى هذا الإنجيل أصحاح ١٥ أن امرأة من أهل فلسطين، استغاثت بالمسيح لشفاء ابنتها من الجنون فلم يجبها بكلمة. ولما اشتد صراخها من ورائه قال لها: «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» ثم شفى ابنتها. وشفاؤها هو دليل على مساواة قومها مع بنى إسرائيل فى الدعوة، لكن قومه أولا.

ومثل ذلك: أنه وبخ علماء بنى إسرائيل على إهمالهم دعوة الأمم بقوله: «إنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس؛ فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون» [مت ٢٣: ١٣] وأيضا: أنه لما دخل «كفر ناحوم» تقدم إليه قائد مئة جندى، من الوثنيين، وطلب منه شفاء خادمه، فقال له المسيح: «إنى ذاهب لأشفيه» [متى ٨: ٧] وفى قراءة أخرى: «أأذهب أنا لأشفيه؟» وفى ترجمة البروتستانت: «أنا آتى وأشفيه» وأبرأ خادمه. فما هو الفرق بين الكنعانية والوثنى. وكلاهما ليس من جنس إسرائيل؟

وفى نهاية حياته، لما فرغ الحواريون من الدعوة فى مدن بنى إسرائيل التى هى فى أرض فلسطين. قال الله تعالى عن الحواريين وعن من يؤمن بكلامهم: «لست بعد اليوم فى العالم، وأما هم فلا يزالون فى العالم» - «كما أرسلتنى إلى العالم، فكذلك أنا أرسلتهم إلى العالم» - «لا أدعو لهم وحدهم، بل أدعو أيضا للذين يؤمنون بى عن كلامهم» [يو ١٧] «فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب. والابن، والروح القدس» [متى ٢٨: ١٩]

ثانيا: اقتبس بولس نبوءة من سفر إشعياء عن النبى الأمى الآتى إلى العالم، وطبقها على يسوع المسيح وهى ليست له. بل لمحمد ﷺ بشهادة داود، والمسيح بن مريم ـ عليهما السلام ـ

فقد قال إشعياء عن الأنبياء الكذابين: «الكاهن والنبى ضلا بالمسكر، وغرقا فى الخمر، تاها من المسكر، وضلا فى الرؤيا، وترنحا فى اتخاذ القرار» ثم قال: «إن الرب سيكلم هذا الشعب بشفاه تتلعثم، ولسان غريب» عوضا عن كلام موسى صاحب الشريعة. ثم قال: «لذلك قال السيد الرب: ها إنى واضع حجرا فى صهيون، حجرا ممتحنا، رأس زاوية كريما، أساسا محكما. من آمن به، لا يتزعزع، وأجعل من الحق حبلا للقياس، ومن البر مقياس التسوية. أما ملجأ الكذب، فيجرفه البرد، وتطفو المياه على مأواه» [إش ٢٨]

إن إشعياء يتحدث عن مجىء «لسان غريب» يكلم بنى إسرائيل بدل كلام موسى وهذا اللسان الغريب، سيكون «بشفة لكناء» أو «بشفاه تتعلقم» ومن المؤكد أنه لن يكون من بنى إسرائيل. فلماذا يقول بولس: إنه هو المسيح بن مريم[(١)]؟

والتوراة المحرفة. المعبر عنها بملجأ الكذب لم يجرفها السيل؛ كناية عن نسخها من محمد؛ بقوة. فإنه كان يقول: ما جئت لأنقض الناموس. وهو ليس حجر زاوية يحتاجون إليه. فبه أولا به، شريعة موسى معهم. وإنما حجر الزاوية هو الذى ذكره داود فى المزمور المئة والثامن عشر، وفسره المسيح عيسى نفسه بملك بنى إسماعيل ونبوتهم «قال لهم يسوع: أما قرأتم قط فى الكتب: «الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا» [مز ١١٨: ٢٢ ـ ٢٣] لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه» [متى ٢١: ٤٢ ـ ٤٤]

النص:

«هكذا[(٢)] قال الرب. احفظوا الحق وأجروا العدل. لأنه قريب مجىء خلاصى واستعلان برى. طوبى للإنسان الذى يعمل هذا، ولابن الإنسان الذى يتمسك به. الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر.

فلا يتكلم ابن الغريب الذى اقترن بالرب قائلا: إفرازا أفرزنى الرب من شعبه ولا يقل

---

(١) ذكر بولس هذا الموضع من إشعياء فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤: ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) إشعياء ٥٦.

الخصى: ها أنا شجرة يابسة. لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى: إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصيبًا واسما أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسما أبديا لا ينقطع. وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا. كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه، ويتمسكون بعهدى. آتى بهم إلى جبل قدسى وأُفرحهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى؛ لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب. يقول السّيد الرب جامع منفى إسرائيل أجمع، بعد إليه، إلى مجموعيه: يا جميع وحوش البرّ تعالى للأكل. يا جميع الوحوش التى فى الوعر. مراقبوه عمى كلهم. لا يعرفون. كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح. حالمون مضطجعون محبو النوم. والكلاب شرهة لا تعرف الشبع. وهم رعاة لا يعرفون الفهم. التفتوا جميعا إلى طرقهم .كل واحد إلى الربح عن أقصى. هلموا آخذ خمرا ولنشتف مسكرا، ويكون الغد كهذا اليوم عظيما بل أزيد جدا.

باد الصدِّيق وليس أحد يضع ذلك فى قلبه. ورجال الإحسان يُضمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق. يدخل السلام. يستريحون فى مضاجعهم. السالك بالاستقامة.

أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة نسل الفاسق والزانية. بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان. أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب؟ المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة. كل شجرة خضراء. القاتلون الأولاد فى الأودية تحت شقوق المعاقل. فى حجارة الوادى الملس نصيبك. تلك هى قرعتك. لتلك سكبت سكيبا وأصعدت تقدمة. أعن هذه أتعزى؟ على جبل عال ومرتفع وضعت مضجعك، وإلى هنا صعدت لتذبحى ذبيحة. وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك؛ لأنك لغيرى كشفت وصعدت. أوسعت مضجعك وقطعت لنفسك عهدا معهم. أحببت مضجعهم. نظرت حتى إلى الهاوية. بطول أسفارك أعييت ولم تقولى يئست. شهوتك وجدت لذلك لم تضعفى. وممن خشيت وخفت حتى خنت. وإياى لم تذكرى ولا وضعت فى قلبك. أما أنا ساكت. وذلك منذ القديم. فإياى لم تخاف. أنا أخبر ببرك وبأعمالك؛ فلا تفيدك.

إذ تصرخين فلينقذك جموعك. ولكن الريح تحملهم كلهم، تأخذهم نفخة. أما المتوكل علىّ فيملك الأرض ويرث جبل قدسى. ويقول: أعدوا. أعدوا هيئوا الطريق. ارفعوا المعثرة من طريق شعبى. إنه هكذا قال العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه: فى

الموضع المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح؛ لأحيى روح المتواضعين ولأحيى قلب المنسحقين. لأنى لا أخاصم إلى الأبد ولا أغضب إلى الدهر. لأن الروح يغشى عليها أمامى والنسمات التى صنعتها. من أجل إثم مكسبه غضبت وضربته. استترت وغضبت فذهب عاصيا فى طريق قلبه. رأيت طرقه وسأشفيه وأقوده وأرد تعزيات له ولنائحيه خالقا ثمر الشفتين. سلام سلام للبعيد وللقريب. قال الرب، وسأشفيه. أما الأشرار فكالبحر المضطرب؛ لأنه لا يستطيع أن يهدأ وتقذف مياهه حمأة وطينا. ليس سلام. قال إلهى. للأشرار» [إش ٥٦ : ٥٧]

الاقتباس الثانى:

يقول بولس: «فأناشدكم إذاً ـ أنا السجين فى الرب ـ أن تسيروا سيرة، تليق بالدعوة، التى دعيتم إليها. سيرة ملؤها التواضع والوداعة والصبر. محتملين بعضكم بعضا فى المحبة، ومجتهدين فى المحافظة على وحدة الروح برباط السلام. فهناك جسد واحد، وروح واحد، كما أنكم بالدعوة، التى دعيتم إليها. سيرة ملؤها التواضع والوداعة والصبر. محتملين بعضكم بعضا فى المحبة، ومجتهدين فى المحافظة على وحدة الروح برباط السلام. فهناك جسد واحد، وروح واحد، كما أنكم دعيتم دعوة رجاؤها واحد. وهناك رب واحد، وإيمان واحد، ومعمودية واحدة. وإله واحد. أب لجميع الخلق، وفوقهم جميعا. يعمل بهم جميعا، وهو فيهم جميعا.

كل واحد منها أعطى نصيبه من النعمة على مقدار هبة المسيح. فقد ورد فى الكتاب: «صعد إلى العلى(١)، فأخذ أسرى، وأعطى الناس العطايا» [أف ٤ : ١ ـ ٨]

وفى ترجمة أخرى: «لذلك يقول: «إذ صعد إلى العلاء، سبى سبيا، وأعطى الناس عطايا» والمراد بالكتاب: سفر المزامير. والنص المقتبس هو من المزمور الثامن والستين. وهو مزمور عن محمد نبى الإسلام ﷺ أخذه بولس وطبقه على عيسى ـ عليه السلام ـ وفسر «صعد» بصعود المسيح إلى السماء، ثم نزوله إلى أسافل الموت، ثم ارتفاعه بالجسد إلى السماء بعد الصلب، ليرسل الرسل والمبشرين والمعلمين إلى جميع البلاد.

يقول بولس: «وما المراد بقوله «صعد» سوى أنه أيضا ـ وفى قراءة: «نزل أولا» ـ إلى أسافل الأرض ـ وفى قراءة: «إلى أقسام الأرض السفلى» ـ فذاك الذى نزل، هو نفسه الذى

---

(١) المعلقون على ترجمة دار المشرق يعلقون على «إلى العُلى» بقولهم «إلى صهيون» أى أنهم خالفوا تفسير بولس.

صعد. إلى ما فوق السموات كلها؛ ليملأ كل شيء. وهو الذى أعطى بعضهم أن يكونوا رسلا، وبعضهم أنبياء، وبعضهم مبشرين، وبعضهم رعاة ومعلمين، ليجعل القديسين أهلا للقيام بالخدمة؛ لبناء جسد المسيح»

وفى هذا المزمور:

١ ـ «ليقم الله؛ فيتشتت أعداؤه، ويهرب من وجهه مبغضوه» أى فى حال ظهور النبى الآتى، سينصره الله على أعدائه.

٢ ـ «لكن الأبرار يفرحون، وأمام الله يبتهجون» أى الداخلين فى دينه سيفرحون به، وأمام بيت الله يصلون ويدعون وهم فرحون.

٣ ـ «مهدوا للراكب على الغمام» الراكب هو النبى الآتى، والمراد بالغمام: أنه سيأتى عاليا ومتعظما ومنصورا بالملائكة.

٤ ـ «أبو اليتامى ومنصف الأرامل هو الله» كناية عن أن شريعة النبى الآتى لجميع الناس بلا تمييز بين قوى وضعيف. وهو سيعطيهم رزقا وفيرا. أما المتكبرون فإنه سيحرمهم من الرزق، لقوله: «أما المتمردون ففى الأرض القاحلة يقيمون»

٥ ـ «اللهم حين خرجت قدام شعبك» يعنى نصرة الله لشعب النبى الآتى على أعدائه.

٦ ـ «بمطر هبات أنزلت يا ألله» معناه: أن الله ينزل المطر على جند نبيه ليطهرهم به. وقد حدث هذا مع النبى محمد ﷺ وأصحابه فى غزوة من الغزوات التى نصرهم فيها على أعدائه، لقوله: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه، وينزل عليكم من السماء ماء؛ ليطهركم به، ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم، ويثبت به الأقدام﴾

٧ ـ «وميراثك المرهق شددت» أرض مكة من إرث إبراهيم عليه السلام من حين ما رفع هو وإسماعيل قواعد الكعبة البيت الحرام. وكانت فى ذلك الحين، غير عامرة بأهل العلم.

٨ ـ «أقامت فيه رعيتك» أبناء إسماعيل المبارك فيه.

٩ ـ «أعددته للبائس» أى أن مكة حرم آمن، ويجبى إليه ثمرات كل شيء. والبدن تذبح للكعبة، والهدى المقلّد، والهدى غير المقلد. لإطعام البائس الفقير. فقد قال تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق؛ ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله، فى أيام معلومات، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا

منها وأطعموا البائس الفقير﴾

١٠ ـ «ملوك الجيوش يهربون» كناية عن الحروب والانتصار على الأعداء.

١١ ـ «وربة البيت تقسم الغنيمة» كناية عن سهولة الحصول على الغنائم.

١٢ ـ «أجنحة الحمامة بالفضة تكتسى» كناية عن التزين بما يربحه المحارب من الغنائم الثمينة.

١٣ ـ «جبل باشان، وجبل الله» «الله» مترجم بـ «إيلوهيم» فى العبرى. وهو يقصد الجبل الشامخ. وقوله «الجبل الذى ابتغاه الله لسكناه» أى لدوام حلول رحمته فيه، وجعله قياما للناس. هو جبل الكعبة. وهو مقدس من زمان نوح عليه السلام. وليس هو جبل صهيون أو جِرزِّيم. لأن التوراة لم تنص على تقديس أى منهما. إذ هى كانت من قبل عصر طالوت وداود بمئات من السنين. وموسى لم يحدد لبنى إسرائيل قبلة، وداود لما وضع أساس الهيكل فى صهيون، كان غرضه منه، وضع تابوت العهد فيه. وليس هو صاحب الشريعة، حتى أنه إذا قال: اتجهوا فى الصلاة إليه؛ يُسمع قوله. وهو لم يقل. ولذلك لم يتجه إليه الأسباط العشرة. وفيهم كانت الشريعة أيضا مع اللاويين والهارونيين.

١٤ ـ «مركبات الله، ربوات. ألوف مكررة. الرب فيها. سينا فى القدس» ـ «مركبات الله ربوات. وألوف مؤلفة. السيد فيها. وسيناء فى المقدس» المراد: جيوش الله مع النبى الآتى كثيرة . هى ربوات أى جماعات عظيمة من الناس، وقوله «مكررة» يدل على دوام الجهاد فى شريعته. وشريعته تحل محله من بعده، على طول الزمان. وإما الله نفسه فحلوله يكون بنصرته وتوفيقه وعونه وسنده. وأشار بكلمة «سيناء» إلى أن النبى الآتى سيدخل سيناء ، أى سيأخذ ميراث موسى الذى نزلت عليه التوراة فى «سيناء»

١٥ ـ «صعدت إلى العُلى، وأسرت أسرى، وأخذت البشر، حتى المتمردين، هدايا» أى صعد النبى الأمى الآتى بجيش كبير من مكة المكرمة إلى أعلى الأرض. وهى فلسطين. مكان تجمع بنى إسرائيل وحاربهم هم والذين نصروهم من أهل الكفر. وهزمهم. وأخذ أسرى من بنى إسرائيل، المتمردين على الله، وأسرى من البشر الذين نصروهم.

وإذا قلنا: صعد النبى وأسر، فالمراد: أصحابه؛ لأن الخطاب للأصحاب والأتباع. والحديث عنهم يكون فى شخص سيدهم. وهذا المغنى مستفاد من التوراة والإنجيل: ففى التوراة: «اسمع يا إسرائيل» ـ «وأتى إسرائيل» والمراد: بنو إسرائيل.

١٦ ـ «مواكب إلهى، وملكى فى المقدس» وفى ترجمة: «فى القدس» الملك: هو النبى الآتى. لقول داود عليه السلام: «أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون» والمراد به: محمد ﷺ لأن بركة إسحق بدأت من موسى، وتنتهى بمحمد الآتى من إسماعيل للبركة. وقد بين موسى: أن الآتى سيكون مثله. وقال: ولن يقوم مثلى فى بنى إسرائيل.

١٧ ـ «فى الجماعات. باركوا الله الرب. أيها الخارجون من عين إسرائيل. هناك بنيامين الصغير. متسلطهم. رؤساء يهوذا جلهم. رؤساء زبولون. رؤساء نفتالى. قد أمر إلهك بعزك. أيد يا الله، هذا الذى فعلته لنا» وفى ترجمة: «باركوا الله فى الجماعات. الرب من ينابيع إسرائيل. فى الطليعة بنيامين الصغير: يقود رؤساء يهوذا، فى ثياب موشاة، ورؤساء زبولون، ورؤساء نفتالى. أللهم مر بحسب عزتك. العزة التى من أجلنا؛ أعملتها»

والمعنى: ليفرح بنو إسرائيل بملكهم الآتى من بنى إسماعيل. فإنه عزّ لهم ليخرجوا لاستقباله بثياب موشاة. أى بزينة مقدسة، كناية عن الإيمان به. وذكر بنيامين ويهوذا؛ لأن طالوت من بنيامين، وداود من يهوذا. وهما اللذان فتحا الأرض المقدسة لعبادة الله فيها على شريعة موسى، فكأنه يقول: آباؤكم كانوا مثلى. فاقبلونى. ولا تعاندونى؛ فتكونون بالمعاندة، شبيهين بأهل فلسطين حال فتحها على شريعة موسى. وأشار بزبولون ونفتالى إلى اليهود السامريين. كما أشار ببنيامين ويهوذا إلى اليهود العبرانيين. ليبين أن اليهود كلهم مكلفون بالإيمان به، والسير معه أمام الله ـ تعالى ـ

١٨ ـ «يحمل الملوك إليك الهدايا» ـ «لك تقدم ملوك هدايا» قد كرر داود هذا المعنى عن النبى الآتى. ففى المزمور الخامس والأربعين: «وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية» وفى الثانى والسبعين: «ملوك شبا، وسبا؛ يقدمون هدية»

١٩ـ «يا ممالك الأرض لله أنشدى» دليل على أن دين النبى الآتى؛ هو دين لجميع الأمم.

٢٠ ـ إنه يرفع الصوت، صوت العزة: «إرفعى العزة لله» وفى ترجمة: «أعطوا عزا لله» وفى القرآن الكريم: ﴿فإن العزة لله جميعا﴾ ـ ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾

وهذا هو نص المزمور٦٨ من ترجمة دار المشرق:

«ليقم الله؛ فيتشتت أعداؤه، ويهرب من وجهه مبغضوه. كما يتبدد الدخان؛ تبددهم، وكما يذوب الشمع أمام النار. أمام الله يهلك الأشرار. لكن الأبرار يفرحون، وأمام الله

يبتهجون، ومن الفرح يطوبون، أنشدوا لله، واعزفوا لاسمه. مهدوا للراكب على الغمام. الرب اسمه؛ فابتهجوا أمامه. أبو اليتامى، ومنصف الأرامل. هو الله فى مقر قدسه. الله يُسكن الوحيد بيتا، ويُخرج الأسير إلى الرخاء. أما المتمردون ففى الأرض القاحلة يقيمون. اللهم حين خرجت قدام شعبك، عندما دست القفار. سلاه. رجفت الأرض ومطرت السماء من وجه الله. إله سيناء. إله إسرائيل. مطر هبات أنزلت يا ألله. وميراثك المرهق شددت. أقامت فيه يا ألله، رعيتك. وقد أعددته للبائس بجودك. السيد يصدر أمرا. يبشر بجيش جرار. ملوك الجيوش يهربون يهربون. وربة البيت تقسم الغنيمة، بينما أنتم فى الحظائر مضجعون. أجنحة الحمامة بالفضة تكتسى، وريشها بالذهب النضير. عندما كان القدير يبدد الملوك، كانت السماء تثلج على جبل صَلْمون[1]. جبل باشان جبل الله. جبل باشان جبل القمم. أيتها الجبال الشامخات لماذا تحسدين الجبل الذى ابتغاه الله لسكناه؟ فالرب يسكنه على الدوام.

مركبات الله. ربوات وألوف مؤلفة. السيد فيها، وسيناء فى المقدس.

صعدت إلى العلا، وأسرت أسرى، وأخذت البشر، حتى المتمردين؛ هدايا؛ ليكون للرب الإله سكنا، تبارك السيد يوما فيوما؛ فإن إله خلاصنا يتولانا. لنا الله إله خلاص. وللرب السيد مخارج الموت. يهشم الله رءوس أعدائه، والهامة الشعراء للسائر على آثامه.

قال السيد: من باشان أردُّ. من أعماق البحار أرد؛ لكى تدوس رجلك الدماء، ويكون لألسنة كلابك نصيب من الأعداء. رأوا مراكبك يا ألله. مواكب إلهى، وملكى فى المقدس. المغنون فى الأمام، والعارفون فى الوراء، وفى الوسط العذارى ينقرن الدفوف. باركوا الله فى الجماعات، الربَّ من ينابيع إسرائيل. فى الطليعة بنيامين الصغير، يقود رؤساء يهوذا، فى ثياب موشاة، ورؤساء زبولون، ورؤساء نفتالى.

اللهم مر بحسب عزتك. العزة التى من أجلنا أعملتها. من أجل هيكلك فوق أورشليم، يحمل الملوك إليك الهدايا. أزجر وحش القصب، وعصابة الثيران، وشعوب العجول. يخضعون لك بقطع فضة. شتت الشعوب التى تهوى الحروب. من مصر يأتى العظماء، وكوش تبسط يديها إلى الله. يا ممالك الأرض لله أنشدى. للسيد اعزفى. سلاه. للراكب على السموات، على قديم السموات. إنه يرفع الصوت، صوت العزة: ارفع العزة لله.

---

(١) يقول المعلقون: هذه الفقرة غامضة جدا. ثم إنهم وضعوا رمز [تك ١٧ : ١ +] أمام: «عندما كان القدير . . إلخ» ولعل الرمز يعنى: إعطاء العهود لإبراهيم بالسير أمامه لإبادة ملوك الكفر.

فعلى إسرائيل جلاله. وفى الغيوم عزته. الله رهيب من مقدسه. إله إسرائيل، هو الذى يعطى، يعطى الشعب العزة والقوة. تبارك الله» [مزمور ٦٨].

الاقتباس الثالث:

يقول بولس: «فأقول لكم، وأستحلفكم بالرب: أن لا تسيروا بعد اليوم سيرة الوثنيين؛ فإنهم يتبعون أفكارهم الباطلة. وقد أظلمت بصائرهم، وجعلهم جهلهم غرباء عن حياة الله؛ لقساوة قلوبهم. فلما فقدوا كل حسّ؛ استسلموا إلى الفجور، فانغمسوا فى كل فاحشة مستهترين. أما أنتم فما هكذا تعلمتم المسيح. إذا كنتم أخبرتم به، وفيه تلقيتم تعليما موافقا للحقيقة التى فى يسوع، أى أن تقلعوا عن سيرتكم الأولى، فتخلعوا الإنسان القديم، الذى تفسده الشهوات الخادعة، وأن تتجددوا بتجدد أذهانكم الروحى، فتلبسوا الإنسان الجديد الذى خلق على صورة الله. فى البر، وقداسة الحق. ولذلك كفوا عن الكذب «وليصدق كل منكم قريبه» [زك ٨: ١٦] فإننا أعضاء بعضنا لبعض «اغضبوا ولكن لا تخطأوا» [مز ٤: ٤] لا تغربن الشمس على غيظكم» [افسس ٤: ١٧ ـ ٢٦]

البيـــان:

إنه يقارن بين عهدين، عهد الوثنيين. وعهد النصارى. ويستدل بدليلين من التوراة على غرضه. وهما يدلان على عهدين: عهد بنى إسرائيل، وعهد بنى إسماعيل. فلماذا عقد المقارنة بين الوثنيين وبين النصارى أتباعه؟

أولا: ففى سفر زكريا فى الأصحاح السابع والثامن:

أ ـ أن الله قال لبنى إسرائيل: «اقضوا قضاء الحق، واعملوا إحسانا، ورحمة. كل إنسان مع أخيه. ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير، ولا يفكر أحد منكم شرا على أخيه فى قلوبكم»

ب ـ وصرح بأنهم «أبوا أن يصغوا، وأعطوا كتفا معاندة، وثقلوا آذانهم عن السمع، بل جعلوا قلبهم ماسا؛ لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود، بروحه، عن يد الأنبياء الأولين»

ج ـ والنتيجة: «فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود. فكان كما نادى هو، فلم يسمعوا، كذلك ينادون هم، فلا أسمع. قال رب الجنود. وأعصفهم إلى كل الأمم الذين لم يعرفوهم»

د ـ ثم بعد ذلك تأتى أيام، تدعى فيه «أورشليم» مدينة الحق. وجبل رب الجنود يدعى الجبل المقدس. وذلك فى أيام النبى المنتظر. الذى سيخلص بنى إسرائيل المتقين لله من ذل الأجانب. ذلك قوله: «فتدعى أورشليم؛ مدينة الحق، وجبل رب الجنود، الجبل المقدس» وقوله: «وآتى بهم؛ فيسكنون فى وسط أورشليم، ويكونون لى شعبا، وأنا أكون لهم إلها، بالحق والبر»

ومعنى هذا: أن الأشرار من بنى إسرائيل الذين لا يقضون قضاء الحق... إلخ. لن يكون لهم نصيب مع الشعب الجديد. والذين يريدون أن يكون لهم نصيب مع شعب النبى الآتى ماذا يفعلون؟ يقول زكريا: «هذه هى الأمور التى تفعلونها. ليكلم كل إنسان قريبه بالحق. اقضوا بالحق. وقضاء السلام فى أبوابكم، ولا جميعها أكرهها. يقول الرب» [زك ٨: ١٦ : ١٧].

والسؤال الآن: هل يحب بنو إسرائيل ترك هذه الأمور؛ ليدخلوا فى ملكوت السموات مع بنى إسرائيل والأمم؟ إن بنى إسماعيل أقرباء لهم؛ فهل سيكلمونهم بالحق، ويعترفون بالنبى الآتى منهم؟ إن الله قضى بأن يكون لإسماعيل بركة كما لإسحق بركة. وهذا عدل وحق. فهل سيحكمون بها لهم؟ وإن بنى إسماعيل أقرباء لهم. فهل إذا ظهر ملكهم. لن يفكروا فى قلوبهم فى أذيتهم ؟ وإنهم يعلمون أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى سيكون منهم ؛ فهل إذا أتى سيشهدون أنه هو ؟

وبولس نفسه يشهد الزور بعقده المقارنة بين الوثنيين والنصارى أتباعه. والمقارنة الحقة: هى بين أمة قد خلت. وأمة ستخلفها فى قيادة الأمم مع الله.

ثانيا: وفى سفر الزبور. المزمور الرابع:

يقول النبى بظهر الغيب: « عند دعائى، استجب لى يا إله برى » ويبين أن الله ميزه وفضله على أقرانه من النبيين والمرسلين، ونصره نصرا مؤزرا « فاعلموا: أن الرب قد ميز تقيه، الرب يسمع عندما أدعوه » ثم قال الله لبنى إسرائيل: «ارتعدوا، ولا تخطئوا، تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا. سلاه. اذبحوا ذبائح البر، وتوكلوا على الرب » وذلك لكى أقبلكم فى الملكوت الآتى مع بنى إسماعيل المبارك فيه.

وهذا هو النص:

« عند دعائى استجب لى يا إله بِرِّى. فى الضيق رحبت لى. تراءف علىّ

واسمع صلاتى. يا بنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا ؟ حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب؟ سلاه. فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه. الرب يسمع عندما أدعوه. ارتعدوا ولا تخطئوا. تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا. سلاه. اذبحوا ذبائح البر وتوكلوا على الرب.

كثيرون يقولون: من يرينا خيرا ؟ ارفع علينا نور وجهك يا رب. جعلت سرورا فى قلبى أعظم من سرورهم. إذ كثرت حنطتهم وخمرهم. بسلامة أضطجع، بل أيضا أنام. لأنك أنت يا رب منفردا فى طمأنينة تسكّننى » [مزمور ٤]

الاقتباس الرابع:

فى الأصحاح الثالث والستين وما بعده من سفر إشعياء:

١ ـ يقول عن النبى المنتظر: إنه سيمر من « أدوم » إلى « فلسطين » ومعه جيوش جرارة، ليخلص الشعب المختار، بنو إسماعيل ومن يدخل معهم فى ملكوتهم. اليهودَ من تسلط أمم الكفر عليهم، من ملوك فارس والروم وغيرهم ممن لا يدينون بدين الله.

٢ ـ ويقول عن بنى إسرائيل. وهم الشعب المختار من قبل: « ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه » ولم يركعوا مع الراكعين.

٣ ـ ثم يبين أن بنى إسرائيل تذللوا لله، وطلبوا منه الرحمة والرأفة. ودعوه أن يخلصهم من تسلط أمم الكفر عليهم وقالوا لله: « تطلع من السموات، وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك ؟ زفير أحشائك، ومراحمك نحوى امتنعت. فإنك أنت أبونا » ـ « مضايقونا داسو مقدسك »

٤ ـ ورد الله على بنى إسرائيل بقوله: إنكم شعب معاند، صلب الرقبة. ولذلك سآتى بأمة غيركم لتسير أمامى، وأنتم يا بنى إسرائيل. من يرجع منكم إلىّ، ويدخل فى ملكوتى مع الأمة الآتية ؛ فإنى سأرحمه. ذلك قوله: « أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا. وجدت من الذين لم يطلبونى. قلت: هاأنذا ها أنذا لأمة لم تسمى باسمى »

٥ ـ وبين أن الله سيهلك الأشرار من بنى إسرائيل فى أيام ظهور النبى الآتى بقوله: « أما أنتم الذين تركوا الرب، ونسوا جبل قدسى، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة،

وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة ؛ فإني أعينكم للسيف، وتجثون كلكم للذبح ؛ لأني دعوت فلم تجيبوا »

٦ ـ وقارن الله بين أمة مختارة. هي أمة بني إسماعيل المبارك فيها، وبين أمة مرفوضة. هي أمة بني إسرائيل التي انتهت بهم بركة إسحق. فقال: « وتخلفون اسمكم لعنة لمختاري »

٧ ـ وبين أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. وكما ورث نسل إسحق، يرث نسل إسماعيل. وقال: إن بقية من بني إسرائيل صالحة، ستنضم إلى نسل إسماعيل في إرث الأرض. وأن نسل إسماعيل سيرث أرض بني إسرائيل. ذلك قوله: « هكذا قال الرب. كما أن السلاف يوجد في العنقود. فيقول قائل: لا تهلكه ؛ لأن فيه بركة. هكذا أعمل لأجل عبيدي، حتى لا أهلك الكل. بل أخرج من يعقوب نسلا، ومن يهوذا وارثا، لجبالي ؛ فيرثها مختاري، وتسكن عبيدي هناك. فيكون شارون، مرعى غنم، ووادي عخور، مربض بقر ؛ لشعبي الذين طلبوني »

٨ ـ ثم تكلم عن السلام في عهد النبي الآتي فقال: « الذئب والحمل يرعيان معا، والأسد يأكل التبن، كالبقر » كناية عن السلام بزوال طبائع الأشياء.

فما هو قول بولس في ضد كلام إشعياء ؟

يقول بولس: « ولا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به ختمتم ؛ ليوم الفداء » يشير إلى « تمردوا، وأغضبوا روحه القدوس » [إش ٦٣: ١٠] يريد أن يقول: إن روح الإنسان منا، الموهوب من الله ؛ يتأثر بتصرف الإنسان، خيرا أو شرا. وأن يوم الفداء هو يوم قتل المسيح وصلبه ؛ ليفدي العالم من الخطايا.

ومن يقرأ النص كله عند إشعياء، يتبين له الحق. وهذا هو النص:

« من [1] ذا الآتي من أدوم بثياب حمر؟ من بصرة. هذا البهي بملابسه. المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة ؟ قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد. فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي. فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي. لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديي قد أتت. فنظرت ولم يكن معين، وتحيرت إذ لم يكن

---

(١) اصحاح ٦٣ ـ

عاضد. فخلصت لى ذراعى وغيظى عضدنى. فدست شعوبا بغضبى وأسكرتهم بغيظى وأجريت على الأرض عصيرهم.

إحسانات الرب. أذكر تسابيح الرب حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل الذى كافأهم به حسب مراحمه وحسب كثرة إحساناته. وقد قال حقا: إنهم شعبى بنون لا يخونون. فصار لهم مخلّصا. فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم. بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم. وهو فكهم ورفعهم، وحملهم كل الأيام القديمة.

ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدوا وهوحاربهم. ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه. أين الذى أصعدهم من البحر مع راعى غنمه. أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه. الذى سير ليمين موسى ذراع مجده الذى شق المياه قدامهم ليصنع لنفسه اسما أبديا. الذى سيرهم فى اللجج. كفرس فى البرية فلم يعثروا. كبهائم تنزل إلى وطاء. روح الرب أراحهم. هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك اسم مجد.

تطلع من السموات، وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك؟ زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت. فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك.

لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسيت قلوبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك. إلى قليل امتلك شعب قدسك. مضايقونا داسوا مقدسك. قد كنا منذ زمان كالذين لم تحكم عليهم ولم يدع عليهم باسمك.

ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال. كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلى. لتعرف أعداءك اسمك. لترتعد الأمم من حضرتك. حين صنعت مخاوف لم ننتظرها. نزلت تزلزلت الجبال من حضرتك. ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم تر عين إلها غيرك يصنع لمن ينتظره. تلاقى الفرح الصانع البر. الذين يذكرونك فى طرقك. ها أنت سخطت إذ أخطأنا. هى إلى الأبد فنخلص. وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدّة ؛ كل أعمال برّنا. وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا. وليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسك بك ؛ لأنك حجبت وجهك عنا وأذبتنا بسبب آثامنا. والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا

وكلنا عمل يديك.

لا تسخط كل السخط يا رب. ولا تذكر الإثم إلى الأبد. ها انظر. شعبك كلنا. مدن قدسك صارت برية. صهيون صارت برية وأورشليم موحشة. بيت قدسنا وجمالنا حيث سبحك آباؤنا قد صار حريق نار. وكل مشتهياتنا صارت خرابا. ألأجل هذه تتجلد يا رب ؟ أتسكت وتذلنا كل الذل ؟

أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبونى. قلت: هأنذا لأمة لم تسم باسمى. بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يغيظنى بوجهى دائما يذبح فى الجنات ويبخّر على الآجر. يجلس فى القبور ويبيت فى المدافن يأكل لحم الخنزير وفى آنيته مرق لحوم نجسة. يقول: قف عندك. لا تدن منى لأنى أقدس منك. هؤلاء دخان فى أنفى ؛ نار متقدة كل النهار. ها قد كتب أمامى: لا أسكت بل أجازى. أجازى فى حضنهم. آثامكم وآثام آبائكم معا قال الرب. الذين بخروا على الجبال وعيرونى على الآكام. فأكيل عملهم الأول فى حضنهم.

هكذا قال الرب: كما أن السلاف يوجد فى العنقود فيقول قائل: لا تهلكه لأن فيه بركة. هكذا أعمل لأجل عبيدى حتى لا أهلك الكل. بل أخرج من يعقوب نسلا ومن يهوذا وارثا لجبالى. فيرثها مختارى وتسكن عبيدى هناك. فيكون شارون مرعى غنم ووادى عخور مربض بقر لشعبى الذين طلبونى.

أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى ورتبوا للسعد الأكبر مائدة وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة. فإنى أعينكم للسيف وتجثون كلكم للذبح ؛ لأنى دعوت فلم تجيبوا. تكلمت فلم تسمعوا. بل عملتم الشر فى عينى واخترتم ما لم أسر به. لذلك هكذا قال السيد الرب: هو ذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون. هو ذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون .هو ذا عبيدى يفرحون وأنتم تخزون. هو ذا عبيدى يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب. ومن انكسار الروح ؛ تولولون. وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى. فيميتك السيد الرب ويسمى عبيده اسما آخر. فالذى يتبرك فى الأرض يتبرك بإله الحق، والذى يحلف فى الأرض يحلف بإله الحق لأن الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عينى.

لأنى هأنذا خالق سموات جديدة وأرضا جديدة. فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فى ما أنا خالق ؛ لأنى هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحا. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبى ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه. لأن الصبى يموت ابن مئة سنة، والخاطىء يُلعن ابن مئة سنة. ويبنون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون أثمارها. لا يبنون وآخر يسكن، ولا يغرسون وآخر يأكل لأنه كأيام شجرة أيام شعبى. ويستعمل مختارى عمل أيديهم. لا يتعبون باطلا ولا يلدون للرعب ؛ لأنهم نسل مباركى الرب وذريتهم معهم. ويكون أنى قبلما يدعون ؛ أنا أجيب. وفيما هم يتكلمون بعد ؛ أنا أسمع. الذئب والحمل يرعيان معا. والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسى. قال الرب » [إش ٦٣ -]

الاقتباس الخامس:

يقول بولس: « اقتدوا إذاً بالله. شأن أبناء أحباء، وسيروا فى المحبة سيرة المسيح، الذى أحبنا، وجاد بنفسه لأجلنا « قربانا وذبيحة لله، طيبة الرائحة » [أفسس ٥ : ١ ـ ٢]

البيـــان:

يقول: اقتدوا وتأسوا بالله. وناقض نفسه فقال: « واقتديتم بنا، وبالرب » [١ تس ١ : ٦ و ١ كو ١١ : ١] يقصد أنهم امتثلوا به، وبالمسيح.

ويقول: إن المسيح كان قربانا لله. مع أن المزمور الأربعين الذى هو نبوءة عن النبى الآتى، ويزعم بولس: أنه هو يسوع المسيح، يمنع الذبائح والتقدمات والمحرقات. ففى الآية السادسة: « بذبيحة وتقدمة لم تسرّ. أذنى فتحت. محرقة وذبيحة خطية. لم تطلب »

وهذا هو نص المزمور الذى أراد أن يستدل به على الصليب، فكان حجة عليه، ولم يكن حجة له.

« انتظارا انتظرت الرب فمال إلىّ وسمع صراخى. وأصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة وأقام على صخرة رجلى. ثبت خطواتى. وجعل فى فمى ترنيمة

جديدة تسبيحة لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب.

طوبى للرجل الذى جعل الرب متكله، ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب. كثيرا ما جعلت أنت أيها الرب إلهى عجائبك وأفكارك من جهتنا. لا تقوّم لديك. لأخبرن وأتكلمن بها. زادت عن أن تعد. بذبيحة وتقدمة لم تسر أذنىَّ فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت: هاأنذا جئت. بدرج الكتاب مكتوب عنى أن أفعل مشيئتك. يا إلهى سررتُ. وشريعتك فى وسط أحشائى. بشرت ببر فى جماعة عظيمة. هوذا شفتاى لم أمنعهما. أنت يا رب علمت. لم أكتم عدلك فى وسط قلبى. تكلمت بأمانتك وخلاصك. لم أخف رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة.

أما أنت يارب فلا تمنع رأفتك عنى. تنصرنى رحمتك وحقك دائما. لأن شرورا لا تحصى قد اكتنفتنى. حاقت بى آثامى ولا أستطيع أن أبصر. كثرت أكثر من شعر رأسى. وقلبى قد تركنى. ارتض يا رب بأن تنجينى. يا رب إلى معونتى أسرع. ليخز وليخجل معا الذين يطلبون نفسى لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسروورون بأذيتى. ليستوحش من أجل خزيهم القائلون لى: هه هه. ليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل أبدا محبو خلاصك: يتعظم الرب. أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بى. عونى ومنقذى أنت. يا إلهى لا تبطىء » [مزمور ٤٠]

فى هذا المزمور يقول النبى بظهر الغيب: إنه دعا الله أن ينصره على أعدائه، وسمع صراخه، وثبت خطواته، وجعل فى فمه - لأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب - ترنيمة جديدة. أى شريعة. وهو لم يخالفها، ودعا بها إلى البر فى جميع البلاد. وأكد على أنه أمى بقوله: « شفتاى لم أمنعهما » وقال: إنه أمين على الوحى الإلهى « تكلمت بأمانتك »

الاقتباس السادس:

يقول بولس: « أما اليوم. فأنتم نور فى الرب. فسيروا سيرة أبناء النور. فإن ثمر النور يكون فى كل صلاح وبر وحق. تبينوا ما يرضى الرب. ولا تشاركوا فى أعمال الظلام العقيمة، بل الأولى أن تشهروها. إن الأعمال التى يعملونها فى الخفية ؛ يستحيا حتى من ذكرها. ولكن كل ما شهر ؛ أظهره النور ؛ لأن كل ما ظهر، كان

نورا. ولذلك قيل: « تنبه أيها النائم، وقم من بين الأموات، يضيء لك المسيح » [أفسس ٥: ٨ ـ ١٤]

موضع الاقتباس:

« تنبه أيها النائم. . . »

يقول مفسرو النصارى: « استشهاد بنص غير معروف. يرجح أنه نشيد مسيحى قديم [راجع ١ تيمو ٣: ١٦] ويبدو أنه مستوحى من سفر إشعياء [إش ٢٦: ١٩ و ٥١: ١٧ و ٥٢: ١ و ٦٠: ١] ويتابع اقليمنضس الاسكندرى، فيقول: « هو شمس القيامة، المولود قبل « لوسيفيرس» والواهب الحياة بأشعته » وهناك قراءة مختلفة، أيدها عدة آباء للكنيسة، ورد فيها: « قم من بين الأموات، تلمس المسيح » أو أيضا: « يلمسك المسيح » أ. هـ

البيـــان:

إنه قارن بين أمة أبناء الظلام، وأمة أبناء النور. وقد ورد فى نصوص « قمران» تعارض بين هاتين الأمتين، ونبه كتّاب الأناجيل إلى ذلك، خاصة يوحنا، وكاتب رسالة يعقوب [يو ١: ٥ ـ ٧ يع ١: ١٧ ـ ١٨] والفاصل بين الأمتين: هو « المسيح الرئيس» الذى هو « المسيا » الذى هو النبى الأمى الآتى إلى العالم . ثلاثة ألقاب لواحد. فمن يرفض المسيح يكون من أبناء الظلام، ومن يقبل المسيح يكون من أبناء النور.

وعبر عن المعرض والجاهل بالنائم، وعبر عن الإعراض والجهل بالموت. وعبر عن الحياة النيرة أنها نيرة بنور المسيح. أى بشريعته. فمن هو المسيح ؟ ومن أين أخذ بولس هذا الاقتباس ؟

أما عيسى عليه السلام فهو « مسيح » وليس هو « المسيح » هو « نبى » وليس هو « النبى » هو « مَسِيًّا » وليس هو « المسيا » .

وموضع الاقتباس عندهم على سبيل الظن من [إش ٢٦: ١٩ و ٥١: ١٧ و ٥٢: ١ و ٦٠: ١]

أما الأصحاح السادس والعشرون من إشعياء ؛ فهو نبوءة عن النبى الأمى المماثل لموسى. ويقول فيه عن أمته: « افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة، الحافظة الأمانة » ويقول فيه عن النبى نفسه: « ذو الرأى الممكن » ويقول: إن الله سيحفظه

سالما ؛ فلا يقتل. وسيعصمه من الناس « لأنه عليك توكل »

ويقول: إن أمة بنى إسرائيل التى كانت فى العلاء من أيام نبى الله موسى - عليه السلام - سيضعها الله إلى الأرض « يلصقها بالتراب » ويقول: إن الأمة الآتية زادها الله من فضله ومجدها وعظم ملكها فى كل أطراف الأرض. ويقول: إنه فى حال ظهور النبى الآتى سيحيا الناس ؛ كأنهم كانوا أمواتا واستيقظوا من الموت. ويقول لبنى إسرائيل - الشعب المختار من قبل -: إنه فى حالة ظهور الأمة البارة، استتروا منهم « حتى يعبر الغضب » لأنه لا بد من حرب.

وأما الأصحاح الحادى والخمسون وما بعده: فهو نبوءة عن النبى الأمى المماثل لموسى. وبدؤه: « اسمعوا لى أيها التابعون البر، الطالبون الرب » وفيه: « قريب برى. قد برز خلاصى، وذراعاى يقضيان للشعوب. إياى ترجو الجزائر، وتنتظر ذراعى » وفيه: « ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم، وعلى رءوسهم فرح أبدى » وفيه أن النبى الآتى أمى لا يقرأ ولا يكتب، وأهل صهيون سيكونون مع شعبه إذا آمنوا به « وقد جعلت أقوالى فى فمك، وبظل يدى سترتك، لغرس السموات، وتأسيس الأرض، ولتقول لصهيـون: أنت شعبى »

ثم يقول: « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك إلهك »

وأما الأصحاح الستون ؛ فإنه فيما قبله يتكلم عن الفادى الآتى إلى صهيون من غير أهلها. وهو النبى المماثل لموسى. ويقول لأمته: « قومى استنيرى ؛ لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك. . »

وهذه هى النصوص:

« فى ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية فى أرض يهوذا: لنا مدينة قوية . يجعل الخلاص أسوارا ومترسة. افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأى الممكن تحفظه سالما سالما لأنه عليك متوكل. توكلوا على الرب إلى الأبد لأن فى ياه[1] الرب صخر الدهور. لأنه يخفض سكان العلاء يضع القرية المرتفعة. يضعها إلى الأرض. يلصقها بالتراب. تدوسها الرجل رجلا البائس أقدام المساكين.

طريق الصِّديق استقامة. تمهد أيها المستقيم سبيل الصديق. ففى طريق أحكامك

---

(١) الرب عندهم اسمه يَهْوَه وهو المقابل لله فى العربية .

يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسى اشتهيتك فى الليل. أيضا بروحى فى داخلى إليك ابتكر. لأنه حينما تكون أحكامك فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل. يرحم المنافق ولا يتعلم العدل. فى أرض الاستقامة يصنع شرا ولا يرى جلال الرب.

يا رب ارتفعت يدك ولا يرون. يرون ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك. يا رب تجعل لنا سلاما لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا. أيها الرب إلهنا قد استولى علينا سادة سواك. بك وحدك نذكر اسمك. هم أموات لا يحيون. أخيلة لا تقوم. لذلك عاقبت وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم.

زدت الأمة. يا رب زدت الأمة. تمجدت. وسعت كل أطراف الأرض. يا رب فى الضيق طلبوك. سكبوا مُخافتة عند تأديبك إياهم. كما أن الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها؛ هكذا كنا قدامك يارب. حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحا. لم نصنع خلاصا فى الأرض ولم يسقط سكان المسكونة. تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا. ترنموا يا سكان التراب. لأن طلّك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة.

هلم يا شعبى أدخل مخادعك، وأغلق أبوابك خلفك. اختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب. لأنه هو ذا الرب[1] يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم. فتكشف الأرض دماءها ولا تغطى قتلاها فى ما بعد » [إش ٢٦]

---

(١) المراد: نبى الرب المنتظر.

الاقتباسات

فى

رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى

فى الأصحاح الأخير من سفر إشعياء. كلام كثير عن مجيء الله بالنار لمعاقبة الأشرار. وهو يعنى به: ظهور النبى الأمى الآتى إلى العالم مع صحبه الأخيار من بنى إسماعيل عليه السلام وقصدهم ديار بنى إسرائيل لحربهم، وإخراجهم منها. وذلك للتمكين لدينه فى جميع أمم الأرض. وعبر عن بنى إسرائيل: بأنهم يطهرون أنفسهم فى الجنات، ويأكلون لحم الخنزير. وقال: إننى سأجازيهم على أعمالهم. وسأعرف الأمم بما حدث لهم ؛ ليأتوا ويروا مجدى ـ مجد النبى الآتى ـ وسأرسل ناجين من بنى إسرائيل من المعارك الحربية إلى الأمم البعيدة ؛ ليخبروهم بما رأوا.

وإذا ظهر النبى الآتى من إخوتهم بنى إسماعيل. فإن أ ـ من الأمم من ينضم إليهم، ويأتى بهدايا إلى الكعبة ب ـ وإن من بنى إسرائيل من ينضم إليهم بإخلاص قلب وحسن نية.

وسوف يتخذ الله من الأمم ومن المختارين من بنى إسرائيل كهنة ولاويين. أى علماء شريعة، ويساويهم ببنى إسماعيل كما كان الكهنة فى العهد القديم واللاويين. علماء شريعة . وكل الجيل الآتى يسجدون أمام الله. أما الأشرار وهم الجيل الماضى ؛ فإنهم سيكونون رذالة لكل ذى جسد. أى محتقرون فى أعين الناس.

النص:

« هكذا[1] قال الرب. السموات كرسى والأرض موطيء قدمى. أين البيت الذى تبنون لى ؟وأين مكان راحتى ؟ وكل هذه صنعتها يدى. فكانت كل هذه. يقول الرب. وإلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى. من يذبح ثورا فهو قاتل إنسان. من يذبح شاة فهو ناحر كلب. من يصعد تقدمة يصعد دم خنزير. من أحرق لبانا فهو مبارك وثنا. بل هم اختاروا طرقهم وبمكرهاتهم سرت أنفسهم. فأنا أيضا أختار مصائبهم ومخاوفهم أجلبها عليهم. من أجل أنى دعوت فلم يكن مجيب. تكلمت فلم يسمعوا بل عملوا القبيح فى عينى واختاروا ما لم أُسَرّ به.

(١) إشعياء ٦٦ .

اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه. قال إخوتكم الذين أبغضوكم وطردوكم من أجل اسمى. ليتمجد الرب. فيظهر لفرحكم وأما هم فيخزون. صوت ضجيج من المدينة. صوت من الهيكل. صوت الرب مجازيا أعداءه: قبل أن يأخذها الطلق ولدت. قبل أن يأتى عليها المخاض ولدت ذكرا. من سمع مثل هذا؟ من رأى مثل هذه ؟ هل تمخض بلاد فى يوم واحد. أو تولد أمة دفعة واحدة ؟ فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها. هل أنا أمخّض ولا أولد ؟ يقول الرب. أو أنا المولّد هل أغلق الرحم؟ قال إلهك: افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها. افرحوا معها فرحا ياجميع النائحين عليها. لكى ترضعوا وتشبعوا من ثدى تعزياتها. لكى تعصروا وتتلذذوا من درة مجدها.

لأنه هكذا قال الرب. هأنذا أدير عليها سلاما كنهر، ومجد الأمم كسيل جارف. فترضعون. وعلى الأيدى تحملون. وعلى الركبتين تدللون. كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا. وفى أورشليم تعزون. فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه. لأنه هو ذا الرب بالنار يأتى ومركباته كزوبعة ليرد بحمُوُّ غضبه وزجره بلهيب النار » [إش ٦٦: ١٥ ـ]

نص الإنجيل:

وقد لغا بولس فى معنى النص السابق [إش ٦٦: ١٥ ـ] بقوله: إن الذى سيظهر هو الرب يسوع، وسوف يأتى من السماء، مع ملائكته، فى لهب النار، وينتقم من الكفار. فى يوم القيامة. ويسمى يوم القيامة المجىء الثانى للمسيح يسوع. والمجىء والقيامة متزامنان.

ونص كلامه هو: « فإنه من العدل عند الله: أن يجازى بالضيق أولئك الذين يضايقونكم، وأن يجازيكم، أنتم المضايقين، وإيانا ؛ بالراحة، عند ظهور الرب يسوع. يوم يأتى من السماء تواكبه ملائكة قدرته فى لهب النار، وينتقم من الذين لا يعرفون الله، ولا يطيعون بشارة ربنا يسوع ؛ فإنهم سيعاقبون بالهلاك الأبدى، مبعدين عن وجه الرب، وعن قوته المجيدة » [٢ تس ١: ٦ ـ ٩]

ويكفى فى الرد عليه: هو أنه فى أيام النبى الأمى الآتى إلى العالم، يرسل ناجين إلى الأمم، إلى ترشيش، وفول، ولود، وتوبال، وياوان. وهذا لا يصح فى المجيء الثانى للمسيح يسوع ؛ لأن مجيئه ـ عندهم ـ متزامن مع القيامة. وفى القيامة لن يحضر كل إخوتهم من كل الأمم تقدمات للرب على خيل وبمركبات وبهوادج وبغال وهجن.

الاقتباسات
فى
رسالة بولس إلى طيطوس

نص الإنجيل:

يقول بولس: « فقد ظهرت نعمة الله، ينبوع الخلاص لجميع الناس، وهى تعلمنا: أن ننبذ الكفر، وشهوات الدنيا؛ لنعيش فى هذا الدهر برزانة وعدل وتقوى، منتظرين السعادة المرجوة، وتجلى مجد إلهنا العظيم، ومخلصنا يسوع المسيح، الذى جاد بنفسه من أجلنا ؛ ليفتدينا من كل إثم، ويطهر شعبا خاصا به حريصا على الأعمال الصالحة. هكذا تكلم وعظ ووبخ بمالك من سلطان تام. ولا يستخفن بك أحد » [طيطس ٢: ١١ ـ ١٥]

البيـــان:

اقتبس بولس كلامه عن الفداء من المزمور المئة والثلاثين. وهو من مزامير النبى الآتى إلى العالم. وفيه يقول النبى بظهر الغيب: « من الأعماق صرخت إليك يا رب» ـ « لأن عندك المغفرة » ـ « نفسى تنتظر الرب » ـ « لأن عند الرب الرحمة، وعنده فدى كثير »

ثم قال عن الله تعالى: « وهو يفدى إسرائيل من كل آثامه » إذا تابوا إليه. فأين من هذا صلب المسيح يسوع ليفتديهم من كل إثم؟ وهل هو له شعب خاص به؟ ألم يقل ما جئت لأنقض الناموس ؟

نص التوراة :

« من الأعماق صرخت إليك يا رب. يا رب اسمع صوتى. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعاتى. إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد. فمن يقف. لأن عندك المغفرة ؛ لكى يخاف منك. انتظرتك يا رب. انتظرت نفسى. وبكلامه رجوت. نفسى تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح. أكثر من المراقبين الصبح. ليرج إسرائيل الرب؛ لأن عند الرب الرحمة. وعنده فدى كثير. وهو يفدى إسرائيل من كل آثامه » [مز ١٣٠]

وعند هذا القدر من الكلام ؛ يتم الكتاب. وهدفه:

١ ـ إثبات أن محمدا رسول الله ﷺ مكتوب عنه في التوراة وفي الإنجيل.

٢ ـ وإثبات أن التوراة محرفه عمدا باللفظ والمعني.

٣ ـ وإثبات أن الأناجيل الأربعة محرفة عمدا باللفظ والمعني.

٤ ـ وإثبات أن النصارى سرقوا جميع النصوص التى تدل على محمد ﷺ فى التوراة وأسفار الأنبياء وسفر الزبور، ووضعوها فى الأناجيل الأربعة والرسائل. وفسروها بتفسيـــر يدل على أنهـا لعيسى عليه السلام فى مجيئه الثانى قرب يوم القيامة.

وآخر كلامنا: هو الطلب من الله. أن يوفق المسلمين لعمل الخير دائما.

خاتمة الكتاب :
وهي في :
رأس الكلام
فى
موضوع هذا الكتاب

كان إبراهيم النبى ـ عليه السلام ـ ابن ست وسبعين سنة لما خرج من أرض آبائه وأجداده، بعد نجاته من النار. وهو قد خرج منها إلى بلاد الحجاز وفلسطين ومصر ، عن أمر الله تعالى . ليدعو إلى معرفته ، وليحطم الأصنام ، وليعلم مكارم الأخلاق . ففى الأصحاح الثانى عشر من سفر التكوين : « وقال الرب لأبرام : اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ، ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التى أُريك ؛ فأجعلك أمَّة عظيمة ، وأُباركك ، وأُعظِّم اسمك . وتكون بَرَكة . وأُبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » [تك ١٢ : ١ ـ ٣]

ومعنى البركة هو: أن يكثر نسله ، وينتشرون فى الأرض، ويملكون على الأمم والشعوب؛ للتمكين لشريعة الله فى قلوبهم ، وللحفاظ على الأمن والسلام . وهم إذا فعلوا ذلك ؛ تُثنى عليهم الأمم ، وتمدحهم ؛ لأنهم كانوا السبب فى هدايتهم إلى الله ، وفى سعادتهم فى الدنيا وفى الآخرة .

وقال إبراهيم لله : إنك لم تعطنى نسلا ، وأنا ماض عقيما ؛ فكيف تتبارك فىّ جميع قبائل الأرض؟ ذلك قوله فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين: « بعد هذه الأمور ؛ صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا، قائلاً : لا تخف يا أبرام. أنا ترُس لك. أجرك كثير جدا. فقال أبرام : أيها السيد الرب، ماذا تعطينى، وأنا ماض عقيما ومالك بيتى هو أليعازَر الدمشقى ؟ »

وردّ الله عليه بقوله : « لا يرثك هذا ، بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك » ـ « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا ، قائلا : لنسلك أُعطى هذه الأرض» وعقب هذا الميثاق ؛ أنجبت هاجر رضى الله عنها إسماعيل عليه السلام .

تقسيم الميثاق :

وجاء فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : أن الميثاق بين الله تعالى وبين إبراهيم عليه السلام هو :

أ ـ أن يلتزم إبراهيم ونسله بالسير أمام الله فى جميع الأمم والشعوب ؛ لدعوة الناس إليه، ولتحطيم الأصنام ، وللتمكين للشريعة .

ب ـ وفى مقابل الالتزام ؛ ينصرهم الله على أعدائهم ويمكنهم من فتح البلاد ، ويملكهم على الأمم والشعوب ، ويورثهم أرضهم . وديارهم. وفى الآخرة يعطيهم الجزاء الأوفى فى الجنة ، التى أعدّها للمتقين .وعبر عن الجنة يقول: «أنا ترس لك. أجرك كثير جدا» لزن المقاتل لو قتل في المعركة. يكون قد باع نفسه بلا أجر. وحيث قد وُعد أجر لابد منه. فإنه سيحصل عليه من بعد. القتل والدنيا ليست وراء القتل. لأنه فارقها. وإنما الآخرة هى التى تكون وراء القتل. ويكون فيها الأجر الموعود به. وهو نصيب فى الجنة .

وقد قال عن الميثاق: « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ؛ ظهر الرب لأبرام، وقال له : أنا الله القدير. سر أمامى ، وكن كاملا ؛ فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا » [تك ١٧ : ١ ـ ٢]

تقسيم البركة :

وكان إبراهيم فى ذلك الوقت فى سن التاسعة والتسعين وقد أنجب إسماعيل من هاجر . ورأى الله أن يرزقه أيضاً بابن من سارة التى لها من العمر تسعين سنة . وكانت سارة عاقرا لا تنجب . فأرسل ملائكته للبشرى به، وأنجبه إبراهيم وهو فى سن المائة. ثم قسم الله بركة إبراهيم على إسماعيل وإسحق على النحو التالى:

أ ـ يدعو كل نسل إبراهيم،وكل من آمنوا به إلى الله.كلٌ على حسب قدرته،مثنى وفرادى.إلى أن يكثر نسل إبراهيم،ويكونون قادرين على الأمم والشعوب.

ب ـ يصطفى الله من نسل إسحق نبى ، ويعطيه شريعة ويقوم النسل معه ، لمساعدته فى نشرها بين الأمم . ومن هذا النبى ، تبدأ بركة إسحق . وقد قام بها بنو إسرائيل من موسي عليه السلام

ج ـ وفى آخر أيام بركة إسحق ، يصطفى الله من نسل إسماعيل نبى ، ويعطيه شريعة . ويقوم النسل معه ، لمساعدته فى نشرها بين الأمم . ومن هذا النبى ؛ تبدأ بركة إسماعيل وقد قام بها بنو قيدار من محمد ﷺ

ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين :

« وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك ، لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وأُعطيك أيضاً منها ابنا : أباركها ؛ فتكون أُمما ، وملوكُ شعوب منها ؛ يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال فى قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنه؟

وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه إسحق . وأقيم عهدى معه عهدا أبديا ؛ لنسله من بعده . وأما إسماعيل . فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره كثيراً جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدى أُقيمه مع إسحق ، الذى تلده لك سارة ، فى هذا الوقت ، فى السنة الآتية » [تك ١٧ : ١٥ ـ ٢١]

لاحظ :

١ ـ « أُباركها ؛ فتكون أُمما ، وملوكُ شعوبٍ منها ؛ يكونون »

٢ ـ أن العهد هو للسير أمام الله بشريعة ؛ لهداية الأمم والشعوب ، فيكون معنى البركة : الملك والنبوة .

عهد البركة :

والنص على بركة . هو نفسه النص على عهد،فالبركة تدل على عهد ضمنى، ولو لم يُذكر فى الكلام ، فإن الله لما بارك فى إبراهيم ؛ صرح بعهد معه . هو للسير أمامه . وهو يكون مباركا بين الأمم ، إذا سار . وإنه إذا لم يسر ؛ فإن البركة لا يظهر لها من أثر .

﴿ لما أخذتهم الرَّجْفَة ﴾

وعهدُ (١) الله مع إبراهيم عليه السلام لم تصاحبه علامات كونية تدل على مجد الله وقوته، ولم يعمل له إبراهيم طقوس وشعائر عبادة . ولما أراد الله تعالى إظهار بركة إسحق فى الوجود ، اصطفى من نسله موسى بن عمران . وطلب منه أن يختار من قومه سبعين رجلا ، وأن يتوجه بهم نحو جبل الله حوريب ـ وهو جبل الطور ـ فى سيناء . وذلك ليأخذ عليهم عهداً بالقيام بالشريعة خير قيام . وقد توجه بهم إلى

---

(١) قال الله تعالي في القرآن الكريم : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

الجبل وأخذ الله عليهم العهد ، وقالوا : كل ما تكلم به الرب ؛ فإياه نفعل .

وقد صاحب أخذ العهد : نار ودخان « وارتجف كل الجبل جدا » [خر ١٩: ١٨] ورعود وبروق ، وصوت شديد « ولما رأى الشعب ؛ ارتعدوا ، ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا ؛ فنسمع . ولا يتكلم معنا الله ؛ لئلا نموت » .

وبعد أخذ العهد ؛ قام موسى بعمل طقوس وشعائر عبادة « وبكّر فى الصباح ، وبنى مذبحا فى أسفل الجبل ، واثنى عشر عمودا لأسباط إسرائيل الاثنى عشر ، وأرسل فتيان بنى إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران . فأخذ موسى نصف الدم ووضعه فى الطسوس . ونصف الدم رشّه على المذبح ، وأخذ كتاب العهد، وقرأ فى مسامع الشعب . فقالوا : كل ما تكلم به الرب ؛ نفعل ونسمع. وأخذ موسى الدم،ورش على الشعب، وقال : هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال » [تك خر ٢٤ : ٤ ـ ٨]

خُلوّ بركة إسحق من العهد الصريح :

وقد خلت بركة إسحق من العهد الصريح فى هذا النص : « وقال الله لإبراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة ـ أى رئيسة ـ وأباركها ، وأعطيك أيضاً منها ابنا . أباركها . فتكون أمما ، وملوك شعوب منها يكونون » ولم تخل من العهد الضمنى ؛ فإن البركة من لوازمها ، عهد للقيام بالشريعة .

العهد الصريح لإسماعيل :

وإن بنى إسرائيل لما ارتجف بهم الجبل ، وخافوا وارتعبوا ؛ قالوا لموسى عليه السلام : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ؛ فليكلمنا عن طريقك ؛ لأننا نخاف من حلول مجد الله . ورد الله عليهم بقوله : أحسنوا فى ما قالوا ؛ وسوف أكلمهم مرة أخرى عن طريق مماثل لك ، من بين إخوتهم ، لا من جنسهم . وذلك لأن إسماعيل مُبارك فيه .

ولأن هذه الرجفة لن تحدث مرة أخرى ؛ وبالتالى لن يكون من عهد فى حال ظهور النبى المماثل لك . فإنى من الآن أنص على عهدى معه ، وأظهر هذا الوعد ؛ لأؤكد على بركته .

وقال ما نصه : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه إسحق . وأقيم عهدى معه عهدا أبديا ، لنسله من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . . . »

إن النص الحقيقى هو : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . . وأقيم عهدى معه عهدا أبديا . . » هذا هو النص الحقيقى . وكان فيه نسبة العهد لإسماعيل ، بجوار النص على بركته ؛ للتأكيد عليها . لسبب هو : أنه لن يكون هذا مع شيوخ بنى إسماعيل ، كما كان الحال مع شيوخ بنى إسرائيل السبعين . إذ الرجفة لن تكون ، كما طلبها بنو إسرائيل أنفسهم .

والدليل على أن الكاتب لبَس الحق بالباطل : أنه قال :

أ ـ إن الله جعل عهدا دائما ، لا مؤقتا . فى إسحق من قبل ولادته .

ب ـ ولما وُلد ، أمر الله أباه بذبحه كيف يأمر بذبحه والعهد فيه ؟

وقد قال داود عليه السلام عن النبى المماثل لموسى : إنه سيده . وداود وجميع بنى إسرائيل سادة ، فى أيام بركتهم . فلو كان هذا النبى منهم ؛ لكان مساويا لداود فى السيادة . وإذا كان مساويا له فيها ، فإن تصريحه بأنه سيده ؛ يكون عديم المعنى . إذ لا يقول ملك لملك مثله من جنسه : أنت سيدى . ولا يقول أب هو سيد ـ لابن من أبنائه ـ هو سيد ـ أنت سيدى . لأن الابن لا يكون سيدا لأبيه .

وقد أثر عن المسيح عيسى عليه السلام أنه قال: إن اليهود يلقّبون النبى الآتى بلقب «المسيح الرئيس » أو « المَسِيًّا » ويزعم العبرانيون: أنه سيأتى من نسل داود عليه السلام وقال لهم : إنه لن يأتى من نسل داود ؛ لأن داود قال نبوءة عنه بظهر الغيب هى المزمور المئة والعاشر وقال فيها : إنه سيده والابن لا يكون سيدا لأبيه، وحيث لإسماعيل بركة فإن النبى الآتى يكون آتيا من نسله.

وأثر عنه : أنه سئل عن العهد المنسوب إلى إسحق من قبل ولادته . ورد بقوله : إن العهد فى إسماعيل ؛ وأنه هو الذبيح . وكيف يكون إسحقُ هوّ الذبيح ، وهو لمّا ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟

وهذا المأثور موجود إلى الآن فى إنجيل متى ومرقس ولوقا وبرنابا .

وعهد المشايخ السبعين الذى بموجبه نزلت الشريعة . هو عهد لأهل الكتاب ـ حَمَلَة شريعة موسى ـ وهو أيضاً لمن يدخل فى دين محمد ﷺ من أهل الكتاب . ولمن يدخل فى دينه من بنى إسماعيل والأمم. وذلك لأن من جملة أحكام الشريعة؛حكم السماع من محمد ﷺ إذا ظهر ؛ لأنه هو المماثل لموسى . والعهد لجملة الأحكام . ومن الأحكام : السماع منه والعمل بكل كلامه . وفى هذا المعنى

جاء فى القرآن الكريم : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

وهذا هو النص [1] على محمد ﷺ من توراة موسى :

« يُقيم لك الرب إلهك : نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك، فى حوريب، يوم الاجتماع، قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً ؛ لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا . أقيم لهم: نبيا . من وسط إخوتهم . مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ؛ أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يُطغى، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى ، وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ، ولم يصر ؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى ؛ فلا تخف منه » [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

والنصوص عليه فى الأناجيل كثيرة. منها الأصحاح الأول كله من إنجيل يوحنا.

«وقد سألنى سائل منهم هذا السؤال وهو: أن الاسم فى جميع اللغات هو . لايتغير. فاسم «محمد» فى العبرانية، إذا تُرجم إلى السريانية، يكون «محمد» وإذا ترجم إلى العربية، يكون «محمد» وإذا ترجم إلى الإنجليزية يكون « محمد» وهكذا. وبعد وضعه كما هو فى اللغة المنقول إليها، يضع أصحاب اللغة بجواره مايدل على أنه اسم؛ لئلا. يُغلط فيه بالظن فى أنه صفة أو كلمة عادية. ففى الإنجليزية يكتبون الحرف الزول من الاسم بما يعرف أن الكلمة اسم. يكتبونه كابيتل، وباقى الحروف اصمول. وفى اللغة الروسية يضيفون حرف الفاء فى آخر الاسم. مثل «خروشوف» وفى اليونانية «أدريانوس» بالسين. والألف واللام تضاف أيضا فى آخر الاسم. مثل «يعقوبيان» فى «يعقوب» وعلى ذلك فكلمة «محمد» وهى اسم، تكون فى اليونانية «محمد يوس» وكلمة «أحمد» تكون فى اليونانية «أحمد يوس» فما هو السبب فى أن

---

(١) راجع فى شرح هذا النص :

١ ـ البشارة بنبى الإسلام في التوراة والإنجيل / نشر دار البيان العربي بمصر .

٢ ـ المسيا المنتظر / نشر مكتبةالثقافة الدينية بمصر .

اسم «أحمد» لم يكتب في إنجيل يوحنا، وكتب بدله فى الإنجيل باللغة العبرانية «بيركليت» وكتب بدله فى الإنجيل باللغة اليونانية «بيركليتوس»؟

هذا هو سؤال السائل. ثم قال على جهة التعجب: إذا كانت «بيركليت» اسم؛ فإن النصرانية لاتكون محرفة؛ لزن الاسم يعرف العالم بنبى الإسلام من قبل ظهوره. وهذا هو غرض يسوع المسيح، وأنتم تقولون: إنها محرفة. فكيف تقولون إنها محرفة وغير محرفة فى آن واحد؟

ثم سأل سؤال ثالثا: وهو ماهو السبب فى قول النصارى: إن ترجمة «باركليت» بالمعزى، أو بأى كلمة فى معناها تدل على صفة شخص هى ترجمة ليس مدققة جدا؟ ثم شرع فى الإجابة. فقال: إن يسوع المسيح لم ينطق «بيركليت» للدلالة على اسم «أحمد» ورنما نطق اسمه المبارك وهو «محمد» وذلك لأن اسمه فى التوراة ، فى بركة إسماعيل هو «محمد» بحساب الجمل. وهو ما كان يحيد عن التوراة قيد أنمله. والأناجيل الأولى كتبت أن اسمهع «محمد» ومن ذلك ما كتبه برنابا: «أجاب يسوع إن اسم مَسِيًّا عجيب؛ لزن الله نفسه سماه، لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء سماوى. قال الله: اصبر يا محمد؛ لأنى لأجلك أُريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التى أهبها لك، حتى أن من يباركك يكون مباركا، ومن يلعنك يكون ملعونا. ومتى أرسلتك إلى العالم، أجعلك رسولى للخلاص، وتكون كلمتك صادقة، حتى أن السماء والأرض تهنان، ولكن إيمانك لايهن أبدا. إن اسمه المبارك محمد. حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا أله أرسل لنا رسولك. يامحمد تعالى سريعا لخلاص العالم» [بر ٩٧: ١٤ ـ ١٨]

وفى القرن الرابع الميلادى بعد مجمع نيقية سنة ثلثمائة وخمس وعشرين اتفق المسيحيون على أن يقولوا: إن نبوءات التوراة عن النبى المماثل لموسى لا تدل على محمد. وإنما تدل على يسوع المسيح، فى مجيئة الثانى، المتزامن مع يوم القيامة، وعمدوا إلى اسم «محمد» فحذفوه من الأناجيل، وبحثوا عن كلمة بديلة عنه. هى ١ـ تدل عليه ٢ـ أولا تدل عليه. على طريقة تحريف الكلم من بعد مواضعه. وبعد البحثالدقيق فى اللغة العبرانية؛ وجدوا أن كلمة «بيركليت» تعنى «أحمد» أى الكامل فى الحمد عن غيره. فاختاروها لتوضع فى الإنجيل من بعد تحريفه، بدل «محمد» وهذا يرضى طائفة المحرفين؛ لزن الكامل ف يالحمد قد يكون «محمد» وقد يكون شخا غيره، هو يحمد الله أكثر من غيره، من اليهود أو من النصارى. ثم كتبوا الإنجيل باللغة اليونانية، ووضعوا «بيركليت» لتدل على الكامل في الحمد عن غيره، ووضعوا بعد «بيركليت» حرف السين؛ لتدل «بيركليت» على اسم «أحمد» صراحة.

وهذا يرضى طائفة المتدينين، الكارهين للتحريف. وهذا هو السبب فى أن ترجمة «باركليت» بـ «المعزّى» ليست مدققة جدا. لماذا؟ لأن السين تدل على أن كلمة «بيركليت» اسم شخص بشرى، حسب قواعد اللغة اليونانية، ولأن «بيركليت» بدون السين. تدل على شخص كامل فى الحمد. ولا تدل على اسم ذلك الشخص الكامل فى الحمد.

وهذا هو مايُعرف بتحريف الكلم من بعد مواضعه. مثل: «من إخوتك» [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢] فإنه يدل على نبى من بنى إسرائيل، أو نبى من بنى إسماعيل. ويقوى أنه من إسماعيل: أنه يقول: «مثلى» ويقول: ولن يقوم مثلى فى بنى إسرائيل. وحيث لإسماعيل بركة؛ فإن الآتى يكون منه. وهكذا «بيركليتوس» مكونة من جزأين: الجزء الأول الحامد كثيرا، وقد يكون محمدا، أو غير محمد. والجزء الثانى: حرف السين. أى أن الكلمة تدل على اسم شخص بشرى. هو «أحمد» سواء أكان حامدا أو غير حامد. وعلى هذا يكون معنى مافى القرآن الكريم عن الاسم هكذا: ﴿ومبشرا برسول يأتى من بعدى. اسمه﴾ عندهم ﴿أحمد﴾ لأن السين بينت أنه اسم شخص بشرى، هو «أحمد» لا صفة لشخص هو أكثر حمدا لله من غيره.

إلى هنا. تمام ماذكره لى السائل النصرانى. وأجاب هو عليه.

ويقول الدكتور موريس بوكاى: «وعندما يقول المسيح، حسب إنجيل يوحنا ١٤: ١٦ «سأصلّى لله، وسيرسل لكم PARACLET آخر» فهو يريد بالفعل أن يقول: إنه سيرسل إلى البشر وسيطا اخر «كما كان وسيطا لدى الله. وفى صالح البشر أثناء حياته على الأرض» ـ «ولنقل باختصار: إنه دور نبى، يسمع صوت الله، ويكرر على مسامع البشر؛ رسالة»(١) أ.هـ.

والمؤيِّد أو المعزِّى ترجمة «باراقليط» وهى فى اليونانية «باركليتوس» paracletos وكلمة «بيراكليتوس» تدل على «أحمد» pericletos والإنجيل: هو البشرى بخبر سار. والخبر: هو قول موسى عليه السلام عن محمد ﷺ: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى «تسمعون» [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢]

تم الكتاب. والحمد لله رب العالمين، والصلاة

و السلام على نبيّه الكريم محمد وأصحابه أجمعين

مع تحيات / أسماء أحمد حجازى السقا

---

(١) ص ١٢٩ دراسة الكتب المقدسة.

فهرس اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة

الموضوع **الصفحة**

تمهيدات ———— ٧

معنى : أن بورك من فى النار ومن حولها ———— ٧

معنى أن محمدا ملك وعالم ونبى ———— ٩

أسماء الأسباط ———— ١١

تواريخ الأزمنة القديمة ———— ١٢

إسماعيل بن سارة وهاجر ———— ١٣

الأسباط أبناء الجاريتين ———— ١٤

أخر أيام بركة إسحق ———— ١٥

يوم الرب ———— ١٦

دخول قبائل يأجوج ومأجوج فى الاسلام ———— ١٧

معنى : لا ينال عدى الظالمين ———— ١٨

معنى الاقتباسات ———— ٢١

وحدانية الله فى التروراة والإنجيل ———— ٢٢

قول عيسى عليه السلام إنه ليس مستحقا أن يحل سيور حذاء رسول الله محمد ﷺ ———— ٢٦

مجلس الشيوخ الرومانى يدافع عن عيسى عليه السلام ———— ٢٦

الإقتباس الجزئى من التوراة ———— ٢٧

مجادلة العلماء بالنص المقتبس ———— ٣٠

الفرق بين مسيح والمسيح ———— ٣٢

تصحيح عيسى عليه السلام لعهد الله مع إسماعيل فى السير أمامه ———— ٣٤

الموضوع	الصفحة

الى السنة المائة والخمسين ميلادية كان النصارى يعملون بالتوراة و لم

يكن معهم أى إنجيل ———— ٣٥

الدليل على أن الذبيح إسماعيل ———— ٣٦

استدلال المسيح بالتوراة على مجيء محمد ﷺ ———— ٣٩

كيف تكتب إنجيلا مثل إنجيل عيسى عليه السلام ؟ ———— ٤٠

رسائل بولس كانت قبل الأناجيل الأربعة ———— ٤٠

أقوال المسيح ———— ٤١

الإنجيل الذى يقف خلف الأناجيل ———— ٤١

البشرى الشفهية ———— ٤١

الفرق بين التوراة والرب ———— ٤٢

طريقة المسيح فى الخطب والدروس ———— ٤٣

محمد من سفر أخنوخ ومخطوطات قمران ———— ٤٤

﴿ وقد نزل عليكم فى الكتاب ﴾ فى المزمور الأول لداوود ———— ٤٤

معنى أن يعقوب بن الله ———— ٤٥

استدلال المسيح بالتوراة على فتاويه الدينية ———— ٤٦

زعمهم : أن نبوءة المسيح من الناصرة ضاعت من التوراة ———— ٤٧

كتاب الأناجيل نقلوا من التوراة وهم ناعسون ———— ٤٨

شهادة التوراة بصحة النصرانية والإسلام ———— ٤٩

نصوص التوراة التى يقول النصارى أنها تدل على المسيح ———— ٥٠

اعتراف يحيي بمحمد ———— ٥١

اتفاق يحيي وعيسى على التبشير بمحمد ———— ٥١

نبوءة (غلبت الروم) فى التوراة والإنجيل ———— ٥١

الموضوع	الصفحة

يجب على قضاة العالم محاكمة النصارى بتهمة السرقة ———— ٥٣

***

الاقتباسات فى الإنجيل متى

الحجر المقطوع من جبل بغير يدين ———— ٥٤

الله معنا ———— ٥٨

مجيء المجوس الى أورشليم ———— ٥٩

النصارى حرفوا التوراة فى (من مصر دعوت أبناءه) ———— ٦١

كيفية إثبات تحريف التوراة والإنجيل ———— ٦٢

لماذا صام المسيح أربعين يوما وأربعين ليلة ———— ٦٦

نص المزمور ———— ٦٧

الزمان الأول والزمان الأخير ———— ٦٩

إعلان المسيح لبشارة الملكوت يدل على أنه ليس هو صاحب الملكوت ———— ٧٠

تحريف كتاب الإنجيل لمعنى نبوءة العبد المتألم ———— ٧١

إنى أريد رحمة لا ذبيحة ———— ٧٢

نبوءة ملاك العهد ———— ٧٣

كسر الشريعة للضرورة ———— ٧٤

تحريف كاتب الإنجيل بمعنى نبوءة العبد المسالم ———— ٧٥

نص المزمور ٧٨ ———— ٧٨

الصابئون الوارد ذكرهم فى القرآن من أتباع نبى الله يحيي علي السلام ———— ٨٠

رأى المسيح فى طلاق النساء ———— ٨١

قول المسيح : ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ———— ٨٢

ركوب المسيح على أتان وجحش ———— ٨٣

الموضوع	الصفحة
هو شعنا = أوصنا لا بن داوود	٨٣
اعتراف اليهود بأن يسوع نبى الله	٨٤
تنبؤ المسيح بخراب هيكل سليمان على يد المسلمين	٨٥
جوع المسيح وعطشه فى عيد الشعانين	٨٦
حب القريب	٨٨
إن الحواريين سيعثرون ويشكون فى عيسى	٩٠
(إنما المشركون نجس)	٩٢
لا يكون بعد كنعانى فى بيت رب الجنود	٩٣
الاقتراع على ثياب يسوع الكهنوتى	٩٥
مزامير آلام المسيا	٩٦
نفى القتل والصلب عن عيسى عليه السلام	٩٩
يا أولاد الأفاعى	١٠٢
من كلام بولس فى تمييز الله بين الأبرار والخطأة	١٠٣
كلام النصارى فى انتصار المسيح على الموت	١٠٤
كلام النصارى فى قول بهزيمة المسيح على يد أعدائه	١٠٥
العالم ذهب وراء المسيح	١٠٧
مثل الراعى والجداء	١١٠
المحاولة الثانية لقتل عيسى	١١١
المحاولة الثالثة لقتل عيسى	١١٢
المحاولة الرابعة لقتل عيسى	١١٣
المحاولة الخامسة لقتل عيسى	١١٣
المحاولة السادسة لقتل عيسى	١١٣

الموضوع	الصفحة

المحاولة السابعة لقتل عيسى ———— ١١٣

الصيغة الأولى للتهمة الموجة للمسيح ———— ١١٥

الصيغة الثانية للتهمة الموجة للمسيح ———— ١٢٠

الرد على النصارى فى قولهم بقتل المسيح ———— ١٢٣

نص المزمور ١٦ ———— ١٢٩

ظهور المسيح بعد حادثة القتل للحواريين ———— ١٣١

تبشير المسيح بعد ظهوره بملكوت الله ———— ١٣١

إحفاء ان يسوع و النبى الآتى الى العالم الى أن يقتل ويصلب من الأموات ———— ١٣٣

عهد الله ———— ١٣٥

العهدان ———— ١٣٥

كيفية إبرام العهد مع موسى عليه السلام ———— ١٣٩

***

الاقتباسات فى إنجيل يوحنا ———— ١٤٢

الغيرة على بيت الله ———— ١٤٢

نص الزمور ٦٩ ———— ١٤٣

أنتم أولاد للرب الهكم ———— ١٤٤

ترنمى أيتها العاقر ———— ١٤٦

أنا قلت أنكم آلهة ———— ١٤٧

مبارك الآتى باسم الرب ———— ١٤٨

نص المزمور١١٩ ———— ١٤٩

أصل ملكوت السموات من سفر دانيال ———— ١٥١

نبوءة العبد المتألم ———— ١٥٣

الموضوع	الصفحة
أجنحة الملائكة	١٥٤
البقية المختارة من بنى إسرائيل	١٥٤
نصوص الزبور عن محمد الموجودة فى سيرة ابن هشام	١٥٥
قول المسيح : أنا عطشان	١٥٨
سينظرون الى الذى طعنوه . هل الله هو المطعون أم المسيح	١٥٨
نص المزمور ٣٤	١٥٩
الاقتباسات فى سفر أعمال الرسل	١٦١
نبوءة لتصر داره خرابا	١٦١
نبوءة ليأخذ وظيفته آخر	١٦١
الفرق بين الجيل الماضى والجيل القادم	١٦٣
أحمد ﷺ Perikletos بيركليتوس	١٦٤
لغو النصارى فى براكليت	١٦٤
﴿ يستفتحون على الذين كفروا ﴾	١٦٥
دفن داوود فى القبر	١٦٧
تطبيق بطرس بنوءة النبى الأمى على المسيح	١٧١
خطبة استفانوس	١٧٣
اقتباسات فى نص استفانوس	١٧٤
خطبة بوليس	١٧٩
الاقتباسات من نص بولس	١٨١
نسخ شريعة موسى	١٨٤
عمى اليهود عن الحق	١٨٥

***

الموضوع	الصفحة

الاقتباسات فى الرسالة الى أهل روما ———— ١٨٧

فكر بولس ———— ١٨٨

إن البار بالإيمان يحيا ———— ١٩٠

الفرق بين شريعة السماء وشريعة الضمير ———— ١٩١

لكى تتبرر فى أقوالك ———— ١٩٢

الجيل البار ———— ١٩٨

الشريعة تظهر الخطايا ———— ٢٠٠

أبناء الموعد ———— ٢٠٧

الشعب المختار ———— ٢١٠

الله رب العالمين ———— ٢١٤

نص كلام النصارى فى الأقاليم ———— ٢١٤

الأحكام الشرعية فى التوراة ———— ٢١٥

قست قلوبكم ———— ٢٢٢

كلمة الله فى المسيا النبى الأمى الآتى الى العالم ———— ٢٢٨

نظيرة المثل عند أفلاطون ———— ٢٣٠

شادة المعمران عن محمد صلى اله عليه وسلم ———— ٢٣٣

أول خطبة لمسيح عن محمد ﷺ ———— ٢٣٥

لبس الحق بالباطل فى عهد إسماعيل ———— ٢٣٨

نبوءة المزمور ١٣٩ ———— ٢٤٠

اغلب الشر بالخير ———— ٢٤١

المزمور ١٨ ———— ٢٤٤

نبوءة نشيد موسى ———— ٢٤٥

الموضوع	الصفحة

نصوص من التوراة على عذاب جهنم ———— ٢٤٩

***

الاقتباسات فى رسالة بولس ———— ٢٥٠

الاولى الى أهل كورنثوس ———— ٢٥٠

سأبيد حكمة الحكماء ———— ٢٥٠

من افتخر فليفتخر بالرب ———— ٢٥١

ما لم تره عين ، ولا سمعت به أذن ———— ٢٥١

من الذى عرف فكر الرب ، ليعلمه ؟ ———— ٢٥٢

يأخذ الحكماء بمكرهم ———— ٢٥٣

للرب الأرض وملؤها ———— ٢٥٤

اسمعوا هذا لذكرى ———— ٢٥٥

سأكلم هذا الشعب بلسان الناس لهم لغة غريبة ———— ٢٥٦

تسليم الملك الى الله الأب ———— ٢٥٦

فلنأكل ولنشرب فإننا غدا نموت ———— ٢٥٩

إنا لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ———— ٢٦٠

يا تلفى . يا تلفى ———— ٢٦١

ترنيمة البار ———— ٢٦٢

***

الاقتباسات فى الرسالة الثانية أهل كرينثوث ———— ٢٦٤

آمنت ، ولذلك تكلمت ———— ٢٦٤

عزيز فى عين الرب موت أتقيائه ———— ٢٦٥

الموضوع	الصفحة

جيل المستقيمين يبارك ———— ٢٦٨

***

الاقتباسات فى رسالة بولس الى أهل غلاطية ———— ٢٧٠

إلغاء بولس للأحكام الفقهية فى التوراة ———— ٢٧٢

إيمان إبراهيم عليه السلام ———— ٢٧٦

ملعون من علق على خشبه ———— ٢٧٧

الفرق بين النسل والأنسال ———— ٢٧٩

عهد هاجر وعهد سارة ———— ٢٨٠

إله كل الأرض يدعى ———— ٢٨٣

تفسير نبوءة العاقر التى لم تلد ———— ٢٨٧

تطبيق المسيح لنبوءة العاقر على محمد ———— ٢٩٦

تطبيق بولس لنبوءة العاقر على يسوع ———— ٢٩٩

رأى بولس فى الأخلاق فى والتكاليف الشرعية ———— ٣١٣

***

اقتباسات فى رسالة بولس الى تيموثاوس ———— ٣١٤

إن الرب يعرف الذين له ———— ٣١٤

قول بولس فى رسالة فيلبى : إن يسوع المسيح هو رب لمجد الأب. وقول
بولس : أن المسيح أخذ صورة العبد المتألم ———— ٣١٥

نص التوراة على أن آدم عليه السلام تاب من خطيئته ———— ٣١٥

***

الاقتباسات فى الرسالة الى العبرانيين ———— ٣١٦

الكلاب بواسطة الإبن ———— ٣١٨

الموضوع	الصفحة

وراثة بنى إسماعيل للأرض ———— ٣١٨

الشك فى نسبة الرسالة الى العبرانيين الى بولس ———— ٣٣٥

إدخال البكر الى العالم ———— ٣٣٧

سجود الملائكة لمحمد ﷺ ———— ٣٣٨

نص المزمور ٩٥ ———— ٣٤٧

عشور ملكى صادق ———— ٣٥٢

مجيء محمد بقسم من الله ———— ٣٥٥

خيمة الاجتماع ———— ٣٥٨

***

الاقتباسات فى رسالتى بطرس الأول والثانية ———— ٣٦٨

الاقتباسات فى الرسالة الأولى لبطرس ———— ٣٦٨

مزمور ٣٤ ———— ٣٧١

إبليس خصمكم كالأسد الزائر ———— ٣٧٢

مزمور ٥٥ ———— ٣٧٢

***

الاقتباسات فى الرسالة الثانية لبطرس ———— ٣٧٤

السموات الجديدة ———— ٣٧٥

الكلام فى تقديس جبل صهيوني ———— ٣٧٧

نبوءة بلعام بن بعور عن محمد ﷺ ———— ٣٧٩

***

الاقتباسات فى رسالة بولس الى أهل أفسوس ———— ٣٨٧

ليس سلام الأشرار ———— ٣٨٧

الموضوع	الصفحة
الاقتباسات فى رسالة بولس الثانية الى أهل تسالونيكى	٤٠٩
هل أنا أمخض ولا أولد . يقول الرب ؟	٤١٠
***	
الاقتباسات فى رسالة بولس الى طيطوس	٤١١
تكلم وعظ ووبخ بما لك من سلطان تام	٤١١
***	
خاتمة الكتاب	٤١٣
خلو بركة أسحق من	٤١٦
العهد الصريح لإسماعيل	٤١٦
الفهرس	٤٢١